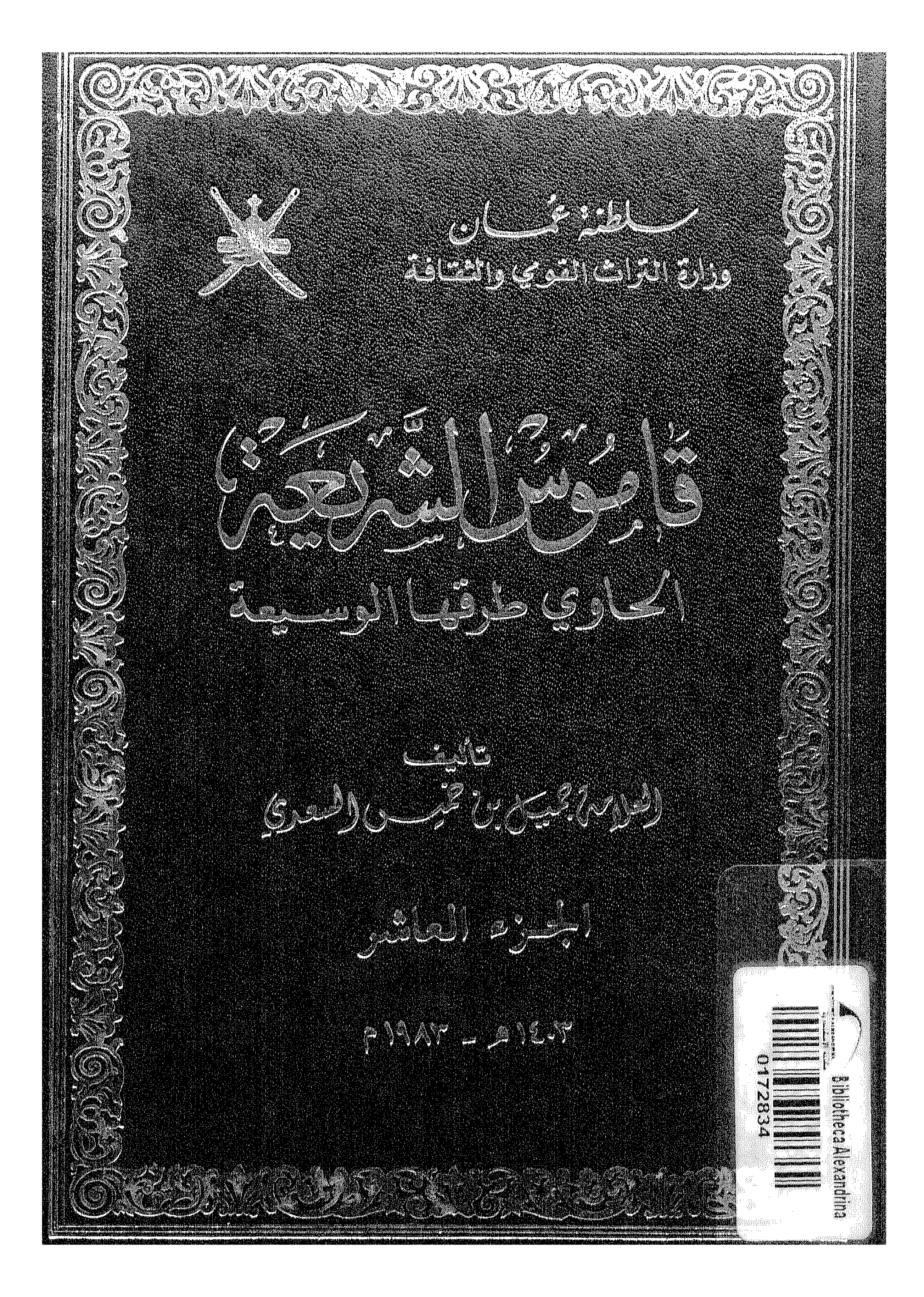
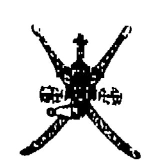

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
قاموس الشريعة
الحاوي طرقها الوسيعة
تأليف
العلامة جميل بن خميس السعدي
الجزء العاشر
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
Bibliotheca Alexandrina
0172834





سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

قاموس الشريعة

الحاوي طرقها الوسيعة

تأليف
العلامة جميل بن خميس السعدي

الجزء العاشر

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي اخترع الأشياء على غير مثال ، ودبر الأمور على غير تمثال ، وابدع بحكمته الانسان من صلصال ، فاخرج من صلبه ذرية وشيكة الاضمحلال ، فركب فيهم عقولاً اليه ينتهون ، ويعرفون بها ما يأتون وما يتقون ، ثم بعث رسلا اليهم دعاة ، وجعلها لهم أئمة وهداة ، فختم أنبياءه بالنبي المبعوث الطاهر ، المطهر للأوائل والأواخر ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأبرار ، وأصحابه المهاجرين والأنصار .



بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

في مدح التوبة والتائبين

ومما احسب انه عن ابي القاسم ؛ سعيد بن محمد بن صالح ؛ الحمد لله الذي جعل التوبة صلاحا لأمته ، ومفتاحا لابواب رحمته ، ومصباحا تهديهم اضواؤه الى مغفرته ، وجناحا يتوصلون به الى رضوانه وكرامته ، فاستنقذهم بها من عوارض الآثام ، واسبلهم بسببها الوثيق من غوامض الحرام واخرجوا من عمايا المسالك ، وجنايا المعاطب والمهالك ، ومد عليهم بها من رحمته ظلا ظليلا ، ونعمة ذللت قطوفها تذليلا ، فهي منار الفوز لمن وفقه الله لفعلها ، وشعار النجاة لمن تمسك بحبلها .

فاعتقادها فرض لا يحال لمن خلصت اعماله ، وغنم لمن وفق ان يحسن منقلبه وماله ، فلا وسيلة عند الله اقرب منها الى النجاة من النار ، ولا ذريعة اشفع منها الى التخلص من دار البوار ، فيها تمحيص الكبائر من الذنوب والصغائر المرتكبة من المآثم والحوب ؛ فهي الحجاب المانع من العذاب ، والباب الشارع للرحمة عند الانقلاب ، فمن وفقه الله لاعتقادها سلم من المهالك ، ومن رزقه الله حسن اعتماده ادرك البغية حين الادراك ، واستمسك بالعروة الوثقى ، وارتقى في درج الفوز الى اشرف مرقى ، واغتنم رضى

خالقه في يوم القضاء والفصل ، وفاز بالظفر والعطاء والجزل ، فلله على من لزمه التكليف ، وعمه الجهل والتسويف .

نعمة صغرت في جنبها النعم ، وقسمة استحقرت عندها العطايا والقسم ، اذا كان تقدست اسماؤه ، وتعالت كبرياؤه ، تكفل بقبولها من العباد ، ووعدهم بها بالغفران يوم المعاد ، وجعلها ممحلة لسيئاتهم ، ومنمات لعلو درجاتهم ، وانزل في ذلك آيا موجبا لهم العفو عما كانوا من السيئات يعملون ؛ وقال : **﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾** ، وكان فيما تفضل به عليهم في هذه الآية من القبول لتوباتهم ، والعفو عما فرط من سيئاتهم ، لهم كفاية ومقنع ، ووفاية ومتسع ، في عفو الله ـ تعالى ـ عنهم فيما اجترموه ، ونحو ما اتوه من الذنوب واكتدحوه ؛ لأن اللفظ ونفس الآية المنزلة عام مجمل ، وحكم الكبائر والصغائر فيها داخل ، فقص عليهم لهم ـ عز وجل ـ في كتابه بما هو اقرب الى رحمته ، واسرع في رجائهم لعفوه ومغفرته .

وقوله ـ تعالى ـ **﴿والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾** ؛ فذكر في هذه الآية جميع الفواحش والظلم والاصرار ، الذي هو رأس الاثم بما اتوه من ذلك وارتكبوه ، على الخطأ والعمد اجترحوه واحتقبوه ، ثم اتوه بالتوبة التي جعلها للذنوب كفارة ، وللسيئات غطاء ووقاره ، ولمراقي الشرف اصلا وامارة ، ولنيل التحف من الله بشارة ، وبها يلجون في رحمة الله ورضوانه ، ويسكنون في جنة الله ودار امانه ، اماطت عنهم اذى السيئات ، وحبطت ثقيل الفواحش والمظالم المهلكات ، ونجوا بها عند الله من سخطه وعقابه ، وفازوا بفعلها من ناره واليم عذابه ، وكان لهم بما انعم به عليهم فيه الوعيد ، والضعف واللعن والتخليد ، والعذاب الدائم الشديد ، وتضعيف العذاب لهم ، والاهانة على التأبيد من الشرك به ، والقتل الذي نهى عن

ارتكابه ، والزنا المحرم في كتابه ؛ ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما﴾ ؛ وقوله ـ تعالى ـ ﴿والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا﴾ .

ثم وعدهم بالمغفرة والرحمة وتداركهم منه ـ تعالى ـ بالنعمة والعصمة في قبول التوبة عنهم عن كل هذه المحارم ، وارتكاب هذه الكبائر والعظائم ، التي انفدهم عليها بالادمان في النار ، والخلود ابدا في دار البوار ، حيث قال : ﴿الا من تاب وآمن﴾ ، فاخرج التائب بلطفه من هذه الاصناف ، والمنيب من هذه الأوصاف ، من سوء الوعيد ، واهانة العذاب والتخليد ، واستنقذه بالتوبة الى رحمته ، وجعلها مرقاة له الى مغفرته ، وثوابه ؛ لقوله ـ تعالى ـ : ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ .

فخاطبهم الله ـ عز وجل ـ بلطف الخطاب ، وعاتبهم وامرهم بالانابة اليه ، والانقلاب والاستسلام له ، قبل تحقيق العذاب ، واوعدهم افضل العدة والنعمة ، وحرم عليهم القنوط من الرحمة ، اذ وعدهم غفران ذنوبهم عموما لها ، ومحو جميع سيئاتهم اذا حلها ، فكأنه قال ـ عز وجل ـ يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم (السيئات) ، واجترحوا (الخطيئات) وارتكبوا (الآثام) وانتهكوا (الحرام) ، واتوا (الكبائر) واحتملوا (الجرائر) ، واقاموا على حالهم ذلك على الاصرار ، وبأوا بتحمل الاوزار ، وبارزوني بالعصيان ، وهزوني بالعدوان ، واسرفوا في حمل المظالم التي توردهم سخطي وعذابي ، ويحل بهم اليم نكالي وعقابي ، وركبوا جميع ما نهيتهم عن ركوبه من السيئات والزنا ، والقتل ، والقذف والسرقة ، والربا ، وجميع ما نهيتهم عنه من

المحرمات ، والامور العظيمة المكفرات من صغير الذنوب وكبيرها ، وعظيم السيئات وحقيرها ، لا تيأسوا من مغفرتي ، ولا تقنطوا من رحمتي ، فانكم اذا رجعتم اليّ وانبتم ؛ قبلت توبتكم ، وارتضيت توبتكم ، وغفرت زلتكم ، ومحوت بالتوبة خطيئتكم ، ولم ابعدكم من رحمتي ، ولم اجنبكم دار كرامتي ، فانا الطف بكم يا عبادي منكم بانفسكم ، وابر بكم في منقلبكم ومحتسبكم ، فتوبوا اليّ واستغفروني ، فانا البر اللطيف ، الرحيم الرؤوف ، ثم حذرهم الله ـ تعالى ـ اشد التحذير ، وخوفهم عدم المجير من العذاب لهم والنصير ، لطفا منه ـ تعالى ـ بهم ، واستمالة لمذنبهم لتشملهم رأفته ، ويعمهم لطفه ورحمته .

فادعوا الله ـ عز وجل ـ وانيبوا الى ربكم ، واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، فامرهم بالانابة اليه قبل حلول العذاب ، وبالاستسلام اليه قبل وجوب العقاب والعذاب ، وقال ﴿ثم لا تنصرون﴾ ، اي (لا تجدون من دونه نصيرا ، ولا من عذابه مجيرا) ؛ فهذا اشد الخوف والتحذير ، والتنبيه والتشريف ، والتقرير والدعاء الى الاستمالة للرأفة الى رحمته ، والأوبة الى مغفرته ، كانت التوبة عمادا من الخطايا والجرائر ، وزماما من الصغائر والكبائر ، وكانت لب الطاعات ، وانفس البضاعات ، تقود الى رحمة الله ـ تعالى ـ التي على نفسه كتبها ، وجعلها لعبده واوجبها ، ووسعت جميع الاشياء من مخوفاته الا من خرج منها على الاصرار عن مكفراته ، جعلتها وسيلتي الى الذي لعله تعبدني بفعلها ، واستنقذني من الآثام بحملها ، واعتقد بها نية ، وقولا ، وعملا ، وارجو بها من الله فوزا وفضلا ، فها انا استغفر الله ـ تعالى ـ من كل ما كان سيئة مكروها .

(مسألة) : من كتاب (بيان الشرع) ؛ قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ ، والتوبة في اللغة بمعنى الرجوع لقول العرب : تاب اي ؛ رجع ، والتائب الى الله هو الراجع عن نهي الله الى

امره ، وعن معصيته الى طاعته ، وعما يكره الى ما يرضى ، وعن غير الله الى الله ، فالعبد تائب الى الله ، والله تائب على العبد ، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم﴾ ، وقال لعباده : ﴿وتوبوا الى الله جميعا﴾ .

وبلغنا عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ انها قالت : قال رسول الله ﷺ : «التوبة من الذنب الندم والاستغفار» ، وروي عن النبي ﷺ انه قال : قال الله ـ عز وجل ـ [اذا تاب عبدي انسيت جوارحه عمله وانسيت البقاع وانسيت حافظيه حتى لا يشهدوا عليه بشيء يوم القيامة] ، وقال ابو الحواري ـ رحمه الله ـ : ان الرجل ليذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة ، فيقول الشيطان : يا ليتني لم اوقعه فيه .

يروى عن النبي ﷺ انه قال : «التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها» ، وقال ابن عباس : التوبة مقبولة الا من ثلاثة : ابليس لعنه الله رأس الكفر ، وقابيل قاتل اخيه هابيل ، ومن قتل نبيا من الانبياء .

وقيل : مكتوب في بعض الكتب ، ان الله ـ تعالى ـ يقول : [يا ابن آدم عليك بالجهد وعليّ الوفاء وعليك بالصبر وعليّ الجزاء ، وعليك الشكر وعليّ الزيادة ، وعليك السؤال وعليّ العطاء ، وعليك الاملاء وعليّ الكتاب ، وعليك الدعاء وعليّ الاجابة ، وعليك التوبة وعليّ القبول] . وروى الحسن ، ان النبي ﷺ قال : «ان ابليس ـ لعنه الله ـ حين اهبط الى الارض قال : وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام الروح في جسده ، فقال الله ـ عز وجل : وعزتي وجلالي لا امنعه التوبة حتى يغرغر بالموت» .

قال شقيق : هلاك الناس في اثنتين : يعملون الذنب رجاء ان يصلوا الى التوبة ، ويسوفوا عن التوبة رجاء في طول العمر ، وقال ابن حازم : نحب ان لا نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت ؛ شعرا :

أبعـد شيب الرأس لا تـرعـوي   وبعد فوت العمر لا تزدجـر ؟!
ايـا عـجبـا انـك ذا حيـرة   تنـظر مـا تلقي فـلا تعتبـر !

ومن غيره ، روي عن النبي ﷺ انه قال : التسويف شعار الشيطان يلقيه في قلوب المؤمنين ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : التسويف ؛ ان يريد عملا ، فيقول : غدا اعمله ، وكره التسويف في عمل الخير .

رجـع : وقال ـ عليه السلام ـ «التؤده في كل شيء خير الا في عمل الآخرة» (انتهى) اي ؛ التأني في الشيء .

رجـــع

(مسـألة) : فاذا تبتم فاسألوا الله ان يقبل توبتكم ، فان القبول مشكوك فيه كما قيل لابي حفص النجاري : لم تبغض الدنيا ؟ فقيل : لانها دار باشر فيها الذنوب ، قيل له : وفيها دارك التوبة ، قال : من ذنوبه على يقين ، ومن قبول توبته على خطر .

وينبغي ان يكون العبد بعد التوبة اشد انكسارا وخشية منه قبلها ؛ فانه اذا عجب بتوبته أبطل العجب توبته ، ويبقيت الذنوب في ذمته ، وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ انه كان يقول : يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ، وقال : يتوب من الذنوب ، ثم لا يرجع اليه ، وروي عن معاذ بن جبل قال : التوبة النصوح هي ان يخرج من الذنوب ، ثم لا يعود فيها ، كما لا يعود اللبن في الضرع بعد الخروج منه ، وروي الكلبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال : التوبة النصوح ثلاثة اشياء : الاقرار باللسان ، والاضمار ان لا يعود الى الذنب بالقلب ، والاقصار عنه بالجوارح ، وقيل : التوبة النصوح هي ان تنصح فيها نفسك ، وتنصح جميع من سواك ، وتحب ان يتوب الجميع من ذنوبهم شفقة ، كما ان رجلا من آل فرعون قال : «يا ليت

قومي يعلمون بما غفر لي ربي﴾ .

وعن ابي بكر الرقاش المصري انه قال : التوبة النصوح علامتها ثلاثة اشياء : خوف ان لا تقبل ، ورجاء ان تقبل ، وادامة الطاعة ، وعن يحيى بن معاذ قال : علامة التوبة النصوح ثلاثة اشياء : قلة الطعام ، وقلة الكلام ، وقلة المنام .

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿وانيبوا الى ربكم﴾ (الآية) ، بلغنا عن سهيل بن عبدالرحمن انه قال : الانابة الى الله ، هي الرجوع عن الغفلة الى الذكر ، لعله مع طهارة القلب ، وقال القاسم : انابة القلب ؛ ان يرجع الى ربه بنفسه ، وقلبه ، وروحه ، وانابة النفس ان يشغلها بخدمته وطاعته ، وانابة القلب ان يخليه بما سواه ، وانابة الروح دوام الذكر حتى لا يذكر غيره ، ولا يتذكر الا فيه .

وسئل سهل بن عبدالرحمن عن قوله ـ تعالى ـ : ﴿وانيبوا الى ربكم واسلموا له﴾ ، اي ؛ ارجعوا اليه بالدعاء والتضرع والمسألة ، وقوله : ﴿واسلموا له﴾ ، اي فوضوا الامر اليه .

وقيل : الانابة تورث البهاء في الوجه ، والنور في القلب ، والقوة في الجوارح ، والامن والعافية والمحبة في قلوب العباد ، وقيل : الانابة ابلغ من التوبة ، ثم ان الله ـ تعالى ـ وعد على التوبة تبديل السيئات حسنا ، وهو قوله ـ عز وجل ـ : ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ ، وهو ان يبدل بالمعصية طاعة الله ، ونسيان الله ذكر الله ، وبالرياء الاخلاص ، وبالكبر التواضع ، وبالحسد النصيحة ، وبالرغبة الزهد ، وبالحرص القناعة ، وبالجزع الصبر ، وبالطمع اليأس من الناس ، وبخوف الرزق الا من بما تكفل ، وبحب الدنيا حب الاخوة ، وبالانس بالمخلوقين الانس بالله ، وبالتهاون بطاعة الله التشمير ، وبمخالطة الفاسقين مخالطة المتقين ، فاولى صاحب الانابة بهذه

الكرامة والزيادة عليها .

وقيل : علامة الانابة ؛ الحياء من مولاك ان يراك حيث نهاك ، وان يفقدك حيث امرك ، وقد وعد الله ـ عز وجل ـ ان يبشر المنيب من عباده لقوله ـ تعالى ـ : ﴿وانابوا الى الله لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ ، وانشد شعرا :

ابصـر الـرشـد فتـابـا اذا عـلا الشيب الشبـابـا
والـفتى يـسـهـو ويـلهـو فـاذا مـا شـاب تـابـا

واعلم ان الذنب شؤم المخالفة ، ولو ان عبدا عمل الف نافلة ، والآخر لم يعمل شيئا الا انه ترك معصية واحدة ، كان هذا افضل من الأول ؛ لأنه ادى فريضة ، وهذا ترك المعصية ، ولن تدرك النافلة الفريضة في الفضيلة .

وقيل : كل يعمل الطاعة ، ولكن الكريم من ترك المعاصي ، وقيل : عجبا ممن يحتمي من الطعام مخافة الداء ، فكيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار ؟

وعن سفيان الثوري ، قال : ترك الذنوب ايسر من طلب التوبة .

وعن احمد بن الحواري قال : بينما انا في طرقات البصرة ، اذا سمعت صعقة ، فاقبلت نحوها ، فرأيت رجلا قد خر مغشيا عليه ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : انه كان رجلا حاضر القلب ، فسمع آية من كتاب الله ـ عز وجل ـ ، فخر مغشيا عليه ، فقلت : وما هي ؟ قال قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ ، وقيل : ان هذه الآية كانت سبب توبة الفضيل بن عياض ، وذلك ما حكى ابراهيم بن الاشعث ، قال : كان مبتدأ توبة الفضيل بن عياض ؛ انه خرج عشية مقطعة ، وكان يقطع الطريق ، فاذا هو بقوم معهم حمر عليها ملح ، فسمع بعضهم يقول : مروا ، مروا ، الا يفاجأنا فضيل ، فيأخذ متاعنا ، فسمع

ذلك فضيل ، واغتم وتفكر ، وقال : تخافني الخلق هذا الخوف العظيم ، فتقدم وسلم عليهم ، وقال لهم : وهم لا يعرفونه تكونون الليلة عندي ، وانتم آمنون من الفضيل ، قال : فاستبشروا وفرحوا ، فانزلهم وخرج ليصلح علفا ، فرجع فسمع قائلا يقول : ﴿الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ ، فصاح ومزق ثيابه على نفسه ، وقال : بلى والله ؛ قال آن فكان هذا اول توبته .

وقال بن عمر : سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لم اسمعه مرة ولا مرتين ، قال : «كان الكفل من بني اسرائيل لا يتورع من ذنب فعله فأتته امرأة فاعطاها ستين دينارا على ان يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال : وما يبكيك اكرهتك ؟ قالت : لا ؛ ولكن هذا عمل لم أعمله قط وانما حملتني عليه الحاجة ، قال : فتفعلين هذا ولم تفعليه قط ثم تركها وقال : اذهبي والدنانير لك » ثم قال : «والله لا يعصي الله الكفل ابدا فمات من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه غفر الله للكفل» ، وروي عن النبي ﷺ «لو ان العباد لم يذنبوا لخلق الله عبادا يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم» .

قال غيره : المراد به بيان فضيلة الذنب بعده توبة ، وانما المراد به ، تطميع المذنبين بالرحمة بالتوبة ، فهو امل بالتوبة من كل ذنب ، وان الله يغفر الذنوب جميعا .

قيل : اوحى الله ـ تبارك وتعالى ـ الى عيسى ـ عليه السلام ـ :

يا عيسى ابعث التائبين من بني اسرائيل ، ورغبهم في التوبة ، فلو علم اهل الارض مقام التائبين عندي ، لاستقاموا مقامهم ؛ لأنهم قد عرفوا في الملكوت والملائكة تستحي منهم ، فاذا نادوني كشفت ضرهم ، واذا سألوني سمعت قولهم ، يا عيسى ؛ ليس كل من قال إني تائب كان تائبا ، التائب

عندي المبغض للمعصية كما احبها النائح على ذنبه ، النادم على فعله ، الحزين على صنعه ، المنكس رأسه لدى الخاضع عند ذكره ، الوجل القلب عند تلاوة القرآن يظن ان ذنوب العالمين كلها عليه ، وان معاصي الخلق كلها كسبها وحده ، فاذا ذكر احتنى ، واذا وعظ انتهى ، واذا سئل استحيى ، قصيرة السنتهم ، عابسة خاشعة ابصارهم ، متقاربة خطاهم ، ذليلة انفسهم ، معلقة قلوبهم ، مقشعرة جلودهم ، كأن القيامة خلقت لهم وحدهم ، وكأن النار اعدت لهم ، كأنما قيل لهم : انتم في النار ، فهم الوجلون الخائفون المشفقون ، يا عيسى اولئك في كتابي ممدوحون ، وتحت العرش مشهورون ، وفي الملكوت معروفون ، فبعزتي اقسمت ان لا ادع لهم حاجة الا قضيتها ، ولا طلبة الا اعطيتهم اياها ، اسهل لهم الطريق الى يوم القيامة حتى يقولوا ربنا لو علمنا ان القيامة سبب القدوم عليك ، اولئك اهل محبتي . يا عيسى ؛ رغب بني اسرائيل في التوبة ، فان التائب اذا ناداني لبيته ، واذا سألني اعطيته ، سهلت لهم الطريق ، واقمت لهم المنهاج ، اولئك اهل رضاي ، واهل منازل التقوى . يا عيسى ؛ اقسمت بعزتي ان اغفر لهم ، ولو اتوني بذنوب كامثال الجبال عظمها اولئك من الساعة مشفقون .

(مسألة) : من الاثر قال : اذا لم تكن للتوبة علامة في الجوارح اسرع رجعتها ، والتوبة ، ان يكون العبد نادما على ما مضى ، مجمعا على ان لا يعود ، وجل القلب فيما بين ذلك ، يكون من ذنوبه على يقين ، ومما احدث من الامر على وجل ، لا يدري مقبول منه او مضروب به وجهه ، وقال : ليس بين العبد وبين العلم الا ان يسكن التقوى القلب ، فاذا سكن التقوى القلب ، نزل العلم الى وعائه ، الا وان لكل شيء وعاء ، ووعاء العلم التقوى ، وتفسير التقوى ، القيام بامر الله ، والانتهاء عما يكره الله ، وقال : لو ايقن الناس باليقين الشافي ان لله نارا يعذب بها العصاة لما عصوه فرقا ، ولتوسلوا الى رضاه بتلف النفوس .

(مسألة) : ويوجد ؛ ان تفسير استغفر الله الشرعية ؛ رب لا اعود الى الذنب ، اللغوية ، رب استر .

(مسألة) : عن النبي ﷺ انه قال : «خيار أمتي الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساءوا استغفروا» .

قلت : فأي حال تقبل توبة العبد ؟ قال : ما لم يحضره الموت ، لقول الله ـ تعالى ـ ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ قبل ان ينزل بهم الموت ، لقوله : **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما﴾** ، والتوبة مقبولة ما لم يحضر الموت ، وقد روي في الحديث اقاويل في التوبة ، واقرب ما قيل : ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر بالموت ، واما المصر ما لم يتب ، فهو ظالم . قلت : فما الاصرار ؟ قال : الامتناع من التوبة ، والاقامة على الذنوب ، شعرا :

ولو ان فرعون لما عصى وقال على الله اثما وزورا
اناب الى الله مستغفرا لما وجد الله الا غفورا



الباب الثاني

في غفران الذنوب ، وصفة التوبة انها الندم ، وتفصيل توبة كل ذنب بعينه صغيرا او كبيرا

روي عن النبي ﷺ انه قال : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ، قال غيره : ولعله ابو نبهان جاعد بن خميس ؛ وفي هذه الرواية ما دل بالمعنى على ما تقدمها من ذنوبه ؛ لا بد وان يمحى عنه لما اعقبه من توبة ، كما في الآية من تصريح بذهابه ، بعد كون متابه ، وعلى هذا فأنىّ يصح ان يبقى من بعد ان صار في منزلة من لا ذنب له ؟ كلا ؛ والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «ما اصر من استغفر الله ولو عاد في اليوم سبعين مرة» ، قال غيره : وفي هذا ما يدل صراحا على ان التكرار لما يكون من المعاصي ، لا يوجب الاصرار ، مع التوبة والاستغفار ، والحمد لله على ما تفضل به على عباده من حط الاوزار ، بمنه وكرمه ، انه كريم غفار لمن تاب اليه قطعا ؛ والله اعلم ، فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : سئل ابو عبيدة ـ رحمه الله ـ فقيل له : هل من ذنب لا يغفر ؟ فقال ، ما لا يتاب لعله منه .

قال غيره : صحيح ؛ وفي قوله ما دل في الذنوب على انها مغفورة ، الا ما اصر عليه ، وهو كذلك ؛ لأنه اذا كان لا صغيرة مع اصرار ، ولا كبيرة مع توبة واستغفار ، صح من ثبوته انه لا هلاك الا على من اصر على ذنبه حتى يموت على ما به من مخالفة لربه ، والا فلا ؛ والله اعلم فينظر في ذلك .

رجع : وروي عنه انه قيل له من المصر يا أبا عبيدة ؟ فقال : الذي لا يندم ولا يرجع ولا يتوب .

قال غيره : ما احسن ما افاده من معنى في قوله ، يدل في المصر على ما به من صفة تدل عليه من له أدنى معرفة ، ولعله لما ان رأى ندمه هو الداعي الى الرجوع قدمه ، فان ما بعده تبع له ؛ والله اعلم ، فينظر في ذلك .

(مسألة) : من منثورة لاصحابنا ، وبلغنا عن مسلم ابي عبيدة ـ رحمه الله ـ انه سئل فقيل له : هل من ذنب لا يغفر ؟ قال : ما لا يتاب لعله منه ، وبلغنا عنه ايضا انه قيل له : من المصر يا ابا عبيدة ؟ فقال : الذي لا يندم ، ولا يرجع ولا يتوب ، وقال الله : ﴿ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ ، قال عبدالله بن مسعود : ما نسوي بهذه حمر النعم ، وبركوب الكبائر من الذنوب ، او بالاصرار على الصغائر تصير الاعمال هباء وتحبط ، ويغضب الله على اهلها ويسخط ، وبالتوبة والاقلاع عنها والندم عليها يتجاوز الله لأهلها عنها ، ويقبل الطاعة ويشكرها ، فعلى هذا الوجه يكون الثواب لاهله ، ويحل العقاب من الله باهله .

قال غيره : صحيح ؛ لأن الكبائر هي المهلكة لا ما دونها من الصغائر الا في حق من اصر عليها ، فان الاصرار على الصغيرة لا قول فيه ، الا انه من انواع الكبائر .

والتوبة من المطيع تأتي من فضل الله على الجميع ، فتمحو ما صغر من

ذنوبه ، او كبر ، فلا هلاك على من تاب الى ربه ولم يصر على ما كان من ذنبه ، ولا نجاة لمن اصر على ما فعله وابى ان يرجع عنه فكفر ، وفي قول الله ـ تعالى ـ ما دل على هذا كله ، والله اعلم فينظر في ذلك .

(مسألة) : وقال علي بن ابي طالب : العجب لمن يهلك والنجاة معه ، فقيل : ما هي ؟ قال : الاستغفار . قال غيره : ولعله ابو نبهان : نعم ؛ لأن التوبة من فضل الله مبسوطة لكل من ارادها من العباد لا تمنع على حال في نوع من الفساد ، على اصح ما فيها من قول في رأي لمن قاله في موضع جوازه ، وانما هي النجاة من هلكة الكبائر ، الموجبة في كونها لما دونها من الصغائر ، في حق من ارتكبها عن علم او جهل ، في دين او رأي ، لا في حق من تركها فاجتنبها ، فان سيئاته مكفره الا ان يكون مع الاصرار ، فان المصر في النار ، والا فهي كذلك ؛ والله اعلم ، فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسألة) : وروي عن بعضهم قال : الداء الذنوب ، والدواء الاستغفار ، والتوبة الا يعود ، قال غيره ، ولعله ابو نبهان صحيح ، لأن كون الذنوب لا شك فيه داء القلوب ، ولا دواء له الا الاستغفار ، والتوبة الى الله العزيز الغفار ، مع جزم النية على ان لا يعود الى مثله ما بقي في الحياة ، والله اعلم بعدله فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسألة) : وجدت في حديث ، ان رجلا مضى على متطبب ، وكان ذا فهم ، وهو يصف للناس الادوية ، فقال له : ما دواء الذنوب ؟ فاطرق المتطبب رأسه ثم قال : خذ عروق شجرة الفقر ، مع عروق شجر الصبر ، واهليلج التواضع ، وابليلج الخشوع ، وضعه في هاون التوبة ، ثم اسحقه

برستح التقى ، ثم ضعه في طنجير العمل ، وصب عليه ماء الحياة ، واوقد عليه بنار المحبة ، وحركه ببسطام العفو ، حتى يرغو زبد الحكمة ، وضعه في منخل التفكر ، وصبه في جام الرضى ، ورروجه بمراوج الحمد ، ثم انقله في قدح المناجاة ، وامزجه بماء التوكل ، وحركه بملاعق الاستغفار ، وتمضمض بماء الورع ، ولا تعودن الى معصية ابدا ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : ومن غيره ؛ وقال : اربع لولاهن هلك الناس ، التوبة ، والتقية والرخصة ، والوقوف .

قال غيره : ولعله ابو نبهان ،نعم ؛ لأن التوبة في المثل ؛ المطية التي يبلغ كل المتعبدين من البرية ، الى دار السلامة يوم القيامة ، ولولاها لانقطع الكل من البرية ، فهلكوا بالكلية ، اذ لا يخلو احد منهم من زلة موجبة لاساءة عن تعمد او غفلة ، وان احترز على نفسه في سداده ، فبلغ غاية ما امكنه فقدر عليه في جهاده ، ولكن المولى من فضله على عباده جعلها ملجأمن الهلاك لمن لجأ اليها وعول في ركوبه عليها ، فأمن بها فرضا في موضع لزومها ، وفضيلة في موضع نقلها ، ودل عليها فلم يمنع منها في حين ، من ارادها في رأي او دين ، على ما جاز فيها ما لم يغرر نفسه ، او تطلع الشمس من مغربها ، فان تعرفها ما هي والا فتعرفها ما هي ممن يعرفها ، فانك لا تدري متى تحتاج اليها لدفع ما يكون من ذنوبك ، فانه لا سبيل فيها بعد لزومها ؛ لأن تؤخر عن يومها أبدا فاعرفها يا هذا حقا ، فانها هي الفلك لاولئك من البرايا ، وبها يقطع ما يكون من لجج بحار الخطايا ، فتكون النجاة لمن ركبها من هلكة ذنوبه التي ارتكبها حتى تقضي به من دار الفناء الى دار البقاء سالما في دينه من كل رزية ، فيلقى ربه طاهرا من وسخ كل خطية ، ومن ابى من ركوبها في الحال فالهلاك حظه في المآل ، او يجوز ان ينجى من شر ما يكون من الذنوب الموبقة باسرها ، في عموم او خصوص بغير سرها ، كلا ، لا موضع لذلك فلا مطمع فيه الا بها ، ولولا ان الله هيأها لمن ارادها لغرق الجميع في تلك البحار فدخلوا في النار ،

ولكنه من جوده وكرمه الواسع لم يحكم به الا على اهل الاصرار ، لا على من تاب من جميع الاوزار .

واما التقية فلازمة في الدين على حال ، وجائزة لمن اختارها في النفس والمال ، والرخصة لمن اضطر اليها في موضع لزومها ، اوما دونها من جوازها .

والوقوف حق ما اشكل من شيء من جهله حتى يعلمه فيلحذر ان يظلمه ؛ فانه قد يكون بغير سؤال ، وربما لزمه ـ والله اعلم ـ ؛ فينظر في ذلك .

رجع : وروي عن النبي ﷺ انه قال : «ساعات الأوجاع يذهبن ساعات الذنوب ، والكبائر من الذنوب لا يكفرها الا التوبة» .

قال غيره : ولعل المراد في الاوجاع انها ربما ان تكون باعثة على الاقلاع ، والا فالمعاصي على حال لا تذهب في الاجماع الا بالتوبة منها ، والا فهي على حالها حتى يرجع عنها ، او يلقى الله مصرا عليها ، والعياذ بالله من الاصرار ، فانه لا بد وان يؤدي بمن به الى النار ، والله اعلم فينظر في ذلك .

(مسألة) : وعنه ﷺ : «ما من رجل مذنب يذنب ذنبا ثم يقوم يتطهر فيحسن الطهور ثم يصلي فيستغفر الله الا غفر الله له» ثم قرأ ﴿والذين اذا فعلوا فاحشة﴾ (الآية) .

قال غيره : ولعل الصلاة في هذا الموضع ، ان تكون لما يرجى على اثرها من قبول الدعاء ، والا فهي نافلة ، والتوبة مع تركها لا ترد على من صدق رجعاه على حال ، والله اعلم ؛ فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسألة) : من منثورة قديمة عن الشيخ الولي ثاني بن خلف ، وقد روي في التوبة روايات ، وقال محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ قيل في التوبة حتى

يغرغر العبد بالموت ، ووجدت عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر بنفسه» ، ووجدت في كتب قومنا ان التوبة مبسوطة ما لم يؤخذ العبد بكظمه ، قال : حدثنا ابو عبيد قال : حدثنا ابو اليمان عن جرير بن عثمان ، عن عبدالرحمن بن عوف ، وعن عثمان الثقفي صاحب رسول الله ﷺ ان الله ليقبل توبة عبده قبل موته بسنة ، وان الله ليقبل التوبة من عبده قبل موته بشهر ، وان الله ليقبل توبة عبده قبل موته بفواق ناقة ، قيل له : وما الفواق ، قال : ما بين الحلبتين .

واعلم ايها العبد ان الجنة مبذولة لكل من احسن الا من ابى ، والآبي هو المقيم على ذنبه ، الشارد عن ربه كالبعير النافر برحله الشارد عن اهله .

(مسألة) : ومن غيره من كتاب (بيان الشرع) ان الله ليقبل توبة عبده ما لم يغرغر بالموت ، وكل من اذا وقف على ذلك الحال يتوب كرها ، ويرجع قسرا ، فاحب له ان لو شرحت معاني المسألة الى اخرها شرحا كافيا لمن اراده وابتغاه ، قال : الذي عرفت ان الخبر صحيح وان التوبة مقبولة ما لم يتغرغر العبد بالموت ، وتغرغره به معاينته اياه ، لأنه عند معاينة الموت لا تقبل توبته .

(مسألة) : وجدتها في رقعة ، وهل اجماع من المسلمين ان الندم توبة ، والاعتراف بالذنب توبة ؟ وما معنى ما قيل : ان دعائم التوبة اربعة ، ولا يكون توبة دونهن ؟ أيكون ذلك خاصا فيما بين العبد وبين ربه ، او يكون هذا فيما بين العبد من الاحكام الظاهرة ام كيف تفسيره ؟ قال غيره ولعله ابو نبهان : لم اجد لها جوابا وفي الحديث عن النبي ﷺ : «ان الندم توبة» ، وهذا ما لا قول فيه الا ثبوته ، ولعل المراد به ان من ندم على ذنبه رجع عنه الى ربه فاستغفره ، وتاب اليه فعزم ان لا يعود لمثله ، وهذه هي الدعائم الاربع التي لا يصح الا بها مع الدينونة باداء ما قد لزمه من اجله ، فان مجرد الندم لا يخرج عن الاعلان بالاستغفار ، والتوبة في عمل الاركان ، وما عدا الجهر ،

فالرجوع عنه في السر يجز له عن القول باللسان ، فصح في الندم انه توبة لما به من دعاء اليها ، وحث في نفس من به عليها ، والا فليس هو الا من احد أركانها ولا بد فيها من ان يكون بتمامها ، فلا صحة لها عند الله في احكامها ، وكفى بالقرآن والسنة ، والاجماع دليلا على ما في هذا البيان ، الا ان يكون فيما بينه وبين العباد ، فان له وعليه معهم في رجوعه عما به من الفساد ما قد اظهره من قوله لفظا يأتي على ما يجز به في ظاهر الحكم في موضع التحريم والاستحلال ، لا ما عليه ان يعتقده في باطنه ؛ لانه من الغيب في العلم ، وليس لهم ولا عليهم من امره الا ما ظهر لا ما بطن عن علمهم فاستتر ، فان ذلك الى الله لا الى غيره في شره او خيره .

واما الاعتراف على ما اريد به من الرجوع عنه في نفس التوبة الى الله - تعالى - منه فعلى هذا يكون ، والا فليس هو من التوبة في شيء على حال في الاصل ، وربما دل عليها في حق من كان منه على من جاز له العدل ؛ والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسألة) : والتوبة اقلاع المذنب عن ذنبه ، والندم عليه بقلبه ، والتوبة منه الى ربه ، والاستغفار من ذلك بلسانه ، والاعتقاد لترك العود الى عصيانه .

قال غيره ؛ ولعله ابو نبهان : الله اعلم ؛ والذي عندي في الندم انه هو المقتضي في كونه لما بعده من الاستغفار ، والتوبة الى الله ، والعزم على ترك العود لمثله ما دام في هذه الدار ، فهي له بالجزم ثمرة ، ولا شك فيه انه فرع لأصل العلم بالذنوب في الحال ، مع المعرفة بما به يرجع في المآل ، ولا بد للمذنب في توبة الى ربه من انه يكون على قلبه ، ولا من ان يستغفر الله بلسانه في كل ما يكون من ذنوبه في اعلانه ، والا فما لم يظهره من فساده ، فالرجوع

بجز له في السريرة من فؤاده ، والاقلاع من الشيء هو الكف عنه ، والترك له لا غيره ، فاعرفه فان دعائم التوبة اربع ، كلهن عن اصل واحد فيها به اقطع ، والله اعلم فينظر في ذلك .

(مسألة) : وروي عن النبي ﷺ ان العبد ليعمل الذنب ، فاذا اذكر حزنه ، واذا نظر الله اليه قد احزنه غفر له ما ضيع قبل ان يأخذ في كفارته بلا صلاة ولا صيام ؛ قال غيره : اذا كان ندمه ليوديه الى التوبة ، وانه تائب ، وانه ليؤدي جميع ما يلزمه .

(مسألة) : عن بعض الزيدية ، ولا يعود بالتوبة ما قد انحط قبلها من الثواب ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي : ان المؤمن محكوم له بالايمان في كل امر من امور الدين ، وله اجر ما فعله ، وما لم يتعبد بفعله ؛ لأنه مؤمن به ، ومذعن للطاعة في كل ما يتعبده الله به ، فاذا ضيع اداء واجب عليه اداه او تركه على وجه لا يسعه يبطل أجر ما جعل له فيه الاجر ، وما قد عمله من غير ان يبطل نفس العمل الا ثوابه ، اذ لا ثواب له اصلا في مذهبنا دون مذهب اهل خلافنا ؛ فانه معهم لا يبطل عنه الاجر الذي منعه ، ويبقى له اجر ما عمله .

واما في مذهبنا ؛ فاذا تاب ورجع الى الله ـ تعالى ـ رجع له اجر ما عمله من الطاعات ، وما لم يعمله مما لم يتعبده به للاعتقاد منه انه سيطيعه في جميع ما يتعبده من ذلك ، بدليل ان ليس عليه بدل الصلوات ، وبدل الحج وبدل صوم اشهر رمضان التي بطل اجر ما عمله من ذلك في حين المعصية ، وانظر الى عائشة فلو كان لا يرجع اليها ثواب اعمالها السابقة من احسان للنبي ﷺ ولغيره من صلاة ، وصيام ، وحج ، وعمرة ، وجميع اعمالها البر لله ـ تعالى ـ فما يبقى لها بعد توبتها ، اذ لم تعش سنين كثيرة تقاوم ما انهدم عليها ان لو كان ينهدم ، والله الطف بعباده ان اذا رجع اليه عابده الف سنة ، ويجاهد في سبيل

الله ـ تعالى ـ مع نبي آخر انبيائه مثلا في ساعة واحدة ، وتاب منها من حينه ، فمات من غير ان يعمل شيئا من اعمال الطاعة غير التوبة من ان يحرمه اجر جميع ذلك ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومن كتاب (السيوطي) روي عن النبي ﷺ : «من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له ، وان لم يستغفر» ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : ذكر الله في كتابه انه لا يغفر الذنوب الا بالتوبات بقوله ـ تعالى ـ : **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار﴾** ، والمراد بالكفار هنا ، (فسقة المؤمنين) اي كفر نعمة ، لانه قال ذلك على اثر مخاصمة الزوجين ، وقال : **﴿ثم يتوبون من قريب﴾** ، وهذا في فسقة المؤمنين في ذلك ، والمشركين ، فصح ان الحديث ضعيف الصحة .

(مسألة) : من كتاب (بيان الشرع) ؛ وسألته عن التوبة ما هي ؟ قال : الندم على ما كان منه ، وترك الفعل المحرم ، واعتقاده ان لا يرجع اليه ، والاستغفار باللسان .

قلت : هل من ذنب لا يغفر ؟ قال : ما لا يتاب منه .

قلت : فما الاصرار ؟ قال : الامتناع من التوبة ، والاقامة على الذنب اصرارا .

قلت : فما وجوه توبة المحرم لما ركب ؟ قال : هو ما وصفت لك من ترك الفعل ، واعتقاد ان لا يرجع اليه ، والندم والاستغفار بلسانه .

قلت : فان كان ذنبه شاهرا ؟ قال : يظهر توبته شاهرا لقول النبي ﷺ لمعاذ : «احدث مع كل ذنب توبة السريرة بالسريرة والعلانية بالعلانية» .

قلت : فان كان دينه مستحلا لما ركب ، كيف توبته ؟ قال : هو ما وصفت لك ويوقفه على كل ذنب اذنب ، ويقال له : تب من كذا وكذا .

قلت : فان كان في معصيته حق للعباد ؟ قال : المستحل لا غرم عليه اذا كان متأولا دائنا بذلك ، واما المجرم ، فعليه الرد والاستحلال ، فان كان دما لزمه في العمد القود ، وفي الخطأ الدية .

قلت : فان كان لا يقدر على لقائهم ؟ قال : يدين بكل ما يلزمه من حق العباد ، والخروج اليهم منه ، ويدين بلقائهم .

قلت : فان ماتوا ؟ قال : لا بد من التوبة والدينونة ، والميت لا حكم له ، وانما يدان بلقاء الحي .

قلت : فالمجرم اذا قال : استغفر الله من ذنوبي تجزيه ؟ قال : نعم ؛ ما لم يكن فيه حق للعباد فانه يتخلص منه على ما وصفت لك .

قلت : كيف تكون توبة شارب الخمر والزنا والقذف وما لا يكون فيه حق المخلوق ؟ قال : التوبة التي وصفت لك تجزيه ، الا ان يكون كان زنا على الجبر فعليه ا الخلاص .

قلت : ان كان علم بذنبه احد من الناس ؟ قال : يعلمه توبته ، ويعلن توبته عند من علم ذنبه كان مستحلا أو محرما .

قلت : فتوبة القتل ؟ قال : عتق رقبة ؛ فان لم يجد فصوم شهرين مع الندم والاستغفار ، والاختلاف في كفارة قتل العمد منهم من لم يوجب في العمد كفارة والدية واجبة في الخطأ مع التوبة . قلت : فمن قتل مؤمنا متعمدا هل له توبة ؟ قال : نعم ؛ ان كان قاد نفسه فقتل ، او قبل منه الدية ، فان له توبة على قول بعضهم ، وكذلك ان منوا عليه ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿فمن

تصدق به فهو كفارة له﴾، **﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين﴾** .

قلت : فالتائب يكون كمن لا ذنب له ؟ قال : نعم .

قلت : فإن عمل المعصية ثم تاب ، ثم عمل المعصية ثم تاب ، هل تقبل توبته ؟ قال : نعم ؛ ما لم يصر .

قلت : فمن قتل عشرة ثم أراد التوبة ، كيف يفعل ؟ قال : يقاد لهم بحضرة الحاكم ، فإما العفو ، وإما القصاص ، وإما الدية ، فإن أرادوا القصاص ، وكلوا أحدا يقتله لجمعهم ، وما بقي لهم من الدم في ماله .

قلت : فمن دعا الى الضلال ؟ قال : يتوب الى الله ، ويعرف الذين دعاهم الى الضلال ان الذي دعاهم اليه ضلال ، وانه تائب من ذلك .

قلت : فمن ظلم مالا وظلم مثل ذلك ، هل ينجو لا له ولا عليه ؟ قال : لم أعلم من قول أصحابنا ، وقد قال الله ـ تعالى ـ : **﴿وما للظالمين من أنصار﴾** ، وقال : **﴿لا تظلمون ولا تظلمون﴾** ، وقال : **﴿الا من أتى الله بقلب سليم﴾** ، سليم من الذنوب ، وقال ـ تعالى ـ : **﴿ان الدين عند الله الاسلام﴾** قيل : هو الاخلاص .

قلت : فمن كانت ذنوبه تابعا على العمد والخطأ ، فإن كل ذلك مضمون لأربابه ما كان فيه حق لمخلوق والخلاص اليه ، ولمن لا يعرفهم تصدق به على الفقراء ، ويوصي لهم ان عرفوا دفع اليهم ، وعليه مع التوبة الاعتقاد الخروج من كل حق ، والخلاص منه كما يجب في حكم المسلمين ، قلت : فإن حضره الموت ؟ قال : يوصي به .

قلت : فإن اشتغل بكرب الموت ، ولم تمكنه الوصية ، أو أخذه موت الفجأة ، أو الحرق أو الغرق ، أو القتل ، فمات وهو دائن بالحقوق ؟ قال :

اذا كان مجتهدا في قضاء ذلك وأخذه ما وصفت ، وقد علم الله صدق نيته ، وان لو قدر نصف خلقه من نفسه ، فأرجو أن الله يعفو عنه ؛ لأنه ـ تعالى ـ يقول : ﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ ، وانما هلك المصرون ، وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿وقد خاب من حمل ظلما﴾ ، أي من مات مصرا .

قلت : فالتوبة ما هي ؟ قال : الندم ، والرجوع الى الحق ، والاقلاع عن المعصية .

(مسألة) : وأما الناسي ما عليه من تبعات العباد والحقوق فلا يؤاخذ بما نسي لقوله ـ تعالى ـ : ﴿لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا﴾ ، فالتائب مع الدينونة والتوبة ، فيتحملها عنه ، ويدخله الجنة بفضل ايمانه وتوحيده لربه ، وحسن نيته ، والمعسر يتحمل الله ـ تعالى ـ عنه جميع ما عليه اذا خلصت نيته مع عجزه عن وفاء ما لزمه ، ويوصي به فمن ابتلى بما ذكرنا ، وأصلح ما قدر عليه ابتغاء رضى الله ، وكتب ما بقي عليه من تبعات العباد ، واستخلف عليها الأولياء فأنفذوها ، فهذا بحمد الله سالم ، وأما المتمادي في المعصية ، ومن نيته التوبة يوما من الدهر ، وفي الديانة فإن الله لا يغفر الذنوب الا بالتوبة ، فنزل عليه ما لا يستطيع سبيلا الى التنصل مما عليه ، ولا الوصية فقيل : هذه حالة أولاد يعقوب فعسى أن يكون قتله كفارة ، قال الحسن بن علي : بلغني أن الفتك كفارة ، وأما اللديغ ، والحرق ، والهدم ، انه يخشى عليه من هذه الأمور كفارتها أيضا .

(مسألة) : من منثورة عن الولي ثاني بن خلف ، قلت لهاشم أنا وغيري ؛ ما تقول في رجل قتل مؤمنا متعمدا ؟ قال هاشم : أنا نرى في سيرة موسى ان من قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ؛ قال : فأخبرت بشيرا بذلك وسألته عمن قتل

مؤمنا ؛ هل له توبة ؟ قال بشير : ان قاد نفسه فقتل ، أو عفي عنه ، فإن له التوبة ، قلت لهاشم : فإذا فعل ذلك تولاه المسلمون ؟ قال : نعم .

(مسـألة) : ومن غيره ؛ وتوبة من ينبش القبور ان يرد مثل تلك الثياب ، وقيمتها في كفن ميت ويتوب .

(مسـألة) : عن الشيخ الفقيه أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ، وفيمن قتل مؤمنا متعمدا الا أنه لا من الأنبياء ، ثم ندم على ما فعل ، وأراد التوبة ما قول الفقهاء فيه على هذا من أمره عرفنيه ؟ قال : قد قيل فيه : انه لا توبة له عند الله في مثل هذا ، ولا ولاية له لعدم ما له من مخرج يلجأ اليه ، فيخرج به من وزره الذي حمله على ظهره ، وأما فيما بينه وبين الخلق فتوبته أن يمكن من نفسه أولياء الدم على ما جاز في الحق من قود وما يكون لهم عليه من دية يختارونها على القتل ، ولا بد له من هذا في موضع لزومه في العدل .

وفي قول آخر : ان توبته على هذه الحال من بذله لما عليه في النفس أو المال ، لا بد وأن يصح له فيقبل منه اذ لا يجوز في صدقه الا أن تكون من حقه ، الا وأن في نفسي أن هذا هو القول لا ما قبله ، وان كان ظاهرا ما فيه من آية تدل عليه ، فإن في قول الله ـ تعالى ـ ما دل على انه خاص لمن يموت على اصراره لا على غيره من توبته واستغفاره فاعرفه .

قلت له : فإن دعا أحدا الى ضلالة فأغواه عن طريق هداه ، ثم رجع فتاب الى الله من ذلك ، ماذا يلزمه لمن أنزله في المهالك ؟ قال : قد قيل : ان عليه ولعله مع القدرة أن يرجع اليه فيدعوه لأن يخرج مما أدخله فيه ، ويعلمه برجعته ، وانه قد تاب الى الله من بدعته ، فيخبره انه قد دله على غير الحق فأضله ، فعسى أن يقبل منه فيرجع عنه الى ما قابله على الضد من الهدى ، فيكون هذا بذلك لنجاته من الردى ، فإن وجد أتباعه قد ماتوا أو أحدهم بعد ما أطاعه ، فالاختلاف في قبول توبته عند الله على ما مضى في القتل من

القول ، الا اني لا أرى ما يمنع من جوازها في العدل ؛ لأنه ليس بأشد من الشرك ، ولن يجوز على الله فيه الا أن يغفره لمن رجع عنه يومئذ فتاب الى الله منه ، دع ما دونه من معاصيه وان كانت من البدع ، فإنه أكرم من أن يمنع أوبة لمن شاءها ، فيدفع توبة هذا ما لا يصح لما في قوله من دليل على غير ذلك .

قلت له : فإن تعمد لأن يقطع مالا لغيره بيمين كاذبة ما الوجه في توبته ؟ قال : فهذا قد قيل فيه : وان رجع فتاب الى الله وأدى ما عليه ، فلا مخرج له عند ربه من اليمين ، ولا توبة له معه من ذنبه في حين ، وأما فيما بينه وبين العباد ، فالاقرار بما جحده ، والأداء لما لزمه ما متى أمكنه فقدر عليه مع الكفارة ليمينه ، اذ لا قول الا انه حانث في حينه ، وعلى قول آخر في توبته على هداه من أمره انها مقبولة ، وانه لهو القول فدع ما سواه .

قلت له : فإن ترك الصلاة وأضاع الصوم ، ثم رجع فتاب الى الله ماذا يلزمه أن يؤديه في كل منها لرشده ؟ قال : ففي أكثر ما قيل في أحكامه : ان عليه من بعد التوبة الى الله أن يبدل ما قد أضاعه من صلاته وصيامه مع الكفارة في موضع الانتهاك لما دان بحرامه ، وفي قول آخر : ان التوبة مجزية له عما وراءها من بدل أو كفارة ، والقول في عزم زكاته على هذا في الواسع ، والحكم الا أن يكون أمرها لا اليه ، فيأخذه بها من ليس له أن يخالف الى غير ما به يقضي عليه ، والا فهي كذلك .

قلت له : وما أتلفه من مال الغير على وجه باطل ، فهو في ماله ، ولا بد له من عزمه ؟ قال : نعم ؛ في موضع تحريمه لا ما عداه في كونه استحلاله على أكثر ما جاء من قول المسلمين في حكمه .

قلت له : وما بقي في يديه ؟ قال : فلا بد من رده اليه متى ما أمكنه فقدر عليه .

قلت له : وما كان في فساده من أفعال قلبه ؛ مثل الحسد والرياء

والعجب والكبرياء ، ونحوها مما لا يرضى به الله لعباده ؟ قال : فهذه ما لم يعلنها فالرجوع في قلبه عنها هي التوبة منها ، وما أظهره على الأركان ؛ فلا بد فيه من الاعلان بالتوبة قولا باللسان ، الا المانع يعذر به ، وكفى عن ما زاد عليه من عزم لشيء في حكم وما أشبهها ، فالقول فيه كذلك .

قلت له : فالآثم والمحرم من الغيبة ، واللمز ، والطعن على أحد من المسلمين والنبذ والسخرية ؟ قال : فهي على حال من أنواع ذنوب الجهر ، فلا تجزي فيها توبة السر ؛ بل لا بد من أن يكون بلسانه الا لمانع له من قولها في زمانه ، فيجوز في سره ؛ لأن يجزيه عن جهره اذ لا يلزمه ما لا يقدر عليه .

قلت له : وما نواه من سوء في نفسه فعزم عليه ، ثم انه ندم فرجع عما أضمره من قبل أن يظهره ؟ قال : فهو من نوع السر ، والرجوع عنه في السريرة مجز له ؛ لأنه عين التوبة منه فكفى به عن الجهر ، ولا أعلم انه يختلف في هذا أهل الذكر .

قلت له : وما أضاعه من فرض الصبر ، أو التوكل ، أو الشكر ، ونحوها ؟ قال : ان في هذه ما يكون في لزومه على القلب من الانسان ، ولا على ما سواه من الأركان فيلحقه حكم السريرة ، ومنها ما يكون على الأبدان ، أو على ما بها من الجوارح ، فيلزمه حكم الاعلان لمعنى ما أريد به من التوبة في ذلك .

قلت له : فالذي يكون بالعين ، أو الأنف ، أو الأذنين ، أو الفم ، أو اليدين ، أو ما بقي من بدنه أو الرجلين ؟ قال : فهو من العلانية ، ولأنواعه حكم الجهر لا غيره من السر ، ولا أعلم ان أحدا يقول فيه بغير ذلك .

قلت له : وما ليس عليه في التوبة أن يجهر به فله ان شاءه نافلة أم لا ؟ قال : نعم ؛ فيما عندي ؛ ان صح لعدم ما يدل على المنع من جوازه ، كذلك

وربما كان له مزيد فضل على ما أسره في نفسه لما به من زيادة عليه في نفل من غير ما شك في ذلك .

قلت له : وما أتاه من محجور ، فكله بالتوبة مغفور أم لا ؟ قال : نعم ؛ وانه لفي يوم النشور من كرم الله مستور ، والحمد لله على ذلك .

قلت له : وما الذي لا يغفر من الذنوب لمن فعله علمه أوجهله ؟ قال : ما قد أصر عليه فلم يتب منه لا غيره ظاهرا أو في سريرة ، فإنها مع التوبة مغفورة ؛ وفي قول آخر : الا من قتل نبيا ، أو قتله نبي ، فإنه لا غفران له ، وفي قول ثالث : الا من قتل مؤمنا متعمدا ، أو دعا الى بدعة فأضل من أجابه حتى خرج من الدنيا كافرا ، أو قطع مالا في يمين كاذبة أزاله بها عن ربه فاجرا ، والله يقول : ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ بعد المتاب لا على غيره من الاصرار ، على شيء من الأوزار .

قلت له : وما الذي معك في هذا فتراه أصح ما فيه ؟ قال : فالذي معي في التوبة انها لا تمنع في شيء من الذنوب على حال في نفس ولا مال ، فيجوز أن تدفع في شرك ، ولا ما دونه من افك في دعوى على الله ، أو على من سواه من نبي أو رسول ، أو ما يكون من عمل أو نية أو قول ، في فعل أو ترك ، لما في القرآن من دليل على أوضح ما به من سبيل لمن نظر اليه ، فأبصر ما فيه من معنى يدل في الله على انه لا بد وأن يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات لمن رجع اليه نادما على ما فعله من فساده عموما لا على الخصوص في شيء دون شيء .

قلت له : وما عمله كل امرىء بالغ عاقل من خير أو شر فلا بد وأن يلقاه غدا ليجزي بما هو فاعل ؟ قال : نعم ؛ ولو كان مثقال ذرة في علم أو على غرة لما في قول الله من دليل في سورة الزلزلة على انه كذلك ، وانه لا صدق قائل .

قلت له : وما في هذا من تأويل لما فيه عن الله من تنزيل في حق من عمل صالحا ، وآخر سيئا ، فعرفني ما لا بد وأن يلقاه يوم القيامة منهما فتراه ؟
قال : فعسى في نوع الانسان أن لا يخلو من ذنب على مر الزمان ، الا أن الحسنات من فضل الله وله الحمد يذهبن السيئات فتمحوها ، حتى لا يبقى لها في الورى أثر يمكن في يوم القيامة معه أن يرى ، الا وان في الحديث عن النبي ﷺ انه قال : «اتبع السيئة الحسنة تمحها» ، فدل على ما في الآية من معنى في اذهابها ، وما ذهب بمحو فكأنه في معنى ما لا وجود له في حق من أتى بها ، وعلى هذا يكون القول في احباط الحسنات التي هي الخير ، لما بعدها من السيئات التي هي الشر ، وفي هذا ما يدل بالمعنى على انه من مات على ايمانه لقي الله ، ولا شر له لغفرانه بما أتبعه في توبة من احسانه فيبقى له من صالح عمله ما قد أسلفه ، وان من مات على مكفرة عملها فأصر عليها لقي الله ولا خير له لاحباطه بما أردفه فبقي له ما عمله من شره لعدم ما له من مغفرة ، فجاز في كل منهما أن يجزي بما قد صح له ، أو عليه من مثقال ذرة الى ما فوقه من خير أو شر ، يجده غدا ؛ لأن الجزاء في عدل الله من حسن العمل ، ولا يظلم ربك أحدا .

وعلى قول آخر يروى عن ابن عباس ـ رحمه الله ـ في أهل الأعراف انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فعسى أن يكون فيه ما يدل بالمعنى على ثبوتها غير ان الحكم لأغلبهما ان صح الا ان ما قبله أظهر ما في هذا ، الا أن في الأصول ما يقر به فيدل على انه أصح ما فيه من قول .

وقيل : ان المؤمن يرى حسناته مثبتة ، وسيئاته مكفرة ، فيسره ذلك ، والكافر يرى حسناته محبطة ، وسيئاته مثبتة فيسوؤه ذلك ، وليس في هذا ما يدل في الرأي على فساده فيرد على من قاله أبدا فاعرفه .

قلت له : وعلى قياده فهو في توبة كمن لم يذنب لمحو ما كان من حوبه

أم لا ؟ قال : نعم ؛ لما في الحديث عن النبي ﷺ ان : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ، فإن فيه ما يؤيده ، فيدل على انه كذلك .

قلت له : فإن عزم في نفسه على ما به ، يكفر من معاصي الله ان لو فعله ، فالقول فيه على هذا من أمره ؟ قال : فهو من كفره ، وان لم يفعله ، فإن تاب من وزره ، والا هلك في اصره ، وفي قول آخر : انه ليس يكفر حتى يفعله .

قلت له : وما عمله من صالح في حال اصراره على ما أكفره ثم تاب الى الله من ذنبه ، فهل يكون في ميزانه فيجده من جملة ما له في ديوانه ؟ قال : ففي قول محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ : انه يرد اليه ما يكون من صالح عمله ؛ وفي قول بشير ـ رحمه الله ـ : الا مع الشرك بالله ، فإنه لا يصح له ؛ وفي قول الفضل بن الحواري ـ رحمه الله ـ : انما يتقبل الله من المتقين .

قلت له : أو ليس في المشرك قول انه مثل المنافق في هذا ؟ قال : بلى ؛ قد قيل : انهما في هذا على سواء ، وقيل : بالفرق بينهما .

قلت له : وعلى القول الأول فالاختلاف بالرأي في كل منهما ؟ قال : هكذا عندي في صحة كون ثوابه على ما عمله من صالح حال كفره ، ورده اليه بعد مثابه من شركه ، أو ما يكون من نفاقه .

قلت له : فالمصلي لفرضه مع اقامته على شيء من معاصي الله ما القول فيه ؟ قال : قد قيل في الصلاة من العاصي : انها لا تقع ما دام على ما به من المعاصي ، وقيل : بوقوعها الا انه لا يثاب على فعلها ، الا أن يكون من بعد المثاب الى الله فعسى من فضله عليه أن يردها اليه ؛ وفي قول آخر : انه لا ينتفع بثوابها وان أتى بها كما هي في بابها وقد مضى من القول ما دل على ذلك .

قلت له : فالتوبة الى متى تقبل من العبد ، وحتى متى ؟ قال : الى أن

يعاين الموت فيغرغر بنفسه ، أو تطلع الشمس من مغربها ؛ هنالك يغلق الباب على من أرادها لا قبل ذلك .

قلت له : ولا عذر لمن تركها بعد لزومها ؟ قال : نعم ؛ لأن عليه أن يرجع الى الله فيقلع من ذنوبه من غير ما تأخير ، والا فهو من توانيه غير معذور ، اذ ليس له أن يقيم في حين على شيء من معاصي الله طرفة عين ، فإن في ذاك ولا شك فيه من الهلاك .

قلت له : وما جهله من باطل فعمله لا في دينونة ، بل لظنه جوازه له ؟ قال : لا عذر له في ركوبه ، فلا سلامة له من ذنوبه ، الا أن يكون قد تاب على الشريطة منه بعينه ، ان كان من المعاصي ، أو في الجملة من كل معصية لله ، فعسى أن يختلف في نجاته من حوبه ، على هذا من أمره في توبة مع الاقامة عليه ، والا فهي النجاة على حال في موضع ما لا تقوم الحجة فيه الا بالسماع ، لا غيره مما تقوم به من حجة العقل في الاجماع .

قلت له : فإن ظهر له فصح معه بعد حين انه من الحرام في الدين ، أيلزمه فيكون به أحرى أن يراجع التوبة منه مرة أخرى أم لا ؟ قال : نعم ؛ قد قيل : انه يراجعها بعد علمه به في موضع كونها في الجملة ، لا على غيره من توبته منه بعينه على الشريطة فيه ، ان كان محرما عليه ، فإنها مجزية له عن اعادتها أخرى في قول الشيخ أبي سعيد ـ رحمه الله ـ ، وانه لا حد من دل على الأخرى .

قلت له : وما الذي يوقعه في المآل من ذنوبه في الهلاك فيحكم به في الحال ؟ قال : ركوبه لما يكون من الكبائر ، واصراره على شيء من الصغائر ، فإنهما موضع الهلاك لمن فعلهما في استحلال أو انتهاك الأوان من قول النبي ﷺ : «لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع توبة واستغفار» ، وهذا ما لا يجوز أن يختلف في ثبوته على حال .

قلت له : فالمحرم والمستحل توبتهما واحدة ؟ قال : لا ؛ فإن المحرم تجزيه في التوبة من ذنوبه أن يجمل فيأتي على جميع ما فعل ، والدائن لا بد له من أن يفصل فيتوب في حينه من كل شيء بعينه الا ما جاز أن يدخل في غيره ، والا فلا بد فيه من ذلك .

قلت له : وما نسي من ذنوبه في حاله أن يذكره ما القول فيه ؟ قال : فعسى في الجملة أن يأتي عليه فتجزيه فيه حتى يذكره فيلزمه في الحال أن يتوب الى الله منه بعينه على حال ، والا فأولى ما به من الله أن يعذره من كل ما لا يبلغ اليه ، فعز عليه أن يقدره ، وهذا ما لا شك فيه انه من ذلك .

قلت له : وما كان في حاله مقيما عليه دائنا باستحلاله ؟ قال : فهذا ما لا يجوز فيه أن يكون في حين ، راجعا عنه حال قيامه عليه بدين ؛ لأنه لازم له ، وان تاب في الجملة فهو على حاله لعدم كون انتقاله ، أو يجوز على بقائه فيه ، واصراره عليه ان يصح له فيحكم بسداده مع ظهور فساده ، وانا لا أعرفه لما به من دينونة في ذلك .

قلت له : وما لزمه من حق لغيره فتعمد في تحريمه على انكاره ، ولم يزل في جحده له حتى نسي ما عليه ، ثم تاب الى الله من ذنوبه ، هل يدخل في الجملة على هذا من اصراره ؟ قال : فهذا موضع ما يختلف في دخوله ؛ فقيل : ان التوبة منه في الجملة لا تجزيه ؛ لأنه مصر عليه ، وما لم يذكره فيرجع الى ما لا يلزمه فيه فهو على حاله ؛ وقيل : انها مجزية له ؛ لأنه محرم لما فعله يريد التوبة ، فلو ذكره لدان بها في ذلك ، ولم يمتنع من أداء ما قد لزمه ، ولكنه نسيه ، فجاز على هذا من أمره لأن يدخل في جملته لعذره ما لم يصر عليه بعد ذكره ، الا وان في قول الشيخ أبي سعيد ـ رحمه الله ـ ما دل في هذا على انه أصح ما في ذلك .

قلت له : وما ركبه من جميع الذنوب على أن لا يرجع عنه أبدا ،

ولا يتوب على هذا يكون ان نسيه فتاب في الجملة من ذنوبه كلها أم لا ؟ قال : نعم ؛ قد قيل فيه انه كذلك ، والله أعلم فينظر في ذلك ، ولا يؤخذ من قولي بشيء الا ما صح عدله ، وظهر في الرأي والدين فضله ، والا فالتوقف عن الأخذ به أولى ، وأسلم في الآخرة والأولى ؛ لأني لا من أهل النهي ، والله أسأله أن يمنّ عليّ بما أنجو من عذابه فأفوز معه بثوابه ، انه بالجواد الأعظم منّان من غير ما شك في ذلك .

(مســألة) : ومن غيره ؛ عن النبي ﷺ انه قال : «التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها» ، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : التوبة مقبولة الا من ابليس رأس الكفر ، وقابيل قاتل أخيه هابيل ، ومن قتل نبيا من الأنبياء ، قال غيره ولعله أبو نبهان ـ الله أعلم ـ : وعسى في هؤلاء أن لا يبعد أن يكون لهم ما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿الا من تاب وآمن﴾ ، وقوله : ﴿واني لغفار لمن تاب﴾ من معنى في عموم ، الا من أخرجه دليل عن جملة من يكون من أولئك ، لو أنهم تابوا ، والله أعلم فينظر في ذلك .

(مســألة) : من كتاب [بيان الشرع] ؛ واختلفوا في قاتل المؤمن عمدا ؛ منهم من لا يرى له توبة ، وكذلك ابليس وقابيل قاتل أخيه هابيل ، ومن قتله نبي ، فهؤلاء قيل : لا توبة لهم ، واختلفوا فيمن لعله كذب نبيا ، والذي قتله نبي أشد ممن كذبه ، قلت : فالتائب يكون كمن لا ذنب له ، قال : نعم .

(مســألة) : وسألت الشيخ أبا عبدالله علي عن المولى عن الرجف ؛ هل له توبة ؟ قال : يستغفر الله ويتوب اليه .

(مســألة) : وعن عبد آبق من مواليه فلبث سنين ، واكتسب مالا ثم أقبل تائبا فوجد مواليه قد ماتوا جميعا لم يقدر على وارث منهم ، هل له توبة ؟ فنقول ـ والله أعلم ـ : ان هذا العبد عبد لمواليه الهالكين ، فهو مال لهم ،

وماله مثل ذلك ، فيسأل عن ورثتهم من البلاد ويجتهد ، فإن وجد لهم وارثا أو رحما ، كان العبد وماله لوارثهم أو رحمهم ، وان لم يجد لهم وارثا ، فإن وضع في الفقراء لم نر بأسا ؛ والله أعلم .

(**مســألة**) : من كتاب [بيان الشرع] ؛ وأما الذي زنا وتوقى البشر من الغسل فلم يغسل ، وهو يقدر على الغسل ، حتى فاتته الصلاة ، فقد باء بغضب على غضب ، ولا يحرم الله توبة أحد ، ويستغفر ربه من الزنا وليتب توبة نصوحا من ترك الصلاة ، وليتطهر ويصلِ وليكفر بصيام شهرين ، أو بعتق رقبة ، أو اطعام ستين مسكينا ، فكل شيء استعمل العبد نفسه في فكاك رقبته ومرضاة ربه ، فقليل ذلك اذا نجى نفسه .

(**مســألة**) : ومنه وذكرت انك سمعت ؛ رويت حديثا ؛ ان من قتل نبيا أو قتله نبي فلا توبة له ، وامرأة زنت فولدت ولدا ذكرا ، أو أنثى من غير زوجها وأورثته ، وكان وليا لنسائه ، فلا توبة لها ، وذكرت انك أحببت أن أعرفك ذلك ، أسمعته أو بلغني عن أحد من الفقهاء ، أم كتاب الله ؛ فاعلم هذا مني سمعته ورويته على ما بلغني من الفقهاء ، وقد بينت لك في كتاب غير هذا الكتاب .

قال غيره : أما من قتله نبي في محاربة فحقيق بذلك ، وعلم ذلك الى الله ، وأما من قتل نبيا أو الملحقة بزوجها ولدا من غيره ، فلا يصح بطلان توبتها ، والله ـ تبارك وتعالى ـ يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، ولا نقول أن ذنبا من الذنوب تاب منه العبد ، الا وقد أوجب الله له التوبة .

(**مســألة**) : وجدتها في شيء من الرقاع : من قبل الله منه مثقال ذرة من عمله ، لم يرد عليه من عمله شيئا ، ومن رد الله عليه من عمله مثقال ذرة ، لم يقبل من عمله شيئا .

قال غيره ؛ ولعله أبو نبهان : نعم ؛ فهو من قوله حسن المعنى ؛ لأنه صحيح ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســـألة) : والاستغفار يقدم على التوبة يقول : أنا أستغفر الله ـ تعالى ـ وتائب اليه ؛ لأن الله يقول : ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه﴾ ؛ قال غيره : صحيح .

(مســـألة) : وفيمن قال : أنا أستغفر الله وهو مقيم على شيء من المعاصي ففيه ثلاثة أقاويل :

فقال من قال : ما لم يقصد بقوله استهزاء من الله ـ تعالى ـ ويعتقد الاصرار والاقامة على معاصيه فلا شيء عليه .

وان قال ذلك على وجه الاطلاق فهو سالم ؛ لأن الاستغفار من أفضل العبادات ، وان أراد بقوله الدعاء والعبادة ، فهو أفضل .

قال غيره ولعله أبو نبهان : وما لم يرجع عما به من معاصي الله ، فاستغفاره لا ينفع ؛ لأنه غير مقبول ، ولا أعلم أن أحدا من أهل العدل يخالفه في قول ، وعلى هذا من تماديه في أوزاره ، فعسى أن يختلف في اصراره ما لم يعزم على أن لا يتوب من ذلك .

(مســـألة) : روي عن النبي ﷺ أن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطىء فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها ، والا كتبت واحدة .

(مســـألة) : ومن كتاب [البحر الزخـار الجامـع لمذاهب علماء الأمصار] ؛ والكفر والشرك سواء ، فالمنافق مشرك .

الاباضية ؛ بل الشرك غير الكفر ، والمنافق كافر لا مشرك .

قلنا : هو اسم لمن يستحق أعظم العقاب فعمها .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : مع الاباضية ان اسم الشرك لا يجتمع مع اسم النفاق في حكم الشرع ، فالمنافق مؤمن في الحكم الظاهر في اجراء الأحكام عليه من تزويج وتحليل ذبحه وطهارته الى غير ذلك مما يجري عليه أحكام المؤمنين الشاكر منهم والفاسق ، ولا يجوز في المشركين ، والنفاق على وجهين :

نفاق في الايمان ، وهو أن يشهد بحضرة النبي ﷺ أو بحضرة المؤمنين ، ان لا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة حقنا لدمائهم عن القتل ولأموالهم عن الغنيمة ، واذا خلوا مع بعضهم بعض أنكروا رسالة النبي ﷺ ، ورجعوا عن الايمان به ، فهم المذبذبون لا هم مع المشركين ، أي في حكمهم الظاهر ، ولا مع المؤمنين في حكم الباطن .

والنفاق الثاني ؛ نفاق في الشكر الذي هو الاسلام ، وهو فسق المؤمنين بالمعاصي مع غير الانكار لنبوة النبي ﷺ ، فهم في الحكم الظاهر مؤمنون في اجراء الأحكام عليهم ، وفي الحكم الباطن كافرون كفر نعمة ، لا كفر شرك .

وقد اتفق أهل المذاهب الأربعة على صحة حديثه ﷺ انه عنه قوله : «آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد أخلف» ، فقال الحسن البصري : اذا كان بهذه يكون منافقا ، فكيف لا يكون بما هو أعظم فسقا بفعله أو بتركه ؟ فسمي فسقة المؤمنين منافقين مثلنا اقتداء برسول الله ﷺ ، وليس كما حكي عن الاباضية ان معهم الشرك غير الكفر ، بل الشرك كفر ، والكفر كفران :

كفر بالايمان وهو شرك الجحود ، وكفر بالشكر ، وهو كفر النعمة ، ولو قال معهم : ليس كل كفر شركا ، لكان صادقا ، فكل شرك هو كفر ، وليس كل كفر هو شرك .

والمنافق بالانكار مشرك في الباطن ، مؤمن في الظاهر ، والمنافق في الشكر مؤمن في الظاهر ، كافر كفر نعمة ، فاسق في الحكم أيضا ، ولا يخرجه من اسم المؤمن ، ولا من أحكام المؤمنين ، الا في عدم الثواب على ايمانه ، ووجوب العقاب على فسقه ، لا وجوبا بمعنى على الله ، بل تساهلا بسعة معاني اللغة أي أهلا للعقاب ، وثابت عليه في حكم التنزيل ، فاسم الفسق والكفر ، واسم الظلم يعم المشركين والمنافقين ، والنفاق يعم فسقة المؤمنين ، واسم الشرك يخص المشركين لا غير .

وقد قال النبي ﷺ : «ما بين العبد والكفر الا ترك الصلاة» ، وفي نهج البلاغة ؛ حين أشير الى عليّ بترك قتال معاوية فقال : اني قلبت هذا الأمر ظهره وبطنه فلم أرَ الا القتال أو الكفر .

وأما المتأخرون من أهل المذاهب الأربعة ، لا يثبتون حكم الكفر ، ولا النفاق على فسقة المؤمنين ، ولا اسم كافر ولا منافق خلافا لعلمائهم الأوائل ولأئمتهم الذين يدعون انهم بهم مقتدون ، اذ رووا أن الشافعي قال : من قال : ان القرآن مخلوق فقد كفر قولا أطلقه عليه ، وفسره علماؤهم انه أراد بكفر النعمة لا كفر خروج من الملة ، وذلك موجود في كتبهم في تفسير العقيدة ، لعلها عن أحمد بن حنبل الشيباني ، وفي تفسير قوله ومن قال (مخلوق) كلام الهنا ، وكان مذهب هذا مذهبهم ؛ لأنه قال في المنافق خلافا للحسن ، والمراد بذلك ما ذكرناه ، ومذهب المعتزلة المنزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر ، فانظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : وقد يقع الاكفار بفعل القلب ، كالاعتقاد والعزم على

الكفر ، أو ترك المعرفة أو بأن لا يفعل كالجهل بالله ، فهو كفر اجماعا .

الكرامية ؛ بفعل القلب . قلنا : ﴿ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾ ، وقيل : يدخل في العزم لا الاعتقاد ، وقيل : انما الكفر بفعل القلب ، لا الجوارح ، قلنا : عبادة الأصنام كفر ، والاستخفاف بالنبي والقرآن ، وقيل : لا كفر الا بالقول ، قلنا : الجهل بالله كفر اجماعا ، وقيل : القول لا يدخله كفر ، قلنا : اظهار كلمته كفرع ، لا كفر بأن لا يفعل ، قلنا : من لم يعرف مع التمكن كفر .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : أراد بالكفر الشرك اذ لا يسمى كفرا الا الشرك معهم ، وكذلك اختلفوا في المعرفة والعزم ، ومن عرف الله بصفة تجب له ، أو يستحيل وصفه بها ، فاعتقد خلاف الحق فيها ، فهو كافر بالاعتقاد كفر نعمة ، ولكن ان كان من قبل مؤمنا ، ولم يقل ذلك بلسانه ، وانما أخطأ في اعتقاده بقلبه غير متعمد للضلالة فلا يسعه ذلك ، ولا الشك مع المعرفة فيكون ضالا مؤمنا وهالكا ، ولا يسمى مشركا الا أن يقول كذلك بلسانه ، فيكون كافرا مشركا ، وأما فيما لا تقوم الحجة بمعرفته الا بالسماع ، ولم تقم الحجة بمعرفته بالسماع ، فلا يكون بالعزم كافرا كفر شرك ، ولو خالف الحق في ذلك .

رجــــع

(مســـألة) : وأكثر المتأخرين ؛ ان الندم ليس جنسا برأسه ، بل اعتقاد فوت منفعة ، أو حصول مضرة مع أسف وكثير ، بل جنس برأسه ، قلت : وهو الأقرب لاشتراط أصحابنا ، الأسف ولم يفسروه ، ولا بد أن يكون غير الاعتقاد .

(مســـألة) : والتوبة هي الندم على ما فرط والعزم على أن لا يعود ، وهي الندم والعزم شرط ، قلت : هي بذل الجهد في التلافي ، فلا يكمل الا

بهما ثم لا خلاف انه لا بد منهما ، فكانا جميعا ركنين لها .

النجارية وبعض الخوارج ؛ بل الاستغفار باللسان ، قلنا : هي بذل الجهد في تلافي ما وقع ، وانما يحصل بما ذكرنا ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : قال النبي ﷺ : «رأس التوبة الندم» ، فصح انه ليس كل أركانها الندم ، كما قال ﷺ : «الحج عرفة» ، والمراد أن من فاته الوقوف فيها فاته الحج ، ومن لم يفته استطاع أن يتم ما بعده ، ولا يفوت عليه ، كذلك المراد أن الداعي والباعث الى التوبة الندم ، فالتوبة علم ، وحال ، وعمل .

فالعلم نظر العقل أولا الى قبح فعله فيما بينه وبين الله ـ تعالى ـ ، أو نظر الى عقاب تلك المعصية مصدقا بعقابها ، أو الى احسان الله اليه ، أو الى قبح ذلك ، وحسن الطاعة ، وما أشبه ذلك ، أو الى الكل من ذلك حتى أثر فيه الحب لله ـ تعالى ـ ، أو الخوف ، أو كلاهما حتى أثر فيه الخوف .

والحال ؛ هو الباعث الى الندم فيما فعله ، والندم هو الداعي له الى الاقلاع من ذلك الرجوع الى الله ـ تعالى ـ فكان بذل الجهد في التلافي ، والاقلاع والمبادرة الى الطاعة ، والنية أن لا يرجع ، والندم على ما فاته من أيامه ، وأشهره وأعوامه في المعصية ، اذا عرف انه كلما طالت عبادته لله ـ تعالى ـ كان أعظم له أجرا ، أو خجلا من الله ـ تعالى ـ حين عرفه معرفته اللائقة بالعبد لربه ، وقال النبي ﷺ : «احدث لكل ذنب توبة العلانية بالعلانية» ، أي باستغفار والقلب بالقلب ، وقال ـ تعالى ـ : **﴿واستغفره انه كان توابا﴾** ، وكثير من الآيات في التنزيل ذكر الاستغفار من الذنب ، فكان من أركانه فلا يصح تخطئته من لزومه في التوبة ، فشروط التوبة ؛ الاقلاع من الذنب ، والاعتقاد أن لا يعود ، وأن يعمل ما وجب عليه فيما ضيعه من حق الله أو حق للعباد ، والاستغفار من ذنبه ان كان منه بلا علانية ، أي بعمل الجوارح فهذه شروطها وأركانها .

وقيل : الندم من شروطها ، ومعي ؛ انه تصح له التوبة ممن أتى بها على هذه الشروط ولم يصح ظهور ندم عليه في نفسه فإن ذلك باعث من الله - تعالى - لا من استجلابه لنفسه ، أنزله عليه ليكون هو السبب على التوبة ، ولو لم يدره من نفسه ، وأيضا ؛ فإذا تاب في نفسه من كل ذنب ، وذكر ذنبا لم يتب منه بعينه ، واعتقد انه لا يعود اليه ، اذ لا بد وأن يقع للتائب من اعتقاد ذلك ، وانه في اعتقاده تائب منه ، ولم يهتد ان عليه الاستغفار منه ، وفي ظنه انه يكفيه ذلك لم يكن هالكا بذلك ؛ لأنه مما لا تقوم الحجة بمعرفة ذلك الا بالسماع الا أن تقوم عليه الحجة بمعرفة ذلك ؛ والله أعلم .

رجـــع

(مســألة) : زيد بن علي الصادق وابن مبشر ؛ ولا تصح التوبة من ذنب دون آخر يصح ان اختلف الجنس ، بل مطلقا ؛ قلنا : انما تجب التوبة لاسقاط العقاب ، وانما يستحق للقبح فيتوب عن الفعل من الوجه الذي يستحق عليه العقاب ، وهو القبيح فاصراره على قبيح آخر ينقض ذلك ، وكالاعتذار ؛ لا يصح من اساءة دون أخرى تصح فلا يعاقب على ما تاب منه كما لو ترك ذنبا وفعل آخر ، واذ قد يستعظم أو يسهل الاقلاع عنه دون الآخر .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : انما تجب لله - تعالى - لأجل اسقاط العذاب بما يؤول اليه الأمر ، ومن تاب من ذنب دون الآخر ، ففي الحقيقة لم تكن توبته خوفا من الله ، ولا محبة لله ، ولا رجاء منه ، ولا لأجل أداء الطاعة لله - تعالى - فيمكن أن لا يقبل الله منه توبته ، ويعذبه على ما مضى من فعله ، اذ ليس هو في الحقيقة تائبا الى الله منه ، بل هو كالذي كان يفعل فعلا يعاقب عليه ، ثم تركه من غير توبة ، والله - تعالى - يقول : ﴿توبوا الى الله توبة نصوحا﴾ .

وأما ان كان فيما يفعله من الباطل مستحلا ، ولم تقم الحجة عليه بمعرفة

حقه بالسماع ، وهو مما لا تقوم الحجة بمعرفته الا بالسماع ، وهذا يعرف باطل هذا ، فتويته تصح له اذ هو معذور فيها لم يعرفه ، وان كان في نفسه ما يفعله ، لا يعاقب عليه بجهله ، وانما يعاقب بذنبه ذلك فقط ، وقد قامت عليه الحجة بمعرفته انه باطل لا يسعه ذلك ، ففعله منتهكا بجهل ، فيمكن أن لا يعاقب بما تاب عنه على شروط التوبة ، ويعاقبه بما لم يتب منه ، وعلى هذا فقس .

رجـــع

(مســألة) : وبه تجب قبول التوبة ، ويسقط العقاب ، قال : لا يجب ولا يسقط حتى لو عوقب تائب لم يكن ظالما ، وانما لا يعاقبه لأنه أصلح ، قلنا : لو لم تجب لم يحسن التكليف بعد المعصية اذ لا نفع فيه ، ولزم مثله في الاعتذار .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي : لقد صدق القلهاتي أن زيدا كان تلميذا لواصل المعتزلي ، وأخذ عنه أكثر علمه واعتقاداته ، فاني أرى جميع اعتقادات هذا على مذهب لم ينفك منه ، وعنه بشيء ، فلا يصح يجب على الله لازم عليه لشيء من خلقه ، ان لم يؤد له حقه صار ظالما له ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وكفى بهذا ضلالا بعيدا في التوحيد ، وبالشك مع اعتقاد السؤال بعد المعرفة ، بهذا يهلك المرء ولا ينفعه الاعتقاد ، فكيف مع ملازمة الاعتقاد في الله ـ تعالى ـ بهذه الصفة المنزهة ذاته عنها ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

رجـــع

(مســألة) : والتوبة من الصغائر تجب عقلا ؛ قلنا : انما وجبت لدفع الضرر ، ولا مضرة ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : وقد روي عن النبي ﷺ انه قال : «لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع توبة واستغفار» ، وروي

عنه ﷺ انه قال : «الاصرار على الصغائر كبيرة» ، ويؤيده قوله ـ تعالى ـ : ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾ ، وان كان قد قدم ذكر الفاحشة ؛ فإنه عم في آخر الآية ، وأصل التوبة الرجوع عن ذلك .

واذا أصر ولم يرجع : صار كبيرة ، فإن كان لم يصر على فعل ذلك فعسى كما قال ، وان كان قد أصر حتى صار كبيرة وجبت عليه التوبة منه لا محالة ؛ والله أعلم .

رجـــع

(مســألة) : ومن كثرت صغائره حتى لزمته تبعة كسرقة قليل حتى بلغت النصاب ، جاز أن تصير كلها كبيرة ، فإن لم تلحقه تبعة كالكذب ، فالأخير هو الذي يصير كبيرا فقط ، بل الجميع حاشية من الكذبات المتقدمة .

رجـع ؛ قلنا : الأوائل مغفورة بخلاف أوائل السرقة ، لوجوب الرد وتباع على أصله ، وهو وجوب التوبة عن الصغائر ، وان من تذكر ذنبا لزمه تجديد التوبة ، فتركها يجوز أن يكون كبيرا وعدم لا يلزم في الوجهين .

قال ناصر بن أبي نبهان : اذا كانت الصغائر أوائلها مغفور فمتى تصير كبيرة لأنه كل ما مضى من المغفور كان ابتداؤ ها بعده كان قليلا الى أن ينتهي الحد الذي يغفر ثم يبتدىء كذلك ، فهذا يصح مع من قال : ان الاصرار على الصغائر لا يكون كبيرة ، فإنه متى قطع سنبلة من زرع أحد على غير حكم التعارف ، وهي معه صغيرة ، ثم قطع في ساعة أخرى مثلها ، ولم يزل مصرا على ذلك فمتى تكون كبيرة ، فإن كان لأجل الرد يكون كبيرة ، فمن استعمل الكذب ، فالأول الحاكم كذبه حتى تبلغ الحد الذي يغفر ، ثم بعد ذلك لا يغفر ، فإنه يكون ابتداء ثانيا حتى يبلغ كذلك ، والنبي ﷺ يقول : «آية

المنافق ثلاث من اذا حدث كذب واذا اؤ تمن خان واذا وعد أخلف» ، كذلك الخلف مثل الكذب ، والكذب والخلف يختلفان ، قد يكونان في مواضع كبيرة بمرة واحدة كالذي يؤدي به الى هلاك انسان قاصدا بذلك ، فأصابه بسبب ذلك ، وما أشبه ذلك فصح أن الاصرار على الصغائر يكون كبيرة ، والعفو انما يقع في الآخرة ، فهنالك يعرف المصر من غير المصر ، فيكون العقاب على المصر ، والعفو على غير المصر .

وان قيل : ان السيئات مغفور عنها ، فإن صح كلامك لم يقع الا على غير مصر لم يفعل كبيرا من السيئات ، فالجواب سيئات صغار لم يصر على واحدة منهن ؛ والله أعلم .

رجــــع

(مســـألة) : من ذكر ذنبا لم يكن قد تاب عنه بعينه لم يلزمه تجديد التوبة ، وان فعل فحسن والأخشدية ؛ يجب ، والا كان مصرا ، قلنا : وجبت لسقوط العقاب ، وقد يسقط ، بل وجبت قبح الاصرار اذ هو ضدها عنده ، قلنا : اذا لزم أهل الجنة تجديدها ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : قال النبي ﷺ : «رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ والصبي حتى يحتلم والناسي حتى يذكر» ، ومن نسي ذنبا لم يتب منه وهو تائب في الجملة من كل ذنب فعله فمعذور فيما أنساه الى أن يذكره ، أو يموت على نسيانه ، فلا حجة له باحتجاجه في لزومه في الجنة ؛ لأن من مات على التقوى ونسي ما عليه من حقوق لله ، ولعباده أن يؤ ديه أو أن يتوب منه فلا لوم عليه ، وأما ما كان في قيد هذه الحياة الدنيا التي هي دار التعبد ، فعليه أن يتوب من كل ذنب فعله بشروط التوبة ان كان فعله علانية ، فعليه الاستغفار ، والنية فيه أن لا يعود ، وان يصلح ما قبل ، وأن يؤدي ما عليه فيه من الواجب عليه في ذلك بشيء ، ولو كان الذنب يغفر بالنسيان متى ذكره ، كان كذلك من نسي زكاة مال أن

يزكيه كان قد ترك زكاته متعمدا ، عصيانا ، ثم ذكر ذلك لم يكن عليه أن يتوب ويزكي ؛ لأنه كان مغفورا بالنسيان .

وكذلك من طعن انسانا ظلما فأدماه وضيع شيئا من أعضائه ، ونسي ذلك ، ثم يذكر ، لم يكن عليه منه توبة ، ولا أداء ارشه ؛ لأنه كان مغفورا بالنسيان ، وهكذا جميع الحقوق التي لله ، والتي لخلق من خلقه ـ تعالى ـ ، فصح أن الحق بخلاف ذلك .

رجـــع

(مســألة) : اعلم أنه بناء على هذا الأصل وجوب التوبة على الأنبياء عقلا ، بل تعبدا وانها سمعا فقط ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : كل ذلك محتمل ومن أخطأ منهم خطيئة تجب التوبة عليه ، فهم كغيرهم من العباد في الزام التوبة ، ولكن الأنبياء معصومون عن فعل الذنـوب ، وتوبتهم واستغفارهم ، شكر لله وخضوع وخشوع وتذلل وافتقار ونظر الى أنفسهم بعين التقصير الكثير منهم في حضرة ربهم ، في عبادتهم اليه ، ـ سبحانه وتعالى ـ بين يديه وهيبة منه ، وحياء من تقصيرهم في ذلك ، في واجب حقه لقوله ـ تعالى ـ : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ، فليس لحق قدر الله على العبد غاية ولا نهاية ، ولكنه قبل القليل منه لأداء ما عليه لشكره ؛ والله أعلم .

رجـــع

(مسـألة) : والتوبة تجب اجماعا ، ولا عقاب على تركها أكثر من عقاب المعصية ، اذ وجه وجوبها اسقاط عقابها فقط كما مر ، بل عليها عقاب آخر اذ هي واجب مضيق في كل وقت فيعاقب للاجلال به ، قلت : وهو الأصح اذ عدم عليها وجوبها .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : ان التوبة لا تجب الا على فعل ذنب

تجب منه التوبة ، ولكن معناها لازم اعتقاده ، وهو الرجوع الى الله ، وانه لا يفعل ذنبا الا ويتوب منه ولا يرجع اليه ، وأما الاستغفار واللفظ بالتوبة من غير أن يذنب ذنبا فغير لازم ، بل ذلك وسيلة وخضوع وتذلل ونظر الى النفس بأعمالها بعين التقصير وشكر لله ـ تعالى ـ ، وأما تركها مع المعصية ، فلا بد من العقاب على المعصية بارتكابها لها على وجه لا يسع ، وبترك التوبة منه وهي فرض واجب عليه ، فكيف لا يكون على تركها عقابا أيضا ، وما الفرق بينها وبين ترك الواجبات ؟ واما ان حدها سقوط العقاب عن الذنب يصح واما ان أصل وجوبها لأجل اسقاط العقاب فالأصح انها لوجوب الطاعة على المكلف لربه الذي أنعم عليه وتعبده بما هو واجب عليه فاعرف ذلك .

رجـــع

(مســألة) : وتجب التوبة من المتولد قبل وقوعه فتمنع العقاب ؛ لا ؛ قلنا : يجوز عن ضرر فيجب ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : اذا فعل المرء فعلا يتولد منه ضرر على أحد في نفسه أو ماله أو دينه ومعروف ان ذلك مما يولد ذلك ، وجبت عليه التوبة فاعرفه .

رجـــع

(مســألة) : كثر ويجب قبولها من كل ذنب .

البكرية والسمعية : لا تقبل من القتل .

قلنا : ليس بأعظم من الشرك ، ويستلزم ان لا يكلف بعده ، ثم انه قد وعد ـ تعالى ـ بالتوبة عنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ولا يقتلون النفس﴾ الى قوله : ﴿الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا . .﴾ (الآية) ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : أما وجوب قبول التوبة ، فإن كان مراده على الله ، فالله ـ تعالى ـ لا يجب عليه لعباده شيء لازم ، واما قبولها فيجب علينا أن نحكم بها ان الله

ـ تعالى ـ يقبل التوبة ؛ لأن ذلك من صفاته قوله ـ تعالى ـ : ﴿**قابل التوب**﴾ ، وقوله : ﴿**ان الله يغفر الذنوب جميعا**﴾ ، أي بالتوبة ؛ فاعرف ذلك .

رجـــع

(**مســألة**) : والتائب ليس كمن لمن يفعل ذنبا ، بل كان لم يفعل لابطال التوبة حكم المعصية ، فيكون كالمجتنب لكل معصية ، فيكتب له في كل معصية تاب منها ثواب لكل معصية اجتنبها ؟ قلنا : اذاً لاستوى من كفر مائة سنة ، ومن كفر لحظة ، ثم تاب ، ولكان أكثر ثوابا والمعلوم خلافه .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : قال النبي ﷺ : «من تاب من ذنبه خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه» ، وقال : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ، وليس في الأخرى سواء ، ولكن المعنى في البراءة من الذنب انه يصير لا ذنب عليه فيما فعله ، كالذي لم يفعله لا في تساوي الأخرى ، فإن الذي لم يذنب أعظم أجرا في ذلك ، وأما فيما سواه ، فكل من كان أقوى ايمانا بالله ، وأصفى جنانا ، وأعلى درجة في العلم والعمل ، كان من قبل مذنبا فتاب ، أو لم يكن فهو الأفضل ، ومن كان كذلك ولم يذنب ذنبا فهو أعلى درجة ممن أذنب ثم تاب فكان كذلك .

(**مســألة**) : عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، وعلى قول من يقول : ان من أتى صغيرة ولم يتب منها ، وهو ذاكر لها انه مصر ، ولو لم يعزم على الاصرار ، فما تقول فيمن ذكر معصية منه وهو يصلي فريضة أو نافلة ، ونوى في قلبه التوبة اذا فرغ من صلاته ليتوب منها بلسانه ، فلما أتم صلاته نسي ذلك فما القول فيه وما حاله ؟

الجـواب ؛ ان حالة من ذكرت السلامة ، ورجوعه في نفسه جاز ، والا فلا تقبل توبة الأعجم .

(**مســألة**) : ومن جواب الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي ؛ وسئل

عمن ذكر معصية له لم يتب منها في حال صلاته ، ما يعجبك شيخنا له بقطع صلاته ويتوب منها ، أم يتم صلاته ، أم ينوي في قلبه التوبة منها ؟

الجواب ؛ من ذكر انه عصى الله في شيء وهو في حال الصلاة وهو في نفسه انه تائب من كل ذنب مجملا ، ويعلم من نفسه انه كذلك هو تائب منه ان لو ذكره ، ففي الحكم فيما بينه وبين الله تائب منه ، ولا يقطع الصلاة ، واذا أتمها وذكره بعد ذلك ونوى في نفسه التوبة ، واستغفر الله منه ، لا بأس عليه في تأخيره الى تمام الصلاة ، وان نسيه بعد الصلاة فلا بأس عليه ؛ لأن الجملة تأتي على ما ينساه ؛ والله أعلم .

(مسألة) : عن الشيخ ناصر بن خميس بن علي ؛ واذا نطق الانسان بكلام مما يكفر به في ظاهره من قرآن أو غيره ، فقال : استغفر الله ؛ يكتفي من سمعه منه بذلك ، أم حتى يقول : استغفر الله مما خالفت فيه الحق ، أم حتى يقول : استغفر الله من قولي كذا وكذا ، يذكر قوله بنفسه ، ولا يكتفي بدون ذكره ، اذا لم يعلم انه دائن بذلك ، وهل يجزي قوله : استغفر الله من غير أن يقول : وتائب اليه ، عرفني - سيدي ومولاي - بجميع ما يجزي وما لا يجزي من ذلك هداك الله ؟

الجواب ؛ وبالله التوفيق ؛ ان قال : استغفر الله من كل ما خالفت فيه الحق ، فهو كاف مع من علم ذلك منه اذا لم يكن مستحلا لما ظهر من كفره ؛ والله أعلم .

(مسألة) : من كتاب [الأشياخ] قلت لبشير : فإن أصاب الرجل صغيرة من الذنوب ، وفي نيته أن يتوب غدا أو بعد ذلك ومن دينه التوبة من ذلك ، الا انه ذلك الوقت لم يتب ، قال : اختلف في ذلك ؛ فقال من قال : ان الاصرار هو أن يعزم أن لا يتوب ، فإن مات قبل ذلك هلك ، وان تاب قبل الموت سلم ، قال : وقال بعضهم : عليه أن يتوب من حين ما واقع

الصغيرة ، ولا يؤخر ذلك ، فإن أخر ذلك فقد أصر ، وهو أشد القولين ، والآخر أفسح منه ، قال محمد بن أبي الحسن : كل ذلك صواب ؛ وقال : أحب الأول وهو أرفق عرضنا .

(مسـألة) : الفرق بين المصرّ والمتمادي ؛ المصر ؛ نيته أن يلقى الله بالمعصية ، والمتمادي ؛ نيته الانفكاك منها يوما ، فالمتمادي يرجى له ، والمصر من الهالكين .

(مسـألة) : سألت أبا سعيد ـ حفظه الله ـ عن رجل لزمه لأحد من الناس حق ، فكان يتأمل قضاه والخلاص منه ، الى أن تمادت الأيام حتى نسيه نسيانا فلم يذكره حتى مات ، أو صار بحد لا يقدر على الوصية به ، أو لا يجد من يوصي اليه به ما يكون حاله في ذلك ؟ قال : معي ؛ انه ان كان مخلصا لله في عبادته وطاعته ، ولم يكن عليه من الذنب الا هذا ، فأرجو له السلامة على ما قيل في أمر الناسي في مثل هذا انه معفى له عنه ؛ اذا كان من المؤمنين ، وانما العفو للمؤمنين من الله ـ تبارك وتعالى ـ فمعي ؛ انه قيل : لو كان مصرا على هذا الذنب ، أو على هذا الحق ، انه لا يؤديه فمضى على ذلك ، ثم نسي ذلك ، وكان تائبا في جملته ، ودائنا بأداء لوازمه ، الا أنه قد نسي هذا الذنب الذي قد أصر عليه فمعي ؛ انه في بعض القول انه لا تنفعه التوبة في الجملة في مثل هذا ، لأنه عزم على الاصرار ، فكأنه يشبه معنى الدينونة بالضلال اذا تاب التائب الدائن بالجملة ، وهو يدين بشيء من الضلال ، لم تكن توبة له من المعاصي ؛ لأنه يدين بها ويتقرب بها الى الله ، فلا نرى له التوبة منه ، وانما التوبة من مخالفتها حتى يتوب من ذلك بعينه ، ويرجع عن اعتقاد تصويب الباطل .

وقال من قال : ان المصر لا يشبه الدائن ؛ لأن المصر أصر على ما يعلم انه باطل ، فلو ذكر ذنبه ذلك في نسيانه هذا له ، لكان ممن يدين بالتوبة منه ،

فلما نسيه تاب في الجملة ، فكان ذلك مجزيا له حتى يذكره فيصر عليه ، أو يتوب منه بعينه ، وهذا القول أقرب عندي الى معنى الصواب ، ـ ان شاء الله ـ ؛ لأن الله لا يكلف نفسا الا وسعها ، ووسعها طاقتها ، وطاقتها ما تقدر عليه ، ولا يقدر الناسي أن يذكر ، كما لا يقدر الأعمى أن يبصر ، وكذلك عندي لو نسي المستحل الدائن بشيء من الضلال ما استحله ودان به فتاب في الجملة من جميع ما عصى الله به من قول ، أو عمل ، أو نية بعلم ، أو جهل بدين أو برأي ، وكان هذا اعتقاده في توبته ، ونسي ذلك الشيء بعينه ، فإن هذا عندي يجزيه من التوبة في الجملة ، حتى يذكر ذلك الشيء بعينه ، فيدين به بحالته ، أو يرجع فيتوب .

وكذلك لو خطر بباله شيء مما يدين به ، فيشك فيه فيرجع عن العزيمة على الدينونة به ، فتاب منه ، فإن كان قد دان فيه بضلال ، ولم يبن له خطأ ما دخل فيه فيتوب منه بعينه لا شك فيه ، فتاب منه على هذه الجملة ، وهذه الصفة ، وكان مما يسع جهل معرفة صوابه أو خطئه من الدين ، ومما تقوم به الحجة بالسماع ، كان هذا عندي ضربا من التوبة للمستحل ، اذا لم يكن قد أتى في دينونته تلك في ذلك الشيء أمرا يلزمه فيه أكثر من التوبة ، فإن بان له خطأ ما أتى ، تاب منه بعينه ، أو خطأ ما أتى من التوبة مما كان يصوبه ، أو يصوب ما كان يخطئه من الصواب بعينه ، اذا بان له ذلك ، فإن رجع عن التوبة فيه ، ووقف عما دخل فيه ، وتاب من ذلك ، ان كان قد أخطأ فيه لم يبن لي عليه فيه دينونة سؤال عن ذلك اذا لم يلزمه في ذلك الا التوبة .

قلت له : وسواء كان هذا الذي قد لزمه الحق لأحد من الناس فقصر في الخلاص عن ذلك ، وهو يقدر على صاحب الحق ، أو كان صاحب الحق غائبا الا أنه يؤمل الخروج اليه بينهما فرق ؟ قال : معي ؛ انه سواء اذا كان دائنا بأداء ما يلزمه في ذلك ، ولم يضيع شيئا مما يقدر عليه مما يلزمه ، ولا يبين لي أن يكون في توانيه وتقصيره كان عاصيا ، الا أن يطالب اليه ذلك ، فيلد فيه ، أو

تقوم عليه الحجة والفضيلة لا يثبت عليه ولا يقبل .

(**مسألة**) : أبو سعيد ؛ اختلف فيمن صلى شيئا من الفرائض على غير توبة منه لمعصية قد واقعها ؛ فقول : ان الصلاة منه في حال الاقامة على المعصية لا تقع ولا ينتفع بها ، ولا يثاب عليها ، تاب الى الله أو لم يتب ، لقول الله - تعالى - : ﴿**فأحبط أعمالهم**﴾ ، وانما له من عمل الطاعة ما عمل في حال التوبة والاقلاع .

وقول : ان الصلاة منه في حال المعصية قبل التوبة تقع ، الا انه غير مثاب عليها ، وتكون الصلاة بحصول العمل منه لها في التسمية .

وكذلك ما عمل من الحسنات في حال المعصية ؛ فقول : لا ينتفع بذلك ولا يثاب عليه ، تاب الى الله أو لم يتب .

وقول : ان تاب رد الله عليه صالح عمله ، وهذا المعنى من قوله ، والله أعلم .

(**مسألة**) : وجدتها على أثر ما عن الشيخ محمد بن عمر القاضي ، فيمن يرتكب صغائر الذنوب ، ثم يتوب منها ، ثم يواقعها ، ثم يتوب منها ، وهو على ذلك ، وفي نيته التوبة ، ثم مات فجأة قبل أن يتوب من الصغيرة ، أتنفعه النية أم لا ؟ فلا تنفعه النية ، والنية ليست بتوبة ؛ والله أعلم .

(**مسألة**) : ومن أخذ من أموال الناس شيئا ظلما وأصر عليه حتى نسيه ، أتنفعه التوبة في الجملة أم لا ؟

الجواب ؛ ففي ذلك اختلاف بين المسلمين ؛ والله أعلم .

(**مسألة**) : ومن ارتكب ذنبا وأصر عليه ثم نسي الاصرار ، وتاب في الجملة ؛ قول : تجزيه توبة الجملة ؛ الحجة قوله - تعالى - : ﴿**ان الله يغفر**

الذنوب جميعا﴾ ، وقول : لا تجزيه الا أن يتوب من ذلك الشيء بعينه .

(مســألة) : عن الشيخ الأمجد صالح بن محمد بن صالح بن عبدالسلام ، قال : وكذلك عرفنا أن العزم على الايمان ايمان ، والعزم على الكفر ليس بكفر حتى يفعل ، وقيل : ان العزم على المعصية غير حديث النفس بها ؛ لأن العازم عليها اذا مات على العزم عليها مات هالكا حتى يقلع ، ويتوب مما عزم على فعله من المعصية .

(مســألة) : ومنه ؛ واختلفوا في المصر قال قوم : يتولى نفسه في حين اصراره ، وقال قوم : لا يتولاها حتى يتوب هكذا ؛ عرفنا وبالله التوفيق .

(مســألة) : وروي عن النبي ﷺ انه قال : «ان الله ـ تعالى ـ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» ، قال غيره : المعنى اذا تاب ، وروي عن النبي ﷺ ان : «لكل شيء توبة الا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب الا وقع في شر منه» .

(مســألة) : من بعض كتب قومنا ، ويكفي في صدق وجوده لواحد من العصاة مع العفو عن غيره ، ويجوز أن يزيد ويرتب العقاب على فعله كما عبر به غيره ، فلا ينافي العفو ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : أراد أن الله ـ تعالى ـ يعذب من عصاة هذه الأمة المتوفين على الاصرار بعمل الكبائر من الذنوب من غير أن يتوبوا من أهل كل فن من المعاصي واحدا منهم على قدر عمله ، أو يزاد عن مقدار عمله عما فعله أهل فنه عذابا ، أو يلتمس مشركا عمل ذلك العمل فيزاد عذابا عن فعل أهل ذلك الفن الذي من هذه الأمة لوفاء الوعد ، لئلاّ يكون الله ـ تعالى ـ قال قولا لم يصدقه بالفعل ، فلا ينافي اذا عذب واحدا من فسقة المؤمنين عن أهل فنه من المعاصي ، أو عذب عنهم مشركا كفعلهم زيادة في العذاب عما يستحقه بشركه ، ولا ينافي فعله ذلك انه كما قيل لكمال كرمه ،

ان وعد وفى وان توعد عفا ، ولا ينافي الحديث شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، ولا ينافي قولهم الواجب ما يعاقب بتركه ، والمحجور ما يعاقب بفعله ، لأنه بذلك عذب من ترك الواجب ، أو ارتكب المحجور ، ومن أين أبيح لهم هذا المعنى ، والله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ ، ومن أين العفو اذا كان ليعذب عوضا عنهم من يعذبهم عنهم ، فالكريم من الناس اذا كان قياسهم به اذا عفا عن حق لا يتبع حقه من غيره عوض حقه ، فليس هذه صفة العافين ، وفي كتبهم أحاديث كثيرة في مرتكب فن من المعاصي ، أخبر النبي ﷺ بأحاديث في تعذيب مرتكب المعاصي ان لم يتب حتى مات ، ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ ﴿ومن يضلل فما له من هاد﴾ .

(مســألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «عذاب هذه الأمة في دنياها» ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : ان صح هذا فالمراد منه السيئات المعفو عنها ، باجتناب الكبائر عما ينال أهل التقوى من عذاب الدنيا ، وقال ـ عليه السلام ـ : «ساعات الأذى في الدنيا يذهبن بساعات الأذى في الآخرة» ، وفي رواية أخرى : «ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا» ، قال غيره : قد مرت هذه الرواية مفسرة في باب ، وقال ﷺ : «التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود اليه أبدا» .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : التوبة من الذنب ؛ النية أن لا يعود الى فعل ذلك المحرم ، ولا الى ترك ذلك الواجب ، ولا الى فعل كل محرم ، ولا الى ترك كل واجب عليه ، وعليه في ذنب العلانية الاستغفار من ذلك باللفظ باللسان ان اهتدى الى ذلك ، والاقلاع من ذلك .

(مســألة) : عن الامام أفلح بن عبدالوهاب المغربي ، وعن قول الله : ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ ، وما أوجب من انه

لا يغفر لهم ، استغفر لهم النبي ﷺ أو لم يستغفر لهم ، وكذلك في زماننا هذا ؛ لو أن قوما لمزوا أو طعنوا في المسلمين ثم أتوا تائبين ؛ هل تقبل توبتهم ويتولون على ذلك ويرجى لهم مثل ما يرجى لغيرهم من التائبين من الذنوب ؟

الجـواب ؛ ان هذا فيمن مات على نفاقه ، فنهى النبي ﷺ عن الاستغفار لهم ، فأما من تاب فنعوذ بالله أن نقول : لا تقبل توبتهم ، فليس يذهب الى هذا أحد ؛ لأن الشرك بالله أعظم من كل غمز ولمز ، ومن كل بدعة ، فإذا تاب المشرك قبلت توبته ، وغفر له ما قد سلف ، فما دون الشرك أحرى أن تقبل توبته ، ألا تراه يقول : ﴿**واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**﴾ ، وقال : ﴿**ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**﴾ ، ومثل هذا في القرآن كثير .

قال غيره ولعله أبو نبهان : نعم ؛ صحيح ما قاله في هذا ، فهو حسن من قوله ، اذ لا يجوز على الله أن يرد على عبده توبة مع صدق الرجعى اليه ، ولا للمسلمين أن يردوها عليه ، بعدها قوله : ﴿**ان الله يغفر الذنوب جميعا**﴾ ، والله أعلم ؛ فينظر في ذلك .

(مسـألة) : من كتاب [بيان الشرع] ؛ من اغتاب مسلما يلزمه أن يستحله أم لا ؟ لا يلزمه ذلك وانما تلزمه التوبة ؛ والله أعلم .

ومن أرجوزة الشيخ سالم بن سعيد الصايغي :

تـرك المعاصي عنـدنا من طلب ... التـوبـة أولى قـال أهـل الأدب
وان هفـا رأي الحليم لا عجب ... والعـذر من هفـوتـه لـه وجب
لأنـه قـيـل الجـواد يـكـبـو ... لا شـك فيـه والحسـام ينبـو
من ذاك لا غرو اذا ما قد هفا ... رأي الحليم قـالـه من عـرفـا
قلت له : التائب من ذا قالا ... هـاك الجـواب فـافهم المقـالا

من كان للعلم أخا اهمال ... فليس بالتائب في المقال
وليس بالتائب من لم يرض ... الخصم في طاعة رب الأرض
من لم يغير مطعما أو مشربا ... فليس بالتائب قال الأدبا
وهكذا من لم يكن يغيرا ... لباسه وتائب من غيرا
وهكذا من لم يقصر أمله ... فليس بالتائب مما عمله
وليس بالتائب من لم يزدد ... عبادة في كل يوم فازدد
وليس بالتائب من لم يحفظ ... لسانه عن الفضول فاحفظ
من لم يقدم فضل ما حواه ... من ماله فلم يتب أراه
وتائب من هذه الخصال ... كانت به وفضلها ينال
قلت له : متى يذوق العبد ... حلاوة الانس اليه تبدو
فقال لي : ان قطع العلائقا ... عن نفسه ورفض الخلائقا
وغائصا قد صار في الحقائق ... مطلعا فيها على الدقائق
وقال لي : لكل شيء نور ... في الكتب عن أشياخنا مذكور
ونور من أذنب أن يقولا ... أستغفر الله فعِ المقولا
من سكن استغفاره لسانه ... أغشى الحيا من ربه جنانه
من لم يكن خالقه مستغفرا ... في كل يوم مرتين ذكرا
بان ذاك نفسه قد ظلما ... وهو الصحيح من مقال العلما
فمدة صبحا وبالعشي ... مرة يروى عن النبي
صلى عليه ربه القهار ... ما هطلت من مزنها الأمطار
وقال لي : ليس الهلاك الا ... على المصر حيث ما تولى
ولا يكون عندنا مصرا ... من كان في استغفاره مقرا
بذنبه لو انه مرارا ... عاود ليلا كان أو نهارا
وجدت عن خير الورى في الكتب ... من تاب من ذنب كمن لم يذنب
لو أن فرعون اللعين اذ كفر ... تاب الى الله منيبا وازدجر
لم يجد الرحمن للذنوب ... الا غفورا ساتر العيوب

لكنه تخير الكفرانا ... لنفسه وحادد الرحمانا
تبا له لما عصى مولاه ... لا شك في النار غدا مأواه
أرداه رب العرش في الجحيم ... شرابه فيها من الحميم
وقال لي : قد جاء فيمن حسبا ... يدخله الجنة ما قد كسبا
فانه لا شك ذو تعن ... خذ الصواب واحفظنه عني
ومن أحسّ انه بلا عمل ... يدخلها فمتمن في المثل
وينبغي يعمل ما عليه ... ولا يكون ناظرا اليه
واربع صار بها الابدال ... ابدال فيها عنهم يقال
بالجوع والصمت وباعتزال ... الورى وطول سهر الليال
وتوبة المرء اذا لم تكن ... علامة ترى لها في البدن
ما اسرع الرجعة منها قيلا ... وهو صحيح فافهم التأصيلا
لأن من تاب له علامة ... انكساره وكثر الندامة
ثلاثة ليس لهم متاب ... جاء به عن صحبنا الجواب
أولهم ابليس رأس الكفرة ... لعنه الله ومن قد شكره
وبعده الحق به قابيلا ... بقتله شقيقه هابيلا
وقاتل ثالثهم نبيا ... فلا تكن عن لعنهم ابيا
وتاب معناه يقال رجعا ... لربه وخير ما قد صنعا
قلت له : لأي شي يبغض ... التائب الدنيا لديها يرفض
فقال : اذ باشر فيها الدنيا ... وقد عصى فيها العظيم الربا
قلت له : ان ادرك المتابا ... فيها فاوضح يا اخي الجوابا
فقال : قد كان على يقين ... من ذنبه وما اتى من مين
ومن قبول توبته على خطر ... فاعمل على ما قلته من الاثر
قلت له : ما صفة المتاب ... النصوح في قول اولى الصواب
قال : هو النية ان لا يرجعا ... لذنبه وما به قد وقعا
كمثل لا ترجع الالبان ... الى الضروع هكذا بانوا

وفي قبـول التـوبـة اختـلاف رواه لي مـن ربـه يخـاف
مقبولـة قـد قيـل مـا لم ينـظر نـزول املاك العـظيم الاكبـر
وانـه اقـرب مـا قـد قيـلا عنهم فـلا تبغى بـه بـديـلا
قلت لـه : يحاسب العـاصي بما قـد تـاب منـه لـه وقـد لـزمـا
فقـال لي : مـا قبـل المنـان التـوبـة منـه مـا بـه حسبـان
والله يمـحـو ذنبـه ويـنـسـى حـافـظيـه يـا أخـي وانسـي
قلت لـه : اخي النفـاق يكتب لـه وذو الشر عـلى مـا يجب
مـا احسنـوا في حـالـة النفـاق والشـرك بـالـرحمن والشقـاق
فقـال لي : يكـتب لـلجميـع كمثـل مـا يكتب للمـطيـع
وقيـل : بـل يكتب للمنـافـق دون الـذي اشـرك والمشـاقق
وكـفـر ابـليس مـن الـنـفـاق ابتـداؤه قـد قيـل بـاتـفـاق
لـكـنـه لمـا دعـا الـعـبـادا بـان يكـون نفسـه عبـادا
وهكـذا ليعبـدوا الاصـنـامـا دعـاهـم في شـركـه اقـامـا
بـه امـام المـذنـبـين صـارا ادخـلـه الله الـعـظيـم الـنـارا
وآدم امـام مـن قـد تـابـا صـار ومـولاه لـه استجـابـا
فـانـظر اخي وافهم التفـريقـا بـين الامـامـين تـر التحقيقـا
وقـال لي :عـجبت ممن يهـلك وعـنـده الى النـجـاة مسـلك
ان قيـل مـا نجـاتـه فـالتـوبـة ذنـوبـه تمحـو. لـه وحـوبـه
ومثـل هـذا عن عـلي قـدروي فاحذر سكـون مسقط ثم روي
ومـن اراد دينـه ان يـطرحـا فليسكنن مسكنـا او مـطرحـا
قلت لـه : الزاني اذا مـا تـابـا مـن الـزنـا لـربـه انـابـا
يـلزمـه اعـلامـه بـالتـوبـة كـل من يعلم منـه حـوبـه
فـقـال لي ذلـك مـا لا يلزم عليـه فيهـا قـالـه من يعلم

وقال في موضع آخر :

لكـل ذنب فـاحـدثن تـوبـا ركبتـه واحـذر اخي الحـوبـا
الجهـر بـالجهـر ولـلاسـرار سـر كـذا يـروي عن المختار
محمـد افضـل من ضـم الثـرى صـلى عليه الله مـا ليـل سـرى
ليس عـلى التـائب ان يتـوبـا للخلق مهـما يترك الكـذوبـا
قد قال هذا القول خبـر صادق وهـو صـواب عنـدنا مـوافق
ومن دعا الناس الى مـا ابتدعـا فصـح منهم عمـل بمـا دعـا
كـان عليه عنـدنـا الاعـلام لهم مـع التـوب روي الاعـلام
يخبـرهم بـانـه قـد رجعـا عن بـدعة كـان بهـا قـد وقعـا
وان ديـن المسـلمـين دينـه فـارق مـا عـنـدهم يشينـه
تـوبته مقبـولـة ان صـدقـا فيـها بـه من فمـه قـد نـطقـا
وقـد قيل من في المسلمين قالا مـا لا يكـون قـولـه حـلالا
كـان عليـه الاعتـراف عنـدنـا بمـا بـه قـال ومـا منـه دنـا
وانـه لـربـه يـتـوب اذ ذاك منـه بـاطـل وجـوب
قلت لـه : في رجـل قـد ركبـا ذنبـا صغيـرا وبـه قـد عـطبـا
مـن بـعـدمـا ركـبـه اصـرا عـليـه مـا كـان لـه اقـرا
وتـاب في الجملة هـل تجـزيـه تـوبتـه قـال نعـم تـكـفـيـه
في قـول بعض لا مقـال الكـل وهـو صحيـح عندنـا يـا خـل
وبعضهم قـد الحقـوا المصـرا بـالمسـتحـل حيثـما اصـرا
والمسـتحـل تـوبـة الاجمـال لم تـكفـه مـن ذنبـه بحـال
بغـير تفسـير لمـا قـد ركبـا من الـذنـوب وعليـه وجبـا
سـألتني عـن آخـذ الامـوال وأخـذه كـان عـلى استحـلال
يـلزمـه الـرد اذا مـا تـابـا لـربهـا ام لا فـع الجـوابـا
ليس عليـه الـرد في الاحكـام ان كـان قـد تـاب من الآثـام

الا الـذي في يـده مـوجـود ... بـعـيـنـه فـانـه مـردود
وقـال بـعض انـه يـلزمـه ... الـرد فيـها عنهـم نعـلمـه
قلت لـه ما صفـة استحلال ... الـفـروج والـدمـاء والامـوال
فـقـال لي فـاعـله يـضـلل ... مخـالفيـه مما يـقـول يبـطل
وانـه لـفـعـله يـصـوب ... وكـل من خـالفـه يـكـذب
وضـد هـذا ذلـك المـحـرم ... وكـل مـن يجـهـله يـعـلم
وتـوبـة النبـاش ان يستغفـرا ... خـالقـه من كـل مـا منه جـرا
وان يـرد قـيـمـة الاكـفـان ... لمستحـقـيهـا من الاثـمـان
ان عرف الكل ومن قـد جهلا ... فـالفقـرا مـوضعـه قـد فصـلا
قلت لـه هـل يقـع التكليف ... بـالجن مثل الانس يا شريف ؟
قـال نعم في سـورة الـرحمـن ... الـدليـل فيـه ايهـا الثقـلان

وقال في موضع آخر :

قـلت لـه : الجن لهـم ثـواب ... ان فعلوا مـا امـر الـوهـاب
قـال : نعم كمثـل ما لـلأنس ... لهم يكـون مـا بـه من ليس
وقيـل : من مات بنفـخ الصور ... فـذاك غـير سـالم مـن بـور
فهل ترى هذا صحيحا ام لا؟ ... فقـال لا اعـرف هـذا عـدلا
وان من مـات على الحق فـما ... يهـلك عنـد الله قـال العـلما
في اول أو آخـر قـد مـاتـا ... فهـو سعيـد عندنـا قـد فـاتـا
وان من مـات عـلى الاصـرار ... مـات شقيا خـالـدا في النـار
وقـال لي : قـد فسـر الابـواب ... لا شـك فيـه انـه التـواب
وامـة المـختـار عـنهـا رافعـا ... نسيـانها ثم الخطأ قـد شـرعـا
وهكـذا ان حـدثـوا النفـوسـا ... فيـه فـع القـول تكن رئيسـا
وحكم مـا قـد اكـرهـوا عليـه ... كـما مضى فـاستمعـوا اليـه
عـن النبـي هـكـذا في الاثـر ... وجـدتـه وهـو صحيـح الخبـر

صلى عليه ربه ما حنا رعد وليل بالظلام جنا
قلت له : في رجل قد مدحا المسلمين او هجاء او قدحا
فقال لي : ان تاب عندي تجزي بالتوب مما قاله ويكتفي

وعن غيره :

الا كم مدع لله تائب وفيما يدعيه فهو كاذب
فان التائبين لهم طريق تدل على مواظبة الرغائب
وبغض للذي كانوا عليه وحب للذي لله واجب
وهجران الكرى حيث البرايا بهم مال الكرى والليل كاثب
تبيت قلوبهم فيها وجيب لخوفهم واعينهم سواكب

(مسألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : توبوا الى الله فاني اتوب الى الله كل يوم مائة مرة» ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : التوبة عبادة ، فان كانت من ذنب فهي واجبة ، ومن غير ذنب وسيلة بذل وخضوع وخشوع ، واعتراف بانه لم يزل مقصرا في حق الله ـ تعالى ـ وفي الحقيقة ان المرء لم يزل مقصرا في حقه ـ تعالى ـ ؛ لانه لم يزل متشاغلا عن ذكره .



البـاب الثـالث

في عامل الحسنات والسيئات ، وهل يثيبه الله اذا تاب ، ويرد عليه عمله ؟

ومن تأليف ابي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ، ذكر جابر بن النعمان ـ رحمه الله ـ لعله فقال : اختلف المسلمون من اهل صحار في الذي يعمل الحسنات ، والسيئات ، فقال قائلون منهم : انها تحصى عليه حتى يموت ، ثم ينظر في حسناته وسيئاته ايهما اكثر جزي به .

وقال آخرون : اذا عمل حسنة ثم عمل سيئة محت السيئة الحسنة .

قال جابر : فخرجنا من صحار الى سمائل ، فسألت هاشم بن غيلان ـ رحمه الله ـ عن ذلك ، فقال : كفوا عن هذا ، فقد وقع هذا بصحار ، وكتبوا الينا فلم نجبهم ، وعند هذا ومثله تقع الفرقة ؛ وبالله التوفيق .

قال غيره ولعله ابو نبهان : وهذا كأنه هو الاصح لما في ظاهر الحديث والقرآن من دليل على انه كذلك ، والاول اقرب الى ما في رأي من يقول بالميزان ، ولو صح لهلك من مات على الايمان من قبل ان يأتي من الاحسان مقدار ما كان في زمانه من كثرة عصيانه ، لأن الواحدة من حسناته في مقابلة عشر من سيئاته ، ولجاز ان يسلم من يموت على كفره بعد ايمانه ، ما لم يرجح على ما تقدمه من احسانه ، والواحدة من سيء اعماله في موازنه مثلها من صالح افعاله ، وهذا كأنه في غاية البعد ، فكيف يجوز بأن يصح الا وانه لا

ظهر ما في هذا ان التوبة تمحو ما قبلها من سوء اعمال ، والاصرار على شيء من المعاصي يحبط ما تقدمه من عمل صالح على حال ؛ والله اعلم ، فينظر في ذلك .

(مسألة) : قال بشير : عن الفضل ابن الحواري ـ رحمه الله ـ جرت مسألة عند ابي عبدالله في الفاسق يعمل الحسنات في وقت فسقه ، ثم يتوب ، هل يثيبه الله عليها اذا تاب ؟ قال نعم ، قال بشير : واما المشرك فلا ؛ وقال : ان المشركين لا يكتب لهم ، قال غيره وقد قيل : انه يثاب على ذلك ويبدل الله سيئاته حسنات ، ولا يضيع الحسنات .

رجــع

(مسألة) : ومن نوى ان يعمل كبيرة ثم مات ، ولم يتب عن تلك النية ، ولم يكن عملها لكان هالكا ، وقد قال المسلمون : الايمان قول ، وعمل ، ونية ، وذلك معي مثل رجل نوى ان يقتل فلانا ، ناو يشرب خمرا مما اعد الله على فعله النار ، فان مات على نيته تلك مات هالكا ، قال غيره : وقد قيل العزم على الطاعة طاعة ، والعزم على المعصية ليست بمعصية حتى يعملها ، واما قوله : الايمان قول ، وعمل ، ونية ، والكفر قول ، وعمل ، ونية ، هو اعتقاد الايمان بالتصديق ، واعتقاد الكفر بالتكذيب ، والعمل على ذلك على القصد .

(مسألة) : قلت : فمن عمل من الحسنات في حال اصراره هل تقبل منه ؟ قال : لا ؛ وانما يتقبل الله من المتقين .

قلت : عمل من الحسنات ، ثم عمل بالمعصية أتثبت له ام تحبط ؟ قال : المعصية تحبط العمل ، يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿لئن اشركت ليحبطن عملك﴾ ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون﴾ .

قلت : فما الذنوب التي لا يقبل معها عمل ؟ فقال : ارتكاب الكبائر واصرار على الصغائر لا يقبل معها عمل لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿انما يتقبل الله من المتقين﴾ ، وقال النبي ﷺ : «هلك المصرون» .

قلت : فما الكبائر ؟ قال : الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الارحام ، والفرار من الزحف ، واكل الربا واكل اموال اليتامى ظلما ، واكل اموال الناس بالباطل ، وانتهاك الحدود ، وارتكاب المحارم ، وقذف المحصنات ، والزنا وشرب الخمر على العمد ، وكل ما اوجب الله عليه حدا في الدنيا ، وعذابا في الآخرة فهو من الكبائر .

قلت : فالهدي ؟ قال : هدي البيان بين لهم قوله : ﴿واما ثمود فهديناهم﴾ ، ان نبين ومن الهدى ؛ هدى السعادة قوله ـ تعالى ـ ﴿اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ .

والغفران هو التغطية والستر على الذنوب ، كما سمى مغفر الحديد اي يستر كذلك المغفرة للذنوب ، والستر عليها .

(مسألة) : ومعي ؛ انه اختلف في المنافق والمشرك ، فقال من قال : لعله لا يكتب لهم حسنات مما احسنوا في حال النفاق والشرك ، وقال من قال ، يكتب للجميع ، وقال من قال : يكتب للمنافق ، ولا يكتب لأهل الشرك .

(مسألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : قال الله ـ عز وجل ـ اذا تاب عبدي انسيت جوارحه عمله وانسيت البقاع وانسيت حفظته حتى لا يشهدوا عليه يوم القيامة ، قال غيره ولعله ابو نبهان : وفي هذا ما دل على رحمته وجوده وكرمه ومغفرته لمن رجع اليه فعمل بما دله عليه والله اعلم ، فينظر في ذلك .

رجع : روي عن النبي ﷺ «لا تمحو السيء بالسيء ولكن امحوا

السيء بالحسنة فان الخبيث لا يمحو الخبيث» ، قال غيره ولعله ابو نبهان : ولا شك في التوبة انها هي التي بها يمحو ما يكون من السيئات فتطهرها ، حتى لا يبقى اثرها ومن المحال ان يصح لمن رامه بغيرها في حال ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجع : وقال ﷺ : ما اقبح السيئات بعد الحسنات واحسن الحسنات بعد السيئات» ، قال غيره : صحيح وان كان الذنب في نفسه لا شك فيه انه قبيح فانه من بعد الايمان اقبح ، لانه معنى في الاساءة يدل من الاحسان ، والله اعلم فينظر في ذلك . ومن غيره : وفي رواية «اتق الله حيثما كانت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : يعني ؛ اتبع الذنب مبادرا له بالتوبة النصوح ، ولا تقف مصرا عليه ليس المراد كما قال اهل خلافنا ؛ انك اذا اذنبت اعمل عوضه حسنة من غير توبة تمحو بدليل قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن﴾ ، (الآية) .

رجـــع

(مسـألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد الزاملي ، وسألته عن المؤمن اذا جرت منه معصية فتاب الى الله منها ، هل يرد عليه عمله الماضي الصالح ام لا ؟ قال : نعم ؛ يرد عليه عمله الصالح اذا تاب الا ان يشرك بالله ، والله اعلم .

(مسـألة) : وعنه في التائب من المعاصي توبة صدق يحاسب ويذكر يوم القيامة بما تاب منه من المعاصي ام لا ؟

الجـواب ؛ على ما سمعته من الاثر ان الله ـ تعالى ـ اذا قبل توبة عبده

انسى الحفظة ذنوبه ومحاها عنه من كتابه ، وانسى جوارحه ان تشهد عليه ، وبالله التوفيق ؛ فقال الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي في جوابها في ذلك اختلاف قيل : لا بد وان ينظر افعاله ليعلم ما نجاه الله من عقابها بسبب توبته منها اليه ، ولكن لا تكشف مع غيره ، لان كشفها من الفضائح له وتعالى الله ان يفضح اولياءه بذلك .

وقيل : لا يذكر له ؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ومعي انه اذا ذكر له عيوبه ولو لم يكشف للخلق ، فهو من اكبر الفضائح له ؛ لأن ذكر عيوبه هنالك من اشد الامور عليه مع الله ـ تعالى ـ ، ولكن في نفسي ان الله يجعل له عقلا يحفظ جميع ما فعله بنفسه ، ويعلم ان الله عفى عنه حتى من ان يذكرها له فيعلم عظيم فضل الله بذلك ايضا له من حيث لم يذكر له شيئا من ذلك ؛ لأنه موقف يذكر فيه المرء جميع ما عمله من خير او شر ، والله تعالى بعباده المؤمنين رؤوف رحيم .

(**مسألة**) : من الاثر واذا كان العبد يعمل السيئات والحسنات التي فعلها خلال السيئات وارادها الله ـ تعالى ـ عليه ام يحسب له الا ما عمل من حسنة بعد التوبة ، قال قد عرفت ان السيئة تبطل الحسنة وتحبطها ، فاذا تاب وعمل صالحا رد الله عليه حسناته ، قلت : قال الله ـ تعالى ـ : **﴿الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾** ، اهي في وحشي قاتل حمزة بن عبدالمطلب ـ رحمه الله تعالى ـ خاصة ولا يستحق هذا الاسم سواه من تاب وعمل صالحا ، ام هي مطلقة عامة لمن أتى بهذه الشريطة من كل مؤمن ومؤمنة ؟ قال : الذي عرفت انها في كل من عمل مثل عمل وحشي ، وهي في جميع الناس الا قول من قال : ان قاتل المؤمن والداعي الى ضلالة اذا اجيب اليها فلا توبة لهما ، وبالله التوفيق .

(**مسألة**) : سئل الفضل بن الحواري عن المصر اذا تاب هل يثبت له ما

عمل من الحسنات في حال الاصرار ؟ فقال : سألت عن ذلك سعيد بن محرز فقال : نظرت انا وابو عبدالله في الذي يعمل الحسنات ثم يكفر ثم يتوب فافترقنا واجتمعنا على القول بان لا يضيع له ذلك عند الله ، قيل للفضل فما عمل في حال اصراره من الحسنات ؟ فقال انما يتقبل الله من المتقين ، وقال : الله اعلم ، وقال محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ : اذا تاب رد الله عليه صالح عمله ؛ والله اعلم .

(مسألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد الزاملي وفي قوله ـ عز وجل ـ : **﴿من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها﴾** ما معنى هذه الآية ؟

الجواب ؛ اما معنى تضعيف الحسنات فهو مثل ان ينفق درهما او يصلي صلاة فيضاعف له الدرهم بعشرة ، والصلاة بعشر صلوات ، وما شاء الله من الاضعاف ، يعني ، واما السيئة فلا تضاعف وهي بعينها ، والله اعلم .

الباب الرابع

فيمن فعل فعلا او قال قولا لا يعرفه يجوز ام لا ، هل التوبة على الشريطة ؟

عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، ومن فعل فعلا ، وقال قولا لا يعرفه يجوز ام لا ، اتجزيه التوبة منه على الشريطة ان كان لا يجوز فهو تائب منه ام لا ؟

الجـواب ؛ ليس له الدخول فيما لا يعلم من فعل ، او قول ، اومعنى ، وان فعل فوافق ما يسعه فلا شيء عليه اذا كانت نيته على ما تسع ، الا انه قد قال من قال : ان عليه التوبة لدخوله لما لا يعلم لا لموافقته المباح .

وقال من قال : لا توبة عليه ، وان وافق ما لا يسع فلا يسعه فهو كافر ، وعليه التوبة ، والخروج لما دخل فيه ، وان لم يعرف ما دخل فيه ، فيعجبني له السؤال على ما دخل فيه ليبين له خطؤه من صوابه حتى يكون علي يقين من امر دينه ، وان قال : استغفر الله من جميع ذنوبي ، او من جميع ما خالفت فيه الحق ، او من جميع ما خالفت فيه رضى الله ـ تعالى ـ ؛ ايجزيه ذلك على هذا المعنى ، ام يتوب منه بعينه قطعا او شريطة ، ولا يجزيه هذا عرفني يرحمك الله ؟

الجـواب ؛ اما اذا تاب من مخالفة الحق ، او من جميع ذنوبه انه يجزيه ، الا ان يكون مستحلا ، فعليه التوبة منه على التوقيف .

وكذلك السامع له من اوليائه أيكتفي بذلك في جميع الاشياء ام حتى يتوب منه قطعا ، عرف السامع ان ذلك لا يجوز او لم يعرف ، ام يكتفي في شيء دون شيء فسر لي سيدي كل معنى من ذلك رضيك الله ووفقك بطاعته ؟

الجـواب ؛ اذا عرف السامع خطأه وباطله ، فلا يجتزي منه السامع بهذه التوبة واذا لم يعرف خطأه هذا ، فله ان يحسن به الظن ، ويحمله على حسن الحال .

(مسـألة) : ومنه ؛ ومن اذنب ذنبا ظاهرا عند الناس ، واراد التوبة منه فقال : استغفر الله من جميع ذنوبي ، او من ذنبي الفلاني ، ولم يقل وتائب اليه ، او قال : تائب الى الله من ذلك ، ولم يقل ، واستغفر الله ايكفيه احد ذلك دون الآخر عند الله وعند السامع له ام لا ؟

الجـواب : اذا استغفر الله من جميع ذنوبه من ذنبه الذي سماه ؛ اجزاه ذلك ؛ لأن الاستغفار باللسان ، والتوبة بالقلب واحب الي ان يظهرهما جميعا .

واذا لم يتب عند من اطلع عليه وتاب سريرة من ذنبه العلانية ، ايكون سالما عند الله ام لا ؟ .

الجـواب ؛ في ذلك اختلاف والله اعلم .

(مسـألة) : عن الشيخ ناصر بن خميس العقري ؛ ومن اذنب ذنبا فقال : استغفر الله من ذنبي هذا ، ولم يقل : وتائب اليه ، او قال : تائب اليه من ذنبي هذا ، ولم يقل : استغفر الله ، ايجزيه ذلك فيما بينه وبين الله ، وعند من سمع منه ذلك ، ويجزي من اطلع على ذنبه بذلك ام لا ؟ الجواب ، وبالله التوفيق ؛ كلا الوجهين توبة اذا تاب واستغفر منه بعينه ان كان مستحلا في قول

من قال بذلك ، وفي الجملة ان كان محرما ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ ومن اطلع على مكفرة من وليه ، فكتب اليه وليه بخط يده انه تائب الى الله - تعالى - من تلك المكفرة ، وعرف خطه هل يجزي ذلك ويرجع عنده في حال الولاية ، كما كان قبل ان يطلع منه ، على ذلك ام لا ؟

الجواب ؛ وبالله التوفيق ؛ قال بعض فقهاء المسلمين : انه يجزيه ذلك ، وقال بعضهم انه لا يجزيه حتى يتوب منه ، او يشهد معه شاهدا عدل ؛ والله اعلم .

(مسألة) : عن الشيخ الصبحي ؛ ومن اطلع على مكفرة من وليه ، وكتب اليه بخط انه تائب الى الله من ذلك بلفظ تام ، وعرف وليه خطه ، ايكتفي بذلك ويرجع الى حالته الاولى ، كان حامل الكتاب ، ثقة كان قريبا او بعيدا عنه ، لكنه تناله الحجة .

الجواب ؛ وبالله التوفيق ؛ كتابه حجة له في قبول التوبة منه على بعض القول ، وقيل : حتى يصح بعدلين او بخبره ، وان ضاق عن الولاية تولاه بالشريطة ، والتائب اذا قال : استغفر الله من كذا وكذا ، او قال : تائب الى الله من كذا وكذا يجزيه وسامعه ذلك ، ويكفي احد هاتين اللفظتين عن الاخرى ام لا ؟ **الجواب** ؛ يجتزى في ذنوب السريرة ، وعليه التوبة والاستغفار من ذنوب العلانية .

(مسألة) : ومنه ؛ وارى النساخ بعد الفراغ يستغفرون الله من الزيادة والنقصان ، والغلط والنسيان ، يجوز والاستغفار والتوبة من الغلط والنسيان ، وهو مرفوع عن الامة ام لا ، وان كان له معنى بينه لي يرحمك الله ؟

الجواب ؛ ان الاستغفار من الذنوب واجب ومن افعال الخطأ ، وخطأ

المعفو عنه افضل ما لم يلزمه نفسه ، والخطأ خطآن : عمد وغفلة ، ولعل استغفارهم من العمد وشبهه ، او من الغفلة احتياطا ؛ لأن معناه الستر فكأنه سأل ربه الستر ، وان كان معناه ، اللهم لا اخطىء واخطأ فليس في هذا استغفار .

(مسألة) : ومنه ؛ وما تفسير ما قيل فيمن خرج من بيته بغير نية انها كبيرة ، اذلك ولو كان خروجه لمعنى من المعاني في نفسه انه خارج اليه ، الا انه لم يقيد ذلك بنية منه يلفظ بها بلسانه ، او يؤكدها بقلبه ، الا انه لو سأله سائل الى اين ذاهب لقال الى كذا وكذا ، عرفني - سيدي - تفسير ذلك ، وعرفني النية اللازم اعتقادها في ذلك ؟

الجواب ؛ اذا خرج من نيته لا يقصد مكانا ، ولا يطلب شيئا ، هذا الذي لا يفعله المؤمن ، واما من خرج في قضاء حاجة او طلب شيء ولو لم يظهر ذلك بلسانه ، فهذا غير خارج بلا نية ، ونية المؤمن في قلبه .

وما اعراب (ذاهب) المقدم ذكره ؟

الجواب ؛ الرفع منون ، والنصب منون على الحال .

(مسألة) : ومنه ؛ ومن نطق بما يشرك به في ظاهر الامر عند قوم ؛ هل من شرط توبته ان يجهر بها كجهره بما اشرك به ، ام يكفي بقدر ما يكون عنده انه يسمعه جميع من حضره ؟

الجواب ؛ يسمعهم توبته او بقدر ما يسمع مثلهم ، وقال الشيخ ناصر بن خميس في جوابها : انه من شرط ذلك ، وذلك من قول الرسول .

رجع : الى جواب الصبحي ؛ وان جهر بذلك بصوت عال رفيع وهو وحده ، ولم يعلم انه سمعه احد من المكلفين ، أعليه ان يجهر بالتوبة مثل

جهره ، فان كان سمعه احد من حيث لا يدري هو يسمع توبته ايضا ام ليس عليه ذلك ؟

الجـواب ؛ لا يلزمه الاعلام باللسان ، الا ان يعلم ان احدا رآه اوعلم منه بالبيان ؛ وقال ناصر بن خميس في جوابها : اذا لم يعلم أنه علم بخطأ احد من المكلفين ، فليس عليه اظهار التوبة الا مع من علم بخطئه فهذا فيما يبين لنا ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : من كتاب (بيان الشرع) ؛ ومن لفظ لفظة فاشكلت على من سمعها منه ، وهي صواب عنده ، فسأله السامع ان يتوب منها فلا يجوز له ان يتوب من حق يعتقده الا أن يعتقد فيقول : ان كان خطأ فانا استغفر الله منه فيسعه ذلك ، ولكن لا يجوز للسامع ان يقبل منه هذا اذا كان يدين به اذا علم انه خطأ ، وان لم يعلم انه اخطأ فله ان يحسن به الظن ، ويجزيه هذا القول ، وما تكلم به المتكلم مما يعتقده دينا فله ان يقول : اني استغفر الله منه ان كان خطأ اذا كان انما قاله برأيه .

(مسـألة) : وسألته عمن يتوب فقال : استغفر الله من كل ما دنت بشيء من الباطل ، ومن جميع ما خالفت فيه الحق ، ايجزيه ذلك اذا كان قد دان بشيء من الباطل ، او تولى عدوا او عادا وليا ؟ قال يجزيه ذلك اذا كان تدينه من جهة خطأ او قذف ؛ وقال من قال : لا يجزيه في هذا ، وان كان تدينه بشيء من البدع والضلال ، فذلك لا يجزيه حتى يتوب من ضلالته تلك بعينها ، الا ان يكون قد نسيه ، وقد تاب من جميع ذلك ، فان ذلك يجزيه فيما بينه وبين الله .

(مسـألة) : عن ابي الحسن محمد بن الحسن ، فيما عندي في الرجل يريد ان يستتيب وليه من امر قد لزمته التوبة من الصغائر او من الكبائر ، فتكون مخاطبتها على ذلك الذنب فيقول له : استغفر ربك من كذا وكذا ،

فيقول الآخر : استغفر الله ؛ فقال : ان ذلك جواب لكلامه ويجزيه ذلك عن تفسير الذنب ، ويرجع الى ولايته .

قلت له : فان قال له : استغفر الله ربك من كذا وكذا ، مما قد لزمته منه التوبة عن المسلمين ، فسكت ولم يقل شيئا ، ولعله استغفر ربه في نفسه ، هل يكون حكمه كحكم المصرين ويبرأ منه ؟ قال : نعم ، اذا استتابه ولم يسمع منه التوبة برىء منه حتى يسمع منه التوبة .

قلت له : فهل عليه يراجعه من بعد ذلك ؟ قال : اذا استتابه فلم يتب لم يكن عليه ان يراجعه ، وان راجعه فحسن الا انه لا يلزمه ذلك كما لزمه ان يستتيبه اول مرة وهو يبرأ حتى يرجع اليه هو فيتوب من ذلك ، وقال : قال ابو معاوية : او يوجد عن ابي معاوية ـ رحمه الله ـ انه قال : اذا علم الرجل من وليه ذنبا فسمعه من بعد ذلك ، يقول : انا استغفر الله من كل ذنب ، فان ذلك يجزيه ويرجع الى ولايته ؛ لأن كل الذنوب داخلة في ذلك ، وذلك مما كان يعلم انه يدين بتحريمه ، فاذا علم ان وليه ممن يدين بتحريم ما يأتي من الذنوب وانما يكون ذلك زلات وعثرات ، فاذا سمعه يقول : استغفر الله من كل ذنب ، كان ذلك على قول ابي معاوية ، واما اذا علم منه انه يدين باستحلال ما يأتي من الذنوب والمكفرات والسيئات ، فلا يجزيه ذلك حتى يعلم منه التوبة من ذلك ، والرجعة عن الدينونة بخلاف المسلمين في ذلك ، ثم لا يجزي عليه ، ولا شيء من بعد ذلك ان كان من اهل ذلك .

(**مسألة**) : عن الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي ؛ والذي يوجد عن القوم من وجود الهواتف مثل ما قيل عن بعضهم انه قال : سمعت هاتفا يقول : قد قبلت توبتك ؟

الجواب ؛ ان كرامات الله لمن يشاء من اوليائه عظيمة ، فلا يمكن معها

انكار مثل هذا ، وفي الحقيقة نحن نعلم بغير هاتف انه يقبل منا التوبة ؛ وان تبنا من شيء ونحن نعلم صدقنا في ذلك الحين نعلم ان الله قابلها منا ، ولكن لا يدل بالهاتف على انه ولي حقيقة ، وانه في الجنة ؛ لأن المرء قد تغير بعد التوبة ايضا فالذي جاءه الهاتف ، والذي لم يأته سوى في ذلك ؛ والله اعلم .



الباب الخامس

في تفسير قول النبي ﷺ : «رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما حدثوا به انفسهم وما اكرهوا عليه»

من كتاب (بيان الشرع) ؛ قال : والذي رفع الينا عن النبي ﷺ انه قال : «عفي لامتي الخطأ والنسيان وما حدثوا به انفسهم وما اكرهوا عليه» ؛ وفي كتاب (الاحاديث) «وضع عن امتي» ، وتفسير ذلك ؛ ان من اخطأ فزل لسانه فتكلم بشيء من الكفر ، لم يكن عليه اثم ، وقد ذكر لنا أن رجلا اراد ان يقول : اللهم اسكني الجنة ؛ فقال : اللهم اسكنني النار ؛ فاشتد ذلك عليه ، فقال له النبي ﷺ : «لا بأس عليك لك ما نويت» .

وأما من اخطأ فقتل فعليه الدية والكفارة ، كما قال الله في القتل ، وليس بمأخوذ كما يؤخذ المتعمد ، واما قوله ﷺ «وما اكرهوا عليه» ، فقد كان المشركون يكرهون عمار بن ياسر على الشرك ، فلم يكن عليه اثم بالتكلم بالشرك ، وقلبه مطمئن بالايمان ، وكذلك قال المسلمون : انه لا اثم على المؤمن اذا اكره على الكلام بالشرك ، او بخلع المسلمين ، او بتكذيب النبيين اذا كان مصدقا .

واما اذا اكره على الزنا والقتل وشرب الخمر ، فليس له ان يفعل ذلك ولا يعذر به ، وقد ذكر لنا ان عبيد بن زياد اكره رجلا من المسلمين حتى قتل رجلا ، ثم تاب وندم فاشتدت ندامته ، فهجره المسلمون وجفوه وطرحوه ، فكان يلقي نفسه عليهم فلم يقبلوه ، ولم يستقيدوه ، فبلغنا ان قارئا قرأ آية فيها

ذكر النار ففاضت نفسه ، فقال ابو عبيدة فيما ذكر لنا : اني ارجو له النجاة ، وذلك مما رأى من حرصه وتوبته ؛ والله اعلم .

واما النسيان ؛ فمن نسي شيئا من حقوق الله ، فلا اثم عليه فإن ذكر فليؤده ، مثل من نسي صلاة ثم لم يذكر حتى مات فلا اثم عليه ، وان ذكرها فليؤدها ، فهذا واشباهه من الفرائض الواجبة ومن غيره .

وقال الشيخ ناصر بن ابي نبهان في تفسير الرواية : اما ما اكرهوا عليه بالقول فيما بينه وبين الله ، فالحديث يتوجه اليه ، وأما ما يضر به غيره في نفسه فلا يجوز ، وحرام اجماعا ، وما بين ذلك ففيه اختلاف ، مثل ان يضيع مال مسلم ، فان خاف القتل فقد اجيز له على نية الخلاص منه ، وان لم يخف القتل بل الحبس فليس له .

رجـــع

(مسـألة) : وجاء الاثر عن النبي ﷺ انه قال : «عفى لامتي الخطأ والنسيان وما حدثوا به انفسهم وما اكرهوا عليه» ، وجاء الاثر في تأويل ذلك ؛ ان النسيان هو أن ينسى العبد شيئا من فرائض الله التي اوجب الله عليه فعلها في الوقت الذي اوجب الله فعلها فيه ، فهو سالم لنسيانه ذلك في جميع الفرائض من صلاة أو زكاة ، او غير ذلك ، فلو ان رجلا نسي صلاته في وقتها ، ثم لم يذكرها حتى انقضى وقتها ، ثم ذكرها كان سالما من الاثم في اجماع الامة ، غير انه مأمور بادائها وبدلها ، ولو انه نسيها الى ان يموت كان سالما عند الله في دينه ، وكذلك لو نسي شيئا من الزكاة كان سالما على هذا ، ولو نسي حتى اكل في شهر رمضان نهارا ؛ فهو سالم من الاثم بلا اختلاف بين احد من الفقهاء ، واما البدل اذا ذكر ذلك في حينه او من بعد ذلك ، فقال من قال : عليه بدل يومه ، وقال من قال : لا بدل عليه .

وكذلك لو تولى عدو الله او برىء من ولي لله ، وافتى في مسألة بغير

وجهها ، فخالف فيها الكتاب والسنة ، فجعل ذلك في حين ارتكابه له ، ولو لم يكن في ذلك متدينا في ذلك الخطأ ، وانما هو مجتهد في اصابة الحق على سبيل الحق ، فهو هالك بخطئه ولا عذر له من جهالته ، فان تاب الى الله من جميع ذنوبه وهو عالم بذلك الذي ارتكبه ، ولو كان على حد الجهالة فيما يلزمه فيه ، فلا عذر له في ذلك ؛ لأنه لا تكون التوبة مع العلم بالذنب مجزية ، الا ان يتاب منه بعينه ، ولكن لو نسي ذلك الذنب ، وكان مما يدين بتحريمه الا انه اخطأ بجهالته ، ثم تاب في الجملة وهو ناس للذنب بعينه ، كان هذا مرفوعا عنه من نسيانه ، ولو انه ارتكب الذنب على انه لا يتوب منه ، واصر عليه ثم نسي ذلك الاصرار ، وذلك الذنب ، ثم تاب في الجملة ، فقد اختلف في هذه المسألة .

قال مَن قال : انه تجزيه التوبة في الجملة ؛ لأن الاصرار ان كان مانعا عن التوبة ومجاورة الله ؛ فانه ذنب ايضا ، والله يغفر الذنوب جميعا ، والنسيان يأتي على جميع ذلك .

قال من قال : لا تجزيه التوبة في هذا في الجملة ؛لأنه نسي وهو على عزيمة الايباء عن التوبة والاقامة على الذنب ، فلحق باحكام المستحلين لا تجزيهم توبتهم في الجملة ، لانهم يتقربون الى الله بمعاصيه ، ويتوبون الى الله من طاعته ، فكلما ارادوا من التقرب الى الله بالمعصية اجتهادا ازدادوا من الله قصوا وابعادا ، فهذا فيما كانت فيه الحقوق لله ، اما اذا كانت الحقوق للمخلوقين ، فلو نسي حتى اكل مال رجل ، او ضربه ، او قتله ، او طلق امرأته ، اوعتق عبده ، وما كان من هذه الاشياء ؛ فهو متعبد بادائها الى اهلها في وقت علمه بذلك ، وذكره بذلك ، فان نسي ايضا ذلك ، وكان على وجه التحريم فتاب في الجملة ، وادان بجميع اداء ما يلزمه علم ذلك ، او لم يعلمه كان ذلك مجزيا له في جملة التوبة ، فهذا اصل هذا ، ويأتي على جميع ما كان من مثل هذا من صغائر الذنوب وكبائرها ، اذا كان على وجه التحريم ، والله

اعلم بالصواب ، فهذا في النسيان .

واما الخطأ الذي مرفوع عن المسلمين ـ رحمهم الله ـ فتفسير ذلك ؛ انه يريد الحق فيخطيء بغيره ، وكذلك يريد ان يقول : لا اله الا الله فيقول : ان الله (ثالث ثلاثة) أو يريد ان يقول أن المسلمين من اهل الجنة ، فيقول انهم من اهل النار ، او يريد أن يقول لزوجته : هي امرأته ، هي بارة ، فيقول : انها (طالق) ، وكذلك عبده ، فكل هذا مرفوع الخطأ فيه ، وغير متعبد به في الخطأ ، ولا اثم به عليه ، الا انه مأمور ان يظهر التوبة ان ظهر ذلك على الناس مما يكفر به في ظاهر الامر عند المسلمين ، واما فيما بينه وبين الله ، فلا اثم عليه ، ولا طلاق على زوجته ، ولا عتاق فان حاكماه اوجب ان يستسلم لحكم الحق اذا صح لفظه ذلك مع حكام اهل العدل ، وحكموا عليه بالعدل ، فليس له ان يخالف الحق الظاهر عليه عدله ؛ لأن الحكم فيه لغيره .

وجاء الاثر مما يحقق هذا مما يروى عن النبي ﷺ ان رجلا كان يدعو فقال في دعائه : اللهم ادخلني النار ، فاشتد ذلك على الرجل ، قيل : ورأى ذلك النبي ﷺ في وجهه فقال له النبي ﷺ : «لا بأس عليك ما نويت» ، وهذا يتسع فيه القول وهذا من القول ، واما لو اخطأ فقتل رجلا أو اتلف عليه مالا ، او جرحه بسبيل الخطأ لم يكن ذلك مرفوعا عنه ما تعبده الله به من احكام الخطأ من الكفارات في قتل الخطأ وتسليم ما لزمه من ضمان الاصول في حال القدرة عليها ، كان ذلك لازما في احكام العدل ، واما في مواقعة الخطأ في مثل هذا فلا يكون آثما في الوقت بمواقعة الخطأ ، ولو كانَ ذلك في قتل نفس فما فوقها ، وانما يكفر بتضييعه ما لزمه من احكام الخطأ عند قدرته على ذلك .

وأما ما أكرهوا عليه فقد جاء الأثر بتفسير قول النبي ﷺ فيما أكرهوا عليه ، وقال ذلك في القول دون الفعل ، وهو أن يكره حتى يتولى أهل الضلال ، أو يصوبهم أو يبرأ من المسلمين ، أو يخطئهم ، أو يحل حراما ، أو

يحرم حلالا ، أو يشرك بالله ، فكل هذا قد جاء فيه الأثر المجتمع عليه انه مرفوع عن المكره عليه اذا توسع في ذلك برخصة الله ـ تبارك وتعالى ـ ، وقلبه مطمئن بالايمان ، كاره لما أكره عليه ، واما اذا أكره على شيء من الأفعال بمعصية الله ، من اتلاف مال ، أو قتل نفس ، أو ارتكاب محرم من زنا ، أو شرب خمر ، فقال من قال في الخمر : بالوقوف عن كفره ، واما كل ما يجوز عند الضرورة مما أحله الله للمضطر ، فقد قال بعض المسلمين : انه غير آثم في مواقعته على الجبر ؛ لأن الجبر من حال الضرورة اذا كانت التقية في هذا الموضع على النفس ، وكذلك الخمر ، فقد قال بعض المسلمين : انه لا يجوز عند الضرورة أن يشرب ؛ لأنه لا عوض فيه من الجوع .

وقال بعض : انه ان كان فيه عوض ويرجو فيه حياة النفس فلذلك وقف عنه عند الجبر على شربه ، وأما في كل ما لا يجوز في الضرورة ، فهو آثم بمواقعته ولو كان على حد الجبر بالاجماع من المسلمين في ذلك انه محجور عليه ذلك ، وانه لا يسعه ارتكابه على حال ، فإن ارتكبه فهو آثم ضامن ، ظالم لما أتلف مما ارتكب من ذلك مما فيه الضمان ، فهو متعبد بأدائه الى أهله اذا قدر على ذلك ، وما ارتكبه في ذلك من الحدود التي تلزمه في الاسلام على الجبر والاختلاف في اقامتها عليه .

فقال من قال : عليه الحد فيما ارتكب من جميع ذلك ولا عذر له فيه .

وقال من قال : انه آثم ويدرأ عنه الحد بالشبهة لموضع الجبر ، وأما ان كان فيه قود فقد قال من قال : عليه القود ، وقال من قال : عليه الدية والكفارة ، ولا قود عليه ، وذلك على قول من يقول : ان القود حد ، وانه لا تجوز فيه الشهادة عن الشهادة ، وانه لا تجوز فيه شهادة قومنا على المسلمين ، والقول الأول الذي يرى عليه صاحب القول الأول بقول انه حق من حقوق العباد ، وهو متعبد به ، وتجوز فيها الشهادة عن الشهادة ، وتجوز

فيه شهادة قومنا على المسلمين ، ويقاد المسلم بشهادة قومنا ، ويكون على ولايته .

وأما ما حدثوا به أنفسهم قالوا : هذا هو الخاطر الذي يخطر بالقلب من غير تحقيق منه للخاطر ، ولا اعتقاد منه لذلك ، وانما يلم به ذلك فيحدث به نفسه بشيء من المكفرات ، أو شيء من عظيمات الكفر في أمر التوحيد ، وفي صفة الله ـ عز وجل ـ ، أو غير ذلك ، وكل ما حدثته به نفسه من ذلك ، وألم بقلبه منه ، فهو في محنة يعارض بها وهو محض الايمان فيها قيل ، فما لم يحقق ذلك ويعتقده ، ويرضى بذلك ولا ينكره ، فهو سالم ، ولا يكون الحديث أكثر من السماع والرواية للكفر والمعاصي ، فإذا أنكر ذلك الذي رآه وسمعه ، تعبد به على ما تعبد فيه فهو سالم اذا وافق اعتقاد السلامة ، والله الموفق للصواب .

وخاطر القلب متعبد به الانسان كما متعبد بسمعه وبصره ، وشاهد ذلك من كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ : **﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾** ، فهو مسئول عما اعتقد بقلبه ، مثاب على ما اعتقد بقلبه ، وقد صح شاهد ذلك من كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ فيمن قال بقلبه ، وأسر في نفسه ، ولم يتلفظ به لسانه ، فقال ـ تعالى ـ : **﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾** ، وقد كان هاهنا قول في النفس بغير حركة باللسان ، أوجب الله عليه العذاب ، فقال : **﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾** .

وجاء الأثر المجتمع عليه من قول أهل المعرفة من المسلمين ، ولعل ذلك يروى عن النبي ﷺ : «الايمان قول وعمل ونية وموافقة السنة» ، فلا يكون الايمان الا بأربع ، والكفر قول ، وعمل ، ونية ، ومخالفة السنة ، والايمان متقدم بأحد الأربع ، والله أعلم بالصواب .

(مسـألة) : عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «الهوى مغفور لصاحبه ما لم

يعمل به أو يتكلم» ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : الهوى صحيح انه مغفور به ما منع نفسه عن باطله من فعل ، أو قول باطل ، ولا يريد بالتكلم به على العموم ؛ لأنه اذا تكلم به بكلام ليس فيه باطل يهلك به ، فلا بأس به ، ولا يتوجه اليه الحديث .

(مسـألة) : ومن جامع أبي محمد ؛ الدليل على أن المعصية لا تكون الا من قاصد اليها ، قول الله ـ جل ذكره ـ : ﴿**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**﴾ .



البــاب الســادس

في توبة المستحل

من تقييد أبي محمد ، عن أبي مالك - رحمه الله - ، وسألت عمّن أخذ مالا ، وسفك دما حراما ، وهو يدين بجوازه ، ويرى أن الله - تبارك وتعالى - تعبده بما فعل من ذلك ، وهو امام أو غير امام ما حاله ، وقد كانت له ولاية متقدمة عند المسلمين ؟ قال : يبرأ منه على ذلك ، وكذلك يوجد عن أبي عبيدة - رحمه الله - ، قال : وان أصابه بتأويل وهو يرضى بحكم كتاب الله ، وسنة نبيه محمد ﷺ ، فهو على ولايته .

قلت : فما الفرق بين الراكب للذنب اذا كان مستحلا له أو محرما لما فعل ؟ قال : المستحل قد ركب المحرم المحظور عليه علمه أو جهله ، وادعى مع ذلك على الله - تبارك وتعالى - انه أباحه اياه ، وتعبده به ، فقد أعظم الفرية على ربه ، والمحرم قد أصاب ذنبه وهو معترف لربه بخطئه ، وهو مؤمل التوبة منه ، ويسأل ربه المعونة والمغفرة على توبته وتوفيقه لذلك .

قلت له : فما الدليل على العلم بالمستحل من المحرم ؟ قال : الفرق بينهما ، والعلم بذلك أن المستحل يضلل من خالفه في فعله ويخطئه ، والمحرم لا يخطىء من خطأه ، ولا يصوب فعل نفسه .

(مسألة) : ومن منثورة أبي الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ ؛ وعن رجل ارتكب ذنوبا منها ما هو مستحل ، ومنها ما هو محرم ، وتوانى عن التوبة ، ما يكون حاله ، ويكون الخلاص له من ذلك ؟ قال : تارك التوبة يرجى له الهلاك والخلاص ، انما ينفع بعد التوبة ، فإذا تاب وتخلص من كل حق يعلمه ، وما لا يعلمه اعتقد ، ودان لله بالخلاص من كل تبعة ، وحق عليه لأحد من خلقه مع اعتقاده ان ما علم خرج منه الى أربابه أجزاه ذلك ، وليس عليه علم الغيب الا أن يكون عليه حقوق يعلمها ، وقد نسي أربابها فدان لله بالخلاص منها على ما أمر به المسلمون بفعل ما أوجبه الحق من ذلك مع الاجتهاد في هذه الحقوق ، والندم والتوبة ، والله أعلم .

(مسألة) : ومن غيرها ؛ وعن رجل علم من ولي له كبيرة من الكبائر مستحلا لها ، أو محرما لها ، وبرىء منه على ذلك ، ثم سمعه يستغفر الله من جميع ذنوبه ويتوب ، هل يرجع الى ولايته وتسقط عنه البراءة ؟ فالله أعلم .

ومن غيره قال : أما اذا كان مستحلا لذلك يدين به فلا تنفعه التوبة في الجملة في الحكم ، حتى يتوب من ذلك بعينه ، ولا يرجع الى ولايته الا على ذلك ، وأما ان كان محرما لذلك ، فقد قال من قال : ان ذلك ينفعه في الجملة ، ويرجع الى الولاية ، وقال من قال : حتى يتوب من ذلك بعينه .

(مسألة) : وذكر أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ اشتهرت توبتها ، فانها كانت تظهر توبتها الى من أتاها ، حتى صارت توبتها شهرة ، وقد نادى المسلمون بتوبتها .

(مسألة) : قال محمد بن محبوب : ان علي بن أبي طالب كانت له توبة لو تاب ، وتجزيه توبته بالاستغفار بلا قود ؛ لأنه أتى ما أتى باستحلال منه له ، ولو تاب كما تابت عائشة قبل منه كما قبل منها ، ثم قال : وقال بعض الخوارج : انه قد تاب وهم البيهشية ؛ والله أعلم .

(مسـألة) : عن الشيخ ابن عبيدان ؛ وفي نسخة عبدالله بن محمد بن غسان ـ رحمه الله ـ ، وفيمن دخل في أشياء لا يعرف حلالها من حرامها ، وربما دخل في شيء لم يجز له الدخول فيه ، أو فعل فعلا لم يجز له فعله ، مثل من طلق زوجته ، أو جامعها في الحيض ، أو أخذ شيئا من أموال الناس ظلما وعدوانا ، ومضت سنون على ذلك ، وأشكل على ذلك الرجل أمره ، وحار فكره ، ولم يعلم انه فعل شيئا مما وصفت ، ولو علم لتخلص ورجع عن ركوب ذلك الشيء ، وتاب في الجملة ، أتجزيه التوبة ويكون معذورا بنسيانه ذلك أم لا ؟

الجـواب ؛ فالذي عرفنا من قول الشيخ أبي سعيد ـ رحمه الله ـ ان كان وقت فعله مستحلا لما عمل من المعاصي ، فانه لا تجزيه التوبة في الجملة ، الا أن يتوب منه بعينه ، واما اذا نسيه وتاب وهو في وقت فعله مستحل له الى أن نسيه ، وتاب في الجملة ، وهو في نيته انه لو علم به لتاب منه بعينه ، فبعض قال : يجزيه ، وبعض قال : لا يجزيه ؛ وقولنا : انه لا يجزيه حتى يتوب منه بعينه .

قال الشيخ العالم عامر بن علي العبادي فمعي ؛ وفيما يتوجه لي من عدل القول في هذا المستحل لما حرمه الله في دينه المرتكب له ، وأراد التوبة مما كان قد ركبه بالاستحلال ، وتأويل الضلال ، وندم على ما قدم من المعاصي ، وتاب من ما قدر عليه ، وعلى ذكره بقلبه ولسانه ، وقد بقي عليه شيء مما ركبه على ذلك قد غاب عنه علمه ، ولم يقطع على احضاره في قلبه ، وان لو ذكره لتاب منه بعينه ، الا انه لما نسيه ولم يقدر عليه ، وتاب منه في جملة ما استحله من حرام الله ورسوله والمسلمين من اهل الاستقامة في الدين ، ودان لله ـ تبارك وتعالى ـ باداء جميع ما يلزمه من دينه ودين رسوله ، ودين اهل الاستقامة من الامة ؛ فيعجبني ان هذا يأتي على جميع ما ارتكبه ، وغاب عنه ذكره ، والله ـ جل وعلا ـ ارأف واكرم من ان يؤاخذ عباده على ما يقدرون

عليه من قول او عمل او ذكر ما عز اداؤه ، وعندي ؛ انه تجزيه التوبة منه على ذلك حتى يذكره فيتوب منه بعينه .

واذا مات بعد ما تاب من قبل ذكره لما غاب عنه ؛ فيعجبني القول فيه بسلامته من الهلكة ، مهما علم الله منه صدق النية ، والله اعلم فينظر فيه ، ويعمل بعدله والحمد لله وحده .

رجـع : وان كان محرما وهو غير مصر ، وسوف نفسه بالتوبة حتى نسيه وتاب في الجملة ، فانه يجزيه ، ولا نعلم في هذا الفصل اختلافا ، وان كان محرما وهو مصر ، ويفعل كل ما ذكرت ويقول : لا اتوب منه ثم اراد التوبة وقد نسي ما فعل ، وعنده لو ذكر شيئا لتاب منه ، ودان لله بما لزمه من دماء واموال ، وحقوق لله او لعباده ، وانه متى علم شيئا من ذلك اداه الى اهله ، ففيه اختلاف .

قول : لا توبة له حتى يتوب منه بعينه ، لان اصله على الاصرار ، فلا يخرج منه الا بالتوبة منه بعينه .

وقول : اذا رجع عن ذلك ، وتاب منه في الجملة ، ودان لله بالخلاص مما يلزمه من حقوق الله وحقوق عباده ، وانه لو علم شيئا منه لخرج منه ببرآن ، او اداء او قود ، او استحلال ، او غير ذلك فتوبته مقبولة اذا علم الله ـ تعالى ـ منه صدق نيته ، ولم يمنعه من التخلص الا النسيان ، وهذا القول عندي اصوب والى الحق اقرب .

واما اذا تاب وعنده امرأة قد طلقها ، ويطأها بالحرام الى ان مات ، فهو عندنا هالك ، ولا تنفعه التوبة من شيء مقيم عليه اذ التوبة الرجوع عن الذنب ، وهذا كيف يكون تائبا وهو عاكف على الذنب ، وهذا ما لا يسع جهله .

قال الشيخ صالح بن سعيد ـ رحمه الله ـ في الذي طلق زوجته ، ولم يزل يجامعها بعد الطلاق الى ان مات ؛ فان كان ذاكرا للفعل الذي يطلق منه زوجته الا انه جاهل به ، ومات على ذلك ، وهو قادر على من يعبر له الحق في ذلك ، فعلى هذا يكون هالكا اذا مات على ما لا يسعه في دين الله من زوجته على هذه الصفة ، وان كان نسي الذي وقع به الطلاق منه على زوجته ، ولم يذكره حتى يسأل عنه ، وكان دائنا لله بترك جميع ما لزمه تركه في دين خالقه ، ومات على ذلك لم يكن هالكا ؛ لأن النبي ﷺ قال : «عفي عن امتي الخطأ والنسيان وما حدثوا به انفسهم وما اكرهوا عليه» ؛ والله اعلم .

(**مسألة**) : عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، ومن ضيع شيئا من الفرائض بتأويل منه ، ايكون حكمه كالمتعمد ، ام الجاهل ام الناسي ؟ قال : اما في لزوم الكفارة فاشبه به الجاهل ، وكذلك في سقوط الاثم ، وهذا اذا خرج على غير الاستحلال .

(**مسألة**) : ومنه ؛ والذي يفعل الشيء بدينونة ثم تبين له خطؤه ؛ ايسقط عنه الضمان على كل حال ، كان عالما بصيرا أو ضعيفا ، ام لا يسقط عن الضعيف وذلك خاص سقوطه عن العالم المميز ؟ وكذلك العامل لبعض الائمة اذا كان ضعيفا يتأول ؛ ان هذا امام ثابت الامامة ، واجب الطاعة ، ثم يتبين له من بعد ضد ذلك ، أهذا بمنزلة الدائن ويسقط عنه الضمان ام لا ؟ واذا لم يبن له خطأ ما يدخل فيه ، وشك فيه ، فدان لله بما يلزمه في ذلك ، واعتقد جميع ما يجب عليه في ذلك ؛ ايكفيه ذلك ويسلم عند الله ولو مات على ذلك من غير ان يبين له صواب ما دخل فيه ولا خطؤه ، اذا كان هذا اعتقاده فيه ام لا ؟ تركت بقية السؤال .

الجـواب : والله الموفق للصواب ؛ اما الدائن بخلاف دين المسلمين ، ثم يتبين له خطؤه ، فاذا تأول الكتاب بالكتاب ، او الكتاب بالسنة

والاجماع ، او الاجماع بالكتاب او السنة ، او الاجماع ، فيخطىء تأويله الصواب ؛ فقال من قال : لا ضمان عليه ، يقول الله : **﴿قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾** ، وانما عليه الاستغفار والتوبة من الاثم .

وقال من قال : بالضمان في ذلك ، ولا اعلم ان من دان بشيء مخالف انه يسقط عنه الضمان بلا حجة ولا برهان ، وحفظت من الاثر ان من دان بطاعة احد من الائمة ، وفعل له ما يفعل للائمة الصادقين فاخطأ سبيل الحق في ذلك ، ففي لزوم الضمان عليه اختلاف .

واما اذا لم يبن له خطأ ما دخل فيه فاعتراه الشك ، فالشك ليس من امر الدين ، ويدين بما يلزمه من جميع حقوق الله وحقوق عباده ، وان شاء الله يسلم بذلك ، والله اعلم ، والسلام عليك ورحمة الله ، من العبد الضرير سعيد بن بشير الصبحي .

(مسألة) : من الاثر ؛ والمستحل الذي اسقطوا عنه ضمان ما اخطأ الحق في إتلافه من الأموال ، والدماء ، وما اشبه ذلك في استحلاله في اكثر قولهم ، ولم يروا عليه اذا لم يرد شيئا من التنزيل غير التوبة بالتوقيف ، وهو ان يقر بتحريم ما استحله من الحرام في دين الله ، او بتحليل ما حرمه من الحلال في دين الله ويتوب منه بعينه هو المتأول اصلا من دين الله باصل من دين الله .

والاصول هي كل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، او في اجماع اهل العدل من المسلمين ، انه حلال او حرام ، فاذا ركب الراكب حراما بالدين متأولا فيه اصلا حلالا بالدين من الكتاب او السنة ، او الاجماع ، فاتلف في ذلك مالا او نفسا ، او ما اشبه ذلك ، ثم عرف خطأه فتاب الى الله ـ تعالى ـ ، واقر بحرمته ، ورجع الى قول المسلمين فيه انه لا ضمان عليه في ذلك ، قال الشيخ ابو الحسن ـ رحمه الله ـ : وليس من تأول حلت له الاموال الا من وجه نرى انه مطيع لله في فعل ذلك كفعل عائشة ثم يبصر خطأه ، فقد

قيل : انه يسقط عنه الضمان ، وضمنه آخرون ، وقد عرفت رأيه في حجة من اسقط عنه الضمان قول الله ـ تعالى ـ ﴿**قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين**﴾ ، ثم ما وجدنا عليه الاجماع من اسقاط النبي ﷺ الضمان عن اهل الكتاب من اليهود والنصارى ، حيث لم يوجب عليهم ما احدثوه في حال المحاربة ، ولا قبلها في حال الشرك من الدماء والاموال ، فاسقاط الضمان عنهم يدل على سقوط الضمان عن الفاعل المستحل ، وارجو اني وجدت ان المسقطين الضمان عن الدائن المستحل انما قاسوه على ذلك ؛ لأن حكم المختلف فيه مردود الى المتفق عليه ، والله اعلم .

رجـع : ووجدت في الآثار ؛ ان الامستحل الساقط عنه الضمان هو من تأول الكتاب بالكتاب ، او تأول الكتاب بالسنة ، او تأول السنة بالكتاب ، او تأول الكتاب بالاجماع ، او تأول الاجماع بالاجماع ، فيخالف في تأويله دين الله ، ودين رسوله ، ودين المسلمين ، واما من تأول الرأي ، أو تأويل الكتاب بالرأي ، او تأول السنة أو الاجماع بـالرأي ، لم يكن حكم هذا كمن تأول الكتاب بالكتاب ، او السنة ، او الاجماع ، فيخطيء الحق في تأويله ؛ والله اعلم .

قال غيره : وجدت في اثار المسلمين ان المستحل الذي اسقطوا عنه الضمان ، هو الذي يحدث حدثا في الدين من تحليل او تحريم ، ويستحل ذلك في دينه ، وعلامة استحلاله ان يبرأ ممن حرم حدثه ذلك ، او يدعي انما احله من ذلك حلال من الله أو حرام من الله ، في غير استثناء منه ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : ومن قاتل المسلمين في دينونة فلا قصاص عليه ، ومن تاب قبلت توبته ، ومن وجد بيده شيء بعينه فهو لاهله ، وما ذهب فلا عزم عليه فيه ، ولا سبيل على ما بقي من اصل ماله ، وورثته اولى به اذا لم يتأول ذلك على سبيل الجهالة ، وان باعه وبقي الثمن ، رده بعينه ، وفيما ضيعه من

فرائض الله ارخص ، فانه قيل : لا بدل عليه ولا كفارة مع اجتهاده وديانته وتكفيه التوبة ، كالصلاة والزكاة ونحوهما .

واما الضمان على العامل المحرم المعمول له ، وان لزمه حد او حق ، فامتنع به ، وحارب ، فلا يسقط ذلك عنه ، وانما يسقط ما كان مثل فعل عائشة يوم الجمل لانها ترى انها مصيبة في نفسها ، ولعل بعضا قال : بلزوم الضمان عليها ، وانما الواجب ان لا يردوا التوبة ، وكذلك تجزي التوبة فيمن اكل من السلطان الذي يدين بحياته ويستحلها .

(مسـألة) : واما الجماعة من اهل الحق اذا تأولوا الاثر ، وظنوا مع العجز انهم قادرون ، لم تكن احكامهم كالمتأولين اصلا باصل ، لأن الجماعة القادرين مختلف فيهم ؛ قول : لهم ما للامام من الاحكام ، والحدود ، والجمعة ، والزكاة والمحاربات ، وقول : ليس لهم ذلك ، لقوله ـ عليه السلام ـ «الحدود والجمعة والزكاة للامام» ، والحجة لقول الاول : انهم هم الاصل والحجة ، ولا يجوز التأويل على اصل مختلف فيه .

وقيل : ان الجماعة من اهل الحق والنحلة ، لا يسعهم قبض الصدقة ليأخذوها بالجبر ، وان عليهم ردها ، ولو قاموا بالعدل طاقتهم ، واجتهدوا مع القوة والبسطة ، ويؤخذ من المحاربين المحرمين اذا تابوا من جميع ما جبوا مع عزم ما احدثوا ، واتلفوا وامتنعوا به ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : ومن جواب الشيخ ابي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ، وسئل عمن نشأ في جهل بعد بلوغه الحلم ، فترك الصلاة والصوم والزكاة بعد قيام الحجة عليه بها ، مستحلا لذلك بجهله ، او محرما ، ولبث على ذلك ما شاء الله ثم انتبه من غفلته فتاب الى الله ، واراد الخلاص ما يلزمه فيما تركه من ذلك بالعمد ، قال : ففي اكثر ما قيل ؛ ان عليه بدل ما اضاعه من الصلاة والصوم مع الكفارة ، واخراج ما لم يؤده من الزكاة في موضع الانتهاك لما دان

بتحريمه ، فان المستحل لا شيء عليه من بعد المتاب الى ربه .

وقيل في المحرم ؛ ان التوبة تجزيه عن القضاء لما كان من حق الله ، ولا شك ان هذه الفرائض من ذلك .

قلت له : فان اخذ بهذا القول فعمل به ؛ ايكون سالما عند الله أو هالكا اذا اصلح لله عمله فيما استقبله من عمره ، حتى مات على ما به من الصلاح في دينه ؟ قال : لا ادري ؛ ما عند الله في مثل هذا ، فأقطع به ، فاما هو في ظاهر امره فقد اخذ بما جاز لمن ابصر عدله ان يعمل به ، او نزل الى ما له من التحري في الحال ، لموضع سلامته معه في المال ؛ فلم يجز ان يحكم عليه بغيرها من الهلاك ، لتعلقه بما يرجى له عنده من النجاة ان صدق لله في ذلك ، فاتاه من بابه على ما جاز له في حاله ، ولن يصح على صدقه الا ان يكون من جهته سالما في ماله ، والله اعلم ؛ فينظر في ذلك .

وقال في موضع آخر فيمن بلغ الحلم في عقله فترك ما لزمه من الصلاة او الزكاة او الصوم مستحلا بجهله او محرما ، ثم تاب الى الله من فعله : ان عليه بدل ما ضيع من الصلاة والصوم مع الكفارة جزاء لما ضيع ، والقول في الزكاة كذلك في عزمها ؛ وعلى قول آخر فيجوز ان صلح في الحال ونوى ان لا يعود الى مثله في الاستقبال ؛ ان لا يكون عليه من بعد التوبة بدل لما مضى من هذا كله ، غير ان الاول اكثر ما جاء به في المنتهك لما دان بتحريمه ، فاما المستحل فليس عليه من بعد التوبة شيء من ذلك .

قلت له : فان هو اخذ بالقول الآخر فعمل به ؛ أتراه سالما وان لم يبدل صلاة ولا صوما ضيعهما بالعمد ، ولا زكاة اكلها محرما لما فعل من هذا فضيعه ، علم او جهل او ما يكون حاله عند ربه ؟ قال : الله اعلم بحاله وما يكون عليه عنده في ماله ؛ وانا ؛ لا ادريه ، فاقول جزما على ما كان عليه من امره فيما اضاعه من هذا عدوانا وظلما في علمه او جهله ، واما هو ؛ فقد عمل

بقول لا وهن فيه ، والله يرجى له من فضله لمن اخذ برأي جاز له في حاله ان يعمل به في نفسه او ماله ، ان لا يؤاخذه بعقاب على ذلك .

(مسألة) : ومن جواب ابي عبدالله محمد بن روح ـ رحمه الله ـ واعلم انه لا يتعاظم ذنب عند الله على صدق توبة من اهله منه الى الله ولا يصغر ذنب عند الله على اصرار اهله عليه ، وامتناعهم عن الدينونة بالحق فيه اصرارا وادبارا ، ولو كان مثقال ذرة ، ولو ان رجلا بلي من القتل بما لا يحصى ذكره من النفس التي حرم الله قتلها ، ثم علم الله منه صدق النية والتوبة من ذلك ، وعلم منه صدق الدينونة بالانصاف من نفسه في جميع ذلك ثم مات قبل ان يؤدي شيئا من ذلك على صدق هذه النية ، وصدق التوبة اليه من كل معصية ، لكان هذا وليا للمسلمين يدينون لله بولايته ، ومن دان المسلمون بولايته على امر ، فهو سالم لما في ذلك الامر من الهلكة في الآخرة ان شاء الله .

وقد بلغنا عن ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة ـ رحمه الله ـ أنه قال : قوم اصابوا دماء واموالا ثم قال بعضهم لبعض : انا اصبنا دماء واموالا ، وانما اصبناها برأي ولم نصبها بدين ، وديننا فيها دين المسلمين ، ثم قتلوا بعد هذا القول منهم من غير ان يعلم انهم ادوا من الحق الذي يلزمهم في تلك الدماء ، وتلك الاموال ، فقال : انهم في الولاية ، واذا عجز ها القاتل للنفوس ، والسالب للأموال عن اداء ذلك من قبل العدم والعسر ، والله يعلم منه صدق التوبة من جميع ذلك ، وصدق الدينونة بالانصاف من نفسه من جميع ما يلزمه من ذلك ، لم نره هالكا ، وقد قال الله ـ تعالى ـ في اكل الربا : **﴿وان كان ذوا عسرة فنظرة الى ميسرة﴾** ، فقد عذرهم الله في الدنيا من قبل العسرة ، ومن عذره الله في الدنيا رجونا ان يعذره الله في الآخرة ان شاء الله ، واكلة الربا مستحقون الهلكة ، كما مستحق من سفك الدماء بغير حق ، قال الله ـ عز وجل ـ : **﴿ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا﴾** .

وجاء الخبر عن النبي ﷺ انه قال : «التائب عن الذنب كمن لا ذنب له» فيجب علينا وعلى جميع الناس ممن كانت منه المعاصي وغيرها ان لا ييأس من رحمة الله ، وينبغي لهذا المبتلي بهذه الدماء ، وهذه الاموال ، ان يعلم الله منه صدق التوبة بصدق الندم ، وصدق النية ، ان لا يعود الى معصية وصدق الدينونة منه بالانصاف من نفسه من جميع ما يلزمه في جميع ذلك ، بالغ ما بلغت اليه قدرته ، ووصلت اليه طاقته ؛ فانه ان مات على هذا مات ان شاء الله سعيدا .

(مسألة) : ومن غيره ؛ وليس كل من تأول حلت له الاموال الا من وجه يرى انه مطيع لله في فعل ذلك ، كفعل عائشة ، ثم يبصر خطأه ، فقد قيل : يسقط عنه الضمان وضمنه آخرون ، وحجة من اسقط عنه الضمان قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ ، ثم وجدنا الاجماع عليه من اسقاط النبي ﷺ عن اهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث لم يوجبوا عليهم جميع ما احدثوه في حال المحاربة ولا قبلها ، في حال الشرك من الدماء والاموال ، فالساقط الضمان عنهم يدل على سقوط الضمان عن الدائن المستحل ، ووجدت ان المسقطين الضمان عن الدائن المستحل انما قاسوه على ذلك ، لأن حكم المختلف فيه مردود الى المتفق عليه ؛ والله اعلم .

(مسألة : عن الشيخ ناصر بن ابي نبهان ، من كتاب عنه كبير ؛ واما المستحل فمع قومنا ، اهل المذاهب الاربعة ، مخلد في النار ، وذلك معهم هو المنكر لشيء مما انزل الله حكمه في كتابه ، او حكمت به السنة ، او الاجماع التام ، او قامت منه الحجة بمعرفته من العقل بخلاف الحق الذي دانوا به ، كالمنكر لفرض الصلاة ، او لفرض صوم شهر رمضان ، او الحج ، او المنكر لتحريم الخنزير ، والدم والميتة ، وكذلك مع الزيدية .

واما اذا لم ينكر ذلك بل يقر بالحق في ذلك ، ولكنه تارك للصلاة

والصوم ، ويركب المحرمات ؛ فليس هو بمستحل ، ولو خالف الحق فيها تأويل ضلال يبيح له ترك الواجب ، او ارتكاب المحرم ، مع اقراره به ؛ فهو فاسق ليس بمستحل .

واما مع اصحابنا ؛ فقيل : اذا انكر الصلاة ، او الصوم ، او الحج فهو مشرك ، وقيل : لا يكون مشركا حتى يقرأ عليه آية من القرآن فيها ذكر ذلك ، ثم ينكر ، فهو مشرك يقتل ان لم يتب ، واما اذا اقر بغرض ذلك ، ولكن قال : ليس كيفيتها على هذه الصفة في دين الله الذي تعبدنا به ، بل هي كذا وكذا ، او صلاها كما تأولها ، فهو مستحل ؛ لأنه يفعل ذلك ، ومعه انه هو الحلال فعله ، الواجب عليه في دين الله ، وخلافه باطل في كل ما خالف فيه شيئا من دين الله من احكام الاصول الخمسة على وجه لا يسعه ، ودان بذلك الا فيما تقوم الحجة بمعرفته من العقل ، مهما خطر بباله ذكر شيء منه دان بخلافه ، ولم يدن او شك فيه فهو هالك ، ومبتدع ، ومستحل ؛ لانه بفعله على انه هو الحلال فعله في دين الله الذي الزمه اياه وخلافه معه هو الباطل ، انكر الاصل فيه او لم ينكره ، وتابعه تابع مبتدع .

وجميع فرق اهل الضلال من اهل الاقرار ، مستحلون فيما خالفوا فيه الحق على وجه لا يسعهم ، ودانوا به فيما لا يهلكون الا بالدينونة فيه ، او بالخلاف من غير دينونة فيما قامت عليهم الحجة بالسماع بمعرفة الحق الذي لا يجوز خلافه ، مما تقوم الحجة بمعرفته الا بالسماع ، او فيما خالفوا في توحيد الله - تعالى - وفيما تقوم الحجة من العقل .

بيـان : واما المنتهك لما يدين بتحريمه ، فهو الذي يترك الواجب ، وفي دينه الحق انه واجب عليه ، ولا يسعه تركه في حينه ذلك ، او يرتكب حجره في دين الله انه حرام لا يسع ارتكابه وهو يدين بحرمة ذلك على الوجه الحق ، وفي هذا المعنى قال علي بن ابي طالب ، لا تقتلوا الخوارج من بعدي ، وفي معناهم

الذي يثبت في سيرتهم ، والمعنى ؛ الفرقة الاباضية على ما فسره ابن ابي الحديد كما بلغنا عنه ؛ فانهم طلبوا الحق فاخطأوه اي كان اجتهادهم في عقولهم انه هو دين الله الذي الزمهم اياه ، فهم مستحلون خلاف علي بن ابي طالب ؛ وقالوا : ليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه ؛ يعني ؛ معاوية وعمرو بن العاص ، انهم يعرفان الحق وعملهما بخلاف الحق عن معرفة ؛ لانهما على خلاف الحق ، فهما مرتكبان لما يدينان بتحريمه ، منتهكان حرمة دين الله ـ تعالى ـ ، واما الخوارج فبعد علي لا يجوز قتالهم في حكمه ، اذ لا تلزمهم طاعة امام بعد علي ، لأن معاوية ليس بامام ، وحكم علي فيما فعله في التحكيم في الخوارج مستحل في حكم الظاهر ، انه طلب الحق فاخطأه والله اعلم بباطله انه عرف الحق فخالفه بما دعته نفسه الى ذلك .

(مسألة) : والفرق مع اصحابنا ، بين احكام المستحل ، وبين احكام المنتهك لما يدين بتحريمه ، ان المستحل جميع ما يفعله باستحلاله من قتل نفوس على غير الحق ، وما يفعله من الجراحات في الابدان ، واتلاف اموال الناس على غير الحق باستحلاله ، معاقب عليه في الآخرة ان مات غير تائب ، ولكنه ان تاب فلا قود عليه فيما قتل باستحلاله بغير الحق ، ولا ارش عليه فيما جرح الناس كذلك ، ولا فيما اتلف من اموالهم ، كالمشرك اذا اسلم ؛ ليس عليه شيء من فعله لذلك ، ولكن جاء الاختلاف فيما بقي في يده من اموال الناس بعينه ، فقيل : عليه رده وقيل : لا رد عليه ، واما في احكامه فيما بقي من ميراث مثلا ولده ، او احد وارثه مذهبه بخلاف مذهبه ، بل على مذهب الحق ، او على مذهب باطل ، بخلاف مذهبه من اهل الاسلام ، فتجري عليه احكام الاسلام ؛ لانه معنا لم يصر مشركا ، كذلك مع اهل المذاهب الاربعة ، ومعهم لا يسمى مشركا ايضا وانما يسمونه كافرا ، مع انهم لا يطلقون اسم الكافر الا للمشرك ، والمستحل الذي في مذهبهم انه مستحل ، فافهم ذلك .

واما المنتهك لما يدين بتحريمه فعليه القود لما قتل من الناس ظلما ، والدية خطأ ، والارش لما جرح من الناس بالباطل ، والضمان لما اتلف من اموال الناس بالباطل .

بيـان : وكل اهل مذهب من فرق الاسلام محكوم عليه في حكم الظاهر باحكام اهل مذهبه الذي تمذهب به ، اذا فعل شيئا حتى يصح منه قبل الفعل انه دان بجواز ذلك ، وخالف اهل مذهبه الذي تمذهب به ، فاعرف ذلك .

(مسـألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «اذا اسلم العبد فحسن اسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان اسلفها وكان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها الا ان يتجاوز الله عنها» ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : الحديث يدل على فضل الاسلام انه يعفي به عن جميع ما فعله في حال شركه من قتل وكسب مال ، وفعل شرك ، وفيما بقي في يده بعينه اختلاف ، هل عليه رده ان عرف ربه ام لا ؟ وقول الاكثر ، لا .

كذلك ؛ المستحل من فساق المؤمنين اذا تاب ورجع الى الحق .

تـوبة (بسم الله الرحمن الرحيم) ؛ انا استغفر الله ، وتائب اليه توبة نصوحا من جميع ذنوبي كلها ، قليلها وكثيرها ، صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها ، سرها وجهرها ، ما علمت منها وما لم اعلم منها ، مذ يوم احتلمت الى ساعة فراغي من كلامي هذا ، مما عملت جوارحي او تكلمته بلساني ، او اعتقدته بقلبي ، او بطشت به يداي ، او سعت اليه قدماي ، او نظرته عيناي ، او سمعته اذناي ، او رضيت به ، او ساعدت فيه ، كان ذلك مني على العمد او الخطأ ، او النسيان ، او الاستحلال او التحريم ، او التدين او التأويل ، صغير ذلك وكبيره ، علانية ذلك وسريرته ، ودائن لله ـ تعالى ـ باداء جميع ما لزمني لله ـ تعالى ـ ولعباده المخلوقين من الفرائض والحقوق ، ومعتقد الا ارجع الى ذنب ابدا ، وان عملت ذنبا بعد هذه التوبة فهو داخل

فيها ، والله ـ تعالى شاهد علي بها ، وكفى بالله شهيدا ، وان دين محمد ﷺ دين المسلمين الأولياء المذكورين ، هو ديني ومذهبي ، عليه احيا وعليه اموت ، وعليه القى الله رب العالمين غداً اتولى من تولاه الله ، ورسوله ، والمسلمون ، وابرأ ممن بريء منه الله ورسوله والمسلمون ، ودائن بالسؤال عن جميع ما يلزمني السؤال في ديني ، توبة الامام راشد بن علي عن القاضي ابي علي الحسن بن احمد بن نصر الهجاري .

انا استغفر الله وتائب اليه من جميع ذنوبي كلها ، قليلها وكثيرها ، صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها ، ما علمت منها وما لم اعلم منها ، كان ذلك مني على العلم او الجهل ، او الخطأ او النسيان ، او التدين او الاستحلال او التحريم ، كنت متأولا فيه دائنا ومما ارتكبته ، او امرت به مما عملته جوارحي ، او تكلمته بلساني ، او اعتقدته بقلبي ، وتائب الى الله من السيرة التي سرتها بغير العدل ، ومن كل خطأ مني ، ومن الزام اهل النواحي الخروج منها ، ومن ترك النكير على نجاد بن موسى ، بعد علمي بالسيرة التي سارها مخالفة الحق والعدل ، ومن ولايتي له على ذلك ، وتوليتي اياه بعد علمي باحداثه وفعله ، ومن الجبايات التي امرت بها بغير الحق ، وانفقت في غير اهلها ومستحقها ، ومن العقوبات التي عاقبت بها بغير الحق ، او تعديت فيها بغير الواجب ، او امرت بذلك من فعله ، ومن اخلافي لكل وعد وعدته ولم اوف به ورجعت ، ومن كل عهد عاهدته ثم نقضته ، ومن تقصيري عن القيام بما يلزمني من الحق والعدل .

ودائن لله تعالى بما لزمني من الاحداث التي احدثتها في القرى على اهل القبلة ، من الخراب ، والحرق ، واخذ الاموال وعقر الدواب والاحداث في تجريتها ، وما جرى من العساكر التي اخرجتها ومن كل حرب حاربتها ، وسفكت الدماء فيها بامري ، وملزم نفسي ذلك ما لزمني من حق وضمان ودية وارش وغير ذلك .

فأنا دائن لله بالخروج منه ، والخلاص الى اهله ومستحق ، وقابل قول المسلمين ، وراجع الى قولهم ، وقابل نصيحتهم ، نادم عى ما سلف مني في تخويفي احدا من المسلمين او عقوبته بغير ما يلزمه ، ومعتقد الا ارجع الى ذنب ابدا ، وان عملت ذنبا بعد هذه التوبة ولم اتب منه ، فهو داخل في هذه التوبة ، وهذه التوبة لازمة الى الممات .

ومن كل تولية وال وليته ولم يكن لي ان اوليه وشهد الله وكفي بالله شهيدا ، ومن حضر من المسلمين .

وكانت هذه التوبة من الامام راشد بن علي بحضرة القاضي ابي عبدالله محمد بن عيسى ، والقاضي ابي علي الحسن بن احمد بن نصر الهجاري ، والشيخ ابي بكر احمد بن عمر بن ابي جابر ، واخيه ابي جابر ، ومحمد بن عمر بن ابي جابر ، وعلي بن داود ، وعبدالله بن ابي اسحاق المنقالي ، وغيرهم من المسلمين ، وكانت هذه الشهادة يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنين وسبعين واربعمائة .

فصل : جواب من القاضي ابي عبدالله محمد بن عيسى - رحمه الله - الى الامام راشد بن علي فيما سأله عن هذه التوبة ، وما رد عليه فيها سألت عن التوبة التي دعاك الجماعة اليها ، والكتاب الذي كتبوه لك فيها ، فاعلم اني نظرت في ذلك على قدر ضعفي ، وقلة بصيرتي ، فرأيت الكتاب يشتمل على معان كثيرة يطول بشرحها الكتاب ، غير اني اذكر لك من ذلك ما يسر الله ، وبالله التوفيق لذلك ، واما توبتك من السيرة التي سرتها بغير العدل ، مخالفة للحق ، فان كان ذلك قد جرى منك على الاستحلال والتصويب لنفسك ، فلا ارى هذه التوبة تكفيك ، ولا تصح لك ، ولا يقبلها المسلمون منك حتى تفسرها تفسيرا غيرها ، وتتوب منه بعينه على التفسير .

وان كان منك ذلك على التحريم والتعمد لمخالفة الحق عند فعلك ، مما

كان فيه تلف مال او نفس فعليك الضمان والخلاص من حقوق العباد في الاموال والانفس مع التوبة ، وان كان ذلك منك جهلا بحرمته ، وظنا منك انه واسع لك من غير تعمد للحرام ، ولا قصد لمخالفة الحق والاستحلال لذلك بديانة او تأويل ، فقد يوجد في مثل هذا انه يخرج مخرج التحريم ، وقد تقدم القول في المحرم وما يلزمه من الضمان في الاموال ، والانفس ، والخلاص من ذلك .

واما توبتك من الجبايات التي امرت بها ، وجبيت بغير الحق وانفقت في غير اهلها ومستحقها ، فالامر فيه على ما تقدم من الكلام في المحرم والمستحل فان كان ذلك على وجه الاستحلال ، لما حرم الله فلا اراك تكتفي بهذه التوبة ، ولا تصح لك حتى تفسر تفسيرا غير هذا ، او تتوب منه بعينه على التفسير ، وان كان منك على وجه التحريم ، فقد تقم الكلام في المحرم ، وعليك الخلاص من جميع ما اتلفته من الاموال والانفس ، وان كان ذلك على وجه العمى والظن ، انه واسع لك فقد تقدم القول في ذلك انه يخرج مخرج التحريم .

واما توبتك من العقوبات التي عاقبت بها بغير الحق ، فانها تجري مجرى ما تقدم القول به والجواب واحد .

واما توبتك من كل حرب حاربتها وسفكت الدماء فيها بامرك ، فان كنت حاربت حربا بعد حرب منها ما هو بالحق ، ومنها ما هو بالباطل ، فتبت من جميع ذلك ، فلا يجوز لك ان تتوب من الحق ، وعليك التوبة من توبتك من الحق ، وعليك التوبة ايضا من الحرب التي حاربتها بالباطل ، وان كان على الاستحلال ، فقد تقدم الكلام ايضا في المحرم ، وما يلزم في ذلك من الضمان في الاموال ولانفس ، وان كنت مخطئا في جميع محاربتك من اول الى آخر ، فقد اصبت في التوبة منها .

واما الضمان فهو على ما تقدم به من الكلام في المستحل والمحرم ، واما توبتك من ولايتك لصاحبك ، فان كنت علمت منه حالا تحرم به ولايته عليك ، وتوليته على اول وجه لا يجوز لك ان تتولاه عليه ، فقد اصبت في توبتك من ولايته ، وان كنت توليته من اول وجه تجوز لك ولايته عليه ، ولم تعلم منه حدثا مكفرا ، فقد اخطأت في توبتك من ولايته بغير حجة ، وعليك ان تتوب من توبتك من ولايته ، وان كان قد صح عندك عليه حدث مكفر بشهرة ، لا دافع لها او شهادة عدلين مع تفسير الحدث ، او شهادة عالمين بالحدث بتفسير او بغير تفسير ، او شاهدت انت منه حدثا مفكرا ، او اقر عندك بذلك ، وتوليته من بعد ، فقد اصبت في توبتك ممن توليته على هذا الوجه ، ولكن استتبه من ذلك فان تاب وكان مستحلا ، فقد قيل : انه يرجع الى حالته الاولى من الولاية ولا نعلم في ذلك اختلافا ، وان كان محرما ، ففي اكثر القول : انه يرجع الى ولايته .

وقيل قول آخر ولا ارى لك ان تهمل امره ، ولا ان تترك استتابته ، ولا الانكار عليه ، اذا قدرت على ذلك ، فان لم تفعله ولم تستتبه ، فاخاف ان تكون اتيت خلاف ما عليه اهل الحق والعدل من المسلمين .

واما توبتك من توليتك اياه بعد علمك في احداثه ، وفعله ؛ فان كنت علمت منه حدثا مكفرا ، ووليته على ذلك الرعية فجار عليهم في انفسهم واموالهم ، وانت محرم لذلك ، فاخاف عليك ضمان ذلك في احداثه من تلف شيء من اموال الناس وانفسهم ، فان كنت مستحلا لذلك فقد تقدم الكلام في المستحل والمحرم والجاهل ، ما فيه كفاية ان شاء الله .

واما قولك : وملزم نفسك ما لزمك للعباد من حق وضمان ، ودية وارش ، وانك دائن بالخلاص منه ، فهذا هو الصواب اذا صدقته بفعل ، وقيام في خلاص نفسك من حقوق الله وحقوق العباد ، واما القول وحده ، بلا

فعل ولا قيام ، ولا اجتهاد في خلاص ، فما النفع في ذلك ، وقد قيل : لا ينفع التكلم بالحق الا بالانفاذ ، وقول الله - تعالى - : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾ ، وان كنت محقا في هذه الفصول كلها ، والمعاني التي دعاك الجماعة الى التوبة منها ، ولم يكن معك خطأ في ذلك في الظاهر ، ولا في الباطن ، قبلت من الحق ليرضوا فلم يكن لهم ان يدعوك الى التوبة من الحق ، ولا لك ان تجيبهم الى ان تتوب من الحق ، فاذا فعلتم ذلك جميعا ، كان عليك وعليهم التوبة ، ولو ان الجماعة عند استتابتهم ، سلكوا بك مسلكا غير هذا المسلك الذي حملوك ، وحملوا انفسهم عليه ، ربما كان اسلم لك ولهم ، واخف واسهل عليك وعليهم ، ولولا مخافتي ان لا يسعني السكوت ولا التغافل عن جوابك فيما سألتني عنه ، لم اذكر لك شيئا من هذا ، ولكنك سألتني عما يلزمك في تلك التوبة ، فاستصعبت الامساك عن رد جوابك ، وقد ذكرت لك على قدر ضعفي وقلة بصيرتي ، فان كان حقا فهو من الله - تعالى - فخذ به ، وان كان فيه مخالفة للحق ، فلا تأخذ به وانا استغفر الله من كل ما خالفت فيه الحق والصواب ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما .

(مسألة) : ومن مسألة كبيرة للشيخ ابي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ، وما كان من ركوبه لشيء من هذه المظالم في نفس او مال ، على وجه البغي في استحلال ، ثم رجع فتاب الى الله - تعالى - من ذلك ، فليس عليه من وراء التوبة شيء يلزمه فيما اتلفه على حال ، كلا ؛ لا سبيل الى الزامه ، ولا مجاز لمرامه ، فقد ارتفع كون الاثم ، واندفع لزوم العزم ، في الواسع والحكم ، بما كاد ان يكون عليه الاتفاق من اهل العلم ، لولا دعوى من يزعم في هذا من براءته انه اكثر القول فيه بدعواه فدل فيها بإيماء من بعيد على موضع رأي ؛ وان هنالك مما يخالفه في ذلك ، الا انه في قلة ، ان صح ما

افاده لهذه العلة ، لما اورده فكان من الادلة على وجود الاختلاف بالرأي في نفي لزومه وثبوته ان صح له ما ادعاه ؛ لأن الاكثر لا بد وان يكون في مقابلة الاقل ، فكيف يصح وجود احدهما حال عدم الآخر ؟ فيجوز لأن يكون في شيء اكثر او اقل لا لشيء يقابله فيه حتى يصح كون الضدية لا لمقابلة في ذلك وليس كذلك ، فان صح لفظه ، فهنالك رأي آخر الا انه قل ذكره ، فخفي امره ، والا فلا معنى له ، الا وانا لم نجده في الآثار ، مصرحا به في شيء من الاخبار ، ولا عن احد من ذوي الابصار ، فنميل الى ثبوته رأيا في موضع جوازه ، بل الذي وجدنا فيه فعرفناه انه لا شيء عليه ، حتى قال الشيخ ابو سعيد ـ رحمه الله ـ في غير موضع من مؤلفاته : انه لا يعلم في ذلك اختلافا ، وفي السير والجوابات التي نعرفها ما يدل على انه كذلك لا غيره في ذلك ، وما بقي في يده لمن يعرفه فهو لربه ، فليدفع به اليه متى امكنه فقدر عليه ، وان لم يعرفه صار مجهولا فبقي في نفسه معلولا ، وقد مضى في حكمه بما يدل عليه قولا في موضع التحريم ، وكفى عن اعادته في هذا الموضع ، فانهما في لزوم الرد لما يبقى لعلى سواء فيما صح معه ربه ، وان لم يصح فكذلك في حكمه ، فان اتلفه من بعد المتاب الى الله ـ تعالى ـ من ظلمه لا على ما يجوز له ولا في دينونة بجوازه ، فهو المحرم في اثمه ولزوم عزمه .

وفي قول آخر مغربي ما يدل في الدائن على انه ليس عليه بعد التوبة من قبل ان يؤخذ على يديه شيء من المغارم ، ولا مؤداه لشيء من المظالم على حال في نفس ومال ، غير ان الاحرار لا بد له فيما في يديه منهم من ان ينبغي منه باطلاقه من قيد رباقه ؛ فانه لا سبيل له فيهم الى الملكة في احد منهم ، وعليه فيما باعه ان يسعى في فكه بما عز وهان ، على حسب ما يبلغ به من قدرته في الزمان ، فان عجز عن تأدية الاثمان اخرج ما يكون لفدائهم على هذا الحال من بيت المال ، لئلا يتركوا في الرق يوما لا يجوز ، وعسى في هذا الرأي ان لا يخرج من العدل في النظر ، وان قل ذكره في الاثر ، فان في القياس ما يدل على

ثبوته لجوازه في المشرك ان يكون له ما اسلم عليه ، وان قيل فيه بالرد لما في يديه ، فان هذا مما يسوغ في الرأي فيصح لأن يكون من مقتضى الديانة ، ان صح فيما اقر به من العلل الموجبة لجوازه ، وهذا كأنه على هذا من امثاله ، لوجود كون استحلاله ؛ لأن العلة هي ، فكيف يصح الفرق فيهما ، والعلة واحدة ، او يجوز ان يكون بغير مفرق بينهما ، وليس كذلك .

ولو قيل في تأدية الثمن في هذا الموضع من بعد ان خرج من يديه انه لا يلزمه ، لانه مما قد اتلفه فلا رد فيه لعموم القول بانه لا شيء في ذلك عليه ، لم ابعده من ان يصح في الرأي لمن رآه ، الا ان دعوى الاستحلال لا تقبل في الحكم على حال حتى يصح له بغيره ممن تقوم الحجة به ، والا فالتحريم اولى به في مثل هذا ، لئلا يندفع به عنه عزم ما يوجبه الحكم بدعواه لما به يدرأ عن نفسه فاعرفه ، فقد بقي لي ان اقول ، فيما اخذه في هذه الجباية من الخراجات على الرضى وطيب الأنفس ، بانه لا عزم عليه في ذلك ولا اثم ، الا ان يكون من الفاعل على قصد المعونة له على شيء من الباطل ، فالاثم فيه دون العزم ، الا وربما انه يكون على وجه الدفع لضره ، والكفاية لشره في هذا الموضع من الرضى ، ولا حرج فالاثم والضمان على من له المظلمة ، وعلى من اعانه عليها بالعمد ، لا على هذا ، فانه في هذا الموضع من الاعانة لمن اتقاه بذلك في حاله عن نفسه او ماله ، لا من المعونة له هو في حكمه على شيء في هذا من ظلمه ، ولكن لا رضى لمن لا يملك امره ، وعسى في حال وقوع الضرر فيه ، والمال ، ان يختلف في جواز فداء المال بما دونه نظرا فيما هو الاصلح له في الحال ، وعلى قول من اجازه في هذا الموضع فلا شيء على من فعله لجوازه له ، وان صح عليه فيما صح له .

وقيل : بلزومه في الحكم بالطلب في ذلك ممن له الحجة فيه ، لا فيما بينه وبين الله على هذا الرأي ، لا على رأي من لا يجيزه ، فانه لا بد له فيه من الضمان في المال ، لا في نفسه على حال ، فانه مما يجوز فلا يمنع ابدا من ان

يدفع عنه بماله ما قد وقع من الضرر ، فيرفع ان لم يقدر على انقاذه بدونه ، اذ لا يجوز ان يسلم الى الهلكة مع القدرة ، وفي المال ما يخرجه في الحال ، وان رخص في تركه على رأي من يذهب الى الخيار بين الدخول في ذلك ، وتركه في المسارعة الى فدائه بماله لاخراجه مما فيه اصح ، وبالجملة ؛ فليس كل من يكون آثما صار غارما فقد يكون الاثم بدون ما يلزم فيه العزم ، بدليل ان من دل بالعمد على الغير لمظلمة ، او رسم لاحد من الظلمة فغاب عن علمه انه اخذ برسمه او بما دل به ولم يصح معه ذلك لا ضمان عليه حتى يصح معه ، والا فهو السالم في حكمه من لزوم عزمه دون اثمه ، والله اعلم بالصواب في هذا وغيره ، فانظر في ذلك .

(مسألة) : وقال ابن عباس : كل ذنب ذكره الله ـ تعالى ـ في اول سورة النور مما نصه من اولها هو من كبائر الذنوب الى قوله : **﴿وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** ، وقال ابن مسعود كل ذنب ذكره الله ـ تعالى ـ في اول سورة النساء الى قوله : **﴿ويدخلكم مدخلا كريما﴾** ، فهو من الكبائر ، وفي الاصرار قوله ـ تعالى ـ : **﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا﴾** .

وذكر في غير المصر في قوله : **﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾** ، وقيل يسع جهل ضلالة المصر ما لم يعلم الحكم فيه حتى يعزم على ترك التوبة ، بتهاون واستخفاف بالعقوبة ، واستصغر التوبة ، وقيل : لا يسع جهل ضلالة المصر كان مستحلا لدينه او محرما ، ومن جهل كفره وضلاله فهو هالك ، وانما لا يسع جهل ضلالة من علم حرمة ما استحل من دين الله واستحلال ما حرم من دين الله ، والاصرار التعاون على الاثم والعدوان ، وما يهلك بها راكبها على العلم والجهل ، ولا صغيرة مع اصرار ، ولا كبيرة مع توبة واستغفار .

وان من اتى صغيرا من المعاصي على الخوف منه والرجية ، ولم يصر ؛

فهو في حال الطاعة ، وان كان على استخفاف وتهاون ، فقد واقع الكبير بنقضه الميثاق ، وكل ما عصى الله فيه من صغير وكبير فهو كبير ، وذلك ان يقيم على المعصية او يتوب من حينه ؛ لأنه لا يجوز ان يكون مقيما على شيء يسمى منتقلا عنه .

وقيل : من ركب الصغير وما دون الكبائر وكانت له ولاية فقيل : يحسن به الظن ، لأنه مأمون على حكم ما غاب من امره ، ويتولى حتى يعلم انه اصر ، وليس فيه استتابة حتى يعلم اصراره .

والمصر كافر حين ارتكب الصغيرة حتى يتوب ، وقيل : ليس بكافر ، وقيل : على حالته في الولاية الا ان يأبى التوبة ، وقيل : يوقف عليه حين مواقعته لها ، فان تاب رجع الى ولايته ، وان لم يتب برىء منه ، وقيل : ان كان قارفها ثم تاب ، ثم قارفها وقف عنه ، وقيل : يبرأ منه ، وقيل : يبرأ منه العالم به ، ويقف عنه الجاهل به ، وقيل : هما سواء ، وفي الكتاب والسنة والاجماع ان ما دون الكبائر فهو صغير .

(مسألة) : ومن غيره ؛ ومن تاب من ضمانات وتبعات ؛ قول : يرجع الى ولايته بالتوبة والحقوق بمنزلة الدين في ذمته ، مأمون عليها .

وقول : لا يتولى بالتوبة حتى يؤدي ذلك ، اويدين به ان كان معسرا او يعطي بلسانه .

وقول : ان تاب فهو على حال البراءة حتى يعصي .

ويعجبني الولاية له اذا تاب وكان معسرا والوقوف عنه اذا كان معه ، ولم يؤده وان كانت التبعة .

من قتل نفس متعمدا ؛ قول : يرجع الى ولايته بالتوبة ، وقول :

يوقف عنه حتى يؤدي ، فاذا ادى تولى ؛ وقول : لا يتولى حتى يؤدي ما لزمه ، والا فهو على البراءة منه .

وكذلك الوقوع في المحجورات من المحرمات بالتعمد ، ومن كمال الدين في القلب ان يعلم ان الله يقبل التوبة عن عباده لقوله تعالى : ﴿**الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده**﴾ ؛ والله اعلم .

ومن غيره ؛ وعليك ان تعلم انه يعلم سرك وجهرك لقوله ـ تعالى ـ : ﴿**ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم**﴾ ، وقال : ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ ، وقال : ﴿**ويعلم ما تكتمون**﴾ ، وعليك ان تعلم انه يغفر لك جميع وزرك اذا علم منك الصدق انك تائب اليه لقوله ـ تعالى ـ : ﴿**اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى**﴾ ، وقال : ﴿**ان الله لا يخلف الميعاد**﴾ ؛ والله اعلم .

الباب السابع

في توبة من دعا احدا الى ضلالة

عن افلح بن عبدالوهاب المغربي ، وفي توبة المبتدع اذا اضل ببدعته خلقا كثيرا فمات بعض من اضل ، وغاب بعض ، وحارب المسلمين على ذلك ، وقتل خلقا كثيرا ، ثم يرجع الرجل تائبا ؛ أيقبل المسلمون توبته مثل خلف ، ومن اخذ باخذه ، او رجع عما هو فيه ؟

الجواب ؛ ان عليه ان يظهر توبته ويدعو اليها كما ظهرت بدعته ودعا اليها ، ليس عليه اكثر من هذا .

قال غيره : نعم ؛ قد قيل : ان عليه ان يأتي من دعاه الى الضلالة فيخبره انه قد دعاه الى باطل ، وانه راجع الى الله ، وتائب اليه من تلك الحالة ، وعسى في لزومه ان يكون في موضع القدرة عليه في يومه ولعلها ان تكون لازما فيمن دعاه فاضلة ، لا من امتنع ان يجيبه فلم يصح معه انه ادله ، ومن لم يقدر على بلوغه لموت او غيبة ، او ما اشبههما من عجز عن ابلاغه ، فالله اولى بعذره .

وقيل : لا توبة له عند الله على هذا من امره الا ان في توبة عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما يدل على ما قبله هو القول ، ولا بد له من ان يكون على الدينونة باداء ما يلزمه له في موضع الاحتمال لوجوده وقدرته عليه في حال ، وما اتلفه على وجه الاستحلال ؛ فلا ضمان له من بعد التوبة في نفس ولا

مال ، في اكثر ما فيه يقال ، وعلى المسلمين ان يقبلوا اوبته ، اذ ليس لهم ان يردوا عليه توبته ، ولا اعلم انه يختلف في هذا ابدا ؛ والله اعلم ، فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : من الاثر ومن ابتدع بدعة في الاسلام ضل بها او دعا اليها ، او اضل بها خلقا كثيرا ، ومات من مات ممن اجابه على الضلال ، وغاب من غاب ، وحارب المسلمين على ذلك ، وقتل من قتل في محاربته ، ثم اراد التوبة والرجوع فتوبته ان يظهر التوبة ويدعو اليها ، كما دعا الى بدعته وضلالته ، ويعرف من دعاه انه كان يدعو الى ضلال ، وان دين الاستقامة هو دين الله ، ودين نبيه ، ودين الحق الذي امر الله ـ تعالى ـ به ، ويعتقد به عباده ، وان دعاه الذي كان يدعو اليه من قبل خطأ او ضلال ، ويكون مع ذلك تائبا نادما مظهرا للاستغفار من ذلك ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : ومن دعا الى دعوة كفر وضلال ، فاتبعه ناس ، وماتوا على ذلك الضلال ، ثم اراد التوبة الداعي بعد موتهم ، هل له توبة ؟ وهل يرجع الى ولاية المسلمين ؟ فاقول : نعم ؛ ان له التوبة ـ ان شاء الله ـ وديني دين المسلمين ، وكفى حجة بان التوبة مقبولة توبة عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، وقيل : ان عائشة اظهرت توبتها الى كل من اتاها ، حتى صارت توبتها شهرة ، وقد نادى المسلمون بتوبتها .

(مسـألة) : عن ابي سعيد ، قال وقال : من عمل بمعصية يستحق بها الكفر بحضرة جماعة ، او شهر كفره عند جماعة مثل العشرة ، او اقل او اكثر ، انه يستوجب البراءة معهم ، فان ندم في نفسه فقد تاب ، وسلم ان لم يظهر التوبة فهو سالم وهم مصيبون في براءتهم منه ، وهو سالم وهم سالمون ، واما اذا ندم واستغفر ربه ، ويتوب اليه ، فلا يجزيه الندم دون التوبة والاستغفار ؛

واما اذا ندم واستغفر ربه ، وتاب اليه ، فذلك الذي يلزمه ، وكذلك فرض الله ـ تبارك وتعالى ـ عليه فقال : ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه﴾ ، وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا﴾ ، فخاطب الله المذنبين بالتوبة اليه والاستغفار له ، لا الى غيره الا لمن لزمه له حق يجب عليه في دين الله اداءه اليه ، ولا نعلم دليلا يوجب عليه ان يتوب الى الخلق ممن هو مثله الا باداء ما يلزمه لهم والتوبة الى الله .

واما من علم منه ما تجب به عليه البراءة فعليه ان يصوبه في البراءة منه ؛ لأنه مصيب في براءته منه حتى يعلم منه ما ينقله به عن البراءة ، فالتائب سالم بالتوبة الى الله في دينه مع المسلمين ، والمتبرىء من المحدث سالم من براءته على علمه ، واما ان يكون المحدث سالما مع المتبرئين منه في حكم الظاهر ، فلا يستقيم ذلك فيما عرفنا من قول اهل العلم ، ولكن هو عندهم في شرائطهم سالم بالتوبة ، ولو لم تعلم توبته ، لانهم يتولون في الشريطة بتوبته ، ويتبرأون منه في حكم الظاهر على معصيته .

(مسألة) : ومن غيره ؛ وسألت عن رجل ارتد عن الاسلام ، وقبح امر المسلمين الى الناس ، وشيع امرهم ، وقال : انهم على ضلالة ، ودعا الناس الى ذلك ، فاستجاب له من استجاب ، ثم انه ندم واراد التوبة ، هل له توبة ؟ قال ابو عيسى : توبته ان يذهب الى الذين دعاهم الى الضلالة ، والى الناس الذين قبح امر المسلمين عندهم ، فيقول لهم : اني كنت دعوتكم الى غير الحق ، وان الذي قلت على المسلمين قلت كذبا وزورا ، وان المسلمين اخيار الناس ، وانه ليس على وجه الارض خير من المسلمين ، واني استغفر الله ، واتوب اليه مما قلت عليهم ، فان فعل ذلك ؛ فحينئذ تكون له توبة ، وان لم يفعل فلا توبة له .

وقال : كان في زمان الربيع ووائل رجل من الصفرية ووقع بخوارزم ،

واراد ان يتوب فقالوا : نبين لك الاسلام ، ولكن لا تكون لك عندنا ولاية حتى تأتي الى قومك الذين دعوتهم ؛ لأنك كنت داعيا تدعو الناس فتبين لهم ؛ اني كنت دعوتكم الى غير الحق ، واني قد تبت من ذلك ، ورجعت فاعلموا ذلك يا قوم ، قال : فذهب فاخبرهم فبلغني انه جاء اليهم بعد ذلك فعرضوا عليه الاسلام .

(مسـألة) : نسخة من كتاب محمد بن سعيد بن محرز ، من نسخة كتاب محمود بن نصر الخرساني ـ رحمه الله ـ ، وكان يقول : توبة كتوبة ادريس ، وذلك ان ادريس قد كان خالف المسلمين في شيء ثم رجع تائبا نادما ملقيا بيده ، فقيل له : هل كنت تبرأ من ابي عبيدة وحاجب ـ رحمهما الله ـ فقال : نعم ؛ انا استغفر الله ، واتوب اليه ، فقال حاجب : توبة كتوبة ادريس ، وقال ايضا من ائمة المسلمين يأمرون صوابه فقال : يا معشر المسلمين ، الم اقل هذه المقالة ، فان كنت قلتها فانا استغفر الله ، واتوب اليه قبلت توبته ، وفي الانفس ما فيها ، واذا قال : نعم ؛ والله لقد قلت هذه المقالة وانا استغفر الله منها ، واتوب اليه ، فهذه التوبة الصحيحة تقبل ، وليس في القلب منها شيء .

وبلغنا عن ضمام رواية جابر بن زيد ـ رحمه الله ـ وكان فقيها عالما انه دخل عليه رجل من المسلمين ، له قدر وفضل ومنزلة عند ضمام ، فذكر الرجل عليه رجلا من المسلمين ، فقال : فلان لا خير فيه ، فقال ضمام : برىء الله منك ، فقال الرجل : وهو يبكي وينتفض ، اتبرأ مني يا ضمام ؟ فقال له ضمام : انت حملتني على ذلك ، لا تبرأ من احد من المسلمين بين يدي ، ولا ابرىء منك ؟ فقال الرجل : فانا استغفر الله فقال له ضمام : فغفر الله لك ، فالبراءة عند الله عظيمة ، من برىء فقد قتل .

(مسـألة) : من مسألة من كتاب بيان الشرع ؛ قلت له : قال الله

ـ تعالى ـ : ﴿الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ ، اهي في وحشي قاتل حمزة بن عبدالمطلب ـ رحمه الله ـ خاصة ، ولا يستحق هذا الاسم سواه من تاب وعمل صالحا ، او هي منتحلة عامة لمن اتى بهذه الشريطة من كل مؤمن ومؤمنة ، وما عندك في ذلك ؟ قال : الذي عرفت انها في كل من عمل مثل عمل وحشي ، وهي في جميع الناس الا قول من قال : ان من قتل المؤمن والداعي الى الضلالة ، اذا أجيبت اليها فلا توبة لهما ، وبالله التوفيق ، ومن غيره ؛ انس عن النبي ﷺ انه قال : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : يعني لا تصفوا الدين والجنة بصفات ييأس الناس معها ان يبلغ الجنة وان تمم دينه ، وكذلك التائب المكثر من الذنوب اذا عرف صدق توبته فلا يشدد عليه حتى ييأس من الخلاص ، بل يسامح بالرخص التي يراها العالم انها وجه عدل في الشرع لا سيما بينه وبين الله ، واما فيما بينه وبين الناس من الحقوق الواجبة عليه ، فلا مسامحة فيها ، ولا بد من العمل فيها بما يراه انه هو الاقرب الى الحق فاعرف ذلك .

رجـع : وقال ﷺ : «لا تقنطن فاجرا بنعمة ان له قابلا لا يموت» ، قال الشيخ ناصر بن نبهان : ان الفاجر لا ينبغي لاحد ان ييئسه من رحمة الله أنه لا يغفر الله لك ، اذا تبت ؛ لأن الله يغفر الذنوب بالتوبة جميعا ، والاصح ان الذي قتل نبيا فلا توبة له ، وان الله لا يسلط احدا على قتل نبي ، وفي علمه انه ليتوب عليه اذ لا يكون شيئا الا ما اراده فلا يريد ذلك ، عن ابي هريرة عن النبي ﷺ : «من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة ، كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» .



الباب الثامن

في صفة الكبائر من الصغائر

قال أبو الحسن : قال بعض الصحابة : ان الكبائر ما ذكر الله في سورة النساء الى قوله : ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ ، فكل من ركب شيئا من نهي الله في هذه السورة ، الى قوله : ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ ، فقد ركب كبيرة .

وقال بعض الصحابة : ان الكبائر ؛ ما ذكر الله في سورة (النور) من أولها الى قوله : ﴿وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ ، فأوجب لهم الفلاح مع التوبة من جميع الذنوب ، وقد حرم الله جميع الأموال والدماء كلها ظلما وهما كبيرتان .

وكذلك أكل أموال اليتامى ظلما ، وأكل الربا والتطفيف والخيانة ، وجميع ما يجري فيه الظلم من ارتكاب نهي الله ونهي رسوله ، وانتهاك محارمه من الأموال والدماء ، والفروج ، والفواحش من الزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، والمسكر وانتهاك المحارم في السمع والبصر ، والكلام وظلم المواريث ، وظلم الحقوق والسرق والخيانة ، والغلول والشرك ، والفرار من الزحف في الجهاد في سبيل الله ، وأكل الأمانة ، ونقض العهود التي في الدين وبين العباد وبين ربهم ، وقول الزور والشهادات بالزور ، والأيمان الكاذبة ،

وأكل الحرام من الميتة ، والدم ، والمطاعم ، والمناكح المحرمة ، وكل ما نهى الله عنه في كتابه وحذر انتهاكه ، والكذب المعتمد عليه ، وغيبة المسلمين ، والبهتان والشرك بالله ، والتشبيه له بخلقه ، فكل هذه الذنوب تجب التوبة منها ، والاقلاع عنها قبل نزول الموت ؛ والله أعلم .

(مسـألة) : من كتاب [المعتبر] ؛ ومن [الكتاب] ؛ ومن ثبتت ولايته ثم عمل المعاصي بمكفرة كبيرة ، يجب عليه بها حد في الدنيا ، أو عذاب في الآخرة ، سقطت ولايته من حين ما أتاها ، واستحق البراءة ، وعلى المسلمين أن يستتيبوه ، فإن أدى ما لزمه من ذلك وتاب ، رجع الى منزلته ، وكذلك اذا تاب وقال : انه يؤدي ما يلزمه من ذلك ان كان شيئا يلزمه الخلاص منه ، وان لم يتب فهو على البراءة .

قال غيره : قد مضى ما نرجو ان في بعضه كفاية عن تفسير هذا الا انه قوله : كبيرة يجب بها عليه حد في الدنيا ، أو عذاب في الآخرة ، فكأنه أثبت ألا تكون كبيرة الا أن يثبت فيه حد في الدنيا ، أو عذاب في الآخرة ، والقول في ذلك معنا : ان الكبيرة الذي لا يختلف فيه هو ما يثبت فيه حد في الدنيا ، أو عذاب في الآخرة من كتاب الله ، أو سنة ، أو اجماع ، أو ما أشبه ذلك ، أو لعن عن الله ، أو سخط ، أو غضب أو لعن عن رسول الله ﷺ ، أو قبح ، أو ما أشبه ذلك ؛ فهو كبير كله لاحق بحكم الكبائر من المعاصي ، ليس انه حتى يجتمع فيه حكم حد في الدنيا ، أو نص وعيد في الآخرة ، وليس بأحدهما يجب حكم الكبير .

وأما البراءة بعد الاستتابة من الكبير ، فقد مضى القول والاختلاف فيه ان بعضا لا يبرأ منه حتى يستتيبه ، وبعض يبرأ منه ثم يستتيبه ، ويعجبني أن لا يبرأ منه في الحكم حتى يستتاب لثبوت الاجماع انه لا يحكم عليه بحكم حتى يحتج عليه اذا أمكن ذلك ، وذلك في المـال لا في نفسه والحكم عليه هاهنا في

نفسه ، وتكون الحجة عليه بنفسه ، وترك ولايته مع معرفة لكفره ، واعتقاد استتابته موافق معي بحكم السنة في الأحكام ؛ لأنه ليس ترك البراءة منه شكا في أمره ، وانما هو اعتقاد ان لا يقضي فيه بقضاء يحول حكمه الا بعد الحجة ، وأما ما يلزمه في حدثه من الضمانات والتبعات فمعي ؛ انه قيل : بالتوبة منه عن ذلك يستحق الولاية ؛ لأنه يكون الضمان الذي يتعلق عليه بعد التوبة منه من الحدث بمنزلة الدين ، وليس في الدين استتابة ، وانما هو في الذمة مأمون على أدائه ما لم تقم عليه حجة انه مبطل في شيء من ذلك ، ومعي ؛ انه قد قيل : لا يتولى اذا تاب حتى تعلم منه الدينونة بأداء ذلك ، ويعطي بلسانه ، ثم هنالك يتولى اذا أعطى الدينونة بأداء ما يلزمه من ذلك ، وأحسب انه قيل : اذا تاب ولم يؤد لأدان بأداء ذلك ، فهو على حالة البراءة ولا تتم توبته الا بالدينونة بأداء ما يلزمه من المظالم التي كان أصلها مظالم ؛ لأن المظالم عليه متعلقة ، ولا يخرج ذلك مخرج الدين ، ولكل شيء معنى من ذلك حجة يذهب اليها القائل من هذه الحجج .

ويعجبني انه اذا تاب ودان بما يلزمه ، ثبتت ولايته ، ولا تعجبني البراءة منه على حال ، ولو لم تعلم منه الدينونة بلسانه بأداء ذلك ، ولا يعجبني أن يسرع الى الرجوع الى ولايته الا باعتقاد أداء ذلك ؛ لأنه مظلمة قد ركبها وبها كفر ، فلا تصح له معي حقيقة حكم الولاية بالاستغفار بلسانه والاقرار بأنه دائن بأداء ما يلزمه من ذلك في حكم ما أسر ؛ والله أعلم .

ومن الكتاب ؛ وان كان معصية صغيرة غير كبيرة ، وقف عنه ولم يبرأ منه حتى يستتاب ، فإن تاب رجع الى منزلته وولايته ، وان أصر وأبى واستكبر خلع وبرىء منه ، والاصرار يكفر من ظلم حبة فما فوقها أو كذب كذبة اذا دعي الى التوبة فأصر وأبى عليها أكفره الاصرار بذلك . وانخلع من ولاية المسلمين .

قال غيره : قد مضى من هذا ما نرجو فيه بعض الدلالة من حكم

الصغائر والكبائر فيما مضى من الكتاب ، ومعي انه قيل : انه دون الكبير وما أشبهه فهو الصغير .

والكتاب والسنة والاجماع يدل على ذلك جميعا ، على أن الاصرار على الذنوب من الكبائر ، ومعي انه قد اختلف في الاصرار وفي صفته فقيل : ما لم يتب من ذنبه فهو مصر ، والمصر كافر ، وما لم يتب الراكب من حين ما ارتكب الصغير فهو مصر بالاقامة على الذنب حتى يتوب منه .

وقيل : انه ليس بمصر حتى يعزم على ترك التوبة من ذلك ، أو يتهاون ويستخف بالعقوبة على ذلك من الله ، ويستصغر المعصية لله بذلك ، أو يدين بحلال انه حرام ذلك ، فما لم يكن منه شيء من هذا أو ما أشبهه فلا يلزمه حكم الاصرار ، ويعجبني في الحكم بين العباد أن لا يحكم عليه بحكم المصر حتى يستتاب من ذلك فلا يتوب ، وأما فيما أخاف عليه من الله في أحكام دينه ، فما لم يكن له اعتقاد يبرئه من الاصرار بالتوبة من جميع ما ركب من معاصي الله في جملته يبني عليه ويعتقدها ، أو كلما ذكرها جددها ، أو كلما أبطأ منها عاودها وتعاهدها ، فإني أخاف عليه ان لم يكن منه هذا لا يسلم بالاقامة على شيء من معاصي الله ، حتى يتوب منها بعينها ، وباعتقاده يدخل في جملتها ما قد عصى الله به .

ومعي ، انه قيل فيه : الحكم فيه في حكم الظاهر انه اذا كانت له ولاية ، ثم أتى شيئا من الصغائر ، أو ما أشبهها عند مَن تثبت فيه ، وانه لا يكون مصرا الا بالعزيمة على الاصرار ، وترك التوبة ، فقيل : انه حين يقع في ذلك انه يوقف عنه وعن ولايته عند الحال التي كان عليها ؛ لأنه قد واقع من المعاصي ما قد لحقه بسبب ما يزيل ولايته ، اذ لا يكون وليا لله عاص ، والعاصي ليس يولى ، فإذا عصى زالت ولايته لسبب المعصية ، ولا يبرأ منه حتى يستتاب ، فإن تاب رجع الى ولايته ، وان لم يتب وأصر برىء منه بالاصرار .

ومعي ؛ انه قيل : يحسن به الظن ، ولا يقف عنه ، ولا يبرأ منه بما واقع من الصغير في الظاهر ، الا بعد أن يعلم منه الاصرار أو يستتاب من ذلك ولا يتوب ؛ لأن المسلم المؤمن مأمون على انه لا يصر ، وانه لا يعتقد الاصرار ؛ لأن الاصرار من كبائر الذنوب ، ومن أكبر الكبائر ، فالمسلم مأمون على ارتكاب الصغائر ، وهو على ولايته قبل أن يستتاب ، فإن علم منه الاصرار واستتيب فلم يتب ، لحقه حكم الاصرار وبرىء منه .

ومعي ؛ انه قيل : انه على الولاية ، وليس فيه استتابة على من تولاه ما لم يعلم منه اصرار ، وولايته ثابتة لثبوت السلامة ، ولأن المسلم لا يثبت عليه ركوب الكبيرة ؛ لأن أصل ما ثبت عليه به الولاية والأمانة انه لا يصر على صغيرة ، ولا يواقع كبيرة يقيم عليها ، وانما أثبتت له الأمانة في ذلك كله ، وفي حكم ما جعله الله للمسلم تكفير السيئات على اجتناب الكبائر ، فمتى ثبتت منه التهمة بالاصرار على صغير ، أو الاقامة على الكبير ، زال حكم الأمانة عنه ؛ لأن الأمين لا يكون متهما ، والمتهم لا يكون أمينا ، فاصل ما أثبت له الولاية ، واسم الاسلام بظاهر أمانته ، وزوال حكم تهمته وخيانته ، فهو على ذلك مأمون ؛ الا أن ينزل بحالة التهمة في شيء من ذلك ، فإذا زال عنه اسم الأمانة ، ولم يبرأ بالتهمة من حال الخيانة ، زال حكم ما ثبت له بصحة الأمانة ، وقد قال الله ـ تبارك وتعالى ـ يخاطب المؤمنين : **﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾** .

والسيئات ما دون الكبائر ، وهي مكفرة باجتناب الكبائر كما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ ولا شك في قوله ، ومن الكبائر والاصرار ، فالمسلم ثابت له اجتناب الكبائر ، ولا يكون وليا لا تثبت له الأمانة على ما يدين بتحريمه .

ومن أعظم ما يدين المسلم بتحريمه ؛ الاصرار فقالوا : هو ولي على حالته بظهور اجتناب الكبائر وأمانته عليها ، وكذلك يرجى الله له معنا في

أصل اعتقاده للتوبة والاستغفار ، من جميع الصغائر والكبائر ولم يعتقد شيئا من الاصرار ، ولا الاقامة على شيء من الكبائر والصغائر أن يكون له ما اعتقد ونوى فيما بينه وبين الله ، ونرجو انه يسلم من تولاه على هذه الحجج الثابتة ، ويكون اعتقاد المتولي كاعتقاده ، وهو أن لا يتولاه بما ظهر منه الا أن يكون تائبا من جميع الصغائر والكبائر ، مزايلا لجميع الاصرار ، والا فهو شاهد عليه بالكفر والنار ، وهذا في اعتقاد المسلم في العلانية والأسرار ، وثابت له في أصل دينه الذي تعبده الله به ما لم يعصه بوجه من الوجوه بعد بلوغ حجته اليه ، وعلمه به ومعانيه ، والمراد به ، ثم يضيعه ويخالفه بعزيمة على تركه ، أو بإهمال يعتقده .

(مســألة) : قال أبو عبدالله ـ رحمه الله ـ : ان أصل ما دان به ان من ظلم حبة فما فوقها فهو كافر وقال محبوب ـ رحمه الله ـ : من عصى الله بكبيرة أو صغيرة أصر عليها متهاونا بها ، ولم يتب من ذلك حتى مات على ذلك مستكبرا ، أدخله الله النار .

قال أبو عبدالله : أقذر الذنوب ظلم المرأة صداقها ، والأجير أجرته ، وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : من الكبائر نقص المرأة مهرها ، والأجير أجرته ؛ والله أعلم .

(مســألة) : ومن أصر على ذنب من السيئات فاستحقر ، فهو من الكبائر التي أوجب الله عليها النار ، ومن تاب فقد قال الله ـ تعالى ـ : ﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا﴾ ، ومن مات غير تائب ولم يرد الحقوق الى أهلها فقد خسر خسرانا مبينا ؛ والله أعلم .

(مســألة) : قال جابر بن زيد ـ رحمه الله ـ : كان ابن عباس يقول : كل ما عصى الله فهو كبير حتى النظرة ، وقال النبي ﷺ ، وأصحابه : «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا ومن قبل الله منه

حسنة عصمه آخر الأبد» ؛ والله أعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ والكبائر لا يسع جهلها ولا ارتكابها بجهل ولا بعلم ، وأم الكبائر الشرك بالله ، وكل ما حرمه الله في كتابه ، ورسوله في سنته ، واجماع المسلمين على تحريمه ، في أي هذه الوجوه قامت الحجة ، ومن دليل العقل مع ما يخطر بالقلب من التوحيد وغيره ، فإذا كان الذنب مما يلزم فيه حد وعذاب في الآخرة بكتاب الله ، أو سنة رسوله ، أو اجماع المسلمين عليه ، فيكون صاحبه هالكا ، ولا يسع أحدا الشك في كفره ، وفي هذه الوجوه يقع الفراق بين هذه الأمة في التأويل والبدع ؛ والله أعلم .

(مسألة) : وقيل : ان اللطمة من كبائر الذنوب ؛ لأن فيها الارش ، وفي بعض القول انها من الصغائر ، والقول الأول أكثر ، والكذبة من الصغائر الا أن يتلف بها مال أو نفس ، وقول : انها من الكبائر ، وسوء الظن بالمسلمين من كبائر الذنوب ، وتقبيل المرأة الأجنبية من كبائر الذنوب ؛ والله أعلم .

(مسألة) : والكبائر ما جاء فيه وعيد في الآخرة ، أو حد في الدنيا ، وقيل : ما قاد أهله الى النار فهو كبيرة ، وأما الصغير من الذنوب ، فليس هو بشيء محدود الا انه قيل هو ما دون الكبائر ، ولم يبح الله ـ تعالى ـ شيئا من الذنوب بل حرمها وزجر عنها بغاية الزجر ، ومن تعمد لفعل شيء وهو يعلم انه لا يجوز له فعله ، وهو ذاكر لذلك قل أو كثر ، فليس هو بصغير ؛ والله أعلم .

(مسألة) : وقيل : ان النظر الى المصلوب من كبائر الذنوب ، وضرب الطنبور والدهرة ومثلهما من الملاهي من كبائر الذنوب ، ويلزم فاعله البراءة ، وأما ضرب الدف فحتى يغنى عليه ؛ والله أعلم .

(مسألة) : عن ابن عباس في قوله ـ تعالى ـ : ﴿والذين لا يدعون مع

الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك﴾ ، يعني هذه الخصال جميعا ، أو شتاتا ؛ ﴿يلق آثاما﴾ ، يعني واديا في جهنم يدعى (آثاما) .

والكبائر ما أعد الله في سورة النساء الى هذه الآية : ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ (الآية) ، وقال ﷺ : «أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقول الزور» ثم استوفر ﷺ وقال : «اليمين الغموس والفرار من الزحف ورمي المحصنة وأكل الربا وأكل أموال اليتامى ظلما» .

(مسـألة) : قال أبو عبدالله : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ ، فذلك ما دون الكبائر يكفرها الله عمن تاب ، وأما من أصر عليها ، فهو كافر ، والكبائر ما أوجب الله على أهلها حدا في الدنيا ، وأوعدهم عليها عذابا في الآخرة ، والسيئات ما دون الكبائر ، والذي ذكر الله في تكفيره لها على التوبة منها ، لا على الاصرار عليها ، والسيئات التي يكفرها الله ما دون الكبائر من الذنوب التي بين الله وبين عباده التي يدين العبد بالتوبة منها في أصل ما دان به ، ولا يدين بالاصرار عليها ، ولا الاستحلال لها مثل المسة والقبلة ، وذلك يكفره الله ، وأما الحقوق التي للعباد فلا يكفرها الله الا بأدائها الى أهلها .

(مسـألة) : ومن غيره ؛ وما أشبه الكبيرة أو قاربها من الذنوب ، فالكبير أولى به ، وأنزله المسلمون بمنزلته ، واذا عذب الله قوما على شيء عذب من هو أعظم منه جرما ، وان لم يأت فيه بوعيد ، ومن ركب ذنبا صغيرا فأصر عليه فهو هالك حتى يتوب ويرجع ويندم عن ذلك ، ومن عمل شيئا من الكبائر ولم يعلم ان ذلك حرام ومات عليه عذبه الله ، ولا عذر له وهو هالك .

(مسـألة) : قال بشير : لو أن رجلا ضرب رجلا بخشبة ، أو ما فوق

ذلك ، لألزمنا الضارب البراءة ؛ لأنه قد قامت الحجة في العقل ان ذلك ظلم ، قال : وهذا وأشباهه من حجة العقل ، وكذلك لو سرق منه في الميزان قدر حبة فما فوقها متعمدا للتطفيف ، وكان ذلك في تعارف الناس انه ظلم ، فعليه البراءة ما كان مثل هذا ، ولم يجز الوقوف ؛ لأن حجته قد قامت ، وأما اذا دفر رجل رجلا دفرة رفيقه مثل ما يجوز أن يفعل الناس بعضهم ببعض ، ولا يكون ذلك ظلما معهم لم يكن فيه البراءة ولا الوقوف ، وكذلك ان أخذ من حبّه حبا يسيرا مثل مالا يكون ظلما ، وان رآه لم يغير عليه ، وكان ذلك جائزا بين الناس والجيران يفعلونه بينهم ، لم أره ظلما ، ولا تلزم فيه براءة ولا وقوف ، وان دفر رجل رجلا دفرة بين الدفرتين ، وكانت مشبهة بدفرة الظلم ، وبدفرة الاجازة ، فهذا ومثله يجوز فيه الوقوف ، وقول : لا بأس في ذلك ؛ والله أعلم .

(مســألة) : وصغائر الذنوب يكفر صاحبها بالاصرار عليها ، ولا يكفر بركوبها ، وذلك مثل الرفسة والنخسة ، والركضة والوجية والكذبة ، ما لم يكن بها انكار حق لأحد ، والنية للمعصية ، والحب والرضى بها ، والأمر بها ما لم يفعلها المأمور ، وهذا وما كان مثله على هذا الذي وصفنا بينه وبين العباد ، فما كان من ارش أداه اليهم ، وما لم يكن فيه ارش ، فعليه أن يخرج منه اليه بأداء أو حل ، أو توسع أو يرضيهم بما قدر عليه حتى يخرج منه عند التوبة ، وما كان بينه وبين الله فليستغفر الله ـ تعالى ـ ويتوب اليه منه ، ونرجو له المغفرة ، فهذا ومثله انما يكفر صاحبه بالاصرار عليه ، ولا يكفره فعله ، ومن أصر عليه ومنع التوبة ، وادعى المغفرة على ترك التوبة ، وهو عالم به أكفره اصراره ، ومن نسي ما بينه وبين الله مما وصفنا وهو ممن يدين بالتوبة ، وتاب واستغفر في الجملة ، أجزاه ذلك ؛ والله أعلم .

(مســألة) : ومن أخذ من مال غيره حبة أو حطبة أو حلالا أو نباته ، أو لبس ثوبه ، أو ركب دابته ، أو استعمل خادمه عملا يسيرا أو كثيرا ، أو

استعار شيئا فاستعمله بغير ما استعاره له ، أو وطىء في حرث قوم فتلف شيء منه بوطئه ، أو قعد على سرير غيره أو حصيره ، أو كتب من دواته أو قلمه ، أو رقعة قرطاس ، أو استسقى بدلوه ، أو هاس بهيسه ، أو زجر على دابته ، أو شرب من انائه ، فكل هذا ومما أشبهه مما أصابه معروفون بالمنع له من صغائر الذنوب ، وانما يكفر فاعلها بالاصرار عليها لا بركوبها ، كل هذا من حقوق العباد ، وعليه الخلاص والخروج منه اليهم ، الا ما كان منه من الادلال الذي يجري بين الناس بعضهم لبعض ، ممن يدل على صديق ، أو أخ في الله ، أو الأهل ، أو غيرهم في أموالهم ، لا بأس بذلك ، وذلك فيها لو أدرك صاحبه يفعله ، لم يكن يستحيي من ذلك ، ويعلم ان ذلك يسره منه ، ويفرح به ، وان ذلك مباح بينهما فقد رخص الفقهاء في الادلال على هذه الصفة ، واما غيرهم فعليه الخروج من ذلك اليهم ، وتوبة من فعل شيئا من ذلك ، والاعتراف به لمن هو له واعطاءه ما لزمه من حق على ما لزمه في مثل هذا أو قيمة أو أجرة .

فإن نسي شيئا من ذلك ، وهو يدين بالتوبة ، وتاب الى الله ـ تعالى ـ في الجملة ، فأرجو له السلامة ان شاء الله ، ونحن نرجو أن تكون هذه الذنوب التي سميناها مما يغفرها الله للمسلمين على التوبة ، ولسنا نأمن العذاب عليها ، فالغرض على المسلمين حسن الظن بالله ، وجميل الرجاء في الله أن يغفرها لمن تاب منها ، وأن يكون من السيئات التي قال الله فيها : ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة﴾ ، فلا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله عليها ، ولا ييأس من مغفرته لمن تاب منها ، واما من أقام عليها وأصر كفر باصراره ، وضل وخسر ؛ والله أعلم .

(مســألة) : وقيل : ان كل مصر كافر فمن ركب كبيرة من الذنوب كفر في وقت ركوبه ، وان ركب ما دون الكبائر ، فانما يكفر بالاصرار عليه ، وترك التوبة منه لا بركوبه ، وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : ما من عبد أصاب

ذنبا كبيرا فندم عليه ، وصبر لحكم الله فيه ، وأدى الواجب عليه فيما لزمه ، الا صغر ذلك الذنب حتى يغفره له ، وما من عبد أصاب ذنبا صغيرا فصغره ، فاستخف به ، الا عظم ذلك الذنب عند الله حتى يكبه الله به في النار ؛ والله أعلم .

(**مسألة**) : وقيل : ان المقام على الكبائر والاصرار على الصغائر تصير الأعمال هباء ، ويسخط الله على أهلها ، وبالتوبة من الذنوب ، والاقلاع عنها ، يتجاوز الله لأهلها عنها ، وهذه المسألة التي بان بها أصحابنا عن مخالفيهم ، فقال مخالفوهم : ان كل من أقر بالله ، وبالنبي ، وصلى ، وصام ، وحج ، وعمل بالفرائض ، وفي خلال ذلك يسرق ويزني ويكذب ، ويركب أنواع المعاصي ، قالوا : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، عسى الله أن يتوب عليهم ، وغلبت حسناته سيئاته ، والسيئة واحدة ، والحسنة عشر أمثالها ، والحسنات يذهبن السيئات ، فبلغ من قولهم : ان الله لا يعذب أحدا من أهل المعاصي بسيئات عملها ، وهو مقيم عليها ، وعندهم ؛ ان الله لا يعذب التائب من المعصية المقلع عنها ؛ لأن هذا القول عندهم يبلغ بهم لمعنى قولهم : غلبت حسناته سيئاته .

ومن معنى قولهم : لو ان مؤمنا عصى الله مائة سنة ثم تاب في آخر يوم بقي من عمره من جميع ذنوبه ، وأقلع عنها ، ان ذلك مستحق لعذاب الله ، وقد قال الله ـ تعالى ـ خلافا لقولهم : **﴿واني لغفار لمن تاب وآمن﴾** ، وقال أصحابنا : ان كل من عصى الله بصغير من الذنوب ، أو كبير وهو عالم به ، وأصر عليه ، ولو على حبة مما ظلم ، فقد وجبت له نار جهنم خالدا فيها ، وبطل عنه جميع احسانه ، ولم ينتفع بسالف ايمانه ، ولو ذاب بدنه في عبادة الله وأتعبه ، وأنفق ماله في سبيل الله ، وأذهبه لم يقبل منه شيء من عمله حتى يقلع عن تلك الذنوب والمعاصي السالفة ، ويتوب منها ، ثم عند التوبة يقبل الله احسانه ، ويشكره ويتجاوز عن سالف سيئاته ويغفرها له ؛ لأن الله يحب

التوابين ، ويتقبل من المتقين .

وأما قوله : ﴿خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا﴾ ، فأولئك قوم أساءوا ثم تابوا الى الله من ذنوبهم ، وقد قيل : ان هذه الآية نزلت في أبي لبانة حين قال لبني قريظة : ان الذبح ؛ ورأى قد خان الله ، ورسوله فندم ، وتاب ، وربط نفسه بسارية المسجد حتى تاب الله عليه ، وتاب على الثلاثة الذين خلفوا ؛ والله أعلم .

(مسـألة) : سئل بشير عمن أصاب صغيرا من الذنوب ، ونيته أن يتوب منه غدا أو بعد ذلك ، ومن دينه التوبة من ذلك ، الا انه لم يتب حين مواقعته الذنب ؛ قال : ان عزم على ترك التوبة ، ومات قبل أن يتوب هلك ، وان تاب قبل الموت سلم ، وقول : عليه أن يتوب من حين ما واقع المعصية الصغيرة ، ولا يؤخر ذلك ، وان أخر ذلك فقد أصر ، وهو أشد القولين ؛ والآخر أفسح ؛ ثم قال : من أذنب ذنبا ثم ندم عليه ، فهو اقلاع عنه وتوبة ؛ لأن الندم توبة ، فكل من أكثر الندم على ذنبه اجلالا لله ـ تعالى ـ وتعظيما له ، كان أرجى لقبول توبته ؛ والله أعلم .

ومن غيره ؛ وروي عن النبي ﷺ : «اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على رجل حتى يهلكنه كرجل كان بأرض فلاة فحضر ضيع الرجل القوم فجعل الرجل يجيىء بالعود والرجل يجيىء بالعود والرجل يجيىء بالعود حتى جمعوا من ذلك سوادا ، وأججوا نارا فأنضجوا ما فيها» ؛ قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : هذا فيه بيان ان الاصرار على الصغيرة يصير كبيرا ، وهنا بحث ؛ لأن الصغائر معفو عنها باجتناب الكبائر ، حتى يصر على صغيرة ، فإن كان بالاصرار دل على ان الصغائر هي التي لم يكن عليها اصرار ، ومن أصر على صغيرة صارت كبيرة .

رجـع ؛ قال أبو القاسم ـ رحمه الله ـ ، في الرجل اذا كانت له ولاية

للمسلمين ، فأصاب ذنبا من صغائر الذنوب : انه على ولايته ، فإن أصر عليه ، بريء منه ، وان تاب فهو على حالته ومنزلته الأولى ، وقول : اذا أصاب الذنب الصغير وقع به الوقوف من حين مواقعته له ، الا أن يتوب أو يصر ، فيكون له حكم الولاية والبراءة ، وقال أبو مالك كما قال أبو القاسم ـ رحمه الله ـ .

وحجة من قال : انه على ولايته ، قول الله ـ تعالى ـ : **﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾** ، والسيئات دون الكبائر ، والصغائر مغفورة لمن تاب منها ، وقد ضمن الله غفران الصغائر لمن اجتنب الكبائر .

وحجة من قال بالوقوف : ان الاصرار على الذنب الصغير يكون كبيرا ، والوعيد متوجه على الاصرار على الذنب الصغير والكبير ، كما قال الله ـ تعالى ـ : **﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾** ، فدخل تحت هذا القول كل ذنب ، وقال النبي ﷺ : «هلك المصرون قدما الى النار» ، فإذا كان المذنب بين الاصرار على الذنب والتوبة منه فأسلم أحواله الوقوف عنه ، الى أن يعرف حاله .

والذنب الكبير ما جاء فيه وعيد في الآخرة أو حد في الدنيا ، وما قاد أهله الى النار فهو كبير ، وأما الصغير من الذنوب فلم يوقف عنه ، وليس هو بشيء محدود إلا أنه ما دون الكبائر فهو صغير ، ولم يبح الله شيئا من الذنوب بل حرمها ، وزجر عنها ، وكل ذنب قصد العبد الى فعله وهو يعلم تحريمه وواقعه وهو ذاكر حرمته قل أو كثر ، فليس ذلك بصغير ؛ والله أعلم .

(مسألة) : واذا أصاب الذنب الكبير من لا ولاية له ، لزم فاعله البراءة في حين مواقعته الذنب ، والسيئات التي يكفرها الله هي ما دون الكبائر من الذنوب التي تكون بين العبد وبين ربه ، التي يدين بالتوبة منها في أصل

(مســألة) : عن الشيخ الفقيه صالح بن سعيد الزاملي ، وفي قوله ـ تعالى ـ : ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم﴾ ، ما معناه ؟

الجـواب ؛ على ما سمعته من آثار المسلمين ان (اللمم) هو من صغائر الذنوب التي لم يأت فيها من الله على من فعلها وعيد في الآخرة ، ولا حد في الدنيا ، فوعد الله من قارفها الغفران مع التوبة منها ، ليس مع الاصرار عليها .

وقول : ما ألم بالقلب من ذكر المعصية والهم بها ما لم يعمل بها ؛ والله أعلم .

قال غيره : وأحسبه أبا نبهان ، وما لم يعزم عليه من خواطره فلا يؤخذ به اذ ليس من قدرته ان يدفع ما يرد على قلبه .

ومختلف في أخذه بما قد عزم عليه ما لم يفعله ؛ والذي عندي فيه ؛ انه مأخوذ بجميع ما نواه فعزم على فعله ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : وجدتها في رقعة وهي قلت : والله يؤاخذ بالباطن وبعقد قلبه ، قال : نعم ؛ اذا كان مقيما على أن يفعل وهو مصر على ذلك .

قلت : صف لى اصرار القلب وكسبه المذموم عند الله ؛ قال : نعم ؛ مثل الحسد وهو بالقلب ، والكبرياء بالقلب ، والنفاق بالقلب ، وسوء الظن بالقلب ، كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ ؛ أي اجتنبوا ظاهر الاثم وباطنه ، فخبرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ انه آثم وسماه باطنا ، ومن ذلك ؛ لو أن رجلا عزم من الليل أن يذبح رجلا من الصالحين ، أو يكفر بالله ، اعتقد على ذلك بقلبه ، ثم مات على ذلك

الاصرار ، حشره الله على تلك النية ، وقال ﷺ : «يحشر الخلائق على نياتهم» .

قال غيره : وأحسبه أبا نبهان ؛ نعم ؛ قد أمر الله أن يتقى ما ظهر أو بطن من الاثم ، فحرمه على من رامه في موضع الجهل ، أو العلم ، فظاهره ما يكون بالبدن ، أو ما به من الجوارح ، وباطنه ما يكون في القلب من الظلم لنية يقطع بها فيه لعزم سوء ظن من أحد ما يظن ، وليس في هذه الآية من أنواعه الا هو ، ولكن في آية أخرى يعرفها من فطن ، ومن نوى أن يعمل ما لا يجوز له فمات على ما عزم عليه من قبل أن يفعل ، فهو هالك على أصح ما فيه من قول ؛ والله أعلم ؛ فينظر في ذلك .

(مسـألة) : من كتاب [بيان الشرع] ؛ وقال : ان عبدالله بن طريف الحضرمي ، طلب الى عبدالله بن يحيى تزويج ابنته فلم يفعل ، وكان عبدالله بن طريف من الموالي ، وعبدالله بن يحيى من العرب ، فخالف قول المسلمين ، وكان يقول : من ركب ذنبا صغيرا أو كبيرا ، من أخذ حبة فما فوق ذلك حراما ، فهو كافر حين ارتكب ذلك ، وقال المسلمون : يكون كافرا حين يركب الكبائر ، فإذا ارتكب شيئا منها فقد كفر وتبرأ المسلمون منه ان كان له معهم ولاية ، ويستتاب ، فإن تاب قبلت توبته ، واما ان ارتكب من الذنوب شيئا دون الكبائر مثل قذفه لرجل أو أخذ حبة حراما ، أو عرك أذن يتيم ، أو نحو ذلك ، أو كذب ، فهذا لا يوقف عنه ، ولا يبرأ منه ولا يكفر بذلك حتى يستتاب ، فإن تاب قبل منه وان أصر فهو كافر .

(مسـألة) : ومن كتاب [الأحاديث] ؛ عن ابن عباس عن النبي ﷺ : «ان الله ـ تعالى ـ كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها ، كتبها الله ـ تعالى ـ عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله

عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله ـ تعالى ـ سيئة واحدة ولا يهلك على الله الا هالك» ، قال غيره : وفي حديث آخر عنه ـ عليه السلام ـ ، من طريق أبي هريرة : «اذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه» ، الى تمام الحديث ، قال غيره : هذا صحيح .

الباب التاسع

في الدعاء ومدحه وفضله ، وما يجوز منه ، وما لا يجوز

من كتاب [النور] ؛ والدعاء مخ العبادة وقد أمر الله ـ تعالى ـ عباده أن يدعوه ، فقال ـ تعالى ـ : ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ ، تضرعا مستكينا وخفية في خفض وسكون في حاجاتكم ، وأمر الآخرة ولا تدعوا على مؤمن ولا مؤمنة بالشر أن يقول : اللهم العنه أو اخزه أو نحو ذلك عدوانا ، ان الله لا يحب المعتدين .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ ، وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ ، وقد قدمنا ذكر الأسماء الحسنى والقول فيها والدعاء فرض اذا خرج ذلك الدعاء فيما أمر به العبد ولم يدخل فيه ما لا يجوز .

ومن غيره : وقيل : ليس شيء أحب الى الله من الدعاء ، وأحسب عن النبي ﷺ انه قال : «ما فتح الله لعبد الدعاء وهو يريد أن يغلق عنه باب الاجابة» ، ومن غيره وفي رواية أخرى : «ما أذن الله لعبد في الدعاء حتى أذن له في الاجابة» ، ومن طريق آخر : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لي» ، وعن أنس عنه ـ عليه السلام ـ : «لا تعجزوا في الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد» .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : المعنى لا تملوا ولا تكاسلوا .

رجـــع

(مســألة) : أمر الله ـ تعالى ـ بالدعاء وضمن فيه بالاجابة اذا وقع على الوجه المرغب فيه دون المحظور منه ؛ لأن ما لا يجوز لا يقع الضمان باجابته ؛ لأنه ليس من الحكمة أن يقول للناس سلوني ما لا يجوز لي أن أجيبكم اليه ؛ لأن ذلك يقع على غير فعل الحكيم ، ويدل على ذلك أيضا ما يعرفه الناس من مسألة العبد ربه الرحمة والعفو والغفران عند حادث يحدث به لا يأمن أن يكون عقابا نزل به ، وعند توبته من ذنب قد سلف منه ، فإن الدعاء في مثل هذا وأشباهه قد يلزم فعله لا يجوز تركه ، وهذه حالة من عرف نفسه بالضعف ، والعجز والاستكانة ، وعرف ربه بالقدرة والقهر والنصر والاعانة ؛ والله أعلم .

ومن غيره ؛ وفي الحديث عن النبي ﷺ لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد في العمر الا البر ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : الدعاء لا يرد القضاء والبر معناه يزيد في العمر أي بركة العمر ؛ لأن العمر لا يزيد ولا ينقص وهذا الحديث ضعيف الصحة .

رجـــع

(مســألة) : من كتاب [النور] ؛ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان﴾ ، وقال : ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ .

من كتاب [الثعلبي] ؛ قال بعضهم ؛ في معنى الآيتين : الدعاء هاهنا الطاعة ، ومعنى الاجابة الثواب ، كأنه قال : أجيب دعوة الداعي بالثواب اذا أطاعني ، وقال بعضهم : معنى الآيتين خاص ، وان كان لفظهما عاما تقديرهما

أجيب دعوة الداعي اذا شئت ، وأجيب دعوة الداعي اذا وافق القضاء ، وأجيب دعوة الداعي اذا لم يسأل محالا ، وأجيب دعوة الداعي اذا كانت الاجابة خيرا له ، قال المؤلف : هذا القول حسن الا أنه لا يكون شيء الا بمشيئة الله وقضائه وقدره .

رجع ؛ يدل على ما أخبر باسناد عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم دعى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال : أن يعجل دعوته واما أن يدخر له في الآخرة ، واما أن يدفع عنه من السوء مثلها» ، قالوا : يا رسول الله ؛ اذاً فكبر ، قال : الله أكبر ، وقال بعضهم : هو عام وليس في الآية أكثر من اجابة الدعوة ، فاما اعطاء المنية وقضاء الحاجة فليس بمذكور في الآية ، وقد يجيب السيد عبده ، والوالد ولده ، ثم لا يعطيه ، والاجابة كانت لا محالة عند حصول الدعوة ؛ لأن قوله : (أجيب وأستجيب) خبر ، والخبر لا يعترض عليه النسخ ؛ لأنه اذا نسخ صار المخبر كاذبا ، وتعالى الله عن ذلك ، وان الله ـ تعالى ـ يقول لداوود : «قل للظالمين لا يدعونني فاني أوجبت على نفسي أن أجيب من دعاني واني اذا أجبت الظالمين لعنتهم» ، وقيل : ان الله يجيب دعوة المؤمن في الوقت ، الا أنه يؤخر اعطاءه مراده ليدعوه فيسمع صوته يدل عليه ما روي باسناد عن جابر بن عبدالله ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ان العبد يدعو الله وهو يحبه فيقول لجبريل : اقض لعبدي هذا حاجته وأخرها فاني أحب أن أسمع صوته ، وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول لجبريل : اقض لعبدي هذا حاجته وعجلها فاني أكره أسمع صوته» ، وقال بعضهم : ان لاجابة الدعاء أسسا ، وشرائط أسباب الاجابة ، ونيل المنية ، فمن دعاها واستكملها كان من أهل الاجابة ، ومن أغفلها وأخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء .

(مسـألة) : من كتاب [الارشاد] ؛ قال الشيخ أبو محمد ، عبدالله بن محمد بن بركة : وكل شيء يسأله السائل ربه أن يفعله فهو على ضربين :

أحدهما ؛ شيء من حكم الله أن يفعله دعا به الداعي أو لم يدع به ، وشيء من حكم الله أن لا يفعله الا بعد دعائه ، فأما الذي من حكمه أن يفعله دعا به الداعي أو لم يدع به ، فكالذي حكاه الله من دعاء ملائكته فقال : ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (الآية) ، وقد قال : علمنا أن الله ـ تعالى ـ يدخل المؤمنين الجنة ، وانه يغفر ﴿للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (الآية) ، وقد قال : علمنا ان الله ـ تعالى ـ يدخل المؤمنين الجنة ، وانه يغفر للذين تابوا دعا بذلك داع أو لم يدع .

وأما الضرب الذي ليس من حكم الله أن يفعله الا بعد الدعاء ، كدعاء الأنبياء للأشياء ولولا دعاؤهم بها لم يتفق كونها على سبيل ما اتفقت عليه من الكثرة ، ومقادير الأوقات لعلم الله ـ تعالى ـ بأن ذلك لا يكون موجبا للحجة ، ولا دافعا للمصلحة ، الا بأن يكون بعد ذلك الدعاء .

وقد علمنا أن المسلمين يوجهون دعاءهم الى الله في النصرة على المشركين ، وفي استسقاء الغيث ، وفي كشف ما كان من المكاره ، وفيما أشبه ذلك ، وجرى مجراه رغبة الى الله ـ تعالى ـ ، وطمعا أن يكون اجتهادهم سببا لاجتلاب ما سألوا ، فقد دل ذلك على أن من الدعاء لو لم يكن الشيء المسئول فيه ، وان كنا لا نعرف كل شيء من ذلك بعينه مما سواه ، ولكنا نعلم في الجملة ان مما ندعو به ان الله ـ تعالى ـ يفعله دعونا به أو لم ندع به ، ومنه ؛ ما نعلم ان الله لا يفعله الا بعد أن ندعو به فحسن الدعاء في ذلك من الوجهين جميعا .

قال غيره : ومنه ؛ شيء في حكم الله انه لا يفعله دعا الداعي أو لم يدع

به ؛ لأنه لو أن أحدا دعا به أن يزيل له البحور من أماكنها ، ولم يشأ الله ذلك ، ويأتي بالقيامة قبل وقتها ، ويميت له من يشاء الله أن لا يميته بعد ، أو يحيي له من قد مات ممن قد سبق في علم الله انه لا يحييه الى يوم القيامة ، ويسأل أن يسقط السماء على الأرض ، أو يجعل عمره مائة ألف سنة ، أو نحو هذا مما لم يكن سابقا في علم الله ـ تعالى ـ لم يجب السائل في ذلك دعا به الداعي أو لم يدع ؛ والله أعلم .

(مسألة) : وايضا فالدعاء يخرج مخرج التسبيح والتقديس والذكر ، والمسلمون يفعلون والاجابة بموافقة الارادة ، الخبر ان دعوة المظلوم والحاج والوالد مستجابة ، لا يردها راد ، ولو كان الداعي مشركا او فاسقا ، ولو كانت الاجابة لا تكون الا تشريفا للداعي ، وتعظيما له لم يجز للنبي ﷺ ان يجيب سائلا يسأله حتى يكون مؤمنا تقيا .

وذهب قوم ان الله ـ تعالى ـ يجيب كل داع يدعوه على الشريطة التي لا يجوز الدعاء الا عليها ، وزعموا ان الله ـ تعالى ـ قد ضمن بقوله : **﴿ادعوني استجب لكم﴾** ، وقوله : **﴿واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان﴾** ؛ فقال لم يخص بهذا وليا دون عدو ، ولا مؤمنا دون كافر ، فقد دخل على عموم كل داع دعا على السبيل التي امر الله بالدعاء عليها ، لانه اذا خالف ذلك خرج من جملة المتضمن لهم الاجابة الذين يفعلون ما امروا به من الدعاء ، دون غيرهم .

وقال بعض شيوخنا ان الله جل ذكره لم يتضمن الاجابة لكل من دعا بما امره ان يدعوه به ، وانما اعلم العباد اية انه ذو اجابة لدعوة الداعي ، وهذا وصف يجيز الاجابة لبعض الداعين ، كما ان الباري ـ جل ذكره ـ وصف نفسه بانه ذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وقد تحصل المغفرة دون الكل ، والذي يختاره ونذهب اليه ان الاجابة قد تكون ثوابا وغير ثواب ، وتكون للمؤمن

وغير المؤمن بحسب ما يعلم الله في فعل ذلك من الصلاح للحجة التي ذكرناها فيما تقدم ذكرنا له ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : ولا يجوز لاحد ان يسأل ربه ما لو فعله له لم يكن فعله له خروجا من الحكمة كقول القائل : اللهم احيي لي ما أمتّ من اهلي قبل يوم القيامة وارجعهم الى الدنيا ، واجعل مدة عمري الف سنة ، وهب لي ملكا مثل ملك سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ ، فمن فعل هذا ودعا به ، كان جاهلا متحكما على الله ، وخروجا عن حد مسألة المتهيب الخاضع الى حد مسألة المتحكم الملزم ، وليس من مسألة العبد لسيده في شيء ، وانما يجري مجرى الامر والالزام وايجاب الفروض ، والمسألة وان كان لفظها لفظ الامر ، فانها تتصل باسم الامر بما يجامعها من القصد والارادة ، والخضوع والاستكانة والتواضع ونفي الانفة ، ولا يجوز ان يقال : ان العباد يأمرون الله وينهونه في دعائهم ومسألتهم اياه ، وقيل : ان لفظ الامر والنهي على وجهين : فما كان هو لمن دونك فهو امر ونهي ، وما كان لمن هو فوقك فهو دعاء ومسألة وما كان لله فهو دعاء ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : ومما يروى عن النبي ﷺ في فضل الدعاء باسانيد مختلفة تركتها انه قال : «الدعاء مخ العبادة» ، «الدعاء هو العبادة» ، «الدعاء مفتاح الرحمة والوضوء مفتاح الصلاة والصلاة مفتاح الجنة» ، «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض» ، «الدعاء لا يـرد بين الأذان والاقامة» ، «الدعاء يرد القضاء وان البر يزيد في الرزق وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : لا يجوز ، ان الدعاء يرد القضاء ؛ لأن علم الله سابق ان ذلك يدعو وان ذلك يكون على وفق الدعاء ، فهو من قضائه في ذلك كذلك .

رجـع : وعنه ﷺ : «الدعاء جند من اجناد الله مجند يرد القضاء بعد ان يبرم» ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : هذا لا يجوز ، لأن الله لا تبدو له البدوات ، ولا يجوز انه ما كان يعلم ان عبده ليدعوه ، فقوله : يرد القضاء مزيد متأول .

(مسـألة) : من كتاب (النور) ، والناس مختلفون في الدعاء فمنهم من اجاز على الشريطة والتقييد ، ومنهم من لم يجز فالذي وجدت في الاثر ، ان يدعوه ويسأله الخير فذلك حسن ، والذي اقول به ان يسأل الله في الدعاء على وجه التضرع اليه ، ويسأله ان يقضي له ما هو خير ، فاذا سألت ربك في الصلاة ، فلا تقل ان شئت يارب فعلت لي كذا وكذا ، ولكنك اعزم على المسألة والحف على ربك وجد في الطلب ، وقل : اللهم يسر لي كذا وكذا ، واعطني كذا وكذا ، واجعل لي فيه خيرا في ديني ومعاشي ، ولا تقل : ان كان خيرا ولكن تسأله ما شاء الله ثم تقول : اجعل لي فيه خيرا .

(مسـألة) : ابو الحسن البسياني ، وعن الرجل هل يجوز ان يقول : في دعائه اللهم ؛ ان كان هذا الامر خيرا لي فاقصد لي ، وان كان شرا فاصرفه عني في امر قد خشي منه الضرر ، ورجا منه النفع ؟ وهل يجوز ان يدعو على سبيل الشريطة ؟ قال ارى انه جائز ان يدعو على وجه السؤال ، وقد قيل باجازته على ما وصفت ان كان خيرا فاقضه ، وان كان شرا فاصرفه .

والناس مختلفون في امر الدعاء ، فمنهم من اجاز على الشريطة والتقييد ، ومنهم من لم يجز ذلك ، والذي وجدت في الآثار ان يدعو ويسأله الخيرة فذلك حسن ؛ والذي اقول به : ان يسأل الله ويدعوه على وجه التضرع والرغبة اليه ، ويسأله ان يقضي له ما هو خيرا .

(مسـألة) : وقيل : ان الدعاء واجب باعتقاد الضمير بشريطة حكم الله فيه لئلا يقع اعتراضا على الله والحكم عليه ، وقول : ان السؤال والدعاء لا يقع معهما ضمير واعتقاد شرط .

(مسألة) : ولا ينبغي ان يدعو على غيره بالموت ان كان من المسلمين ان كان رضي عمله ولا بأس بذلك للفاسق ، وواسع ان يدعو على الظالم ان يسفك الله دمه ، قال بشير : لا بأس ان يقول : اللهم ارزقني مال فلان او زوجته على الوجه الجائز ، ولا يجوز على سبيل الحسد ، ولا بأس ان يقول : اللهم ؛ اغفر لي وهو ظالم فاسق معناه ليخرجه من الظلم .

(مسألة) : ولا يدعو الرجل بالموت ولا يستعجل الا أن يكون قد رضي عمله .

(مسألة) : وقيل : رفع اليدين في الدعاء اعتداء ؛ قال ابو سعيد ان فعل ذلك فاعل على غير معنى التحديد لله بل على صدق النية والمذهب ، فلا مانع له ، وليس ذلك مما يوجب التحديد الا على الارادة بسوء المذهب ، واستحب بعض اصحابنا ان لا يحدث الداعي في دعائه حالا من رفع يدين ولا خفضهما فان رفعهما فعلى هيئتهما على ما قيل ، قال غيره : ان رفع يديه الى وجهه مبالغة منه في الطلب في الدعاء الى الله جاز له ذلك ، ولا اعلم عليه شيئا ، وان كان رفعه يديه على معنى التحديد لله ـ تعالى ـ فلا يجوز ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومن غيره ؛ عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال : «اذا دعوت الله فادع الله ببطن كفيك ولا تدع بظهورهما فاذا فرغت فامسح وجهك» ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : وفي الحديث بيان جواز بسط كف اليدين نحو السماء في الدعاء ورفعهما ، وكان والدي ـ رحمه الله ـ يفعل ذلك .

رجـع : وفي رواية اخرى عنه ـ عليه السلام ـ : «ارفع البنان الى السماء واسأل الله السعة» ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان ، رفع البنان الى السماء المراد الثقة بالله ، والتوكل عليه ، والرضى بحكمه ، والقناعة بما رزق ،

والرغبة بالدعاء الى الله ، وفيه اشارة ان رفع اليدين مع عدم هذا لا ينفع ، وكن كذلك مع رفعهما الى الله ـ تعالى ـ .

(مسألة) : ابو الحسن البسياني ؛ من قال : اللهم لا تدع لي عيبا الا سترته ، ولا كربا الا كشفته ، ولا ذنبا الا غفرته ، فجائز ، وهذا من المطلوب الى الله ان يفعله ، ومن قال : يا غياثي ولجائي ، ويا همي ومناي ، ويا نوري وضياي ، فلا اعلم هذا من المسلمين ، فاما غياثي ولجائي فعسى ان يجوز بمعنى استغيث بك والتجيء اليك ، واما همي ومناي ونوري وضياي ؛ فالله اعلم ؛ الا اني اقول : ان كان يعني بالنور نورا يهتدي به من الضلالة ، وقصد الى ذلك فارجو ان يجوز ، والله اعلم .

(مسألة) : وجائز ان يقال : اللهم ، اكفنا ظلمة خلقك ، ومن قال اعتمادنا بعد الله عى فلان فانها كلمة كره المقال بها ، الا ان يقول اعتمادنا على فلان بعد مع توكلنا على الله ، ومن قال : ذهب الله باصل كذا ، فان كان اراد قد اهلكه الله وقال بذلك على وجه الاخبار فلا بأس ، وكذلك ان دعا بذلك على احد من اعداء الله فقال : ذهب الله بنفسه ، او بسمعه ، او ببصره ، فلا بأس بذلك ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومن قال : اللهم اخترني ، او اللهم ردني ، او اللهم عالني على فلان حتى انتصر منه ، او قال : اللهم ارزقني مال فلان ، او زوجة فلان ، او مال فلان ، او دابة فلان ، فلا ارى عليه شيئا في ذلك ان كان معناه ارزقني من مال فلان بالثمن من وجه الحلال والشراء او زوجته ان طلقها او دابته ان باعها ، واما ان تمنى على غير هذا الوجه على وجه الحسد ، فلا يجوز الحسد لمسلم ، وجائز في الكافر ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومن لم يكن له ولد فلا يجوز ان يدعو الله ان يرزقه ، ولدا

يحمي ماله عن ورثته ، وذلك من كبائر الذنوب ، ومن قال : اللهم ارحم النار مني ، فهذا محال ، لأن النار لا عقوبة عليها ، وهي عقوبة للظالمين ، ومن قال : اللهم ان حلمك اضر بنا ، فهذا محال ؛ لأن حلم الله عمن اساء اذا عفا لم يعاقبه ويعجل له في العقوبة ، فلا يكن هذا الحلم ضررا له والله اعلم .

(مسألة) : ولا يجوز ان يقال : يا من ارتدى بالفخر والكبرياء ، ويجوز ان يقال : اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ومعنى الربيع الغيث الدائم ، كأنه دعاء ان يديم الذكر في قلبه والقرآن كذلك ، وروي عن النبي ﷺ انه قال : يا مقلب القلوب ؛ ثبت قلبي على طاعتك ، ولا يجوز ان يقال : يا رب لا تجر علي ، والله اعلم .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ العالم سعيد بن خلفان الخليلي ؛ هل يجوز ان يقال : الهي ان الطاعة تسرك والمعصية لا تضرك فهب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك ام لا ؟

الجواب : احسب انه قيل : ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يوصف بالسرور ولا بالحزن ، وهو كذلك على الحقيقة ولكن يقال : ان الله يحب كذا ويرضاه ، ويكره كذا او يسخطه على اني يتوجه لي ان مثل هذا من القول لو قيل به على سبيل المجاز والتوسع لمعنى اتساع الحب والرضى ، لم ابعده من الصواب وفي ظني ان مثل هذا قد يوجد في لفظ الحديث ، ولا منافاة بين القول بمنعه على الحقيقة واستباحته في المجاز من القول ان جاز ما حضرني من هذا فلينظر فيه ، والله اعلم .

(مسألة(؛ ومنه ، هل يجوز في الدعاء ان يقال : اللهم اني اسألك بالاسم الذي دعاك به موسى ، وكذلك ان قال : اسألك بما سألك به محمد ﷺ وان كان له معان فعلى اي المعاني يجوز وعلى ايها لا يجوز ؟

الجـواب : قد اختلف الفقهاء الاقدمون في جواز اسألك باسمك كذا ، وقالوا بجواز ادعوك باسمك ، او بالاسم كذا بظاهر القرآن ، ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ، واذا جاز ان يدعو بها فلا مانع ان يقول ادعوك باسمائك وبالاسماء التي دعاك بها رسلك او انبيائك او ملائكتك ، او موسى او محمد او عيسى ، او ابراهيم ـ عليهم السلام ـ او غيرهم ؛ لأن الانبياء لا يدعونه الا بما جاز ، وكان حقا ، وعندي ان سألك بمعنى ادعوك فجوازه اصح ، ويروى في الحديث عن رسول الله ﷺ في دعاء الفرج ، اللهم اني اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في شيء من كتبك ، او اعلمته احدا من خلقك ، او استأثرت به في علم الغيب عندك الى آخره وهو دعاء سائغ صحيح ، ونحن بحمد الله نستجيزه ونستعمله متى فتح لنا القول به .

(مسـألة) : ومنه ؛ وهل يجوز في الدعاء لله ، وحق عليك ان لا تحرم سائلك ولا ترده ؟

الجـواب : وهذا مختلف فيه ايضا في قول اصحابنا والاصح جوازه بدليل قول الله : ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ ، فهما من باب واحد ، وما اشبه الشيء فهو مثله ، وحق عليه ان لا يحرم سائلا ولا يرده بدليل وعده الصادق في كتابه العزيز : ﴿واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ادعوني استجب﴾ ، فحق عليه ان لا يخلف وعده وان يجيب من دعاه مخلصا له قصده ، وتالله اني لا اعلم خيرا الا من عنده ، ولا رأيت نجاحا الا من قصده ، ولا فضلا الا من عنده ، فله الحمد السرمد ، والصلاة على رسوله محمد ﷺ .

(مسـألة) : ابو سعيد ؛ هل يجوز ان يدعى الله ؛ يا حنان ؛ او يا برهان ، او يا سلطان ، او يا عاقل ؛ فقال : اما حنان فقد اختلف فيه ، فكره

ذلك من كرهه ، وقال من قال : لا بأس بذلك ؛ لأن ذلك يخرج على وجه الرحمة ، وكذلك الحنان هو الرحمة على هذا ، واما البرهان ؛ فالبرهان هو الحجة ، والله ذو الحجة ، ولا يقال : الحجة برهان الله ، ولا يقال : هو الحجة ، ولا البرهان .

واما السلطان ؛ فهو القدرة ، والله ذو القدرة وهو القادر ، ولا احب ان يقال : لله سلطان ولا برهان ، ويقال : ياذا السلطان وياذا البرهان .

اما يا عاقل ، فلا يجوز ان يقال لله ؛ لأنه من اسماء المخلوقين ؛ والله اعلم .

(مسألة) : فيما يوجد عن ابي عبدالله في بعض دعائه ؛ يا من هو بكل مكان ، ثم قال : وليس المعنى في هذا بصورة ، ولا بجنس ، ولكنه بعلمه في كل مكان .

(مسألة) : البسياني ؛ هل يجوز ان يقال في الدعاء يا ساكن السماء ، يعني الله ـ تعالى ـ فلا يجوز ان يوصف الله ـ تعالى ـ بالسكون والنزول في السماء ، وجائز ان يقال : هو في السماء اله وفي الارض اله من غير ان يعتقد هو حال فيها ، ولكن هو فيها تدبيره واقتداره ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ وكذلك هل يجوز ان يقال : يا من كل مكان منه ملآن ؟ قال : جائز على وجه الاحاطة والتدبير والعلم ، لا انه فيه ملآن بشخصه ولا جثته .

قلت : فالرجل يقول في دعائه ، الحمد لله حمدا يهنيه ويحجرني عن معاصيه هل يجوز في صفة الله التهنئة ام لا يجوز ؟ فذلك عندنا غير جائز على الله ان يهنأ بشيء ، لانه ـ تعالى ـ غني والحمد لله ، فمن حمده لا يحجر عن معاصيه انما يحجر عن المعاصي بتوفيق الله .

قلت : فان كان لا يجوز ، فما يكون مشركا او كافر ؟ فما اقول : انه يبلغ به الى شرك ، والله اعلم . وان لم يتب كان ما اقر به الى الخطأ والاثم .

قلت : فان قال : يا طاهر ؛ يعني بذلك الله ، هل يجوز هذا في صفة الله ، وما معنى الطاهر من طريق الطهارة ؟ فاما ان كان القائل قصد الى معنى ان الله طاهر عن الاشباه فعسى يجوز ؛ لأن القدوس هو الطاهر ، والتقديس هو التطهير ، والمقدس هي المطهرة ؛ فعلى هذا يجوز .

(مسألة) : ومن قال : اللهم لا تنسنا ذكرك ، ولا تولنا غيرك ، فليقل ذلك على معنى لا تحل بيننا وبين طاعتك ، كقوله : **﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾** ، يقول ان الله لم يحملهم ما لا طاقة لهم به ، ولكن يقول : اللهم لا تفعل بنا ما يحول بيننا وبين طاعتك ، وقوله ـ تعالى ـ : **﴿لا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾** ، انما هو يأمرهم بالدعاء ، وقال في موضع آخر لا تولنا غيرك لا يجوز ، والله اعلم ؛ ويجوز ان يقال : اللهم لا تجعلنا خلقا خلقته للنار .

(مسألة) : وجائز ان يقال : اللهم اعزم لي على الخير ، ويجوز اعوذ بالله من نقمه وابتلائه ، ولا يجوز اعراض الله عنك ، ولا اقبل الله اليك ، ويقال : انت عفو فاعف عني فيسأل بالافضال ، ولا يقال : انت عدل فتفضل علي وانت تعذب فارحمني .

(مسألة) : وجائز ان يقول الانسان في دعائه : الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ؛ لان بهذا قد نطق القرآن .

قلت : وكذلك يقول في دعائه في آخر صلاته ؛ اشهد ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، ام انما هو خاص للانبياء ، ولمن صحت سعادته ؛ لانه مما يدخل تزكية النفس ام ما عندك في ذلك ؟ قال : عندي في ذلك ان ذلك جائز اذا دعا به الداعي على وجه التذلل لله ، وانه قد

اسلم لله ذلك في طاعته لا يعتقد ذلك تزكية لنفسه ، ولا يقول الا كما جاء به القرآن فلا يقول : اشهد على وجه العلم بالتزكية ، ولكن على وجه اني اجعل ذلك لله في طاعته لا شريك له ، ولا احب ان يقول : اشهد ، ولكن يقول : ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي تمام الآية ، كما جاء به القرآن .

(مسألة) : قلت : والرجل يقول في دعائه : اللهم لا تخزني بالبلاء ، هل يجوز هذا في الدعاء وان كان لا يجوز فما يكون حال قائله ، وما تكون منزلته ؟ فالذي انا عليه ان الله ـ تعالى ـ لا تضاف اليه التجزئة بالبلاء ، ولا غيره ، وانما يفعل لعباده ما قد علم وشاء لا من وجه التجزية ، والقائل لذلك جاف في دينه بقوله ذلك ان لم يتب ، وجائز ان يقال لله : يا رب الارباب .

(مسألة) : ولا يجوز على الاطلاق ؛ اللهم لا تعرض عني ولا يجوز اللهم لا تجر علي ولا تظلمني ، وان كان معلوما ان الله لا يفعل شيئا من ذلك .

(مسألة) : قال بشير : يجوز ان يقال : اللهم حل بيني وبين الشيطان ، ويقال : ان الله حال بين المؤمنين وبين الكفر ومعنى ذلك انه امرهم بالايمان ونهاهم عن الكفر .

(مسألة) : وقول من قال : اللهم اجرني من عذاب النار ، واغثني من الظلمة واجرني منهم ، فكل ذلك ما عرفت به بأسا ؛ والله اعلم ، ويجوز ، اللهم يسر لنا ، وكره من كره ولا تعسر علينا ، ويجوز ان يقال في صفة الله : يا ذا المدعو ، او ان يقال : يا ذا الخلق ، وذلك مثل قوله : يا ذا العرش ، ويجوز اللهم تحمل عني ذنوبي او احمل عني ذنوبي على معنى العفو ليس انه يشبه الخلق من الحمل تعالى الله عن ذلك ، وهذا يخرج على المجاز ، وكذلك يجوز ؛ اللهم زدني خيرا على معنى المجاز ؛ لأن هذا المعقول من القول وارادة الله ـ تعالى ـ قد تقدمت فيما اراد تبارك وتعالى .

(مسألة) : عرض على ابي سعيد فرآه صوابا ، يا من هو تحت كل شيء ، وليس له تحت ، ويا من فوق كل شيء ، وليس له فوق ، ويا من هو اول كل شيء وليس له اول ، ويا من هو آخر كل شيء وليس له آخر .

قال المؤلف : وجدت النهي عن القول : يا من هو تحت كل شيء ، فلا يحسن ان يقال : ان الله تحت كل شيء كما يحسن ان يقال ان الله فوق كل شيء ؛ والله اعلم .

(مسألة) : يجوز ان يقال : يا رب لا ترزقني الحرام ولا تطعمني اياه ام لا ؟

الجواب ؛ جائز له ذلك ان يسأل الله ان لا يجعله من اهل الكفر والمعاصي ، لأن الحرام هو رزق الله فمن اكله رزق الغذاء لا رزقك التمليك ولا رازق غير الله ولا مطعم غيره .

(مسألة) : ومكروه ان يقال فال الله لا فالك ، وقوله : ما عندي قليل الله ولا كثيره من الجنس الذي طلب اليه ، فاذا صدق في اخباره ، فلا ارى عليه بأسا .

(مسألة) : وهل يجوز ان يقال : الله ارحم الرحماء واعلم العلماء ام لا ؟ لا ارى جواز الوصف الا بما وصف به نفسه انه ارحم الراحمين ، واما قوله عالم العلماء فقد اصاب ان اراد به يعلم ولا يعلمون ، ولا يجوز التشبيه له بخلقه .

(مسألة) : ولا يجوز يا غياث المستغيثين ، ولكن يقال : يا من هو غياث المستغيثين ، ويا من يستغاث به ، والله اعلم .

(مسألة) : ولا يجوز ان يقال : اللهم اكفنا ظلمة خلقك وقيل :

يجوز ، وعن ابي سعيد في قول الرجل : اللهم لا تطعمنا الحرام انها كلمة جافية لا تجوز ولا احب ان يقال ويدعى بغيرها .

(مسـألة) : وقوله : اللهم اني استخيرك فجائز ولا يجوز اللهم اني استشيرك ، والاستشارة على الله لا تجوز ؛ لانها من صفات المخلوقين ، قال غيره : اذا اردت ان تستخير الله ـ تعالى ـ تقول : استخير الله ـ تعالى ـ ثم استشير الناس .

(مسـألة) : ابو سعيد ـ رحمه الله ـ ان النبي ﷺ كان يقول في دعائه : «اللهم لا تجعل لمنافق عليّ يدا ولا منة» وجائز في الروايتين «اسألوا الله ببطون اكفكم» وجاء في بعض القول النهي عن رفع الايدي في الدعاء ورفع الصوت الا بعرفات ، فانها ترفع فيها الاصوات بالدعاء وذكر الله ، واما بسط الايدي من غير رفع فذلك جائز وارسالها افضل ؛ لأن في ذلك غاية التذلل والمسألة ، وحق على السائل ان يخضع ويتذلل للمسئول بغاية الافتقار والاستكانة من العبد لمولاه ؛ لأنه لا يملك لنفسه شيئا ، والله تعالى القادر على كل شيء ، وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ ، وذلك في القلب لا في اليدين ، والله اعلم .

ومن مسألة : روي عن النبي ﷺ انه قال : «سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم» ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : رأيت والدي ـ رحمه الله ـ يمد يده في الدعاء الى دون وجهه واصابعه غير ممدودة كأنه يريد ان يقبض شيئا ، وهذا جائز وغير واجب .

رجـــع

(مسـألة) : وقال ـ عليه السلام ـ : «اذا دعوت الله فادع الله ببطن كفيك ولا تدع بظهورهما فاذا فرغت فامسح بها وجهك» ، قال الشيخ ناصر

بن ابي نبهان : وفي الحديث بيان جواز بسط اكف اليدين نحو السماء في الدعاء ورفعهما ، وكان والدي يفعل ذلك ، قال غيره : وجدت ان السماء قبلة للدعاء قال الله - تعالى - : ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ .

رجـــع

(مسـألة) : ومن قال كسح الله باثر فلان اذا كان ممن يظلم الناس ويؤذيهم فلا ارى ظاهر هذا اللفظ يصلح ، واذا اراد بذلك الهلكة فلا اراه مأثوما ، ومن قال : طير الله لا طيرك اي فعل الله وحكمه لا حكمك وفعلك ، قال الفراء : الطائر عندهم العمل ، ومنه قوله - تعالى - **﴿وكل انسان الزمناه طائره في عنقه﴾** ، اي عمله ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : ولا يجوز ان يوصف الله - تعالى - بغير ما وصف به نفسه في كتابه ، او يعرف معنى تأويله ، ومعنى ما يقول قلت ؛ وكذلك يوجد في بعض الآثار ؛ انه يستحب ان يقول في الصلاة : اشهد ان الله ما ادعى وانه بريء مما تبرأ ، هل يحسن هذا ؟ وهل يجوز ان يوصف الله بالادعاء او تضاف اليه الدعوى وهو الصادق المصدق وقوله الحق ؟ وان كان ذلك لا يجوز ولا يحسن ، فما يخرج عندك تفسير هذا ؟ الذي ذكرت لك انه يوجد في الاثر قال : الذي يجوز ذلك ، وقال به ، فلعل معناه في ذلك لا يذهب الى الادعاء والدعوى ، وانما يذهب ان لله الخلق والامر ، وله الحكم كما ذكر في كتابه ان له الخلق والامر ، وانا شاهد بذلك على ما قال : وهذا عندي تفسيره : والله اعلم ، واما من لا يجيزه وكرهه ولا يقول به ، ولكن يقول : اشهد ان له الخلق والامر الحكم كما ذكر في كتابه .

قلت : وكذلك ان قال : يا خير الاصحاب قال : ان عنى بذلك حافظا ومدبرا جاز ، ولا يجوز على غير هذا المعنى .

(مسألة) : عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ؛ وهل يجوز ان يقال : اللهم ايقظني من نومي وقت كذا ، وان يقال : ايقظه الله من نومه ، كما يقال ، يبعثه من نومه ؟

الجواب ؛ عندي انه يجوز من غير حفظ ، وانا مطالع فيه الاثر وناظرت فيها شيخنا خلف بن سنان ـ رحمه الله ـ فاعجبه ذلك ، وقال : انه لا يضيق فيها عندي بلا حفظ بعينه .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي ، وسئل ما النية والاعتقاد لقول الداعي لا اله الا انت ـ سبحانك ـ اني كنت من الظالمين ، وكذلك قول القائل : من المضيع المذنب المعترف على نفسه بالتقصير ام هذا لا يقوله الا من عند نفسه انه كذلك ، او انه قد سبق منه ذلك ؟

الجواب ؛ ان المعنى اني من الظالمين ان لم تعصمني ، والانسان لا يخلو من معاصي ؛ لأن الرياء والعجب وغير ذلك مما يفعل المرء ان يدافعهما عن نفسه الى أن يذكر فينبغي أن يخضع المرء ويجعل نفسه انه مقصر ؛ لأن التقصير في حق الله واقع من المرء وما يأتيه من الرياء الذي هو الشرك الخفي ، والنفاق الخفي لا يخلو منه امرؤ ، ويستغفر الله من كل ذنب ، وكيف هذا لا يجوز له أن يجعل ذلك ذنبا وظلما ، وقد قال الله ـ تعالى ـ في حق نبيه : **﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾** ، ومن المعلوم أن ذنوب النبي ﷺ ليست كذنوبنا ، ولكن هي في حقه ذنب ، وكان يستغفر الله كل يوم سبعين مرة ، كيف يستغفر الله وهو لم يعصه طرفة عين أم يستغفر من أعمال الطاعات تعالى الله ، وانما يستغفر من الغفلات التي هي في حقه غفلات ، وليست غفلات النبي ﷺ مثل غفلاتنا وقال النبي يوسف : **﴿وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء﴾** ، فإذا قال من الظالمين ان لم يغفر لي ذنوبي

والا كنت من الظالمين ، ولا شك ان الانسان لا يخلو من ذنوب ان لم يعصمه الله ـ تعالى ـ .

(مســألة) : عن أبي الحواري ، وعمن دعا الله فقال بحق محمد عليك ، أو بحق الأنبياء والملائكة عليك ، هل يجوز أن يدعو بهذا الدعاء ؟ فالذي بلغنا عن محمد بن محبوب انه كان يقول : يقال : يعني ؛ بحرمة الأنبياء والملائكة بحرمتهم عليك ، وقال : بحق لم نقل أخطأ وأولى ما اتبع قول العلماء ، وبحرمة هو أحب الينا ، وقال المؤلف : بحق محمد لا يجوز في بعض القول .

(مســألة) : ومن دعا الله فقال : بحق أنبيائك عليك أو بحق رسلك وملائكتك عليك فهذا لا يجوز ، قال الشيخ أبو بكر : الا أن يريد بذلك الاستشفاع بهم الى الله ـ تعالى ـ فعلى هذا الوجه يجوز .

(مســألة) : وجائز أن يسأل الخالق فيقال : نسألك بك ونسألك بحق السائلين عليك ، وذلك ان حق الله أن يطيعوه وحق الخلق على الله أن يثيبهم اذا أطاعوه ، فيسأل الخالق بذلك الحق ، ويسأل الخلق بحق الله ، وقيل : نسألك بك لا يجوز .

(مســألة) : ومن قال : بحق يوم الجمعة ، وبحق حرمة رمضان ، فبعض أجاز ذلك وكرهه آخرون ولم يروه ، ولا يقال : نسألك بحق محمد ، ولكن يقال : بحرمة محمد ، ولا يجوز أن يسأل الله بملائكته وأنبيائه ، والكعبة ، والقرآن ، وعرشه ، وكرسيه ، وبجميع خلقه ، ولا بشيء من الحقوق ، وأما بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق محمد عليك ، وبرحمتك ، أو بلطفك ، ففيه اختلاف ، فمنهم ؛ من أجاز ذلك على نحو ما يستشفع الى الله بصفات أفعال برسله وأنبيائه من فضل الشفيع ، على ما يشفع عليه ؛ لأنهم أجل شأنا عنده وأعظم مقدارا ؛ والله أعلم .

وقال قوم : لا يجوز أن يسأل بشيء من هذا ؛ لأن الله ـ تعالى ـ ليس لمخلوق عليه حق منَ النبيين والمرسلين ، ولا الملائكة المقربين ، فيسأل بحقهم ، وانما الحق له على خلقه والفضل منه عليهم ـ عز وجل ـ من أن يكون لمخلوق عليه حق ، فيكون مانّاً عليه بذلك ؛ والله أعلم .

(مســألة) : قال أبو معاوية : جائز أن يقول الرجل : اللهم صلّ على محمد كما صلت عليه ملائكتك ، ويقال : اللهم صلّ على محمد كما صليت وسلمت وباركت على ابراهيم ، وعلى آل ابراهيم في العالمين ؛ والله أعلم .

(مســألة) : وقال من قال : اللهم ارحمنا برحمتك ، ففيه اختلاف ، وكتب بعض المسلمين الى بعض ؛ عافانا الله واياك برحمته .

(مســألة) : وهل يجوز أن يسأل العبد خالقه بفضله ومنّه وكرمه ورحمته ، فيقول : وقنا برحمتك عذاب النار ، ويقال : انعم علينا بهدايتك وتفضل علينا بعفوك ؟

الجـواب ؛ قد عرفت جواز ذلك لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿وقنا عذاب النار﴾ ، وقد قال : ﴿واسألوا الله من فضله﴾ ، وقد قال : ﴿بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ ، واذا سأل لله الله أن يمن بعفوه ورحمته على عبده فذلك جائز ؛ لأن مسألته انما يريد بذلك أن يمن عليه بذلك لا انه يسأل بعفوه ورحمته وهدايته متوسلا الى الله ـ تعالى ـ بذلك ، فذلك لا يجوز ؛ والله أعلم .

(مســألة) : عن الشيخ عدي بن سليمان الذهلي ، وهل يجوز أن يسأل الله بأسمائه الذاتية والفعلية وبصفات ذاته وبصفات أفعاله ؟ وكذلك هل يجوز أن يدعي بذلك أم لا ، أم يجوز دعاه بشيء لا يجوز به سؤاله ، ويجوز سؤاله بشيء لا يجوز به دعاءه ؟ فسر لي معاني ذلك ، وعرفني أيضا كيف صفة لفظ

من يدعوه بأسمائه الذاتية أو الفعلية ، أو بصفات ذاته ، أو بصفات أفعاله ، كيف يقول الداعي بذلك ؟ عرفني كل لفظ بعينه ؛ وكذلك من يسأله بشيء من هذه المعاني ؛ كيف يقول في سؤاله ؛ بين لي ـ سيدي ـ صفة القول في كل معنى من ذلك .

الجواب ؛ والله الموفق ؛ والهادي الى طريق الحق والصواب ، اعلم يا ولدي وقرة عيني ، علمك الله ما لم تعلم اني قليل العلم ، ركيك الفهم بقلة المطالعة في الآثار ، وعدم المخالطة لذوي الأبصار ، غير اني سأذكر لك طرفا مما وجدته في آثار المسلمين ، وحفظته من كتاب [منهج الطالبين وبلاغ الراغبين] ؛ تأليف الشيخ الفقيه الرشيد العالم العامل ، خميس بن سعيد بن علي الرستاقي ، رحمه الله ـ تعالى ـ وغفر له ورضيه ورضي عنه ، والفرق بين أسماء الله الذاتية والصفاتية والفعلية ، وقد قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ ، فمن هذه الأسماء أسماء الذات ، وهي الرحمن الرحيم الحي القيوم القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز ، الجبار الواحد الصمد القاهر القادر العليم الغني الكريم اللطيف الخبير الرؤوف الدائم الرب ؛ فهذه الأسماء وأمثالها من أسماء الذات .

وأما أسماء الصفات ؛ خالق باريء مصور رازق محيي مميت باعث ناشر مجاز ، وما كان مثلها .

والايمان بجملتها ايمان بتفسيرها ، والايمان بتفسيرها ايمان بجملتها ، ولا تنازع بين أهل النظر ان صفات الذات ما لم يزل الموصوف بها ، وصفات الفعل وجوبها مع الفعل ، أو أسماء الله وصفات ذاته ، فالصفات الذاتية قديمة ، ولا يجوز أن يقال : هي غيره ، ولا هي هو ، ولا هو غيرها ، ولا يتبعض منها ، ولا تتبعض منه ، لم يزل موصوفا بها .

الصفات الفعلية لعله فهي غيره ، وهي محدثة ؛ لأن اللفظ محدث ،

وهو غير الله ، والموصوف قديم لم يزل ، والمعنى بالصفات ، وهو الله وصفاته على ما ذكرنا من الذاتية ، والفعلية ، والاسم المقصود والمراد هو الله ـ سبحانه ـ الذي لم يزل موصوفا بصفات ذاته ، واذا اشتبهت عليك الصفات ، فعلية هي أم ذاتية ، فادخل عليها الألف واللام وتعرفها ، وذلك أن تقول لم يزل الله ولم يزل الرب ، ولم يزل وهو العالم والخالق والرازق وغير ذلك من الأسماء ، فاذا أدخلت الألف واللام في الأسماء الذاتية ، والصفات الفعلية تصب الصواب ان شاء الله ـ تعالى ـ .

وقيل : ما كان من الأسماء غير الله فهو اسم وصفة الله ـ تعالى ـ فانها أسماء الأفعال ، وتسمى صفات الأفعال ، فاذا أدخلت الألف واللام على الصفات رجعت أسماء ، وصفات الله ـ تعالى ـ وصفة الدعاء بها فمنها الاسم الأعظم وهو الله ـ تعالى ـ فيدعو الداعي به ، يا الله ؛ يا الله ؛ يا الله ارزقني كذا ، واصرف عني كذا بما يدعو الداعي به ، ويعتقده في نيته من اختلاف المنافع ، ودفع المضار ، وغفران الذنوب ، وكشف الكروب ، وكذلك غيره من أسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ مثل الرحمن الرحيم والملك والمالك والرازق والفتاح والرزاق والسلام والمؤمن والمهيمن ، وما كان من الأسماء ، فيقول الداعي في دعائه : يا رحمن يا رحيم يا ملك ، يا مالك يوم الدين ، ولطلب الرزق يا رزاق ، ولطلب الفتح يا فتاح مما فيها من المعاني والمراد ، وما يكون على مثالها من آي القرآن ، وكثير من الأسماء نزل بها النص مجملا ، وشدد العلماء في الدعاء بها على الاطلاق ، كقول الله ـ تعالى ـ : **﴿أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾** ، وكذلك قوله ـ تعالى ـ : **﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾** ، وقوله ـ تعالى ـ : **﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو﴾** ، فلا يجوز اطلاق الدعاء به على الله ـ تبارك وتعالى ـ بهذه الأسماء ونظائرها ، وان كان النص نصّ عليها مجملا ، فلا يجوز أن يقول الداعي في دعائه : يا زارع ، يا ماكر ، يا ضار ؛ لأن الله ـ تعالى ـ لا يوصف الا بالأسماء

الحسنى ، كما يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ ، وان كان قد جاء في بعض القول بالترخيص في اسمه (ضار) بمعنى انه (ضار للكافرين) فأكثر أصحابنا لا يجيزون ذلك ، والله ـ تعالى ـ أعلى وأعلم وأرأف وأرحم .

ولا يجوز أن يوصف الله ـ تعالى ـ بالرأي ، ويجوز أن يقال : رأيت الله يقول كذا وكذا ، بمعنى علمت أن الله يقول : كذا وكذا ، ولا يجوز أن يقال : ما أبصر الله بعباده ! وما أكرمه ! وما ألطفه ! وما أحلمه ! وما أشبه هذا من المقال ؛ لأنه تعجب ، والتعجب منفيّ عن الله ـ تبارك وتعالى ـ ، وقيل : ان التعجب يجوز في الأفعال ، ولا يجوز في الصفات الذاتية ، ويجوز أن يقال : ما أحسن صنع الله وتدبيره ! ولا يقال : ما أحسن علم الله وقدرة الله وعزة الله ! ويجوز أن يقال : نظر الله اليه له ، ولا يجوز أن يقال : لم يعلم الله ، ومتى علم الله ، وكذلك ما كان من صفاء الى الله ـ تعالى ـ الا ما أحسن من الأسماء والصفات .

ولا يوصف الله بالصعود ولا بالنزول ، ولا يقال : انه في مكان ولا خلا منه مكان ، ولا فارقه مكان ، ولا لاصقه مكان .

ولا يوصف الله بالقيام ، ولا بالقعود ، ولا الكسل ، ولا التواني ، ولا الخلوة ، ولا الفترة ولا الشهوة ولا الغفلة ، ولا اللهو ، ولا الشك ، ولا الجهل ، ولا الندم ، ولا النطق ، ولا السكوت ، ولا يوصف الله بالملل ، ولا السآمة .

وكثير مما وصف به نفسه لا يدخل في أسمائه الحسنى ، وان كان الفعل مضافا اليه من ذلك لا يقال : انه زارع ولا زراع ، ولا ماكر ولا مكار ، ولا ماهد ولا مهاد ، ولا مشير ولا مقترض ولا جلد ، وما كان من نظائر هذه الأسماء .

ولا يقال : ليس وراء الله منتهى ؛ لأنه ليس له وراء ولا قدام ويكره أن يقال : لا والحمد لله ، ولكن يقال : لا ولله الحمد ، ولا يقال : ما أجرأ فلانا على الله ! لأن الله أعز من أن يجترىء عليه أحد من خلقه ، ولكن يقال : ما أعز فلانا بالله ! ولا يجوز على الله الأينية ولا الكمية ، ولا الكيفية ؛ لأن الأينية سؤال عن المكان ؛ فيقال : أين هو ؟ ومن كان له مكان ، فله حد ، والمحدود مخلوق ، والكمية طلب للعلة ، كقول القائل : كم كان كذا وكذا ؟ وهذا منفي عن الله ـ تعالى ـ .

وأما الكيفية ؛ فهي استخبار عن الهيئة والصورة والكون ، والله ـ تعالى ـ لا هيئة له ولا لون .

وأما الكمية ، فهي عبارة عن المقدار والعدد ، والله سبحانه يتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، ولا يوصف بكيف وأين وحيث ولم ، ولو ، فمن وصفه أو ذكره بشيء من ذلك ؛ فقد طلب له عيانا ومكانا وحلولا واستمكانا ، ومن وصفه بثم فقد سأله عن فعله ، والله ـ تعالى ـ لا يُسأل عن فعله ، وهم يسألون .

ولا يجوز أن يقال : الله لم يزل ولا يزال حتى يوصل ذلك بصفة من صفات الله ، ويقال : لم يزل الله عالما ، ولا يزال عالما ، لم يزل عالما ، ولم يزل قادرا ؛ لأن هذا يصح الوصف التام .

ولا يجوز أن يقال في الدعاء : يا عماد من لا عماد له ، ويا ظل من لا ظل له ، ويا كنز من لا كنز له ، وأمثال هذه الأسماء ونظائرها ؛ والله أعلم وبه التوفيق .

وازدد يا ولدي من سؤال المسلمين ، ولا تأخذ من قولي الا ما وافق الحق والصواب ، فاني لست بفقيه ولا عالم ، وما توفيقي اياك الا بالله ، وعليه

نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، والسلام عائد عليك ورحمة الله وبركاته .

وقال الشيخ ناصر بن أبي نبهان في جوابها : قد جاء في الأثر ؛ لا يقول المرء اللهم اني أسألك باسمك ، وهكذا ذكر لي والدي - رحمه الله - انه لا يقول المرء كذلك الا مع حضور نية انه يريد بذلك أبتدىء ذكرا بأسمائك ، أو أستعين بأسمائك ، وهكذا في كل الأسماء .

ويجوز في كل الأسماء أن يقول المرء : اللهم اني أدعوك باسمك الرحمن الرحيم ، أو غير ذلك من أسمائه - تعالى - على الاطلاق ، ولا يخص الجواز في هذا ، والنهي عن اللفظ الأول شيئا من الأسماء دون شيء منها ، وكان يكره أن يقول المرء : اللهم بحق أسمائك كذا وكذا ، أو بحق أسمائك كذا وكذا ، أو بحق أسمائك كذا ، وأما بحرمة اسمك كذا بمعنى التوسل بعظمة ذلك الاسم لا بمعنى العزيمة عليه ، ولا بمعنى القسم عليه به فجائز .

وأما أسماء الذات فهي التي تخص الذات مثل اسمه تعالى الله (اله) ، وأسماء الصفات ما يخص صفاته ذاته مثل اللطيف ، والقوي ، والشديد وأسماء الأفعال ما يخص وصفه فيما يفعله نحو الخالق والرازق ، وكذلك صفات ذاته انه عالم الغيب والشهادة ، وذو القوة ، وذو الطول ، وصفات أفعاله نحو ؛ ذو العطاء ، وينزل الغيث .

والسؤال ؛ ان تسأله ما تريد وتدعوه بأسمائه ، فما أردت من الأسماء فكله جائز ، ومناسبة المعنى المطلوب كما ورد كذلك عن الملائكة باسم (ربنا) ، وورد عن الأنبياء كذلك كما حكاه الله - تعالى - عنهم كل منهم دعا الله باسم يناسب معناه مطلوبه ، وسأل الله ما شاء ، فانظر في ذلك من كتابه - تعالى - تجده كذلك ؛ وبالله التوفيق .

(مسألة) : عن الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي ، وعن قول محق بحق محمد ﷺ هل هو جائز في الدعاء وما قيل فيه من قول الفقهاء ؟

فالجواب ؛ قد اختلف اهل الفقه في اجازة هذه المسألة وما جاز ان يختلف فيه فلا يخطىء قائله ولا فاعله اجماعا ؛ لأنه من الجائز في رأي من اجازه من المسلمين ، وكم لك من مستعمل شائع وهو في الاصل المختلف فيه على ان كشف هذه لم نجده بالتفصيل فيما عثرت عليه من آثار اهل العلم والفضل وانما تواردوه بالاختلاف على ما فيه من اجمال من دون شرح لجميع مجملاته ، حتى تظهر جلية الحق المبين ، فيراه المنصف بعين اليقين وما ذلك مع حسن الظن بهم لقصور علم ، ولا تخليط في حكم ، ولكن ايراد المجمل في الاثر غير بدع ولا مستنكر ، ولا يتوصل الى معرفة الحق فيه الا بايضاح معانيه ، ولا بلوغ الى هذا الا بتحليل كلماته ومعانيه ، فاقول اولا ان (باء) الجر قد تكون لمعان : هي القسم ، والاستعانة ، والسببية ، والالصاق ، والظرفية ، والزيادة ، والتعدية ، والتعويض ، ومشاكلة (من وعن) في معناها ، ويعرف كل محل منها وموضعه بدلالة المعنى عليه .

واذا احتمل الوجهان فما فوقهما كان لكل وجه ما يقتضيه من حكم ، فالحكم على احدهما بموجب الآخر باطل بالجزم لا يصح في العقل ولا في النقل ، اذ لا يجوز الحكم بالعموم في موضع الخصوص ، والالفاظ صور قائمة والمعاني ارواحها ، فصار وقوفك على الاشباح ، مع خلوها عن الارواح ، ام تظن بان نقش اجتماع الحروف والكلمات ، بمجرد تأليف اللفظ يتبدل عليه ، كلا ؛ والله ؛ وانه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، انما يحكم على مبانيها بصريح معانيها لا غيره ، ولاختلاف المفهوم في مثل هذه المسائل ورد الاختلاف بين اهل الحق ، فكل عبر على معنى فهمه وهو الحق في حقه ، والجزم جمع الوجوه المحتملة فيه ، وفرز بعضها عن بعض فهو الجواب الكامل والصواب الشامل .

فاعلم ان الاختلاف في المسألة من وجهين : احدهما ؛ من حيث لفظة حق فقيل : لا حق على الله ـ تعالى ـ لاحد من خلقه البتة ؛ وقيل : بجوازه على معنى ان حقه عند الله ـ تعالى ـ هو حرمته وشرفه لديه وتعظيم منزلته وتفخيم مكانه وجلالة قدره ، فذلك حقه على الله ـ تعالى ـ وحق على الله ان يفعل ذلك له كما ورد في الحديث ان لله على عباده ان يطيعوه ولا يعصوه ، وحقهم عليه ان يدخلهم جنته او نحو هذا من القول ، وكيف يصح باطل ذلك وهو القائل ـ جل شأنه ـ : **﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾** ، فاذا جاز ان يكون نصر المؤمنين حقا عليه ، فكذلك ادخالهم الجنة حق عليه ، وكذلك تعظيم منزلة النبي ﷺ حق عليه ، واذا ثبت ان ذلك حق عليه ، فكيف لا يجوز التوسل بما هو عظيم عنده ؛ اليس هو القائل : **﴿ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك﴾** ؟ وقد استقر بالاجماع على ثبوت التوسل بالنبي ﷺ والتشفع به ، وبالانبياء وبالملائكة المقربين صلوات الله عليهم ، وبالاولياء رضوان الله عليهم ، كما ورد عمن ورد عن الخليفة الثاني رضوان الله عليه ، اذ اخذ بيد العباس رحمه الله مستسقيا به ومتوسلا الى الله ـ تعالى ـ بقرابته من النبي ﷺ في ملأ المهاجرين والانصار ، ولا زالت الامة كذلك خلفا بعد سلف ، أليس ذلك اسوة حسنة لمن يرجو الله واليوم الاخر ؟ اوليس في هذا ما يدمغ بالحق ما لفقه من الباطل محمد بن عبدالوهاب الازرقي من تشريكه لأهل القبلة بهذا النوع ومثله حتى صرح بان زائر قبره والمستشفع به ﷺ داخل في حيز الشرك مع ثبوت ذلك من فعله ﷺ في زيارته قبر امه ، فكيف به في قبره واستقرار ذلك على عهد الصحابة والاجماع من التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ؛ فهل يرضى بنهج غير سبيل المؤمنين الا من كان قائده العمى ، ودليله الهوى ، ومعاذ الله من البلاء ، وليت شعري في العقل السليم ، ام النقل القويم ، ما يمنع منه فيدفع بل ان هذه لخرافات لا يلتفت اليها ، ولا يعول عليها ، فلنرجع عنها الى خير منها ، فنقول : اذا ثبت جواز هذه اللفظ كما اصلناه ، فلا بد من كشف معناه لتصحيح العقيدة ، ودفع اللبس ، ورفع الاشكال ، فاعلم ان

قول الفقهاء لاحق على الله لاحد من خلقه هو قول صحيح بظاهر مفهومه ؛ لأن الحق في عرفهم هو الواجب لزوما ، والله تعالى منزه عن الالزام والايجاب .

وقد يكون الحق بمعنى (الدين) بفتح الدال ، وذلك غير جائز ايضا ، وقد يكون بمعنى نقيض الباطل ، ولا معنى له في هذا المحل ، فكان غير جائز على كل تقدير من هذه الوجوه ، وعسى ان لمثل هذه العبارات قيل فيه بما فيه والصواب انه ، وان كان لا لزوم عليه في شيء سبحانه ، فانما الحق في قوله عبارة من كون قبوله او وعده حتما مقضيا لا غير ، كما قال : **﴿وعدا عليه حقا﴾ ﴿وكان وعدا مفعولا﴾** ، **﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾**، كله سواء ، وانما قطع النظر فيها عن اصل الوضع لعدم اللبس اكتفاء بقرائن قواعد التوحيد ، ولولا ذلك لما جاز وصف الملك الحق باكثر صفاته التي لا يوصل الي فهمهما الا بالالفاظ المستعملة في خلقه ، وباجماع الموحدين المحقين ان تنقلها الى صفة الله ـ تعالى ـ تنتقل عن اصل وضع معناها الذي ثبت في الخلق ، فليس السمع كالسمع ولا البصر كالبصر ، ومن هلم جرا في غيرها ، واذا ثبت هذا مع جوازه بالاجماع واستقراره بالكتاب ، وسنة النبي الاواب ، فكيف لا يرد اليه حكم ما اختلف فيه من امر التوحيد مع استقرار الاجماع يرد كل فرع الى اصله ؟ او ليس هذا من ذاك ؟ بلى ؛ والله ، فهل تجحد الشمس في كبد السماء ، اوليس هذا بالحق ؟ قالوا : بلى ، فما وجه الجدال بعد كشف الصدق في المقال ؟ او ليس هذا بما فيه من البرهان ، كالظاهر للعيان ؟ فكيف يصح في لفظة حق ان يكون القول بالتفصيل ، على ما في مثله من التأصيل ؟ فاني لا اعرف غير ذلك في الحق ، ولا بأس على متكلم ان يأتي من القول بما فتح الله له فانما هي نعمة سخرها الله على لسان من شاء ، وعلى ما جاز من وجه في لفظة حق محمد ﷺ .

فدخول (الباء) عليه في الدعاء ؛ لا بد فيه ان يكون لمعنى القسم او

غيره ، فان كانت لمعنى القسم فنقول فيه بالمنع رأيا نستنبطه على قياد قول من اطلق المنع فيها ، لانه دال على ترك الاحترام بين يدي رب العزة ـ تعالى ـ ، لأن القسم عزيمة على الفعل ، وذلك مما للسيد على عبده ولا عكس ، ولا ادري في ذلك وجها ابيحه ، اللهم الا ان يخرج له في معنى التأويل وجه في الحق لم اهتد اليه ، واما اذا كانت (الباء) للسببية او الاستعانة ، فلا معنى للمنع ولا وجه الا الجواز .

وليس معنى الاستعانة به في هذا المقام الا التوسل الى الله ـ تعالى ـ بحرمة نبيه ﷺ في اجابة الدعوات ، ورفع الدرجات ، وتفريج الكربات .

وقيل ان (الباء) للالصاق في جميع الحالات ، وعلى هذا فلا مانع من الجواز ايضا واما تقديرها لمعنى التعدية ، او التعويض ، او الظرفية ، او الزيادة ، او ما سواهن من الوجوه المعدودة ، فلا يصح في اللفظ ، ولا المعنى فلا كلام عليه في هذا المحل ، ولا بأس ان تذكرها هنا على سبيل الاستطراد ؛ الى الاختلاف في هذا الاختلاف الموجود في نحو ؛ ارحمنا برحمتك ، وعلمنا بعلمك ، ونجنا بقدرتك ، وما يشاكل هذا .

والجواب في هذه لا بد من التفصيل فيه كالتي من قبلها ، وعلى تلك الوجوه فنذهب الى جوازه ، وانا لنقول به غير ملتفتين بحمد الله الى من صرح باطلاق منعه ، فان في كتاب الله ما دل على جوازه اولا تسمع فيه : **﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا﴾** ؛ فاي فرق يسوغ لمن رام القول به ما بين نجني برحمتك وبين نجيناهم برحمة منا وكذلك في سائر الالفاظ ؛ ام تراه جائزا لأن احدهما بلفظ الخبر ، والآخر بلفظ الدعاء ، والمتعلق بهما واحد ، ولا دليل على تخصيص المتعلق به ام يجوز التخصيص لشيء واخراجه عن اصله والحاقه بحكم آخر من دون ما حجة وبرهان ، ولا دليل بسلطان ؟ أفليس في جواز احد اللفظين ما دل على اجازة الآخر ؟ ولو قلنا بجوازه لثبوت النص فيما يشبهه

لكان في الاجماع ما يكفي عن النزاع ، فكيف ؟ ولا اقول الا ان احدهما عين الآخر فلا يشبه الشيء بنفسه ، ولا يستنبط له حكم غير ما ثبت في ذاته ، فما هو الا كالجسد الواحد بما فيه من الاعضاء التي هي من بعض كله ، واصرح من هذا كله وجودها بالنص في الدعاء من كتاب الله ـ تعالى ـ نحو برحمتك من القوم الكافرين ، وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ، وان هذا لهو حق اليقين ، فلا ادري ما سبب الخلاف ، من بعد هذا كله بين الفقهاء الاسلاف ، في هذا نومثله ؛ اللهم الا ان يكون لدفع عقيدة فاسدة ، كالقول بان رحمته هي هو ، او هي غيره ، فهو مخصوص فساده بمن اعتقد غير الحق فيه ، وليس بداخل بمفسدة على اعتقاد محق في الدين ، ثابت على الحق المبين ، وان من عرف معنى ما يقول ، وفتح الله له البصيرة في المعقول ففكر مليا ، وابصر الحق جليا ، فما عليه ان يمضي في حاله ، على بصيرة من مقاله ، فيقول في مثل هذا باطراد ، فان الاختلاف في هذا كالاختلاف الشائع في ؛ أسألك بأسمائك ؛ على ان الجواز المبيح هو المذهب الصحيح .

ولو لم يسمع في مثله يصح ان يشبه به فيقاس عليه ، لكان في الوجوه السابقة ما يدل به على الجواز في غيره معنى كون الباء للقسم فكيف ؟ وفي قوله تعالى بها ما يدل على جوازه ، لأن السؤ ال هو الدعاء ، والدعاء هو السؤ ال ، وما جاء في المفسر فلا مانع من جوازه في التفسير ، وفي الاجماع ان ما اشبه الشيء فهو مثله ، واي مشابهة اعظم من مشابهة لفظين مستويين في المعنى متعلق بهما حرف واحد ، لمعنى واحد من معاني الجر الشهيرة ، واولى ما به ان يكون لمعنى الالصاق كما قيل في (باء البسملة) ، ويجوز على قول آخر أن تكون لمعنى الاستعانة ، وبهذا المعنى الأخير يقول الشيخ ناصر بن ابي نبهان ويرفعه عن ابيه ، كما عثرت عليه من قول من يؤ من في الرفيعة على مثله ، ينسبه الى الشيخ المذكور ، أفيصح المنع على هذا بلا حجة توجبه ولا سلطان حق يؤ يده فيترجح به الا مجرد القول به كما هو موجود فيه ؟ فان قلت : أفليس في اقوال

المسلمين الثابتة عنهم ما يدل على ما سبق من الاختلاف فيه ؟ فاني اراك كثير التحامل على توهين ما ثبت فيه من القول ولا سبيل الى بطلانه ، قلت : ان الحق احق ان يتبع ، وليس في اقوال المسلمين ما يدفع بغير دليل ، فيمنع وليسني الان بمعترض في ذلك على اهل الفضل فيما قالوه من العدل ، وانما تحريت الصواب في تفصيل مجملها ، وبيان الحكم في مفصلها ، والحاق كل فصل بما ثبت له من اصل ،ولعمري ان الاجمال في الاثر هو الاكثر ولا سيما في الالفاظ المذكورة في كتب التوحيد ، فان اكثرها غير معطى حقه من التفسير ، وبالاحرى ؛ ان يتعرض لبيان الحق في هذا وغيره من قدر عليه ، ولولا ما اشاهده من نفسي من تكدر البال ، واضطراب الخواطر ، وانسداد القريحة في الغالب مع الاعتراف بقصود العلم وفتور العزم ، لكان الانتداب الى اظهار كتاب يكشف عن قواعد التوحيد من عين الصواب .

فان قلت : فاذا كانت هذه المسائل مما يختلف فيه ، او ليس من الصواب ان تترك الى غيرها تورعا بالخروج من المختلف فيه ؟ قلت : ان ذلك مما قيل به تورعا في بعض القول ، واما الاخذ بما جاز من مختلف فيه لمن ابصر عدله فجوازه اجماع لا دافع له ، وانا ممن لا يرى بأسا في التكلم والنطق بمثل هذه الوجوه الصحيحة ، فلست من الممتنع من الدعاء بها ، ولا ملتفت الى اجمال من قال بمنعها ، ولهذا قد وردت عني كذلك في بعض الادعية ، وان شق على من قرب فهمه من افهام العوام ولم يكن له من مادة النظر ما يفرق بين الوجوه في الاحكام ، فلستني براجع اليه ، والحمد لله على الالهام ، وشكرا له على الفضل المردف منه بالانعام .

(مسألة) : عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، وما صفة لفظ دعاء من يدعو الله بافعاله ، وكذلك من يدعوه بصفات افعاله ، وكذلك سؤاله بما ذكرنا عن كيفية لفظ الداعي والسائل بذلك ؛ وكذلك الدعاء باسمائه الذاتية ، والسؤال بها ، اشرح لفظ كل شيء من ذلك بعينه يرحمك الله ؟

الجـواب ؛ ان صفة الذات كالرحمن والرحيم والحكيم ، وما لم يزل به موصوفا قبل الكائنات ، والدعاء بها يا عليم ؛ يا حكيم ، يا قادر ، واسماء الصفات ، يا خالق ، يا رازق ، يا حافظ ، وما اشبهها ، ولهذه الاسباب شرح انا مجيب فيها بعد ان شاء الله .

(مسـألة) : من كتاب (النور) تأليف عثمان بن ابي عبدالله الاصم ، ويسأل الله باسمائه الحسنى ، وتأويل ذلك ان يسأل بالاسماء التي سمى بها نفسه ، ولا يعنى بذلك نسألك بحق أسمائك عليك ، ولكن يعنى بما سمى به نفسه بانه الله الرحمن الرحيم الخالق البارىء .

(مسـألة) : ومنه ، وجائز ان يسأل الخالق ؛ نسألك بك ، قال المؤلف : وسئل عن ذلك ، فان فيها غير هذا ، ولا يجوز ان يسأل الله فيقول : بحقك ، ولا بسمواتك ، ولا بوجهك ، ولا بقدرتك ، ولا بملائكتك ، وانبيائك ، والكعبـة ، والقرآن ، وعـرشك ، وكـرسيك ، وبجميع خلقك ، ولا بشيء من الحقوق .

ولا يجوز ان يقال : اسألك باسمائك ، ولكن ادعوك باسمائك ، ولا يجوز بحق اسمائك ، ولا يجوز ان يقال : اللهم بقدرتك ، او بعزتك ، او بحكمك ، او بعلمك ، افعل لي كذا وكذا ، وكذلك بحق قدرتك ، وبحق عزتك ، ووجهك ، واسمائك ، فهذا لا يجوز لانك تجعل قدرته وعزته غيره ؛ لأن اسماءه الذاتية وصفاته الذاتية ، لا هي هو ، ولا هي غيره .

فاذا قلت : بحق قدرتك وعزتك ، فكأنك سألته ببعضه ، وتجعل القدرة حقا عليه ، وتعالى الله عن ذلك ، ومن قال : باسمائك وملائكتك ، ففيه اختلاف ، واختلفوا فيمن يسأله بافعاله ، وجائز ان يسأله باسمائه ، ومن سأل الله بصفات فعله ، ففيه اختلاف ، ولا يجوز ان يقال اسألك بلا اله الا انت ، ولا بحق لا اله الا انت ، ولا اسألك بحق شهادة ان لا اله الا الله ،

ولكن يقال : يا الله يا رحمن يا رب يا خالق يا بارىء يا مصور يا مؤمن يا مهيمن ، وامثال ذلك من اسمائه التي لا يجوز ان يسمي غيره بها .

(**مسألة**) : ومنه ؛ ومن قال في دعائه : اللهم اني اسألك بالاسم الذي دعاك به موسى ، او بالاسم الذي دعاك به عيسى ، فلا يجوز ، ومن قال : اسألك بما سألك به محمد ﷺ فان هذا لا يجوز .

(**مسألة**) : ومنه ؛ قال ابو محمد : واختلفوا فيمن يسأله بفعله ، فاما افعاله فمثل ؛ بحق انبيائك افعل لي كذا وكذا ، فعلى قول : من اجاز ذلك قال : من فضل الله الشفيع على من يشفع اليه ، واما قول من لا يرى ذلك فيقول : لا حق لاحد عليه ، وحقه على عباده .

قال ابو سعيد : معي ؛ انه يخرج نحو هذا على بعض ما قيل ، ولأنبيائه ـ تبارك وتعالى ـ الحق في دينه بما جعل لهم الحق ، وقد قال ـ تعالى ـ : **﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾** ، وليس لاحد من خلقه عليه حق الا ما جعل بفضله لهم ، والحق له ـ تبارك وتعالى ـ على عباده وخلقه ان يوجبوا حق ما جعلوا لعباده من الحق في دينه من نبي وغيرهم من ذوي الحقوق في دين الله ، وهذا جائز في مجاز الكلام ، وغير متعلق على معنى ان على الله حقا لعباده على اللزوم به لهم جل الله عن ذلك وعز .

(**مسألة**) : جائز ان يسأل الخالق فيقال : نسألك بك ، ونسألك بحق السائلين عليك ، وذلك ان حق الله ان يطيعوه ، وحق الخلق على الله ان يثيبهم اذا اطاعوه ، فيسأل الخالق بذلك الحق ، ويسأل الخلق بحق الله ، قال المؤلف : نسألك بك ، قيل : لا يجوز .

(**مسألة**) : ومن قال بحق يوم الجمعة ، وبحق حرمة رمضان ، فبعض اجاز ذلك ، وكره آخرون ولم يجيزوه .

(مسألة) : ولا يقال : نسألك بحق محمد ، ولكن يقال : بحرمة محمد .

(مسألة) : ولا يجوز ان يسأل الله بملائكته وانبيائه ، والكعبة ، والقرآن ، وعرشه ، وكرسيه ، وبجيمع خلقه ، ولا بشيء من الحقوق .

(مسألة) : واما بحق انبيائك ورسلك ، وبحق محمد عليك ، وبرحمتك او بلطفك ، ففيه اختلاف فمنهم ؛ من اجاز ذلك على نحو ما يستشفع الى الله بصفات افعاله برسله وانبيائه من فضل الشفيع على من يشفع عليه ، لأنهم اجل شأنا عنده ، واعظم مقدارا ؛ والله اعلم .

وقال قوم : لا يجوز ان يسأل الله بشيء من هذا ؛ لأن الله ـ تعالى ـ ليس لمخلوق عليه حق من النبيين والمرسلين ، ولا الملائكة المقربين ، فيسأل بحقهم ، وانما الحق له على خلقه ، ولا الفضل منه عليهم ـ عز وجل ـ من ان يكون لمخلوق عليه حق ، فيكون مانا عليه بذلك ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ويكره ان يقال : اعوذ بالله وبك ، ولكن يقال : اعوذ بالله ثم بك ، ويكره ان يقال : بسم الله واسم رسول الله كالشريك له ؛ ولكن يقال : بسم الله ، ثم اسم رسول الله ﷺ ، ولا يجوز ان يقال : لله يا خير الاصحاب الا ان يعني حافظا ومدبرا ويكره ان يقال : لولا الله وفلان ، ولكن يقال : لو الله ثم فلان ؛ والله اعلم .

(مسألة) : عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ؛ وقول : اعوذ بما عاذ به ملائكة الله فيما عندي انه جائز ، وسمعت خلف بن سنان يقول : جائز عندي ، لا يجوز تقليدهم ، واعوذ بكلمات الله التامات لا احفظ في هذا شيئا .

(مسألة) : من كتاب (الارشاد) ؛ ولا يجوز ان يقال : اسألك

باسمائك ، ولكن ادعوك باسمائك ، ولا يجوز بحق اسمائك ، واختلفوا فيمن يسأله بافعاله ، وجائز ان يدعى باسمائه ، ولا يجوز ان يقال : اللهم بقدرتك او بعزتك ، او بحلمك ، او بعلمك ، افعل بي كذا وكذا ، وكذلك بحق قدرتك ، وبحق عزتك ووجهك واسمائك ، فهذا لا يجوز ؛ لانك تجعل قدرته وعزته غيره ، لان الاسماء الذاتية ، وصفاته الذاتية لا هي هو ، ولا هي غيره ، فاذا قلت بحق قدرتك وعزتك ، فكأنك سألته ببعضه ، وتجعل القدرة حقا عليه ، وتعالى الله عن ذلك ، ومن قال : باسمائك وملائكتك ففيه اختلاف ، واختلفوا فيمن يسأله بافعاله وجائز ان يسأله باسمائه ، ومن سأل الله بصفات فعله ، ففيه اختلاف .

(مسألة) : عن الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي ؛ ما تقول في الدعاء لله بمثل قولهم : اسألك بقدرتك ، واسألك باسمك ، الذي هو النور ، وبوجهك النور ، يا نور ؟

الجواب ؛ نحن لا نقول : اللهم اسألك باسمك ، ولا بك ، ولكن ادعوك باسمك ، الا ان يحضر السائل هنالك نية اني ادعوك مبتدئا باسمك ، او مستعينا بك ، فعلى هذه النية جائز ، والباري ليس من اسمائه النور ، بل النور ظهرت معرفته في الكائنات ، وفي قلوب العباد ، وليست المعرفة ولا ظهورها هي الله ـ تعالى ـ ، واذا قصد بالنور اي ظهور معرفته ، فجائز ، واما ان يقال : يا نور ، فليس هذا من النداء لله ـ تعالى ـ وان كان قد قال ـ تعالى ـ : **﴿الله نور السموات والارض﴾** ، فانما بذلك قلنا قوله ، صح ، **﴿مثل نوره كمشكاة﴾** ، فصح ان المعنى الله قد ظهرت معرفته في السموات والارض ، وقلوب اهل التقوى ، فافهم ذلك ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : ومن كتب بعض قومنا ، قال ابن ناجي : اختلف العلماء ؛ هل الافضل للمكلف عند التلفظ بـ(لا اله الا الله) المد للالف (لا) من

النافية ، او القصر ، فمنهم ؛ من اختار المد ليستشعر المتلفظ بها نفي الالوهية عن كل موجود سواه ـ تعالى ـ ، ومنهم ؛ من اختار القصر لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بذكر الله ـ تعالى ـ ، وفرق الفخر بين ان يكون اول الكلام فيقصر ، والا فيمد ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي : وكل هذه الاقاويل حسنة في مد لام النفي بالالف الاحسن فيها القصر ، او المد ، والتفضيل القصر ، ان كانت اول كلام ، والمد ان كانت في غير اول الكلام ، ويعجبني هذا الرأي ، وفي المد سالفة لنفي كل اله ما سوى الله ـ تعالى ـ وخوفه من اخترامه الاجل قبل تمام الاستثناء ، لا يمنعه من كونه فضيلة المرء ، لأن على المرء ان يسعى لما افضل عند الله ، وان جاءه الاجل وهو على تلك الحالة قبل ان يتم ، وفي نفسه انه ليتم ، فهو عند الله على ما في نفسه ، ولولا هذه الاعمال لكان الافضل في كل صلاة غير التأني في القراءة ، والركوع ، والسجود ، والقعود للتشهد ، وقراءة القرآن ان يأتي ذلك باسرع ما يستطيعه على وجه تتم به ، ويجوز الحكم بتمامها خوفا ان يخترمه الاجل قبل تمام الصلاة ، وهذا ما لا يخفى على كل ذي عقل سليم ان يرتل القرآن ، والتأني في جميع ذلك ، حتى يأتيه بخضوع وخشوع ، وتذلل واتاد هو الافضل ، والمؤمن المكلف قيل : عليه التلفظ بالشهادتين في عمره بعد صحة تكليفه مرة واحدة ، ويكون مثبتا عليه بقلبه .

وقيل : ليس عليه الا ان يحدث منه نفي ولو كان سهوا ، ومعي ؛ انه يدخل عليه الاختلاف في السهو انه لا يلزمه على هذا القول ، واما اذا دعي ان يقولها ، فليس عليه ان يقولها بالزام ذلك الداعي له الى قولها ، ولا يجوز للداعي له الى قولها اذا امتنع ان يخطئه ولا ان يضلله ؛ لانه محكوم عليه بها قبل ان يدعوه الى ذلك فلا فائدة في الدعاء اليها ، وقول القائل ان قالها ولم ينو أداء الواجب ، فالاصح معنا ان حكمه مؤمن عند الله على قول من يلزمه مرة ، واما على قول من لا يلزمه بلسانه فهو اعذر .

واما الكافر المشرك ، فلا بد له من ان يقولها بلسانه اذا الزم ، واما اذا لم يلزمه غيره ان يقولها بحضرته ، ولم يهتد الى ذكر ذلك انه يلزمه ام لا ، فمعي ؛ انه يعذر فيما بينه وبين الله ـ تعالى ـ وان خطر بباله ذكر ذلك ، ولكن لم يدر انه يلزمه ذلك بلسانه ام لا ، ومال الى ما ظنه ، فلا بأس ، وان مال الى غير ما ظن ؛ فإن ظن انه يلزمه ، وترك ذلك ، فمعي ؛ انه معذور ، وان ظن انه يلزمه فلم يفعل ، فمعي ؛ انه يأثم ولكن اذا صدقت نيته لله ـ تعالى ـ ان يعفو عنه .

وبلغني ان الجماعة اذا قالوا : الله اكبر لا يقول لا اله الا الله الا بعد سكتة مقدار نفس واحد هربا من اقران اسم اكبر بحرف النفي معا بحرف لا النافية من كلمة الاخلاص لا اله الا الله ، وذلك حسن ، وان لم يقف فلا بأس ، لأن في القرآن ما يشبه ذلك قوله ـ تعالى ـ في آية الكرسي : ﴿الله لا اله الا هو﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ ﴿الم الله لا اله الا هو﴾ ، فلم يصح ثبوت ندب يوقف بين اسم الله ـ تعالى ـ ، وبين حرف النفي ، هذا يشبه بين تمام الراء من اكبر وبين حرف النفي من لا اله الا الله ، فاعرف ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه ؛ والذكر لله ـ تعالى ـ بهذه الكلمة فضل عظيم ، والذكر بالقلب نوعان :

احدهما ؛ التكفر في عظمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

والآخر ذكر الله تعالى عند امره ونهيه ، وذلك بالعزم المصمم على الامتثال ، والاول افضل من الثاني ، والثاني افضل من الذكر اللساني فقط ، فما وقع بين العلماء من الاختلاف في افضلية الذكر اللساني على القلب ، يجب ان يحمل كما قال القاضي على ذكر القلب تسبيحا وتهليلا بلا لسان ، والا

فالنوعان الاولان من اذكار والقلب لا يساويهما ذكر فضلا عن ان يفضلهما ، قال العزيز عبدالسلام : الذكر كله لا يكون الا بجملة اسمية او فعلية ، فقول الذاكر ، الله مقصرا عليه من البدع ، وافعال الجملة ونحوه للبلبتي ، وسلمه بعض اصحابنا ، وذهب الزمخشري الى ان التسبيح افضل من الذكر ، ورده ابن عرفة بان الحق ان الذكر افضل من التسبيح ؛ لأنه اثبات ، والتسبيح نفي ، ولأن النص ورد فيه افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي ، لا اله الا الله ، مع ان الصفات الثبوتية افضل من الصفات السلبية ، والاضافة في شهادات الاسلام ، اما من اضافة الجزء الى الكل ، او من اضافة السبب الى المسبب ؛ والله اعلم .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : روي عن النبي ﷺ انه قال : «افضل ما قلته وقالت الانبياء من قبلي سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله الله اكبر ولله الحمد ، وهو من اذكار الملائكة ، وزاذ آدم عليه السلام : ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وزدت (انا) اي الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم » ، وقال ﷺ : «ما من نبي الا وكان من ذكره لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي دائم لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير» وليس في هذه الرواية وهي (حي دائم لا يموت) ، ومن زادها ، فلا بأس ، وكان والدي ـ رحمه الله ـ لا يزيدها ، وقال ﷺ : «بعثت انا والانبياء من قبلي الى ان ادعو الناس الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله وان ما جئت به عن الله هو الحق من الله » ، مع ان محمدا رسول الله كاف من غير هذه الزيادة التي ذكرناها ، وذكرها حسن اعظم اشارتها الى القرآن ثم ما بعده جميعا ، فان قيل : انه على هذا ليس هذه الكلمة افضل من سبحان الله والحمد لله ، ومن قول الله اكبر ، فاقول : ان هذا ما لا يشك احد انه مما يدل على اعظم فضلهما ، اذ لا يخرج احد من الشرك الذي هو اعظم جرما في الكبائر الا بها ،

ولا يقبل الايمان من المشركين اذا دعوا اليها الا بها ، ولكن معي انه بذلك لا يدل على انها افضل من سبحان الله ، ولا افضل من قول : الله اكبر ؛ لانه انما خصت الدعوة اذ لا ينكر احد من المشركين قول : الله اكبر ، ولا قول سبحان الله ، ولكن اتخذوا آلهة غير الله يعبدونها ، والمعنى المقصود من الاسم ؛ الاله الواجب المستحق للعبادة ، فكل من اتخذ شيئا يعبده ، فقد اتخذه الها كقوله : ﴿افرأيت من اتخذ الهه هواه﴾ ، أي قدمه بالطاعة على طاعة الله فالزم الله الناس الخروج مما قدموه بالطاعة على الله واشركوه في العبادة .

ومن تكذيب الله ـ تعالى ـ تكذيب رسله ، وما يدعون ما هم مقرون به كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله﴾ ، وقال : نعم ؛ حاكيا عنهم ﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾ ، وقول : لا اله الا الله نطقا باللسان لا يلزمهم غير مرة في العمر ما لم يحدث في ذلك حدثا يلزمه الاقرار بها باللسان ، واما (الله اكبر) فواجب عليه قولها في كل يوم خمس مرات ، والحقت بسادسة ، وان لم يقلها عند وجوبها كان فاسقا ؛ وذلك لأن بها افتتاح كل صلاة مكتوبة ، ولا يجوز ان يخلف لفظها ما استطاع الناطق المكلف بها في الصلاة ، وقول (لا اله الا الله) ، يجوز بالعربية وبالفارسية ، ويجوز بلفظ آخر ان لو قال اذا الاله هو الله ، وكل اله غير الله فباطل لكان كافيا .

فإن قال : كذلك ؛ الفاتحة لا يجوز تركها في الصلاة ، قلنا : ولا نقول : ان شيئا من القرآن أفضل من الفاتحة ، وهذا يدل على ما روي عن النبي ﷺ انه قال : «أفضل آية في القرآن آية الكرسي» ان مراده بعد فاتحة الكتاب لقوله ﷺ : «كل صلاة لم يقرأ فيها فاتحة الكتاب فهي خداج» ، فلزم قراءتها في كل يوم وليلة بوجوب الصلاة ، ولم يلزم قراءة آية الكرسي أحدا من الناس ، وجوبا لا يحطه عنه قراءة غيره ، فهي على مثال فرض الكفاية ، كذلك كل آية في القرآن ما لم يجتمع أهل الاسلام على ترك تعلّمها وكتابتها ، فالناس معافون بترك قراءتها .

فإن قيل بهذا الاعتبار : يلزم تساوي فضل (الله أكبر) و (فضل الفاتحة) على قول (لا إله إلا الله) ، قلنا : لا يلزم ، اذ قد يفضل الأشياء الفاضلة بعضها على بعض أيضا في الفضل ، فلا يوجب تساويها بحكم تفضيل الكل على ما دونهم ، ثم ان التسبيح جعل سنة مكررة في الصلاة ، ولكن دون التكبير ؛ لأنه فرض عين على كل مكلف بالصلاة ، فاعرف ذلك .

(مســألة) : ولا يجوز أن يقول أحد : أنا أقدر أن أفعل كذا على الحقيقة ، وانما يجوز على المجاز ، وكل لفظة تكون على الارادة فإن كان لمعنى يجوز فهي طاعة ، والا كانت معصية ، وما أحقه بالبراءة من نهي عن قول : لا إله إلا الله عند الحوادث كالزجر والبناء ، بل لا يجوز أن تتخذ علامة يستدل على شيء من المعاني من الملاهي ، ولا يجوز النهي عن قولها .

(مســألة) : وجائز أن يقال : لم يزل الله سميعا وبصيرا ورائيا بالمعنى عالم ، وفي الدراية اختلاف ، ولا يجوز بمعنى يبصر المبصرات بعين ، وجائز أن يقال : لم يزل قاهرا ومقتدرا ، وباقيا ومعنى ، باقٍ انه كائن ، والتقرب الى الله بالطاعة على المجاز ، لا على الحقيقة ، وجائز أن يقال : انه قوي على الحقيقة ، وقادر ، وعارف بمعنى عالم بها ، ويدري الأشياء أي يعلمها ، ويجد الأشياء بمعنى عالم بها ، وشاهد بمعنى راءٍ لها على التوسع ، ومطلع على العباد على معنى المجاز ، والأول على الحقيقة ، ويوصف انه لم يزل غنيا بنفسه عن سائر الأشياء ، ويوصف انه يغضب ويسخط ، وغضبه وسخطه تارة كعقوبته وجنته ، ورضاه ثوابه ، والعقوبة والسخط محدثان لحدث الذنب ، ولا يكون حدوث ذلك الا ما يستحق منه المذنب ، وجائز أن يقال : لم يزل الله ساخطا على أهل النار ، وراضيا على أهل الجنة ، وينظر في ذلك .

(مســألة) : قوله ـ تعالى ـ : ﴿الله نور السموات والأرض﴾ كونه مجازا لا على الحقيقة انه نور ، بل الهادي بضياء ، كالنور مثل القرآن نور ، والايمان

نور على المجاز ؛ لأنهما مخالفان الأنوار والضياء في الجنس ، فأجرى عليهما ذلك مجازا وتوسعا ، فلما كانت أسماء الله ـ تعالى ـ يوصف بها ؛ علمنا انه انما لا يجوز ذلك وصفا له على الحقيقة اذا كان خلاف الأنوار والضياء ؛ ولأنها لا تشبهه ولا يشبهها ، كما لا يشبه سائر ما خلق علمنا انه وصف نفسه مجازا لا حقيقة ، ولهذا نظائر في اللغة ، والقرآن كما يقال : عدل وكريم بمعنى التوسع ، وكوصفه لنفسه (السلام) بمعنى السلامة من قبله أيضا توسع ، وكقوله ذلك بأن الله هو الحق ، فوصفه أيضا مجاز ، وهو مصدر ، ولا يوصف الله بالمصادر ؛ لأن عبادته هي الحق ، وعبادة غيره هي الباطل ، ويجوز أن يكون معناه الباقي المحيي المميت .

وقوله ـ تعالى ـ : **﴿وان ما يدعون من دونه هو الباطل﴾** ، أراد أن يبطل ويذهب أحد ثوابا ولا عقابا .

(مسـألة) : وقول المسلمين : يا غياث المستغيثين ، ويا رجاء المستجيرين ، والغياث والرجاء هما المصدر في حقيقة اللغة ، فوصف الله بهما توسع ومجاز ، ومرادهم مغيث المستغيثين ، وانه مرتجى الآملين .

فإن قال قائل : أفتزعمون أن قول الله ـ عز وجل ـ : **﴿نور السموات والأرض﴾** ، وقوله : **﴿السلام﴾** ، وقوله : **﴿الحق﴾** ، وقول المسلمين : (عدل وغياث ورجاء) ، فهذه أسماء وصفات له ليست بأسماء له ، ولا صفات له ، ولكن جملة أسمائه وصفاته مجازا وتوسعا تدل على أسمائه وصفاته ـ عز وجل ـ ، وجائز أن يوصف بأنه طالب ، ومدرك ، وغالب ، وراحم كوصفه للقرآن انه : **﴿هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾** ، والغيث رحمة ونقمة ، والرحمة ليست رقة القلب .

ويوصف بأنه مفضل ، وانه خير ؛ (توسعا) وعذاب جهنم ليس بخير ولا شر ، وانما هو عدل ، وحكمة ؛ لأن الشر عيب وفساد وحكمة وظلم .

ويوصف بأنه مختار ، أي مريد ، ووجدت بأنه لا يوصف انه يختار ، ويقال : انه يكلف عباده على الحقيقة الى ما يحتاجون اليه لا ما يحتاج هو له ؛ لأنه هو الغني وهم المحتاجون ، ويقال : انه ناصر المؤمنين أي دافع المكاره والشدائد والهوان عنهم ليغفر لهم ويكرمهم ، والمغفرة والقبول هما الثواب ، واطفاء نور الله أي الاسلام ويأبى الله الا أن يتم نوره معناه الامتناع والعزة .

(مســألة) : عن الشيخ خميس بن سعيد الرستاقي ؛ وهل يجوز أن يقال : الله أعلم العلماء ، وأحكم الحكماء أم لا يجوز ذلك ؟

الجـواب ؛ وبالله التوفيق ؛ الله أعلم بذلك انما نصف الله ـ تعالى ـ بما وصف به نفسه من صفاته ، ونستدل على معرفته بما علمنا من آياته ، ونقول : انه العالم بكل شيء ، ولا يخفى عليه ما يعلمه خلقه ، وهو أعلم بخلقه ، وما علموه ويعلمونه ويستعملونه ، وعلموه ويعملونه ، وهو بكل شيء عليم ، وأما أحكم الحكماء ، فالله أعلم بجواز أن يقال : أحكم الحاكمين ، كما وصف نفسه لا نعدو ذلك ، وان كان قد قال العلماء وتكلموا في مثل هذا ، فلأجل ضعف معرفتنا ، وقلة علمنا لا نقدر أن نتكلف غير ما نشاهده من كتاب الله وآياته ، وألهمنا من معرفته وصفاته ، وحق على من لم يعلم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم ، والله ـ تعالى ـ أعلم ، وازدد من سؤال المسلمين .

(مســألة) : ولا يجوز أن يقال : هذا حلال في رأي الله واعتقاد الله ، ولا يقال : رغب كما يقال كلف ، ولا يقال : أقرضنا الله ، ولا تصدق علينا ، ولا يوصف بصفة لا يعرف معناها الا بعد معرفة معناها الا بما وصف به نفسه ، ولا يقال : الحافظ ، ويقال : والله خير حافظا ؛ والله أعلم .

(مســألة) : ومن كتاب [بيان الشرع] ؛ وهل يجوز أن يقال : الله أرحم الرحماء ، وأعلم العلماء أم لا ؟ لا أرى جواز الوصف لله الا بما وصف به

نفسه انه أرحم الراحمين ، وأما قوله : عالم العلماء فقد أصاب ان أراد به يعلم ما لا يعلمون ، ولا يجوز التشبيه له بخلقه .

(مســألة) : ومن غيره ؛ ويقال : ما أحسن هذا عند الله ، وما أقبح هذا عند الله ! والعند تأويله العلم ، والعند معنى غير العلم ، قال الله ـ تعالى ـ : **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾** ، أي ما لديكم ينفد ، وما لديه مما أعد الله ـ تعالى ـ لأوليائه باق .

قال الناسخ ؛ الغني بالله ، ولعله الشيخ عبدالله بن مبارك الرنحي : وجدت في بعض الكتب ان (عند) لها مع أهل المعرفة باللغة وجوه :

أحدها ؛ تكون بمعنى (غير) .

وتكون بمعنى (الحضرة للشيء) ، يقول رجل : عندي أي حاضر .

وتكون بمعنى (الحكم) تقول : زيد عندي أفضل من عمرو ، أي في حكمي .

وتكون بمعنى (الفضل والاحسان) كقوله ـ عز وجل ـ : **﴿فإن أتممت عشرا فمن عندك﴾** ، أي من فضلك واحسانك ؛ والله أعلم .

(مســألة) : ولا يجوز أن يقال : ما أبصر الله بعباده ! وما أعلم الله ! وما أقدر الله ! أو ما أحكمه ! أو ما ألطفه ! أو ما أحلمه ! أو ما أقدره ! أو ما أبصره ! ؛ لأن هذا من التعجب ، والتعجب عن الله ـ سبحانه ـ منفي ، جل وعلا عن صفات المخلوقين ، ولا يجوز أن يقال : ما أحسن علمه وقدرته وعزته ! لأن هذه صفات الذات ولأنها في الأفعال مدح وتعظيم في صفات الذات تصغير .

وفي بعض الكتب ؛ ان التعجب جائز في الأفعال ، ولا يجوز في صفات

الذات ، يجوز أن يقال : ما أحسن صنع الله وتدبيره ! ولا يجوز أن يقال : ما أحسن علم الله وقدرة الله وعزة الله ! وان الله لحسن العلم والقدرة والعزة ، وهذا لا يجوز لأنها صفات الله ، و(ما أحسن) في الأفعال ؛ مدح وتعظيم ، وفي الذات ؛ تصغير ، ويقوي هذا القول قول أبي محمد : انه لا يجوز التعجب في صفات الذات ، واختصاصه لصفات الذات دون صفات الأفعال دليل على اجازة التعجب في الأفعال ؛ لأنه لو كان لا يجوز في الجمع لما خص صفة دون صفة .

وقد يوجد التعجب في الأفعال كثيرا وهو على جهة التعظيم والتكبير ، وقد جاء عن أبي جعفر النحوي النحاس أن أبا العباس زعم أن معنى قولك : ما أعظم الله ! شيء عظم الله في عيني ، وقال أبو اسحاق : هذا عندي غلط ، والمعنى نبهني على عظمة الله حتى عظمته ـ جل وعز ـ ، قال : ونظيرها أن ينبهك الرجل على ذكر انسان فيقول لك : اذكر فلانا ، فيقول : اذكر فلان فلانا ، بمعنى نبهني على ذكره حتى ذكرته ، كذلك قولك : ما أعظم الله ! والله أعلم .

(مســألة) : ويكره أن يقال : ما أحكم الله وأحلمه وأكرمه ! قال أبو محمد : هذا التعجب لا يجوز .

(مســألة) : ولا يجوز أن يقال : ما أجرأ فلانا على الله ! فإن الله ـ تعالى ـ أعز من أن يجترأ عليه ، ولكن يقال : ما أعز فلانا بالله ! كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ ؛ ويقال : ما أعظم حق الله على خلقه وأعظم حق أوليائه عليه ! وفي نفسي من حق أوليائه عليه ؛ لأن الله ـ سبحانه ـ ليس عليه حق لأحد ، بل حقه على عباده ؛ والله أعلم .

(مســألة) : ومن جواب الشيخ ناصر بن نبهان الخروصي ؛ وهل يجوز أن يقال : ما أبصر الله بعباده ! وما أعظم الله بعباده ! وما أشبه هذا أم هذا

لا يجوز ؟ ويجوز في الأفعال نحو ما أحسن صنع الله وتدبيره ! وما الذي يجوز من ذلك ؟

الجـواب ؛ لا يجوز التعجب في الله ، و(ما أبصر) تعجب ، وكذلك (ما أعلم) اذا كان ـ بالفتح ـ ، و ـ بالضم ـ نفي لا تعجب ، ولكن لا تليق هذه الكلمة ونحوها (ما أبصر الله) بالضم في وصف الله ـ تعالى ـ ، وأما ما أعلم الله بهذا الشيء ـ بالضم ـ بمعنى النفي ، فلا يمنع ؛ لأنه يقال : الله أعلم ولا يقال الله أبصر ، ولو لم يكن باطلا ، ولكن من المستحسن تركه لا من اللازم ، وأما التعجب ـ بالفتح ـ فمن اللازم تركه ، وما أحسن صنع الله ـ بالفتح ـ أي ـ بفتح النون ـ (أحسن) ، ولا يجوز ؛ لأنه تعجب ، وأما (الضم) بمعنى (النفي) فلا يمنع ، وانما لم يجز (التعجب) ؛ لأن التعجب يقع على شيء عجيب كونه ؛ لأنه من خرق عادة ممن في الاعتبار لا يستطيع منه كون وجود ذلك مثل الانسان اذا فعل فعلا ، تعجب الناس منه اذا كان مستغربا منه هذا الفعل انه استطاع ذلك ، وأما التعجب في الله ، فالله لا نهاية لقدرته ، فهو القادر على ذلك ، وعلى ما لا نهاية له ، وليس المراد انما خلق الله ـ تعالى ـ ليس بعجيب ، بل كل ما خلق الله عجيب ، وانما لا يجوز أن يكون ذلك عجبا في قدرته انه قدر على ذلك ، فهذا مما لا يجوز في الله ـ تعالى ـ ، فافهم الفرق بين ذلك ، وبالله التوفيق .

(مسـألة) : ومن جواب الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي ؛ وفي قول : الحمد لله والشكر اليه ، وكذلك أستغفر الله وأتوب اليه ، هل هذا به بأس ؟ وهل كره أحد شيئا من ذلك ، افتنا مأجورا ؟

الجـواب ؛ ان الحمد لله هو الأفصح ، والحمد لله جائز ، على تقدير محذوف ، وكذلك الشكر لله والشكر اليه وأشكره ، كل ذلك جائز ، والحمد لله ، فالحمد هنا الثناء على الله في أفعاله أي كلها محمودة ، ويدخل معنى

الشكر هنا انه مشكور في جميع أفعاله أي محمود فيها الحمد من العبد لله ، والشكر له في معناه الاقرار بأفعال الله انها كلها حمد محمود فيها ، ومشكور فيها أي محمودة ، والاعتراف بلزوم المتعبد المقر بذلك ان ذلك لازم ، وان أدى ذلك كما لزمه ولم يهتد الى لزومه عليه ، وفي نفسه انه يؤدي لله كل ما يلزمه أداءه فيكفيه أداء ذلك مع جهله فرض ذلك عليه مع اعتقاده بهذه الجملة ، وفي الشكر معنى آخر لا يسمى العبد شاكرا ولا حامدا ، حقيقة لله ـ تعالى ـ حتى يؤدي جميع ما ألزمه الباري أداءه مما لم يسعه الا أداءه ؛ لأن حقيقة حمد العبد لله وشكر العبد لله اعتقاد بالقلب وعمل بالأركان ، فشكر العبد لله ـ تعالى ـ يصح ، وحمده له يصح فيه الحمد الى الله والشكر الى الله أي راجع كله الى الله ؛ لأن جميع أعماله مما هي من طاعة الله من فعله في نفسه وماله ، وفي الناس وفي الملائكة ، والجن والشياطين من بغض ومحبة ، وفعل كله مرجعه الى الله ـ تعالى ـ لقوله ـ تعالى ـ : ﴿الا الى الله تصير الأمور﴾ ، وهذه كلها داخلة في اسم الأمور ، وكذلك حمد الله وشكره أي في أفعاله أي هذا سببه كون هذا فهذا كله حمد وشكر مرجعه الى الله ـ تعالى ـ فافهم .

وأما أستغفره وأتوب اليه ، فالتوبة هي الرجوع الى الله ، وقال : ﴿وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون﴾ ، وأتوب فعل مضارع للحال والاستقبال ، جائز بلا اختلاف للحال ، ما لم تقرنه سوف أو بالسين ، فيكون للاستقبال ، وأصل لفظة الاستغفار هكذا بما يروى عن النبي ﷺ انه كان يقول : «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب اليه من جميع ذنوبي كلها» ، وهكذا مضى عليه العلماء الا من زاد منهم ، وأما هذا هو الأصل في لفظة هكذا لفظ والدي خلف كل صلاة ، ولو لم يكن كذلك لكان كذلك قول من قال أستغفر الله فانه فعل مضارع ، وكذلك أشهد أن لا اله الا الله بوعد انه لشهد انه لا اله الا الله ، وهذا ما لا شك في باطله ، فاعرف ذلك .

(مســألة) : ومن جواب الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي فيمن واقع ذنبا

مما يلزم فيه توبة الجهر ، ثم ندم واعتقد أن لا يرجع فقال : رب اغفر لي أو اغفر لي ذنبي ، هل يكون حكم هذا تائبا ويكتفى بذلك عن توبة الجهرية ، ويرجع الى ولايته مع من يتولاه سابقا اذا اطمأن قلب متوليه ان مراده بذلك التوبة أم لا ؟

الجواب ؛ أما في الحكم فأرجو انه يختلف في الاجتزاء منه بهذا اللفظ فقيل : انه توبة واستغفار ويرد به الى ولايته ويستدل على هذا بظواهر لفظ القرآن وما حكى فيه من استغفار يوجب لأهله الولاية وحكم الايمان كما في قصة آدم ـ عليه السلام ـ وغيره ، وقيل : انه بهذا اللفظ سؤال مغفرة من الرب على غير تصريح توبة ، ولا رجوع من العبد ، وهو مكلف برجوعه وتوبته واستغفاره وندمه الذي هو من فعله ، ومن الحق الواجب عليه لربه لا بما يطلبه من الله ـ تعالى ـ على تضييعه وتفريطه ، وعدم انقياده الى المأمور به فرضا من صريح الاستغفار والتوبة الدالة على عدم الاستكبار ، وكلا القولين له في الحق أصل صحيح ، وتشاهد في الصدق رجيح ، فإن معنى قوله : (أستغفر الله) ، أي أسأله المغفرة ، وأطلب منه الستر ، وذلك معنى قوله : ﴿رب اغفر لي﴾ ، واذا كان ظاهر الحكم أشبه فإن في هذا من حيث الحكم والطمأنينة ما لا غبار عليه ، لمن تأمل ، واذا اطمأن قلب وليه الى أن مراده بذلك المتاب الى ربه ، فيجوز له على هذا أن يرده الى ما كان عليه من ولايته على هذا القول ان جاز أن يكون وجها في عدله في رأي من بلى بالعمل به فإنه كذلك فيما عندي ، ولن يصح في المذهب الثاني الا المنع منه فيما يستدل به من معنى مفهومه ؛ والله أعلم فلينظر فيه .

(مسألة) : ومنه ؛ واذا قال المذنب : تائب الى الله ، وأتوب الى الله منه من غير استغفار ، هل يكون مثل هذا اللفظ توبة ؟ وهل فرق بين اللفظين ؟

الجـواب ؛ اذا قال : أتوب الى الله ـ تعالى ـ من هذا الذنب فهو توبة ، وقوله : تائب الى الله اخبار عن توبة فيما مضى ، أو في الحال أو في الاستقبال ، فيختلف في الاجتزاء به في ظاهر الحكم ، والأشبه أن لا يحكم به الا يكون له جواز في معنى الطمأنينة حيث لا يرتاب ان مراد قائل ذلك ، والا فهو في الحكم كذلك ، والله أعلم .

(مسـألة) : ولا يقول الرجل : جزاء ربنا الحمد والشكر ؛ لأن الله غني عن شكر العباد .

(مسـألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد ؛ وفي قول القائل : الحمد لله والشكر اليه يجوز أم لا ؟

الجـواب ؛ ان قول القائل : الحمد لله والشكر اليه لا يضيق عندي ؛ لأن الأمور كلها مردها الى الله ـ سبحانه ـ والشكر معناه الطاعة لله ، ومرد طاعة العبد الى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ؛ وبالله التوفيق .

(مسـألة) : الصبحي ؛ يجوز أن يقال : الحمد لله كما ينبغي لربنا ، والحمد لله كما الله له أهل في الدنيا والآخرة ؟

الجـواب ؛ لا يضيق عندنا مثل هذا ؛ والله أعلم .

ومنه ؛ وفي هذا الدعاء اللهم لا تنسنا ذكرك ولا تؤمنا مكرك ، ولا تكشف عنا سترك ، ولا تولنا غيرك ، ولا تجعلنا الغافلين ، أهذا الكلام جائز لمن دعا به أم لا ؟

الجـواب ؛ وبالله التوفيق ؛ لم يبن لي حجره ولا شيء منه ؛ والله أعلم .

(مسـألة) : ومن جواب الشيخ شائق بن عمر الازكوي فيمن يدعو

ويقول في دعائه : يا الله بإثبات الهمزة من اسم الله ـ عز وجل ـ أيجوز ذلك أم لا ؟

الجـواب ؛ والله الموفق ؛ والهادي الى الصواب ان عندي ليس هذا من طريق الخطأ ، وهذا كثير استعماله عند المسلمين ، ويوجد عن الشيخ عاد بن يزيد ان الألف من اسم الله ـ عز وجل ـ هي ألف قطع ليست بألف وصل خارجة من ألف الوصل التي مع لام المعارف ، وهكذا موجود في غير أثر من أجزاء الصلاة في الأجزاء المؤلفات ، ولا يبين لي خطأ من أدرج الألف لكثرة استعمال الناس فيها ، وكثير يجيىء على نحو ما قالوه في القرآن وغيره ؛ والله أعلم .

(مســألة) : ومن جواب الشيخ مسعود بن رمضان النزوي ـ رحمه الله ـ ، فيمن يقول : الحجة حجة الله ، والقدرة قدرة الله ، والعلم علم الله ، والأشياء أشياء الله ، أيجوز ذلك أم لا ؟

الجـواب ؛ فعلى ما وصفت ؛ أما من يقول : الحجة حجة الله ، والقدرة قدرة الله ، والعلم علم الله ، فلا أعلم حجر ذلك ، وأما الأشياء أشياء الله ، فلا أعرف جواز ذلك ؛ والله أعلم .

(مســألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد ومما يوجد في كتاب المنهاج ، وبغيبه أدرى وأحكم ، أترى ذلك جائز أم فيه كراهية ؟

الجـواب ؛ أما على قول من يقول بجواز صفة الله بالدراية ومعناها عنده العلم ، فليس عنده في ذلك كراهية ، وأما على قول من لا يجيز ذلك ، لا يجوز ؛ لأن هذه الصفة لم يأت بها القرآن ؛ والله أعلم .

(مســألة) : ومنه ؛ وفي قول الشاكي أو غيره انا بالله وبالحق أو في جوار الله ، أو جوارك ومستليذ بالله ، وبك وأشباه هذا ، أعلى السامع أن ينهى عنه

من يلفظ به أم لا ؟ وهل لهذا محتمل للجواز ؟ أرأيت اذا كانوا لا يفهمون ولو نهوا مثل البدو ، أيسع التغاضي عنهم أم لا ؟

الجـواب ؛ أما قوله بالله وبالحق فهذا عندي لا ينكر عليه ، وأما قوله : في جوار الله وجوارك ، فهذا عندي يحتمل فيه المجاز اذا كان هذا الذي يقول هو في جواره فإنما بالحق ، وأما قوله : مستليذ بالله وبك ، فهذا يعجبني أن ينكر عليه ؛ لأنه لا اعتصام الا بالله ، وليس بالمخلوقين اعتصام ، وان كان لا يفهم فيفهم حتى يفهم ؛ والله أعلم .

(مســألة) : ومنه ؛ وقول : سبحان الله الدائم القائم ، ولم يقل القائم على كذا ، أيجوز أم لا ؟ وكذلك قول القائل الآخر : بجاه الله عليك يا فلان أن تكتمني كذا يجوز أم لا ؟ وان كان جائزا ما تفسيره ؟ جاه الله ؛ أهو القدر أم غير ذلك ؟

الجـواب ؛ أما على ما سمعناه من الأثر في القائم انه لا يوصف الله انه قائم بغير أن يصله على كل نفس بما كسبت ، كما جاء في كتاب الله ـ عز وجل ـ ، وأما الجاه فلم أسمع ينطق بذلك الا عامة الناس ، وأما أهل التحري في الكلام والورع لم أسمعهم ينطقون بذلك ، ولم أسمع هذا مؤثرا في آثار المسلمين انه جائز أو غير جائز فيما عندي اذا لم أكن سمعت ونسيت ، والجاه عندي عند الناس يصفون به كل من كان له عندهم قدر ورفعة ، والله ـ تعالى ـ جائز أن يوصف برفع القدر وعظمة القدرة ، فعلى هذا لا أقدر أن أخطىء من قال بذلك ؛ والله أعلم .

(مســألة) : الصبحي ؛ وهل يجوز أن يقال عند الملمات والأمور الحادثة المهمات : أنا فلان ، أو أنا ابن فلان ، وأنا الفلاني أم لا ؟

الجـواب ـ الله أعلم ـ ؛ ويروى عن النبي ﷺ انه قال : «أنا النبي

لا كذب أنا ابن عبدالمطلب» ، وقيل : قال ابن عباس : أنا البحر ولا فخر ؛ فإن صح هذا فلا يضيق ولا يبعد جوازه .

قال غيره : قد جاء في كتاب الأحاديث عنه ﷺ اما أول لفظة من الروايات أنا أقدر ٢٩ رواية على أثر بعضها بعضا كقوله ـ عليه السلام ـ : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» ، «أنا فئة المسلمين» ، «أنا دعوة ابراهيم» ، وأمثال ذلك ، وقد جاء ما أول لفظ أتى أقدر ٢٩ أيضا كقوله : «اني لا أمزح ولا أقول الا حقا» ، «اني لم أبعث لعانا» ، وأمثال ذلك .

رجـــع

(مســألة) : من كتب أهل المغرب ، ويقال : أربع كلمات أورث قائلها بلاء ومحنة وهي ؛ أنا ، ونحن ، ولي ، وعندي ، قال ابليس : ﴿أنا خير منه﴾ ، فأورثته كلمته الطرد واللعن ، وقـالت الملائكـة ـ عليهم السلام ـ : ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ ، فأورثهم ذلك البلاء بآدم ـ عليه السلام ـ ، وقال فرعون : ﴿أليس لي ملك مصر﴾ ، فأورثه ذلك الغرق في البحر ، وقال قارون : «انما أوتيته على علم عندي» ، فأورثه ذلك الخسف ، فعلى المرء أن يحذر العجب في هذه الأربع كلمات ، لئلا يقع في مذلة ، وحكي عن بعضهم ، قال : اذا قرع الباب قارع فيقال : من ؟ فيقول : أنا ؛ فأول مذلة تلحقه أن يقال له : من ؟

(مســألة) : وعمن يقول : أنا أقدر أن أعمل كذا ، فأما الحقيقة ، فلا يجوز ويستتاب من قال حقيقة ، وأما على المجاز فجائز من حيث جرت العادة ما لم يحل حائل وهو قادر ، قال : ويجوز مثل ذلك ، قامت الشمس وطالت النخلة ، وهبت الريح فهذا مجاز ، وأما حقيقة ؛ فلا ؛ فمن قال : هذا حقيقة فهو مخطىء .

(مســألة) : وهل يجوز أن يقول : لو يد لي ما كان كذا وكذا ؟ ، قال : الكون الى الله ليس للعباد ، ولا يجوز هذا .

فإن قال : لفعلت كذا فقد سمعت في هذه على قول انه جائز ، اذ أعناه ما لم يحل حائل ، وفي النفس من ذلك ، وان قال : لو اني مضيت في هذه الطريق ما لقيت شيئا فهذا كلام بالغيب وقائله كاذب ، وان قال : لو اني مشيت في هذه لكنت ألقى فلانا ، فهذا أيضا غيب الا أن ينوي بإن قدر لي ذلك وان قال : لو أردت لفعلت كذا ، فهذه مثل الأولى اذا لم ينوِ الا ان يحول حائل ، فلا أحب أن يقول ذلك .

وان قال : لم أرد أعمل كذا فهذا أخبر عن نفسه انه لم يرد عمل ذلك ، وهذا جائز ، وان قال قائل : بلا نية وهو لا يعلم جائز له ذلك ، أو غير جائز ، فليس لأحد أن يعمل ولا يقول الا بما يعلم اجازته ، فاذا لم يعلم لم يتقدم حتى يسأل ؛ لأنه محجور عليه في كل حال حتى يعلم الحلال والجائز من المقال ، فإن لم يسأل حتى مات فقيل : من عمل بما لا يعلم كان آثما ان وافق المباح وهالكا ان وافق المحجور .

(مســألة) : ابن عباس سمع النبي ﷺ رجلا يقول : ما شاء الله وشئت ، فقال : «لا ؛ بل ما شاء الله وحده» ، ولا ينبغي أن يكون في منزلة أو حالة فيتمنى على الله غيرها ، فإنه لا يدري اذا وصلها ما تكون حالته فيها ، ولكن ينبغي له أن يصبر على الحالة التي هو فيها ، ويسأل ربه الخير .

(مســألة) : عن النبي ﷺ : «ثنتان لا يردان : الدعاء عند النداء وعند الناس حين يلحم بعضهم بعضا» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «ثنتان لا يردان : الدعاء عند النداء وتحت المطر» .

فصــل : وأي دعاء أفضل من الاستغفار ، وأعظم بركة وأفضل أوقات

الاستغفار بالأسحار ، وقيل : لما قال بنو يعقوب : ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾ ، قال : سوف يكون مني في أموركم مما تحبون ، قالوا : ما أجبتنا الى هذا الا انك لا تريد أن تفعل لنا ، قال : بلى ؛ أفعل ، ولكن أؤخركم الى الساعة النفيسة الطاهرة التي يتحرك فيها أولياء الله ، ويعلو نحيبهم واستغفارهم .

قال غيره : الساعة التي تقدس فيها الملائكة لذي الجبروت والملكوت ، وهي الساعة التي تشتاق فيها الحور الى أولياء الله حتى تقول كل حوراء للتي تليها : كيف كان تعب ولي الله الليلة في طلبك ؟ فتقول : يا رب ولي الله تعبا ونصبا وقد زادني الله اليه بذلك شوقا ، قالوا : يا أبانا اعلمنا بهذه الساعة ، قال : هي الساعة التي اذا أدبر الليل ، وانتكست النجوم ، ودنا السحر ما بين فجأة الصبح الى الدلجات ، فأين كنت يا مغرور عن الساعة ؟ لعلك كنت مشتغلا بنعاسك ، متغرغرا بأنفاسك ، والقوم يدفعون العبرات لذي العطايا والهبات .

ومن غيره ، وقيل : آخر الاستغفار الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة ؛ وقيل : ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها ، وقيل : أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة ، وقيل : قام الى الصلاة في وقت السحر ، فلما فرغ رفع يديه وقال : اللهم اغفر لي جزعي على يوسف ، وقلة صبري عنه ، واغفر لولدي معا ما اتوا الى أخيهم ، فأوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم أجمعين .

وعن النبي ﷺ : «ثلاثة مواطن لا ترد فيهن دعوة عند رجل يكون في برية حيث لا يراه أحد الا الله فيقوم فيصلي ورجل معه فئة فيفر عنه أصحابه فيثبت ، ورجل يقوم من آخر الليل» ، وعنه ـ عليه السلام ـ : «تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن : عند التقاء الزحوف في سبيل الله ،

وعند نزول الغيث ، وعند اقامة الصلاة ، وعند رؤ ية الكعبة» ، وعنه ـ عليه السلام ـ من طريق ابن عمر : «تفتح لخمس : لقراءة القرآن ، وللقاء الزحفين ، ونزول المطر ، ولدعوة المظلوم ، وللأذان» ، وعنه ـ عليه السلام ـ : «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ هل من داع فيستجاب له ، هل من سائل فيعطى ؟ هل من مكروب فيفرج عنه ؟ فلا يبقى مسلم فيدعو بدعوة الا استجاب الله ـ تعالى ـ له الا زانية تسعى بفرجها أو عشار» .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : فالحديث على لفظ العموم الا الزانية ، وليس المراد به العموم ، فأما أهل التقوى فيستجاب لهم لا محالة ؛ لأن الدعاء عبادة ان عجل لهم ما أرادوه والا أثابهم عليه في الآخرة بما هو أحسن مما أرادوه ، وأما أهل المعاصي الذين يموتون مصرين عليها فليس لهم في الآخرة ثواب الدعاء فلا اجابة فيه هنالك ، وفي الدنيا يمكن أن يستجاب له فيعطى ما أراده ، ويمكن أن لا يعطى ، وهذا معروف في الناس لا يحتاج فيه الى دليل أكثر من معرفته في الناس ، فهو أعظم دليل على صحة ذلك ، وأما تخصيصه للزانية تعظيم لأمر معصيتها مع انها ليست منها بأعظم من الزاني ، ولما لم يذكر الزاني وهو مثلها دل بذلك على جميع أهل المعاصي انه وان استجيب لهم فإنما هو وبال عليهم تلك الاجابة ، فليست هي برحمة ففي الحقيقة فليست بإجابة ؛ لأن النقمة للمرء ليست بإجابة رحمة .

رجع : وقال ـ عليه السلام ـ : «اليوم الموعود هو يوم القيامة والمشهود يوم عرفة ، والشاهد يوم الجمعة ، ويوم الجمعة ذخره الله لنا ، وصلاة الوسطى صلاة العصر» ، وفي رواية أخرى : «والشاهد يوم الجمعة ولا طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل منه ففيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء الا أعاذه الله منه» .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي قوله : «وصلاة الوسطى صلاة العصر» ، هي زيادة في الحديث متقولة ؛ لأن الله أحب كتمان ليلة القدر حتى يقيم عباده ليالي شهر رمضان ، وأحب كتمان (صلاة الوسطى) حتى يجتهد عباده في الصلوات كلها ، وكتم ساعة يستجاب فيها الدعاء للدعوة من يوم الجمعة ، وكذلك قيل ساعة في ليلتها للدعاء فيها ، فهيهات ؛ أن يكشف ﷺ ما أحب الله كتمانه على عباده أيضا ، ولو كان ذلك صحيحا لما اختلف العلماء في صلاة الوسطى حتى دارت في اختلافهم الخمس كلها فصح ما قلناه .

وقال الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي أيضا : على اثر الرواية الثانية يعني المسلم التقي دون المسلم الفاسق ، فإن التقي لا بد له من الاجابة متى ما دعا الله ـ تعالى ـ ؛ لأنه إما أُعطي ما أراده وإما مُنع ، فإن كان لأمر دنياه صبر ورضي بمنع الله له ، فيثيبه الله بثواب الرضى ، وبثواب الصبر ، وهو أعظم مما أراده لأمر دنياه ، وان كان لأمر دينه فلم ير الاجابة فله أجر الدعاء والتضرع الى الله في سؤاله ذلك وثواب ما سأله أن يوفقه عليه ، فهو على كل حال مستجاب له وانما خص ﷺ ساعة في يوم الجمعة ؛ يعني لفضل الدعاء فيها ، وعظم فضل الأجر مما يعطيه فيما سأله ، وأما المؤمن الفاسق ؛ وان سأل وأعطي ما سأل ، فإنما هو نقمة له ، وان لم يعط كذلك .

وقال ـ عليه السلام ـ : «في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد اذا استغفر الله ـ تعالى ـ الا غفر له» ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : في ليلة الجمعة ساعة ، وفي يوم الجمعة ساعة ، يستجاب فيهما الدعاء ، وغفران الله يراد به هنا زيادة رحمته .

(مســألة) : الذي عرفت ان اجابة الدعاء ترجى عند الاخلاص لله ـ تعالى ـ بالدعاء واطمئنانة القلب بالاجابة ، واعتماده على ذلك ، وأكثر ما عرفنا عن أهل العلم ان ما ترجى به اجابة الدعوة الدعاء من القول : اللهم

لك الحمد ، عالم الغيب والشهادة ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا حي يا قيوم ، يا الله ، وأما محله بعض يقول : في أوقات السحر عند استقبال الناس بنومهم ، وبعض يقول : عند نزول الغيث ، وبعض يقول : عند التقاء الزحفين ، وفي أوقات الصلوات ، ويعجبني قول من قال : عند حضور القلب ونشاطه واقباله الى الله ـ تعالى ـ وعند الاضطرار في أضيق حالات العبد وحاجته من ربه ، فهذا ما لا يشك فيه ان الله ـ تعالى ـ يجيب من دعاه على هذه الشرائط ؛ والله أعلم .

ومن غيره ؛ روي عن النبي ﷺ انه قال : «سلوا الله حوائجكم بعد صلاة الصبح» ، وقال : «سلوا الله كل شيء حتى الشبع فإن الله لم ييسره ما لم يتيسر» .

رجـع : وقال أيضا : «ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شبعه» ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : المسألة لله عبادة وخشوع وخضوع وتضرع ، واظهار حاجة من العبد الى ربه في كل شيء ، وتبرؤ من الحول والقوة والطول الا بالله ، وذلك من المتقي لا بد وأن يستجاب له ؛ لأنه ان أعطي مراده ، والا صبر على حكم الله له ، ورضي بعطائه ، وحكم بعدله بمنع ذلك له وحمده على ان أفعاله كلها حمد وثناء أي مدح وشكر الى غيرذلك ، ويثيبه على كل شيء من هذا ، فهو زيادة على ما أراده وان بلغه الله المراد فقد بلغ .

(مسـألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد ـ رحمه الله ـ ومن تعود وردا في الليل من صلاة ؛ أيسعه تركه بلا عذر يعذر به أم لا ؟

الجـواب ؛ ان كان هذا نفلا فلا يأثم بتركه ، ولكن اذا تركه من غير عذر ، فمكروه ذلك ؛ لأنه يقال في آثار المسلمين : ان أحب الأعمال الى الله ـ تعالى ـ أدومها ولو قلت ؛ والله أعلم .

ومن أرجوزة الصايغي :

وقال لي : ان الدعاء سلاح المؤمن في اتيانه صلاح
ورحمة فتحها مولانا على العباد فضله أولانا
فقال : ادعوا ربكم تضرعا وخفية فاستعمل التضرعا
وقيل : أبواب السماء تفتح حين نزول الغيث منها يسنح
وعند ما صلاتنا المكتوبة تقام فاعرف فرضها وجوبه
وعند زحف القوم للقتال في طاعة الرحمن ذي الجلال
فاغتنموا في هذه المواضع الدعاء وكونوا من أولي التواضع
اذا دعوت للدعا اتقن وان تجب يا خليلي ايقن
ولولا رجاء المؤمنين وزنا وخوفهم كانا سواء عندنا
وليس يرجو الله الا خائف وليس يخشى الله الا عارف
ومن رجا خاف ومن قد خافا رجا فع الأقوال والأوصافا
سألت رب العرش أن أكونا ممن رجا وخافه يقينا
أما الدعاء ببطون الأيدي يكره فيها قيل يا ذا الأيدي
يا رب أدعوك بما دعاك ذو النون لما خشى الهلاكا
فنجني يا رب من كل البلا كمثل ما نجيته مما ابتلا
ومثل ما حسنت ربي خلقي فحسن اللهم مني خُلقي

(مسألة) : ويروى عن النبي ﷺ انه قال : «ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم : رجل عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه ، ورجل سفيه ولى سفيها مالا» لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ .

قال غيره : يخرج معنى الرواية ان كل ما وقع فيه الانسان من أمر يضيق عليه القيام فيه ، وكان المخرج منه بالاختيار والتحول منه الى غيره من الجائز

والمباح فلم يخرج منه لسوء اختياره مما يدبره لنفسه من أمر دينه ودنياه ، وأشده الوقوع في شيء من معاصي الله ـ تبارك وتعالى ـ ويدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ بلسان مقاله أن يخرجه منه ، فهذا لا يرجى أن يستجيب الله ـ تعالى ـ له ؛ لأن هذا ليس بدعاء في الحقيقة ، وانما هو هذيان منه وقد قال الله ـ تعالى ـ مخبرا عن أحوال الكافرين : **﴿ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾** (الآيات) ؛ والله أعلم .

(مســألة) : الشيخ ناصر بن أبي نبهان ؛ المعنى يقلب الله طبعها بدعائه ولا يرد ماله من ظالم لم يشهد عليه ظلمه أو سفيه أذهب ماله ، لا سيما ان أذهبا ذلك ، وصارا معدمين من تسليم الحق ؛ لأن ذلك كان من نفسه خالف ما أحبه الله له من أخذ الحزم ، ومن خالف ما أحب الله فلا يستجيب له في فعله في غالب الأمر والأحوال ، وان كان مما يكن ، فالكلام والحكم على الأغلب في الأمور ، فلا يحتج بالنوادر اذ الأحكام لا يعتبر فيها بالنوادر ؛ والله أعلم .

فصــل : فيما أمر به النبي ﷺ فإنه قال لعائشة ـ فيما يروى ـ : «عليك بجمل الدعاء وجوامعه قولي اللهم اني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وأسألك مما سألك به محمد وأعوذ بك مما تعوذ منه محمد وما قضيت لي من قضاء فاجعل عاقبته رشدا» .

وروي عن أسماء بنت عميش انها قالت : قال رسول الله ﷺ : «ألا أعلمك كلمات تقولين عند الكرب الله الله ربي لا أشرك به شيئا» ، وفي رواية أخرى : «اذا نزل بكم كرب أو جهد أو بلاء فقولوا الله الله ربنا لا شريك له» ، وفي رواية أخرى عنه ـ عليه السلام ـ انه قال : «ألا أخبركم بشيء اذا

نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا ادعوا به يفرج عنه دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين» ، وفي رواية أخرى عنه ـ عليه السلام ـ : «اذا وقعتم في أمر عظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل» ، عن علي عنه ـ عليه السلام ـ انه قال : «ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل (صير) ديناً أداه الله عنك ؛ قل : اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك» ، وفي رواية أخرى عنه ـ عليه السلام ـ : «ألا أعلمك كلاما اذا قلته أذهب الله ـ تعالى ـ همك وقضى عنك دينك قل اذا أصبحت واذا أمسيت اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» .

ابن عباس عنه ـ عليه السلام ـ : «ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته ، صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب والنجم والدخان ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة ، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصّل فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله واثن عليه وصلّ على النبيين واستغفر للمؤمنين ، ثم قل : اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني وارحمني من أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والاكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري ، وتطلق به لساني وتفرج عن قلبي وتشرح به صدري ، وتستعمل به بدني وتقويني على ذلك وتعينني عليه ؛ فانه لا يعينني على الخير غيرك ولا يوفق له الا أنت ، فافعل ذلك ثلاث جُمَعٍ أو خمسا أو سبعا يحفظه باذن الله وما أخطأ مؤمن قط» .

هذه أدعية جمعتها من أدعية نبينا محمد ﷺ من الكتاب المسمى جامع

الصغير من أحاديث البشير النذير الراد فيه الشيخ ناصر بن أبي نبهان وحذفت منه الأسانيد .

(بسم الله الرحمن الرحيم) ؛ اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري ، وتلم بها شعثي ، وتصلح بها غايتي وترفع بها شاهدي ، وتزكي بها عملي ، وتلهمني بها رشدي ، وترد بها ألفي ، وتعصمني بها من كل سوء ، اللهم اعطني ايمانا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ، اللهم اني أسألك الفوز في القضاء ، ومنازل الشهداء وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء ، اللهم اني أنزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي افتقرت الى رحمتك ، فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور ، كما تجير بين البحور ، أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ، ومن فتنة القبور ، اللهم ما قصر عند رأيي ولم تبلغه نيتي ولم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحدا من خلقك ، أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك ، فإني راغب اليك فيه ، وأسألك برحمتك رب العالمين .

اللهم يا ذا الحبل السديد ، والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، الموفين بالعهود ، انك رحيم ودود ، فانك تفعل ما تريد .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلما لأوليائك ، وعدوا لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادي بعداوتك من خالفك .

اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان ، اللهم أجعل لي نورا في قلبي ، ونورا في قبري ، ونورا بين يدي ، ونورا من خلفي ، ونورا عن يميني ، ونورا عن شمالي ، ونورا من فوقي ، ونورا من تحتي ، ونورا في سمعي ، ونورا في بصري ، ونورا في شعري ، ونورا في

بشري ، ونورا في لحمي ، ونورا في دمي ، ونورا في عظامي .

اللهم اعظم لي نورا ، واعطني نورا ، واجعل لي نورا ، سبحان الذي تعطف بالعز ، وقال به ، سبحان الذي لبس المجد والكرم ، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له ، سبحان ذي الفضل والنعم ، سبحان ذي المجد والكرم ، سبحان ذي الجلال والاكرام .

اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني ، اللهم اجعلني شكورا واجعلني صبورا واجعلني في عيني صغيرا وفي أعين الناس كبيرا .

اللهم انك لست بإله استحدثناه ، ولا برب ابتدعناه ، ولا كان لنا قبلك من إله نلجأ اليه وندرك ، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه فيك تباركت وتعاليت .

اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ومحمد ، نعوذ بك من النار ، اللهم اني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ، ومن عمل لا يرفع ، ومن الجوع ، فانه بئس المضجع ، ومن الخيانة فانه بئست البطالة ، ومن الكسل والبخل والجبن ، ومن الهرم وان أرد الى أرذل العمر ، اللهم انا نسألك قلوبا أواهة مخبتة منيبة في سبيلك ، اللهم انا نسألك عظيم مغفرتك ، ومنجيات أمرك ، والسلامة من كل اثم ، والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار .

اللهم أحيني مسكينا وتوفني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ، اللهم اني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من

خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم انك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه الا بك ، اللهم فاعطنا منها ما يرضيك عنا ، اللهم اجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساءوا استغفروا .

اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى ، اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع لي في داري ، وبارك لي في رزقي ، اللهم اني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك وفجأة نعمتك ، اللهم اني أعوذ بك من منكرات الأخلاق ، والأعمال والأهواء والأدواء ، اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثأري .

اللهم ؛ انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى عليك شيء من امري ، وانا البائس الفقير المستنيب المستجير ، الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه اسألك مسألة المسكين ، وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وادعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ، ورغم لك انفه .

اللهم ؛ لا تجعلني بدعائك شقيا ، وكن بي رؤوفا رحيما ، يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين ، اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل والهرم والفسق والغفلة والذلة ، والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر ، والشقاق والنفاق ، والسمعة والرياء ، واعوذ بك من الصمم والبكم ، والجنون والجذام ، والبرص ومن سيىء الاسقام .

اللهم ؛ آت نفسي تقواها ، وزكها انت خير من زكاها انت وليها

ومولاها ، اللهم اصلح ذات بيننا ، والف بين قلوبنا ، واهدنا سبيل السلام ونجنا من الظلمات الى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، اللهم بارك لنا في اسماعنا وابصارنا وقلوبنا وارواحنا وذريتنا ، وتب علينا انك انت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قائلين بها وأتمها علينا .

اللهم اني اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني ، على الناس ، يا ارحم الراحمين الى من تكلني الى عدو يتهجمني ام الى قريب ملكته امري ، ان لم تكن ساخطا علي فلا ابالي ، غير ان عافيتك اوسع الي ، اعوذ بنور وجهك الكريم الذي اضاءت له السموات ، واشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ، ان يحل علي غضبك او ينزل عليَّ سخطك ، ولك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك ، اللهم واقية كواقية الوليد .

اللهم كما حسنت خلقي فحسن خُلقي ، اللهم احفظني بالاسلام قائما ، واحفظني بالاسلام قاعدا ، واحفظني بالاسلام راقدا ، ولا تشمت بي عدوا ولا حاسدا .

اللهم ، اني اسألك من كل خير خزائنه بيدك واعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك ، اللهم اني اسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل اثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار ، اللهم اجعل اوسع رزقك عليَّ عند كبر سني وانقطاع عمري ، اللهم اني اسألك العفة والعافية في دنياي وديني ومالي واهلي .

اللهم استر عورتي وأمّن روعتي واحفظني من بين يدي ، ومن خلفي ، ومن يميني وعن شمالي ، ومن فوقي ، واعوذ بك ان اغتال من تحتي .

اللهم ، اني اسألك ايمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا حتى اعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي ورضني من المعيشة ما قسمت لي ، اللهم اني اسألك من

الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم ، واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم ، اللهم اني اسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك ، واعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ونبيك ، اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ، واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ، واسألك ان تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا .

اللهم ؛ اني اسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك ، الاحب اليك اذا دعيت به اجبت ، واذا سئلت به اعطيت واذا استرحمت به رحمت ، واذا استفرجت به فرجت ، اللهم اني اسألك الثبات في الأمر ، واسألك عزيمة الرشد واسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، واسألك لسانا صادقا وقلبا سليما ، واعوذ بك من شر ما تعلم ، واسألك من خير ما تعلم واسألك مما تعلم واستغفرك مما تعلم ، انك انت علام الغيوب ، اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، واليك انبت ، وبك خاصمت ، اللهم اني اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي الذي لا يموت والجن والانس يموتون .

اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرا مما تقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، ولك مالي ولك رب ثرائي ، اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وسيئات الامر ، اللهم اني اسألك من خير ما تجييء به الرياح ، واعوذ بك من شر ما تجييء به الريح ، اللهم عافني في جسدي ، وعافني في بصري ، واجعله الوارث مني لا اله الا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين .

اللهم ؛ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما يبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون علينا به مصيبات الدنيا ، ومتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثارنا على

من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا اكثر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

اللهم ، انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علما ، الحمد لله على كل حال ، واعوذ بالله من حال النار ، اللهم اجعلني معظم شكرك ، واكثر ذكرك ، واتبع نصيحتك واحفظ وصيتك ، اللهم إني أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى الي ، اللهم فشفعه في ، اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي ، ومن شر بصري ، ومن شر لساني ، ومن شر قلبي ومن مشيي ، اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر لا اله الا انت ، اللهم اني اسألك عيشة نقية وميتة سوية ومردا غير مخز ولا فاضح .

اللهم ؛ ان قلوبنا وجوارحنا بيدك لم تملكنا منها شيئا فاذا فعلت ذلك بهما فكن انت وليهما ، اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، واصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر .

اللهم ؛ اني اسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم استر عورتي وامن روعتي واقض عني ديني ، اللهم اجعل حبك احب الاشياء الي واجعل خشيتك اخوف الاشياء عندي ، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك ، فاذا اقررت اعين اهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني من عبادتك ، اللهم اني اسألك الصحة والعفة والامانة وحسن الخلق والرضى بالقدر .

اللهم ؛ اني اعوذ بك من يوم السوء ومن ليلة السوء ، ومن ساعة السوء ومن صاحب السوء ، ومن جار السوء ، في دار المقامة ، اللهم اني اعوذ

برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك ، انت كما اثنيت على نفسك ، اللهم لك الحمد شكرا ولك المن فضلا .

اللهم ؛ اني اسألك التوفيق لمحابك من الاعمال ، وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك ، اللهم افتح مسامع قلبي بذكرك ، وارزقني طاعتك وطاعة رسولك ، وعملا بكتابك العزيز ، اللهم اني اسألك صحة في ايمان ، وايمانا في حسن الخلق ، ونجاحا يتبعه فلاح ورحمة منك وعافية ومغفرة منك ورضوانا .

اللهم ؛ اجعلني اخشاك حتى كأني اراك واسعدني بتوفيقك ولا تشقني بمعصيتك ، وجز لي في قضائك ، وبارك لي في قدرك حتى لا احب تأخير ما عجلت ، ولا تعجل ما اخرت ، واجعل غنائي في نفسي ، ومتعني بسمعي وبصري ، واجعلهما الوارث مني ، وانصرني على من ظلمني ، وارني فيه ثأري واقر بذلك عيني ، اللهم الطف بي في تيسير كل عسير ، فان تيسر كل عسير عليك يسير ، واسألك اليسر والمعافاة في الدنيا والآخرة .

اللهم اعف عني فانك كريم ، اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور .

اللهم ؛ ارزقني عينين هطالتين يشفيان القلب بذرف الدموع من خشيتك قبل ان تكون الدموع دما والاضراس جمرا ، اللهم عافني في قدرتك ، وادخلني في رحمتك ، واقض اجلي في طاعتك ، واختم لي بخير عملي ، واجعل ثوابه الجنة ، اللهم اغني بالعلم ، وزيني بالحلم ، واكرمني بالتقوى ، وجملني بالعافية .

اللهم ؛ اني اسألك من فضلك ورحمتك ، فانه لا يملكها الا انت ، اللهم اني اعوذ بك من خليل ماكر ، عيناه ترياني ، وقلبه يرعاني ، ان رأى حسنة دفنها ، وان رأى سيئة اذاعها ، اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها ، اللهم انعشني واجرني واهدني لصالح الاعمال والاخلاق ، فانه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها الا انت .

اللهم ؛ بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي ، اللهم اسألك خشيتك في الغيب والشهادة واسألك كلمة الاخلاص في الرضى والغضب ، واسألك القصد في الفقر والغنى ، واسألك نعيما لا ينفذ ، واسألك قرة عين لا تنقطع ، واسألك الرضى بالقضاء ، واسألك برد العيش بعد الموت ، واسألك لذة النظر الى وجهك الكريم ، والشوق الى لقاك في غير مضرة ولا فتنة مضلة .

اللهم ؛ ربنا زينا بزينة الايمان ، واجعلنا هداة المهتدين ، اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين ، وغلبة العدو ، وشماتة الاعداء ، اللهم اني اعوذ بك من التردي والهدم ، والغرق والحرق ، واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت ، واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا ، واعوذ بك ان اموت لديغا .

اللهم ؛ لا يدركني زمان ولا تدركوا زمانا لا يقع فيه الحليم ، ولا يستحيي فيه من الحليم قلوبهم قلوب الاعاجم ، والسنتهم السنة العرب ، اللهم اني اعوذ بك من الفقر والقلة ، والذلة واعوذ بك من ان اظلم او اظلم ، اللهم رب الناس مذهب البأس اشف انت الشافي ، لا شافي الا انت اشف شفاء لا يغادره سقم .

اللهم اني اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه ، فانما انا بشر فايما مؤمن آذيته او

شتمته او جلدته او لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة .

اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري ، وما انت اعلم به مني ، اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي ، وكل ذلك عندي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ، اللهم انت خلقت نفسي وانت توفاها لك مماتها ومحياها ان احييتها فاحفظها وان امتها فاغفر لها ، تمت ادعية نبينا محمد ﷺ .

البـاب العاشـــر

في ذكر شيء من الادعية

هذا دعاء حسن نقلته من كتاب (غرائب الآثار) ؛ اللهم بنورك اهتدينا ، وبفضلك اكتفينا ، وبكنفك اصبحنا وامسينا ، انت الاول فلا شيء قبلك ، والآخر فلا شيء بعدك ، نعوذ بك من الفشل والكسل ، وعذاب القبر ، ومن فتنة الفتن ، اللهم اصرف عنا شر الاشرار ، ووساوس الافكار ، واجعلنا من المصطفين الاخيـار ، والمستغفرين بـالاسحار ، والمسبحين بالعشي والابكار ، الداعين آناء الليل واطراف النهار .

اللهم اجعل صمتنا افكارا ونظرنا اعتبارا ، واغفر لنا مغفرة توجب لنا منازل الابرار ، وامنن علينا بزلفى تحلنا بها دار القرار ، انك انت العزيز الغفار .

اللهم نبهنا لذكرك في اوقات الغفلة ، واستعملنا في طاعتك أيام المهلة ، وانهج لنا الى طاعتك طريقا سهلة ، اللهم اجعلني ممن آمن بك فهديته وتوكل عليك فكفيته ، وسألك فاعطيته ، وتضرع اليك فرحمته .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما يبلغنا رحمتك وجنتك ، ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا ، ومتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا ، واجعله الوارث منا .

اللهم اجعلنا من اعظم عبادك عندك حظا ونصيبا في كل خير تقسمه في

هذا اليوم وما بعده من نور تهدي به ورحمة تنشرها او رزق تبسطه ، او ضر تكشفه أو ذنب تغفره او شدة ، تدفعها او فتنة تصرفها او معافاة تمن بها انك على كل شيء قدير .

اللهم اني اسألك الرضى بالقضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، اللهم اني اسألك دوام رحمتك وعزائم مغفرتك ، والعصمة من كل شر ، والسلامة من كل اثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم اعنا على الموت وسكراته ، والقبر ووحشاته ، وعلى يوم القيامة وعصفاته ، يا رباه ! يا سيداه ! انت الذي يسجد لك سواد الليل وضياء النهار ، ونور القمر وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر ودوي الماء في البحار ، نسألك اللهم لا تنسنا ذكرك ، ولا تصرف عنا رحمتك ، ولا تكشف عنا سترك ، ولا تؤمنا مكرك ، ولا تولنا غيرك ، ولا تجعلنا من الغافلين ، يا من اظهر الجميل وستر القبيح ، ولم يؤاخذ بالجريرة ، ولم يهتك السريرة ، يا عظيم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، يا مبدىء النعم قبل استحقاقها ، يا منعم ، يا محسن ، لا تصرفنا خائبين من رحمتك ، ولا محرومين من اجابتك ، انك على كل شيء قدير .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا باعث الاموات ، ويا سامع الاصوات ، ويا مجيب الدعوات ، ويا قاضي الحاجات ، ويا رفيع الدرجات ، ويا خالق الارض والسموات ، انت الذي لا اله الا هو الكريم الذي لا يبخل ، والحليم الذي لا يعجل ، لا راد لامرك ، ولا معقب لحكمك ، رب كل شيء ، ومالك كل شيء ، ومقدر كل شيء ، نسألك ان ترزقنا علما نافعا ، وعملا زاكيا ، ويقينا خالصا ، وايمانا صادقا ، وان تهب لنا انابة المخبتين وعصمة الصديقين ، وان ترفعنا في درجة المقربين ، وان تكرمنا اذا وفد المتقون اليك يا اكرم من سئل ، وافضل من قصد ، واحلم من عصي من ذا الذي

سألك فاحرمته ، ولجأ اليك فاسلمته او هرب اليك فطردته او تقرب اليك فابعدته ، لك الخلق والامر ، لك الملك والكبرياء والآلاء والنعماء والملكوت والعظماء ، والارض والسماء ، ومن عليهما ومن فيهما وما بينهما وما تحت الثرى ، لك الاسماء الحسنى والامثال العلى ، ان اطعناك فبفضلك ، وان عصيناك فبعلمك لا هادي الا من هديت ، ولا ضال الا من اضللت ، ولا غني الا من اغنيت ، ولا فقير الا من افقرت ، ولا مستور الا من سترت .

نسألك ان تهب لنا جزيل عطاياك ، والسعادة بلقائك ، والفوز بجوارك ، والمزيد من آلائك ، وان تجعل لنا نورا في حياتنا ، ونورا في مماتنا ، ونورا في قبورنا ، ونورا في حشرنا ، ونورا نتوصل به اليك ، ونورا نفوز به لديك ، فاننا ببابك سائلون ، ولثوابك متعرضون ، ولفضلك راجون ، ولاجابتك متأملون ، يا من يرى ولا يرى ، وهو بالمنظر الأعلى ، نسألك ان تجعل نور مغفرتك الى رضوانك لنا هاديا ، وتوفيقك الى طاعتك بنا حاديا ، ولطفك بنا متتابعا وافيا ، ولا تجعل الهوى بنا عن الرشد عادلا ، ولا الشك بنا عن اليقين مائلا .

اللهم اجعل شغل قلوبنا بذكر عصمتك ، وفرغ ابداننا في ذكر نعمتك ، واطلق السنتنا في شكر منتك ، وقنا نوائب الزمان ، وصولة السلطان ، ووسواس الشيطان ، واكفنا مؤونة الاكتساب ، وارزقنا من فضلك بغير حساب .

اللهم اختم بالخير اعمالنا ، وحقق بالرجاء آمالنا ، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا ، واحسن في جميع الاقوال اعمالنا ، واجعل خوفنا منك ، ورغبتنا اليك .

اللهم اغفر لنا وللصالحين من آبائنا وأمهاتنا ، وارحمهم كما ربونا صغارا ، واغفر لهم ما ضيعوا من حقك ، واغفر لنا ما ضيعنا من حقوقهم ،

واغفر لخاصتنا من المسلمين وعامتنا ، ولجميع المسلمين والمسلمات ، فإنك عواد بالخيرات .

اللهم فالق الأصباح ، وجاعل الليل سكنا ، والشمس والقمر حسبانا ، يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ، ولا يحيط بأمره المتفكرون ، يا منقذ الغرقى ، ومنجي الهلكى وشاهد كل نجوى ، ويا عظيم الاحسان ، ويا دائم المعروف ، ويا مغيث الملهوف ، يا من رزق كل شيء عليه ومصير كل شيء اليه ، اليك انبسطت أيدي السائلين ، وامتدت أعناق العابدين ، وشخصت أبصار المجتهدين ، نسألك أن تجعلنا في كنفك وجوارك ، وأمنك وعياذك وسترك .

اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ، ومن درك الشقاء وشماتة الأعداء ، يا قدير أنت المنفرد بالتدبير ، والخلق والتصوير ، تعطي من لا يسألك ، وتعطف على من لا يأملك ، تباركت وتعاليت عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

اللهم انه ليس واحد من خلقك الا وقد جعلت له رغبة في شيء فاجعل رغبتنا فيما يدوم ويبقى ، وزهدنا فيما ينفد ويفنى .

اللهم اقسم لنا من الدنيا ما تعصمنا به من فتنتها ، وما تغنينا به عن أهلها ، واجعل في قلوبنا السلو عنها ، والمقت لها ، والزهد فيها .

اللهم نقِ قلوبنا من الخطايا واكفنا جميع البلايا والرزايا ، واعطنا فواتح الخير وخواتمه ، وظواهره وبواطنه .

اللهم أمرتنا فتركنا ونهيتنا فركبنا ، فلا يسعنا الا عفوك فاغفر لنا وارحمنا ، يا أرحم الراحمين .

اللهم لا تدع في مقامنا هذا ذنبا الا غفرته ، ولا غما الا فرجته ، ولا دينا الا قضيته ، ولا عدوا الا كفيته ، ولا عيبا الا أصلحته ، ولا مريضا الا شفيته ، ولا غائبا الا بلغته وآويته ، ولا خلة الا سددتها ، ولا حاجة الا قضيتها .

اللهم سلمنا من الذنوب واغتيالها ، وخلصنا من الدنيا وأحوالها ، واختم لنا بالخير عند زوالها ، وخلصنا في القيامة من أهوالها ، وأمنا من عظيم زلزالها ، ونجنا من النار وانكالها ، وجازنا في الآخرة بحسن ثوابها ، واجعلنا من أهل الجنان وأصحابها ممن تدخل الملائكة عليهم من أبوابها ، تهنيهم بزلفاها ، وحسن مائها ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

اللهم يا نور السموات والأرض ، ويا بديع السموات ندعوك بأسمائك الحسنى ، وبصفاتك العليا ، أن ترزقنا رحمتك التي لا تنال منك الا بالرضى .

اللهم انا ندعوك بأسمائك التي تسبح لك السموات بأكنافها ، والأرضون بأطرافها ، والبحار بأمواجها ، والحيتان في لججها أن ترزقنا عمل الصديقين ، ويقين الصادقين ، وانابة المخبتين ، وسعادة المتقين ، فانك تجبر الكسير ، وتغني الفقير ، وأنت العلي على عرشك ، فلا يصفك أحد من خلقك ، في السماء عرشك ، وفي الأرض سلطانك ، أسألك سؤال من عرف رحمتك وأيقن بعذابك الخروج من معاصيك والدخول في جميع ما يرضيك ، والنجاة من كل هلكة ، والعفو عن كل سيئة ، والمغفرة والبشرى عند انقطاع الرجاء .

اللهم ان لنا حاجة ، وبنا اليك فاقة ، فما كان من تقصير فأجبره بسعة عفوك ، وتجاوز عنا بفضلك ، وأقبل منا ما كان صالحا ، وأصلح منا ما كان

ما دان به ، ولا يدين بالاصرار عليها والاستحلال لها ، مثل النظرة والقبلة ، فذلك يكفره الله ، وأما الحقوق التي للعباد فلا يكفرها الا أداؤ ها الى أهلها ، ومن واقع ذنبا صغيرا فلا يبرأ منه حتى يستتاب ، فإن تاب فلا يبرأ منه كان المذنب وليا أو غير ولي .

وقال أبو مودود : ومن دين المسلمين ؛ ان كل عامل بكبيرة من المعاصي ، أو مقيم على صغيرة ، أو قائل على الله بخلاف الحق الذي أنزله الله في كتابه ، أو في سنة نبيه ، وما دانوا به ، فهو ضال كافر حتى يتوب .

وقال محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ : ومن دين المسلمين ان من عصى الله بكبيرة أو صغيرة وأصر عليها متهاونا ولم يتب منها ، أدخله الله النار ، ومن جاء بذنوب أمثال الجبال ، وتاب منها تاب الله عليه ، وقال : من عمل عملا من الكبائر جاهلا فمات قبل أن يتوب من ذلك العمل مات هالكا ؛ والله أعلم .

(مسـألة) : قال أبو عبدالله محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ : وفي قوله ـ تعالى ـ : ﴿الا اللمم﴾ ، قال : ما دون الكبائر من الذنوب التي تكون بين العباد وبين الله ، مثل الغمزة واللمزة ، والنظرة وما كان أهله يدينون بالتوبة منه والاستغفار ، فذلك هو اللمم ، وكل ما لم بالقلب من ذكر المعصية والهم لها ، والنية للعمل بها من غير شتم المسلمين ، ولا وقوع في أعراضهم ، فهذا اذا نسي أن يستغفر الله منه لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ان ربك واسع المغفرة﴾ ، فهذا اذا كان يدين بالتوبة منه ومما نهاه الله عنه أجزاه .

(مسـألة) : عن الفضل بن الحواري ـ رحمه الله ـ قال : ان المحادد الذي يعصي الله ثم يصر عليها .

(مسـألة) : من كتب أصحابنا من أهل المغرب من كتاب الدليل لأهل

العقول ، لباغي السبيل بنور الدليل ، لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق ؛ اعلم ان أصناف المبتدعين أولهم من ابتدع في دين الله غير دين ، أم رآه دينا ، واعتقده انه حق عند الله ـ تعالى ـ ، وقطع عذر من خالفه ، فهذا هو المبتدع الذي قضينا عليه بالنار والخلود فيها ، ولا مطمع له في التوبة ، ما دام على مذهبه معتقدا لا تكفر عنه سيئة بحسنة يعملها ، ولا بمعصية يجتنبها ، ولا بشفاعة المصطفى ، ولا بمجاورة الاله المتعالي ، الا أن يرجع عن مذهبه واعتقاده ؛ والله أعلم .

(مسـألة) : ومن تأليف أبي نبهان جاعد بن خميس ؛ روي عن النبي ﷺ انه قال : «الكبائر ثلاثة : الشرك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس» ، وقال ابن عباس : الكبير ما أعد الله عليه حدا أو عقوبة ، وعن معاذ ؛ ما نهى الله عنه فهو من الكبائر ، وقال أبو المؤثر : روي عن ابن عباس انه قال : كل ذنب ذكره الله في أول سورة (النور) الى قوله : **﴿وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** ، قال : يروى عن ابن مسعود انه قال : كل ذنب ذكره الله في أول سورة (النساء) الى قوله : **﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾** ، فهو من الكبائر ، وقال أبو عبدالله : الكبائر ؛ ما أوجب الله على أهلها حدا في الدنيا ، وأعد لهم عليها عذابا في الآخرة ، والسيئات ما دون الكبائر ، والذي ذكر الله تكفيره على التوبة منها لا على الاصرار عليها ، والسيئات التي يكفرها الله ما دون الكبائر من الذنوب التي بينه وبين عباده التي يدين بالتوبة منها في أصل ما دان به ، ولا يدين بالاصرار عليها ، ولا الاستحلال لها ؛ مثل المسة والقبلة ، وذلك يكفره الله ، وأما الحقوق التي للعباد فلا يكفرها الا بأدائها الى أهلها .

قال غيره : ولعله أبو نبهان ؛ الا أن لا يقدرها ، حتى الوفاة ، فعسى أن يكفرها فيرضى من هي له بما يعوضه عنها بدلا منها ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

فاسدا ، فانه لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مقدم لما أخرت ، ولا مؤخر لما قدمت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا منجى منك الا اليك ، قولك حق ، ووعدك صدق ، وقضاؤك فصل ، ذل كل شيء لعزتك ، وتواضع كل شيء لعظمتك ، لا يحول دونك شيء ، ولا يعجزك شيء ، اليك نشكو قساوة قلوبنا ، وجمود أعيننا ، وطول آمالنا ، واقتراب آجالنا ، وكثرة ذنوبنا ، فنعم المشكو اليه انت فارحمنا لضعفتنا ، واعطنا لمسكنتنا ، ولا تحرمنا لقلة شكرنا ، فما لنا اليك شافع أرجى اليك من نفوسنا منك ، فارحم تضرعنا ، واجعل خوفنا كله منك ، ورجاءنا كله اليك ، وتوكلنا كله عليك ، يا من علمه بنا محيط ، وقضاؤه فينا سابق ، أعذنا من وجوب سخطك ، ونزول نقمتك ، وزوال نعمتك ، فإنه لا طاقة لنا الا بالجهد ، ولا صبر لنا على البلاء .

اللهم انا نسألك النجاة يوم الحساب ، والمغفرة يوم العقاب ، والرحمة يوم العذاب ، والرضى يوم الثواب ، والنور يوم الظلمة ، والري يوم العطش ، والفرج يوم الكرب ، وقرة عين لا تنفذ ، ومرافقة النبي محمد ﷺ .

اللهم لا بد لنا من لقائك فاجعل عند ذلك عذرنا مقبولا ، وذنبنا مغفورا ، وسعينا مشكورا ، اللهم فالذي سألناه يسيرا عندك ، وغير كثير في قدرتك ، فلا تردنا خائبين يا خير مأمول وأكرم مسئول ، تم الدعاء والحمد لله رب العالمين ، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وسلم .

دعاء آخر من أدعية الغزالي : اللهم ؛ اني أسألك من النعمة تمامها ، ومن العصمة دوامها ، ومن الرحمة شمولها ، ومن العافية حصولها ، ومن المنن كمالها ، ومن المحن زوالها ، ومن العيش أرغده ، ومن العمر أسعده ، ومن الأمر أحمده ، ومن التوفيق أتمه ، ومن الاحسان أعمه ، ومن الوقت أطيبه ،

ومن الفضل أعذبه ، ومن العفو أوسعه ، ومن اللطف أنفعه ، ومن المال أحله ، ومن الاقبال علينا أجله .

اللهم ؛ كن لنا ولا تكن علينا ، وأقبل بوجهك الكريم الينا ، وحقق بالزيادة آمالنا ، واختم بالسعادة آجالنا ، واقرن بالعوافي غدونا وآصالنا ، واجعل الى الخير مصيرنا ومآلنا ، وتقبل بفضلك أعمالنا ، واجبر برحمتك أحوالنا ، واجعل بطاعتك أشغالنا ، وبك لا بمن سواك اشتغالنا .

اللهم ؛ احرسنا عن ملاحظة الأغيار ، وخفف عنا ثقل الأوزار ، واغسل عنا وسخ الآصار ، وارزقنا عيش الأبرار ، وقنا شر الأشرار ، واوجب لنا جزيل المبار ، وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

اللهم ؛ ارفع منار ديننا ، واعمر دار يقيننا ، وسلمنا من غوائل البدع ، وخلصنا من حبائل الخدع ، واقطع عنا علائق الطمع ، وامنا يوم الخوف والجزع .

اللهم اجمعنا في حضائر قدسك ، وانفعنا بلطائف أنسك ، ولا تقطعنا بالاغيار عن نفسك .

اللهم ؛ ما كان منا من اقبال على غيرك ، واعراض عنك ، أو نسيان لك ، فأزله عنا بفضلك ، اللهم جدد لنا بمعنى من معانيك ، ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ، ولا أقل من ذلك ، ولا الى أحد من خلقك ، اللهم حجتنا حاجتنا ، ووعدتنا فاقتنا ، وعجزنا كنزنا ، ووسيلتنا جبلتنا اليك ، وشفيعنا دموعنا ، ورأس مالنا عدم احتيالنا ، اللهم ؛ اجعل التقوى زادنا ، والثقة بك اعتدادنا ، وعليك توكلنا واعتمادنا ، واليك استنادنا ولك ودادنا ، وفيك اجتهادنا وبك اعتضادنا .

اللهم احط من الشبهة اعتقادنا ، وارو من حوض رسولك ﷺ في القيامة أكبادنا ، وأمّن من الخوف والجزع بلادنا ، وكثرنا في عين أعدائك وأعدائنا ، وارحم في الدنيا والآخرة والدينا وأولادنا ، واصلح ولاة أمورنا وحكام ديننا ، واغمر بصالح دعائنا من حضر أو غاب عنا .

اللهم ؛ انا هربنا اليك بأنفسنا ، يا ملجأ الهاربين بأثقال الذنوب لا نجد شافعا يا أرحم الراحمين .

دعاء آخر ، ينسب الى الشيخ محمد بن ابراهيم ، مؤلف كتاب [بيان الشرع] ؛ وهو : اللهم ؛ انا عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، لا أملك لنفسي شيئا من الأشياء ، والأمر كله لك وحدك ، مالك الملك ، اللهم ؛ وأنت أعلم بجميع ما في نفسي من نفسي ، فأسألك اللهم أن تقضي لي جميع حوائجي ، حوائج الدنيا والآخرة ، وأن تصرف عني جميع الشر كله ، اللهم ؛ وأنت أعلم بما أنا فيه من وسواس الشيطان ، ومعارضته ، والشكوك التي أشغلتني ، أسألك اللهم أن تصرف عني جميع ذلك كله ، ونجني منه ، فإنك على كل شيء قدير .

اللهم ؛ ذا الجلال والاكرام ، أسألك أن ترزقني الهدى والتقى ، والعفو والرحمة ، والرضى والخير والسعد ، والعلم والرشد ، والعصمة والتوفيق والتسديد ، والبهجة والحبور والغنى ، واكفني جميع الشر كله ، والمعاصي والكفر ، والفقر ، والبخل والجبن والفاقه ، والحسرة والندامة ، والذلة والمسكنة والخضوع .

اللهم ؛ اني أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر كل ذي شر ، ومن شر ما أخاف وأحذر ، ومن شر كل سقم وألم ، وهم وغم وندم ، انك على كل شيء قدير .

ومن غيره ؛ روى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ انه قال : «ما قال عبد أصابه هم أو حزن : اللهم اني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضائك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي ، الا أذهب الله همه وأبدل مكان حزنه فرجا» .

رجـــع : وهذا دعاء شريف يقال له : دعاء الفرج ؛ اللهم ؛ كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء ، وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر في علمك ، فانقاد كل شيء لعظمتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك ، وأمر الدنيا والآخرة كله بيدك ، اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا ، اللهم ان عفوك عن ذنوبي ، وتجاوزك عن خطيئتي ، وسترك على قبيح عملي ، أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك ، وصرت أدعوك آمنا ، وأسألك مستأنسا ، وانك للمحسن اليّ ، وانني للمسيء الى نفسي ، الى ما بيني وبينك ، تتودد اليّ وأتبغض اليك ، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة ، فعد بفضلك واحسانك عليّ ، انك أنت التواب الرحيم ، وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله وسلم .

دعاء آخر : اللهم ؛ اني أسألك ايمانا دائما ، وصبرا جميلا ، وفرجا قريبا ، وأجرا عظيما ، ويقينا صادقا ، ورزقا واسعا ، وتوبة نصوحا ، وقلبا سليما ، ولسانا ذاكرا ، وسعيا مشكورا ، وذنبا مغفورا ، وعملا صالحا ، وعلما نافعا ، ودواما سجودا ، وكسبا طيبا ، وموتا مباركا ، ودعاء مستجابا .

اللهم نور بكتابك أبصارنا ، واطلق به ألسنتنا ، واشرح به صدورنا ،

واصلح به أجسادنا بحولك وقوتك ، فانه لا حول ولا قوة الا بك يا رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد وآله أجمعين ، وسلم عليه وعليهم تسليما .

وهذا دعاء الفرح والفتح : اللهم ؛ افتح لي أبواب فضلك ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، اللهم افتح لي أبواب كرمك ، اللهم افتح لي أبواب توفيقك ، اللهم افتح لي أبواب طاعتك ، اللهم افتح لي أبواب معرفتك ، اللهم افتح لي أبواب احسانك ، اللهم افتح لي أبواب غفرانك ، اللهم يا فارج الهم ، يا كاشف الغم ، يا فالق الحب والنوى ، يا مرسل الرياح ، يا باعث الأموات ، يا قابل التوبات ، يا غافر الخطيئات ، تجاوز عن عظيم ذنبي بسعة عفوك ، يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

دعاء آخر : قال وهب بن منبه : من قال حين يصبح : اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، حيهم وميتهم ، شاهدهم وغائبهم ، وقريبهم وبعيدهم ، انك تعلم متقلبهم ومثواهم ، خمسة وعشرين مرة ، حين يمسي ومثلها حين يصبح ، كتب من الأبرار اذا كان مؤمنا ، ويروى عن النبي ﷺ انه قال : «اذا مات الميت انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له» .

فصل : من كتاب [بيان الشرع] ؛ لعيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ : اللهم أسألك يا فارج الغم ، يا منفس الهم ، مذهب الأحزان ، مجيب دعوة المضطرين ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أن ترحمني رحمة تغنيني بها عمن سواك ، فانك رحماني ورحمن كل شيء ، يا أرحم الراحمين ، من قالها : فتح الله عليه رزقه وقضى عنه دينه .

وروي عن عيسى ـ عليه السلام ـ على هذه النسخة ، يا فارج الغم ، ويا منفس الهم ، يا مذهب الأحزان ، يا مجيب دعوة المضطرين ، يا رحمن

الدنيا والآخرة ورحيمهما ، أنت رحماني ورحمان كل شيء ، أسألك أن تصلي على محمد ، وأن ترحمني رحمة تغنيني بها عمن سواك ، يا أرحم الراحمين ، من قالها : فتح عليه رزقه .

فصل : روي عن النبي ﷺ انه قال : «ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل» ، وروي عن النبي ﷺ انه كان لا يكاد يقوم من مجلس الادعا بهذه الدعوات : «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما يبلغنا رحمتك ، ومن اليقين بك ما تهون به مصائب الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا ، واجعل ذلك الوارث منا ، وانصرنا على من ظلمنا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكثر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا» ومما كان يدعو به ابن مسعود ـ رحمه الله ـ : اللهم ؛ وسع عليّ في الدنيا ، وزهدني فيها ، وازوها عني ، ولا ترغبني فيها .

وقيل : ان جبرائيل ـ عليه السلام ـ كان ذات يوم عند النبي ﷺ وكان أبو ذر الغفاري مجتازا ، فقال جبرائيل للنبي ﷺ : يا محمد هذا أبو ذر الغفاري مجتازا ، فقال النبي ﷺ لجبريل : «خير وأنتم تعرفون أبا ذر» فقال جبرائيل : يا محمد ؛ ان أبا ذر الغفاري اسمه في السماء أكثر من اسمه في الأرض ، والملائكة في السماء يدعون بدعاء أبي ذر الغفاري ، فلما مضى جبرائيل ـ عليه السلام ـ أرسل النبي ﷺ الى أبي ذر فدعاه ، وقال : «يا أبا ذر ؛ أخبرني ما الدعاء الذي تدعو به» ، قال : يا محمد أدعوه بعشر كلمات ، قال : «وما هي ؟» قال : أقول : اللهم اني أسألك قلبا خاشعا ، وأسألك رزقا واسعا ، وأسألك دينا راجحاً ، وعلما نافعا ، وأسألك يقينا صادقا ، وأسألك العافية من كل بلية ، وأسألك دوام العافية ، وأسألك الغنى عن أشرار الناس .

وقيل : ـ والله أعلم ـ ان الله لا يحرم السائل الاجابة ، وان من سأل ربه أعطاه ، ولكنه اذا أراد أن يجيب الانسان ألهمه الدعاء ، واذا أراد أن يحرمه أنساه الدعاء ، فيكسل الانسان عن الدعاء ، ولا يدعو الله ومن لم يدعه لم يستجب له .

ومن غيره ؛ وفي الرواية : «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «اذكر الله فانه عون لك على ما تطلب» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «اذكر الله ذكرا يقول المنافقون انكم مراءون» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «اذكروا الله ذكرا خاملا» ، وقيل : وما الذكر الخامل ؟ قال : «الذكر الخفي» ، وفي رواية أخرى : «أكثروا من ذكر الله ـ تعالى ـ حتى يقولوا انه مجنون» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله ـ تعالى ـ تحاتت عنه خطاياه كما تحات الشجرة البالية أوراقها» .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : للحديث معانٍ : أحدها ؛ انه متى اقشعر حتى دعاه ذلك للتوبة فليتب ، وما لم تدعه الى التوبة فليس بمقشعر من خشيته ، الثاني ؛ يدل على لزوم التوبة وايجابها من فعل المعاصي ؛ الثالث ؛ من التقى فانه يقوى على الطاعة بالنشاط فيدعوه الى ترك السيئات الموعود باجتنابها بعد اجتناب الكبائر .

رجع ؛ شعرا :

الله يغضب ان تركت سؤاله　　　وابن آدم حين يسأل يغضب

وقال آخر :

لا تسأل الناس شيئا واغد معتصما　　　بالله فيما الذي أملت من أمل
فالناس يغضبهم اما سألتهم　　　والله يغضبه ان أنت لم تسل

فصل : بلغنا عن علي بن ابي طالب انه قال : تلقاني رسول الله ﷺ فقال : «يا علي ، الا اهدي اليك بهدية قد اهدانيها جبريل ، عليه السلام» فقلت : نعم بأبي انت وامي يا رسول الله ، قال : «قل : رب اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» «في ادبار الصلوات» .

فصل : وقال ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الحامدون لله الذي يحمدون الله في السراء والضراء» وقال ـ عليه السلام ـ «افضل الدعاء الحمد لله» لانه يجمع ثلاثة اشياء ثناءا لله وشكرا لله وذكرا له ، وابلغ الشكر ان يقول العبد : الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا للاسلام ، قال رسول الله ﷺ : «ما من عبد قال الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافىء مزيده ثلاث مرات الا ادرك عمل الملائكة المقربين» ، وقيل له : قد هيطلة الملائكة الكتبة الحفظة فقال : فسئل معاذ بن جبل عن ابيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ان الصلاة والصيام والذكر يضاعف عن النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف» ، ووجدت في بعض الكتب انه من قال في كل يوم بعد صلاة العتمة بست كلمات لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ، او يرى له ، سبحان الدائم القائم على كل نفس بما كسبت ، سبحان الحي القيوم ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الملك القدوس ، رب الملائكة والروح ، سبحان العلي الاعلى ، سبحانه وتعالى ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وقيل : سيد الاستغفار ان يقول العبد في سجوده : اللهم انت ربي لا اله الا انت ، خلقتني وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت تبوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ، فانه لا يغفر الذنوب الا انت ، قال : اربع خصال من منَّ الله عليه بهن في يوم واحد مخلصا وجبت له الجنة ، من صام وتصدق بصدقة ، وعاد مريضا وشيع فيه جنازة مسلم ، عن النبي ﷺ انه قال :

«الصلاة عليَّ نور الصراط ، ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ، وكتب له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وورد عليه مثلها ، ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة ، ومن صلى علي مائة صلى الله عليه الفا ، ومن صلى علي كل يوم خمسا وعشرين مرة كتب من الابدال الذين تقوم بهم الارض ، ومن صلى علي يوم الجمعة مائة مرة مخلصا لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة .

قال غير المؤلف : هذه الرواية تروى عنه ﷺ انه قال : من صلى عليَّ مرة ، صلى الله عليه عشرا (الرواية)» .

رجــع : قال غيره ايضا : وقد روي عنه ﷺ انه قال : «من ذكرت عنده فليصل علي فإن صلاتكم علي اجابة لدعائكم وزكاة لاعمالكم ومرضاة لربكم» ، وعنه انه قال : «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب» ، وعنه انه قال : «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي ﷺ » ، وعنه انه قال : «اكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء» يعني ليلة الجمة ، واليوم الازهر ، يعني يومها ، وعنه انه قال : «لقيت جبرائيل ـ عليه السلام ـ فبشرني وقال ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت شكرا لله» .

وأوكد من ذلك كله امر الله تعالى أهل السموات والارض بالصلاة عليه فقال : ﴿ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ ، وصلاة الله عليه رحمة ، وصلاة الملائكة طاعة ، وصلاة المؤمنين حسنات لهم ﷺ ، وفي الحديث ، «من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله تعالى » ويروى انه قيل : يا رسول الله ، أرأيت قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ان الله وملائكته﴾ (الآية) ، فقال ـ عليه السلام ـ : هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين

فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك ، وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ، ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين» وفيه ، اكثر من هذا تركته اختصارا .

وفي الكشاف ؛ ان في حال وجوبها اختلاف منهم من اوجبها كلما جري ذكره ، ومنهم من قال : تجب في كل مجلس مرة ، وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس ، وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ، ومنهم من اوجبها في العمر مرة ، وكذا قال في اظهار الشهادتين ، والذي يقتضيه الاحتياط ، الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد في الاخبار انتهى فينظر في ذلك .

(مسألة) : عن الشيخ عامر بن علي العبادي واختياري للمصلي عليه ان يقول : اللهم ؛ صل على نبينا محمد لانه بمعنى الدعاء ، وقوله وصلى الله يعني الخبر عن فعل ماض والدعاء عندي اولى واحق بتكراره في هذا وغيره خلافا مني عما يتأوله الضعفاء في العلم ان قوله : اللهم صل تخرج بمعنى الامر تعالى الله عن ذلك ، وشاهد صحة اختياري من كتاب الله حيث اخبرنا عن خليله ابراهيم قال : **﴿رب اجعلني مقيم الصلاة﴾** ، الى غير ذلك من الآيات بالذكر الحكيم ، والله اعلم .

(مسألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «سلوا الله لي الوسيلة اعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل واحد ، وارجو ان يكون انا هو» ، قال الشيخ ناصر بن جاعد بن خميس : وذلك ان يقول : اللهم ؛ آت سيدنا محمدا النبي الوسيلة والفضيلة ، وابعثه المقام المحمود ، واحشرنا معه بحضرته مغبوطين بنظرته يوم الدين ، والله اعلم .

رجـع : وروي عنه ﷺ انه قال : «سلوا الله لي الوسيلة فانه لا يسألها

لي عبد في الدنيا الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة» ، وقال ﷺ : «من ذكرت عنده فخطا الصلاة علي خطا طريق الجنة» ، وقال : «من ذكرت عنده فلم يصل علي فهو شقي» ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : هذه الاحاديث في الصلاة على النبي ﷺ ان الصلاة اصلها ليس بفرض في كل ما ذكر فمن ذكره ﷺ في موضع ، ولم يصل فلا يبلغ به الى ان يكون شقيا ، ولكنه جفاء وتقصير جدا ، وكذلك قوله : خطا طريق الجنة فالصلاة عليه ﷺ من طريق الجنة ، وليس كل من خطا طريق الجنة دخل النار ، لأن من طرقها الوسائل والواجبات ، وقال ﷺ «اكثروا من الصلاة علي فان صلاتكم علي مغفرة لذنوبكم واطلبوا لي الدرجة والوسيلة فان وسيلتي عند ربي شفاعة لكم» .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : هذا على معنى الندب وفي طلب الوسيلة له على معنى طلب القربة من الله للمرء بنفسه فان سؤاله للنبي ﷺ قربة الى الله ـ تعالى ـ والصلاة على النبي ﷺ مرة في العمر في محل الرأي أنها فرض عليه ام سنة لقوله ـ تعالى ـ : ﴿صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ ، ولم تقم صحة اجماع على فرضها ، ولا على انها لا تلزم ابدا على من عرف ذلك ، فلاجل هذا صارت في محل الرأي ، واما بعد المرة فسنة مندوبة متى ذكره ، وفي حديث ان الدعاء اذا لم يصل فيه على النبي ﷺ ابتر وموقوف عن الاجابة حتى يصلي عليه ، وقد اختار بعض العلماء ان يصلي قبل السؤال وبعده ، فان صلاته على النبي ﷺ مستجابة فلا يترك الله الوسط ، ولا ينوى بذلك حيلة على الله ؛ فان الله يفعل ما يشاء ، وتكون صلاته في السؤال سؤالا فان السؤال افضل من الخبر ، لأن قولك ﷺ ، خبر وهذا يليق عند ذكره ، واما السؤال فهو مثلا ان يقول : اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الامي وآله وصحبه واوليائك اجمعين .

رجـع : وعنه ﷺ انه قال : «ان لله ـ تعالى ـ ملكا اعطاه سمع العباد

فليس من احد يصلي علي الا بلغنيها ، واني سألت ربي ان لا يصلي علي عبد الا صلى عليه عشرا امثالها» ، وقال ﷺ : «كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ» ، وقال ـ عليه السلام ـ «صلوا علي واجتهدوا في الدعاء» ، وقولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد» ، وقال ﷺ : «صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «صلوا على النبيين اذا ذكرتموني فانهم قد بعثوا كما بعثت» .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : وذلك ان يقول في الدعاء : «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي وآله واصحابه واهل طاعته ، وعلى جميع انبيائك ورسلك واوليائك من الملائكة والجنة والناس واجمعين» .

رجـع : وقال ـ عليه السلام ـ : «اكثرو من الصلاة على موسى فما رأيت احدا من الانبياء احوط على امتي منه» ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : الصلاة تجوز على كل ملك ، ورسول ، ونبي ، وولي ، ذكره الله في التنزيل ، وعلى جملة المتقين ، ولكن الله خص ذكرها في شخص معين من اوليائه في النبي محمد ﷺ فافرده بها من جميع مخلوقاته ، فليس من المستحب للنبي ﷺ ولا لغيره ان يشارك به فيما أفرده به وخصه به ، ليكون منفردا بشيء من كرامة الله ـ تعالى ـ فعلى هذا البحث يكون هذا الحديث ضعيف الصحة ، وانما يقال : للملك ، وللرسول ، وللنبي ، وللولي ، المذكور في التنزيل ـ عليه السلام ، ثم ذلك لهم خصوص ، وللرضى من امة النبي ﷺ رضي الله عنه ورحمه الله ، والاستغفار في الصحيفة نور يتلألأ .

وقيل : افضل الكلام قول الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله الا الله والله اكبر ولله الحمد ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وهن الباقيات الصالحات ، فمن قالهن مرة واحدة مخلصا كتب الله له مائة الف حسنة ،

واربعا وعشرين الف حسنة ، ومحا عنه مائة الف سيئة واربعا وعشرين الف سيئة ، ورفع له مائة الف درجة واربعا وعشرين الف درجة ، ومن قالهن مائة الف مرة صادقا غفر له ذنوبه فيما يقال ولو كانت كزبد البحر .

وقيل : فيما اوحى ـ تعالى ـ الى موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ : «ان كنت تحب ان تكون من العابدين فامس واصبح ولسانك رطب بذكري» ، وافضل العبادة ان يمسي العبد ويصبح ولسانه رطب بذكر الله ، وافضل ما يتقرب به العبد الى الله ، ويكفي عنده القليل من التعبد والورع وهو الدين ، واليه تنتهي الامور ، وبعد ذلك ؛ فالصلاة وهي رأس العبادة وافضلها بعد القرآن جوف الليل الغابر ، وذلك هو الشرف الاعظم وبعد الصلاة قراءة القرآن ، وبعد القرآن الذكر لله وهو من القرآن والصدقة وهي انفكاك وبها النجاة من كل هلكة .

وقيل عن النبي ﷺ : «تداركوا الهموم والغموم بالصدقة تكشف عنكم» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا امواج البلاء بالدعاء» .

فصل : بلغنا ان ليلة الجمعة تفتح ابواب السماء ، وينادي مناد من السماء ، هل من داع فتستجاب له دعوته ، هل من سائل فيعطى سؤاله ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ هل من تائب فيتاب عليه ؟

(**مسألة**) : الصبحي وفي كسوة اهل الجنة كيف تصل اليهم ، قال : الله اعلم ؛ ومن كرامة الله ان يجدوها على ابدانهم ، وبين ايديهم والوانها وعددها على درجاتهم ، ويطوف عليهم بها خدمهم ، وكذلك القول في اطعمتهم وفواكههم ، قلت له : وهؤلاء الولدان من بني آدم ام من الحور العين ؟ قال : الله اعلم ؛ وقد يمكن هذا وهذا ، واحسب انهم من الحور ؛

لانهم ثواب لا ينعمون ولا يأكلون ، واحسب ان صفة جميع الحور كذلك ، وقال من قال : ان اولاد المشركين الصغار ، واطفال المنافقين خدم لأهل الجنة ، ولا يشاركونهم في نعيمهم ؛ والله اعلم .



الباب الحادي عشر

في مسائل منثورة

ومن جواب الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي ، وعن اهل النار ، اعاذنا الله وجميع المسلمين منها ، هل خلقهم الله يوم خلقهم للنار قطعا ام كيف القول في ذلك ؟ وهل يسع جهل ذلك اذا ذكر ام لا ؟ عرفني ذلك يرحمك الله - تعالى - .

الجواب ؛ ان الله - تعالى - لا يجوز ان يكون جاهلا بعلم شيء وهو خالق لكل شيء ، فلما كان عالما بكل شيء فأهل النار قد علمهم الله - تعالى - من حين صورهم في عالم الغيب ، وفي اللوح المحفوظ ، قبل ان يظهروا في عالم الشهادة ، علمهم انهم ليعصونه فخلقهم ارادة منه ليظهر منهم ما فيه وعليه من العناد ليجازيهم على عنادهم ، والمطيع كذلك ، واذا كانوا في عالم الشهادة حيث نراهم نحن يحادون الله ورسوله ، يستحقون العقاب في عقولنا بما رأيناهم بعيوننا ، فكيف لا يستحقون العقاب برؤية الله لهم في عالم الغيب انهم من اهل العناد لله ولرسوله وللمؤمنين ، فلما كانوا مستحقين في عالم الغيب برؤية الله لهم انهم كذلك استحقوا لأن يظهروا الى عالم الشهادة وينظروا انفسهم الى عبادتهم ويجازوا عليه ، فافهم ؛ فإن علم الله فيهم ليس هو جبرا من الله لهم ، ولا تقديرا منه عليهم ، بل ذلك هو اختيارهم بانفسهم لأنفسهم فعلم ذلك منهم قبل ان يظهروا الى عالم الغيب ، والتفكر وراء ذلك ، هو القدر الممنوع بالحجر والتحريم ان يفكروا فيه ، ويخوضوا فيه ؛

لانه مما تضل فيه العقول ، وتذهب الى مذاهب الهلاك التي لا يرجى له معها السلامة فما من نبي الا وحذر امته ان يفكروا في القدر وبالله التوفيق .

(مسألة) : ومنه ؛ وهل حسن وأجر لمن اراد ان يتقرب الى الله بشيء من القربات عن هالك له ، مثل انه يعطي عنه ويصوم ويفرق كفارات غير موصٍ بها الهالك ويعطي من يقرأ القرآن عند قبره ، او ترك هذا اولى ؟

الجواب ؛ اما المفعول عنه فلا يزيده ذلك قربة من الله ـ تعالى ـ فيما اراه في نفسي اذا كان ذلك لا ينفعه مع الله ، فلا ينفع عامله له ، وليس الناظرون الى الله ـ تعالى ـ الطالبون القربة اليه من شأنهم ان يفعلوا ذلك عن غيرهم ، فيكون مرادهم الاجر لغيرهم ، فليس هذا من صدق المحبة في الله ، ولا من صدق الرغبة الى القرب من الله ، وان كان المراد القرب من الله بفعله ذلك عن غيره ، فلا ينفع ذلك الغير ، ولو صح هذا ، لكان الاحرى به ان يفعل ذلك عن رسول الله ﷺ ، ولم يأت في ذلك في النبي ﷺ ، ولا في ابي بكر ، ولا في عمر بن الخطاب ، فهذا ما يدلك على انه كأنه ليس بشيء فيه ، ولا اجر لفاعله فيما اراه ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ ما تقول فيمن اسمعه يفوه بكلام العامة ويتشكى يقول : علام نحن دائما نقع في المحنة وما المحنة الا في وجهنا ؟ وعلام كلما اشترينا شيئا ضاع ولم يصلح لنا ؟ وما هذا التوفيق الخبيث كأنه غير راض بما يصيبه ؟ هل يلزمني الانكار عليه ؟ وهل يجوز هذا ام لا ؟

الجواب ؛ لا يلزمه فيه انكار ؛ لانه يمكن ان يكون اراد بأي شيء يصيبنا هذا من افعالنا التي لا تجوز ولم نعلم بها فلم ندر هذا وقع من سبب اي عمل عملناه ، واما انت بنفسك هل يجوز لك ان تقول هذا ؟ فان كان معنى قلة الرضى بحكم الله فلا يجوز لك ، وان كان على معنى التوسع بافعالك او

افعال غيرك انه بأي سبب فهو جائز ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ وسئل عن الذي يترك الشيء القليل من ماله وكان قادرا على حفظه لكنه استخف بحاله كان ذلك مما يحتاج اليه في حينه ، او لا ؟ وربما يحتاج اليه غيره وربما لا يحتاج له احد لكن المنفعة به غير منعدمة في الحال او في ثان الحال له او لأحد غيره ؛ أيكون هذا مضيعا ماله ، مرتكبا لنهي النبي ﷺ ، ولو كان ذلك حبة خردل فما فوقها اذا لم يكن بتركه له لشيء من النيات الفاسدة لكن تركه لغير معنى ام لا ؟ عرفني ذلك مأجورا .

الجواب ؛ ان الترك على انواع واحوال ، ونهي النبي ﷺ عن اضاعة المال على ما لا يجوز له كان بترك او باستعماله فيما لا يجوز له ، وقد يرمي في السفر بالنوى وبالقشر من الرمان ويترك فضلة علف دوابه وزبلها ، وكل ذلك مما فيه نفع ولا يصح ان يحمل كلام النبي ﷺ في الترك عى الدينونة وعلى الوعيد ، وانما مراد النبي ﷺ استعمال المال في معاصي الله - تعالى - فهو المحرم له على حال ، وما عدا ذلك فما يضر بالمرء تركه لغير فائدة ولغير ضرورة ، ليس المراد منه ما قل وما لا يضر بالمرء تركه في قيام نفسه ، وفي قيام من يلزمه عوله ، وبعد ذلك فمنه المباح ، ومنه ما فيه الكراهية .

وحفظ المال قل او كثر اذا نوي به لله ففيه الاجر ، ففي موضع لزومه هو الفرض كما بيناه ، وحيث المنهي عنه فهو المكروه ، وحيث المباح ، وحيث هو المكروه لا يوجب العقاب بذلك ، ويوجب الثواب بحفظه في موضعها ، والنفس تجد التفرقة بين ذلك : الا من نفس من استولت عليه الوسوسة فلا يقدر ان يفرق بين ذلك ؛ والله اعلم .

مسألة : ومنه ؛ وهل يجوز حمل السلاح مثل التفق والسيف والعكازة والرمح اذا كان غير خائف بل مراده الزينة وخوفا ان يعيبه الناس ام في ذلك

كله لا بأس ؟

الجـواب ؛ ان حمل السلاح من المطيع لله ـ تعالى ـ من الوسائل الى الله ـ تعالى ـ ما لم ينو به على سبيل المكروه او المحرم والزينة به من القربات لله ـ تعالى ـ وان نوى الرياء او حمله خوف العار ، لم يكن من القربات ، بل يصير من المكروهات ، ولا يصير بالرياء ، ولا بالخوف من العار ، بتركه من المحرمات ، اذ ليس من اقسام العبادات لله التي في عملها الرياء من المحرمات ، مثل الصلاة والصوم والحج وقراءة القرآن ، وما اشبه ذلك ، فافهم الفرق في ذلك .

(**مسـألة**) : مضافة الى كتاب القاموس ، وهي عن الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي ايضا عن الانسان اذا كان يكره ان يذكره احد بما فيه مثل الاعمى ، او ضعيف البصر ، والاعرج ، وامثالهم ، ولا يعجبه ذلك ؛ ايضره ذلك ام لا ؟

الجـواب ؛ لا يضره كل ذلك في دينه ما لم يتعد به الى ما لا يجوز له دينا ؛ لأن الجاه اذا لم يطلب به ما لا يحل له فطلبه غير محرم عليه ، وجائز له ، ويجوز ولو كانت النية به عن ان يقال فيه : ولو خرج به الى حكم الرياء ، لأن تحسين العمامة ، وتحسين الخراق ، في طيها على الرأس والخاصرة ، كل ذلك حقيقة من جهة الناس ، والمراد حفظ الجاه عن ضياعه مع الناس ، وحفظه مأمور به ، فان جاه المرء مع الناس يكف عنه كثيرا من بلائهم وتشويشهم عليه ، وبالجملة اخبرني والدي انه قال : ان الرياء لا يجوز فيما يكون اصله من العبادات لله ـ تعالى ـ مثل ؛ الصلاة والصوم ، والحج وقراءة القرآن ، وتعليم الشريعة ، وما اشبه ذلك ، واما ما ذكرناه من امور الدنيا فلا يحرم عليه .

وكذلك الاجتهاد في اخراج الكلام نثرا ونظما بحد ما يستطيعه من

الفصاحة ، ويجتهد فيه عن وجود العيب ، كل ذلك خوفا من معاب الناس عليه ، ولا يسمى هذا رياء وانما يسمى هذا من المباح له ، ولا يسمى كذلك رياء الا فيما لا يجوز له من امور العبادة كلها ، وان كان امرا جائزا يصح ان يكون طاعة لله ـ تعالى ـ فلعل الطاعة غير فعل العبادة ؛ لأن فعل المباح هو طاعة لله من المطيع لله ـ تعالى ـ ولم يسم كل مباح هو عبادة ؛ لأن من يفتل هدوب عمامته ، ويجتهد كثيرا في تحسينها وتنظيم الهدب جدا ، وتحسين العقدة ، هذه لعله ليس هذا عبادة لله ـ تعالى ـ ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ وسئل عن تأويل ما جاء في الاثر ان «من احب ان يتمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده من النار» ؛ لأنا قد سمعنا منك قولا ان من دان بذلك فهو هالك ؟

الجواب ؛ لأن الدين الذي يجوز ان يدين به المرء ما الزمه الله فرضا عليه عملا ، او تركا ، او اعتقادا ، او الزمه الرسول ﷺ ، وجعله فرضا ، او قامت به حجة العقل على وجوبه فرضا لازما ، او اجمعت عليه الأمة المحقة من الحق وبالحق على انه دين يدان به لله ـ تعالى ـ وما اشبه ذلك ، ويكون عليه العقاب في المخالفة ، فهذا هو الدين الذي يجوز ان يدان به ؛ واما حب القيام والكرامة من الناس للمرء ؛ فلا يجوز اطلاق تحريمه على حال ، وقد يكون حراما في موضع ما لا يسعه ، وقد يكون حلالا في موضع ما يسعه ، وقد يكون مكروها ، وقد يكون حلالا ، وفي الغالب حلاله ؛ والله اعلم ؛ قال غيره : وقال بعضهم : ان القيام للمقوم له ذلة على القائم ، وفتنة على المقوم له .

رجـــع

(مسألة) : ومنه : وسئل عمن يسأل الله ان يرزقه زوجة فلان او ماله تركت بقية السؤال ؟

الجـواب ؛ ان اهل الورع يخجلون من الله ان يدعوه بمثل هذا ان يرزقه زوجة فلان ، وهي في ذلك الحال زوجته ، او مال فلان ، فليست هذه من اخلاق الصالحين ، وهو قبيح جدا ، وما رآه المسلمون قبيحا فهو قبيح عند الله ، واما مطلقة فلان ، او مال فلان او فلان اصله يبيع ماله ، ويسأل الله ان يرزقه اياه ، او اذا باعه واراد بيعه ان يرزقه الله اياه ، فهذا جائز ، ولا ارى مانعا من جوازه ، وما هو جائز فجائز اضافه الى احد او لم يضفه ، وما هو غير جائز فهو غير جائز في الوجهين ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : ومنه ؛ اتيت بجوابها وتركت سؤالها ؟ الجـواب ؛ قد جاء الاثر ان الانسان اذا رأى رأيا اعدل ، ورأيا اهزل ، فليس له ان يعمل بالاهزل ، ومعي ؛ انه لا على الاطلاق فانما يخصه في نفسه ، وكان الاهزل اعلى مرتبة في الزهد وترك الشبهات في العمل به لا شك ان الاهزل افضل في حقه وانما يخص ذلك القول من حكم بين اثنين بما يراه اهزل او حكم لنفسه غيره في اخذ حق يرى الاعدل انه ليس له ، وعلى هذا ؛ فان كان بمعنى الحكم من الاثنين او الفتوى ، فليس له ذلك ، وان كان بمعنى الصلح على ما جاز ممن يقدر ان يخالفه اذا اراد وكس حقه ، فلا يمنع من جوار ذلك له ، لا سيما اذا بين له ان هذا لا على معنى اللزوم عليك ، وانما عليك ، وانما هو على معنى الصلح الجائز بين الاثنين المتخاصمين ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : ومنه وفي الذي يوجد عن القوم من اجازة الخروج في الفيافي والقفار بلا زاد مع صدق التوكل ؛ هل هذا مع اصحابنا موجود وفعل معهم محمودا ؟

الجـواب ؛ ان الجواز غير اللازم واحوال الناس مختلفة ، وكل اعلم بنفسه وبحاله فيما بينه وبين الله في رزقه ، ولا نقول في ذلك باعتراض ما ليس لنا به علم .

(مسألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد ، فيمن وعد انسانا ثم اخلفه من غير عذر اتجزيه التوبة بغير وفاء بما وعده ام لا ؟

الجواب : والله الموفق للصواب ؛ ان كان هذا الخلف لا يلحق صاحبه من اجله ضرر في نفس او مال ، وهو قادر على ذلك ، فعندي انه تجزيه التوبة والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ، ومن قرأ قرطاسا لغيره بغير اذنه لظنه انه لا يحرج عليه اياها ام لا اذا كان يظن انه ليس فيه عورة ؟

الجواب ؛ اذا كان هذا القرطاس قد اطمأن قلبه انه ليس من الاسرار التي يحرج صاحبها ان يطلع عليها ، فلا اقول انه يؤثم على هذا ؛ والله اعلم .

(مسألة) : وسألته عن رجل يرقي في دابة او ولد فيقول المرقى له : لولا فلان رقاه ، لكان هلك ، فلما رقاه صح ، ما الحكم على القائل ؟ اذا لم يعتقد انه انما صح من اجل رقاه ، فلا بأس عليه .

(مسألة) : قال الشيخ النسفي وهو من المتسمين بالسنة : وفي دعاء الاحياء للاموات وصدقتهم نفع لهم ، والله - تعالى - يجيب ويقضي الحاجات من الشرح ، قوله : نفع لهم ، خلاف للمعتزلة تمسكا بأن القضاء لا يتبدل ، وكل نفس مرهونة بما كسبت ، والمرء مجزي بعمله لا بعمل غيره ، ولنا ما ورد في الاحاديث الصحاح من الدعوات للاموات خصوصا في صلاة الجنازة ، وقد تواتر عن السلف ، فلو لم يكن فيه نفع لما كان له معنى ، وقال - عليه السلام - : «ما من ميت تصلي عليه امة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه» ، وقال ﷺ : «ان العالم والمتعلم اذا مرا على مقبرة

قرية فان الله ـ تعالى ـ يرفع العذاب عن مقبرة تلك القرية اربعين يوما» ، وفي استجابة الدعاء قال ـ عليه السلام ـ : «يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل» ، ولقوله عليه السلام : «ان ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا» .

اعلم ان العمل في ذلك صدق النية وخلوص الطوية ، وحضور القلب لقوله ـ عليه السلام ـ : «ادعو ربكم وانتم موقنون بالاجابة» ، والله ـ تعالى ـ لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاه .

واختلف المشايخ في انه هل يجوز ان يقال : ان الله يستجيب دعوة الكافر ؟ فمنعه الجمهور لقوله ـ تعالى ـ : **﴿وما دعاء الكافرين الا في ضلال﴾** ، وما روي في الحديث ان دعوة المظلوم وان كان كافرا يستجاب له محمول على كفران النعم ، وجوزه بعضهم لقوله ـ تعالى ـ حاكيا عن ابليس : **﴿رب انظرني﴾** ، فقال الله ـ تعالى ـ : **﴿انك من المنظرين﴾** .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي : اما ان الدعاء من الاحياء للاموات انه ينقص من اوزارهم التي ماتوا عليها ، او يزيد في اعمالهم ، فهذا مما لا يصح ، فمن ختم له بالسعادة ، فلا زيادة لعمله ومن ختم له بالشقاوة فلا ينجيه دعاء الاحياء ، فلو كان فيه نفع ، لكان احق به النبي ﷺ لآبائه واجداده ، والحق ما قاله المعتزلي ، ومن مات عاصيا ولو صلى عليه وشفع له جميع من في الارض لما نفعه ذلك .

واما فائدة الدعاء من الاحياء للاموات لا تجوز الا لأهل التقوى منهم ، والدعاء لهم راجع نفعه للاحياء الداعين لهم ، وذلك مثل استغفار الملائكة للمؤمنين ؛ فضله راجع اليهم ، وانما كان معنا محبة لمن احب الله ـ تعالى ـ ؛ وولاية لمن تولاه الله ـ تعالى ـ والله يكرم ذلك بما سأله اكراما للداعي ، والا ولو لم يدع له لأعطاه ايضا مثل استغفار الملائكة للاولياء ، فان الله ـ تعالى ـ يغفر

لهم ، ولو لم يستغفروا له ، ولكن هذا حق اولياء الله من بعضهم بعضا ، ومحبة لله ، وولاية لله لمن والاه الله واحبه ، كنحو صلاتنا على النبي ﷺ ؛ فلا ينفع ذلك النبي ، وانما نفع ذلك راجع الينا لا غير .

واما استجابة الدعاء فهو على المشيئة ، ويمكن معنى قوله ـ تعالى ـ ﴿ادعوني استجب لكم﴾ ، اي الدعاء هي للصلوات والتوفيق في اداء الطاعة له ـ تعالى ـ ، فان الله ـ تعالى ـ يستجيب له لقوله ـ تعالى ـ ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ ، وقال ـ تعالى ـ ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ (السورة كلها) ، واما في غير التوفيق في العبادة فيمكن ان يستجيب له ، ويمكن ان لا يستجيب له في عرضه الذي طلبه ، فليس من الاجابة ان يعطي غير ذلك ، ويمنع ذلك ، والله اعلم فينظر في ذلك .

(مسألة) : عن الشيخ احمد بن مفرج وعن زيارة القبر تستحب ام لا ؟ قال : نعم ، تستحب تذكرة للآخرة .

قلت له : فالقراءة على القبر تنفع الميت ام لا ؟ قال : فالقرآن ينفع ؛ لانه جاء ان الهدية للميت تنفعه ، والزيارة لا تصح للميت الا ان يوصي بقراءة القرآن على قبره هكذا حفظنا وكذلك الصدقة تنفعه والحج والعتق ، وقيل : لا ينفعه الا ما اوصى به ؛ والله اعلم .

قال الشيخ العالم عامر بن علي ـ رحمه الله ـ : أما المؤمن الذي منّ الله عليه بالعفو والغفران والسعادة ، فكل ما عمله في الدنيا من عمل او قاله او نواه ، او مال اكتسبه ، فانفقه على الوجه المستوجب به من الله الرضى ، او صدقة تصدق بها على هذا الوجه ، فلا شك انه يؤجر عليه او يزداد به درجات في الآخرة ، واما الكافر الخارج من الدنيا على غير سبيل المؤمنين ، فما له فيما آتاه من الاقوال والاعمال والنيات الصالحة من نصيب ، بل هي محبوطة لا

ينتفع بها خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ؛ والله اعلم .

قال المؤلف : وقد جاء في نفع اعمال الاحياء للاموات شيء في جزء وصية الاقربين ، وفي الجزء الأول من الوصايا ، وفي العدد الثالث والسبعين تمت الزيادة .

(مسألة) : عن الشيخ ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد وما صفة اخوانه في الله ، اهم اولياؤه ام يدخل في ذلك أمناه الذين يستعمهم في امانيه ، ولو لوم يعتقد لهم ولاية عرف خادمك ذلك ؟

الجواب ؛ وبالله التوفيق ؛ الاخوان في الله لا يكونون الا اهل الفقه والعدالة والامانة في الدين ، الذين لم يصح منهم دخول في باطل ، ولا ارتكاب لمأثم ، ولم يبن منهم انتهاك لما يدينون بتحريمه لا استحلال بتدين اهل الضلال ، واما الاخوان على الاطلاق ؛ فيدخل فيه وذلك البار والفاجر وقد جاء بذلك القرآن في غير موضع ، والله اعلم .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ هلال بن عبد بن مسعود العدوي السمدي النزوي ، وما معنى ما روي عن النبي ﷺ انه قال : «من منع الماعون جاره اذا احتاج اليه منعه الله فضله ووكله الى نفسه ، ومن وكله الله الى نفسه هلك ولا يقبل الله عذره الا ان يتوب» ؟ والماعون عندنا الزكاة المفروضة ، فهل يسلم من سلم زكاته لغير جاره من الفقراء ولم يعطه منها شيئا ؟

الجواب ؛ انه يوجد في الماعون اختلاف من اهل العلم قول : هو الزكاة المفروضة ، وقول : كل واجب عليه لاحد من الخليقة ، وقول : هو مثل الآلات التي يستعيرها الناس من بعضهم بعضا للمنافع مثل ؛ الفأس والمسحاة ، وغيرذلك ، فمعنى الرواية لعله ؛ يخرج اذا احتاج جارك الى مثل

ذلك ، وهو غير واجد له لضرورة عنته ، وهو يؤمن على ذلك اذا كان يخرج في الآلات ، وان كان معناه الزكاة واضطر الى حاجتها ، وهو اهل لها ، واما اذا اخرجها ربها قبل هذه التي عرضت لجاره فلا يلزمه شيء ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ ناصر بن ابي نبهان : وما يخرج عندك في الذي يوجد ان من فعل كذا وكذا ، او عمل كذا ، انه لا يموت حتى يرى مقعده من الجنة ، وكذلك ما يوجد انه لا يموت الانسان حتى يعرف نفسه شقي ام سعيد ؟ اوضح لنا ذلك مأجورا .

الجواب ؛ قد جاء الاثر كذلك ، وله شاهد يدل على صحته من تأويل التنزيل قوله ـ تعالى ـ : ﴿**لهم البشرى في الحياة الدنيا**﴾ ، والبشرى اما بشارة خير ، واما بشارة شر ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿**فبشرهم بعذاب اليم**﴾ ، فقيل : المعنى انه حضرته الوفاة ، وعاين ملك الموت ، وبشر اما بعذاب واما بثواب ، وقد يفتك المرء بسيف فيموت من ساعته ، فيمكن ان الله يبشره في لحظة قبل موته ، ويمكن ان تكون هذه البشرى ليست هي عامة لا لمن يموت بالقتل في حين الضرب ؛ والله اعلم .

(مسألة) : عن الصبحي قلت له : أيؤثر المؤمن فيمن اعتدى عليه في حياته وبعد وفاته ؟ قال الله اعلم ، ومن شاء الله عقابه لاجل شيء في الدنيا فذلك العقاب بمعاصيه ، ومن شاء تأخير عقابه كما قال الله : ﴿**انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار**﴾ ، ولا اعلم علما من كتاب ، او سنة ، ان المؤمن يؤثر القصاص في الدنيا ميتا كان اوحيا وان لو كان كذلك ، لكان منه في الحياة اولى منه بعد الممات ؛ والله اعلم .

وقال في جوابها الشيخ العالم ناصر بن ابي نبهان الخروصي : ان كرامة الله لأوليائه ممكنة ، واما ما يقال : ان قبر فلان يؤثر ، فهذا مما سمعت والدي

فيه يقول : ربما انه من الشياطين يتعرضون في ذلك ليعظموا القبر ، ويعتقدوا فيه امورا فيفعلو بذلك ما هو غير جائز مثل النذورات وما اشبه ذلك ، واما المواضع التي يقيم فيها فقال : ان ذلك يكون من مبالغة الطهارة للموضع وكثرة مبالغة الطهارة من القائم به في ثيابه وجسده اذا كان الموضع منفردا عن الناس ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ اعني الصبحي وسألته عمن يقول : ان من مات بنفخ الصور فلا سلامة له من الهلاك ، والنار ، هل ترى هذا حقا ؟ قال : الله اعلم ، ولا يبين لي ذلك ، واقول : ان من مات على الحق مات سعيدا ، ومن مات على الاصرار مات شقيا ، متقدما كان او مستأخرا ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ وسألته عما يوجد في الكتب ، ان من قطع أذن فأر ذهب الفأر من بيته ، هي يجوز له ذلك ؟ قال : لا احفظ في هذا شيئا ، ولا يعجبني فعل ذلك ، ولا اقول ان من فعل ذلك فقد فعل خطأ ، والمصلحة تجوز في خلق الله من نار او قطع ، وان خرج هذا من السباع ، فان السباع تقتل حيثما كانت ، وهذا من المضرات ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ قلت له : ما تقول فيمن قطعه بعض اصحابه ، ولم يدخل عليه ، هل الافضل استعطافه ام تركه ؟ قال : يعجبني اذا قطعك بلا ذنب منك عليه ، ولا خطيئة ان لا تطلبه وتتركه على هواه ، قلت له : فان امرته بالخير والرشاد فترك مواصلتي لاجل ذلك : قال : معي ان مثل هذا يترك ولا يستكثر به ، والسلامة في فراقه ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ابن عبيدان ؛ والارضون السبع ؛ طبقات متباينة بعضها فوق بعض وأصحاب الرس هم ناس من اهل الخلاف ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومن سيرة العبادي قيل ـ والله اعلم ـ ان قوم النبي صالح ـ عليه السلام ـ امتحنوه على ان يخرج لهم ناقة من حجر صماء ، ولا عزيز على الله ـ تعالى ـ ان الله على كل شيء قدير ، قيل ـ والله اعلم ـ ان الحجر انعتقت صارت الناقة في بطن الحجر وتتمخض كتمخض الحبلى اذا اضر بها الطلق ، ثم خرجت الناقة بقدرة الله ـ تعالى ـ هي وفصيلها ، قيل : والله اعلم انها كانت تدور وتقف على ابواب البيوت وتنادي من اراد اللبن فليخرج اناءه فيخرجون بآنيتهم ، ويضعونها تحت الضرع فينحدر اللبن من ضرع الناقة من غير حلب حتى تمتلىء آنيتهم ، ثم كفروا فعقروا الناقة فنصره الله عليهم بالصيحة ، كما قال ـ تعالى تـ ﴿**انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر**﴾ ، كالشجر اليابس المتكسر ، او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة ، والله اعلم بتأويل كتابه .

قال الشيخ ابو نبهان : ان هذه الا الآية الا ان النهاية فيما ارشدهم اليه من المصالح ، في المعارف الالهية ، الا وان في اخراج جواهر الحكم من اصداف انواع الكلم ، ما هو اعجب على حال عند العارفين من ذلك النتاج ، أوليس كذلك ، وفي العمل به في تأدية الفرائض ، وكل نافلة تقرب الى الله زلفى مع السنن من جواهر لطائف المنن ، ما هو اكثر نعمة من ذلك اللبن ، وفيما يكون بينهما من انوار معارف الاسرار ما يزيد على ما يتولد منها آية لأهل الايمان ، ايمانا وتنورابالأنوار ، من تولد تلك الناقة من ذلك الحجر من جملة الاحجار ، ولكن من غير ما يجوز معه انها آية ومعجزة الهية لنبيه دالة على رسالته لا انكار ، ولا استصغار عند اولي الابصار ؛ ولكنها كالصغرى بالاضافة الى هذه الكبرى ، ولو انهم ابصروا ما قد دعاهم وامرهم به ، فدلهم عليه من سواهم صورا لكان اعلى لهم في الدارين قدرا ، ولكنهم لما رأوا من مكان بعيد طرق الهدى ، ومتألف الردى ، مالوا في الاستحباب الى العمى

بدلا من الهدى ، ولو ابصروا حقيقة ما بصروا به يومئذ لآمنوا فاقصروا عن عقر الناقة ، ولعظموها حد الطاقة ، ولكنهم عموا عن هذا كله ، فآل بهم ذلك الى الهلاك .

الباب الثاني عشر

فيه تغاب ومسائل مشكلات

من الفقير الى الله امام المسلمين ، بلعرب بن سلطان بن سيف ، الى شيخنا الرضي ، الفقيه ، وولينا في الله محمد بن جمعة بن عبدالله بن عبيدان ـ رحمه الله ـ وبعد الخير والسلامة ؛ وصلت الينا كتب من عمالنا من الصير يذكرون فيها ان رجلا من مخالفينا جاء الى الصير من البحرين ، وصار له عند مخالفينا شأن عظيم ، وصار له مجلس يجتمع فيه مائة رجل فصاعدا من قومنا ، وصار متطئا ولايتها بذيله على ديننا وفخرا ، ويفتي في الاثر نظما ونثرا ، ويمتحن اصحابنا بمسائل ، وارسلوا لنا مسألة في بعض امتحانه لهم وطالب جوابها والمسألة هي هذه شعرا :

وذي رجل كالزوج دينا ومـذهبا ... ومات ولم تلحق صداقا ولا ارثا
وليست بذي قتل ولا ذي جراحة ... فانعم لنا بالكشف عن هذه الانثى
فإن انت لم تستطع لرد جوابنا : ... فعلمك أضحى في الورى ثوبه رثا
فارسل بها تروي وما شئت من قرى ... فان تظفروا بالكشف عنها اكن ارثا

فتفضل شيخنا برسم ما يرضي الله ، ويسر المسلمين ، ومرادنا نفي هذا الرجل من ارض عُمان ؛ اخذت المعنى من كلام الامام لا اللفظ كله بعينه .

الجـواب ؛ ان مثل هذه المسألة يبطل صداق المرأة وميراثها من الزوج الميت من وجوه شتى : مثل ذلك اذا تزوجت بزوج آخر عمدا ومعها زوج ولم

يطلقها ، ولم يمت عنها ، ثم مات الزوج الثاني ، والزوج الأول ، فان هذه تحرم على الاول والثاني ، ولا يكون لها ميراث من الزوج الثاني ، ولا الأول ؛ لانها تصير بمنزلة الزانية ، لانه لا يحل فرج امرأة لزوجين ، وكذلك لا يكون لها صداق على الاول ولا الثاني .

وكذلك اذا ازنت امرأة وهي مع زوج ثم مات عنها زوجها فقال بعض المسلمين : ان ليس لها ميراث ولا صداق من الزوج ، وفيه قول : ان لها الصداق والميراث ، وامثال هذه كثيرة ، وانا ان شاء الله اكتب شيئا من التغابي في مثل هذا ، وانا اكتب المسألة وجوابها وانتم اكتبوا المسألة بلا جواب وهاكم المسألة .

(مسـألة) : ما تقول في رجل نظر الى امرأة وقت الغداة وهي عليه حرام ، ونظر اليها وقت الظهر وهي له حلال ، ونظر اليها وقت العصر وهي عليه حرام ، ونظر اليها وقت العشاء وهي له حلال ، ونظر اليها وقت الضحى وهي عليه حرام ، ولما كان وقت الظهر نظر اليها وهي له حلال ، ثم نظر اليها وقت العشاء وهي عليه حرام ؟ .

الجـواب ؛ هذا رجل نظر الى أمة قوم وقت العشاء وهي عليه حرام ، لانها ليست بملكه ، ثم كان وقت الظهر اشتراها ونظر اليها وهي له حلال ، ثم لما كان وقت العصر اعتقها حرمت عليه ، لانها ليست له ، فلما كان العشاء تزوجها فحلت له ، فلما كان العشاء ظاهر منها ، فحرمت عليه ، فلما كان الصبح اعتق عنها رقبة فحلت له ، فلما كان الظهر ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان العشاء اسلم فتاب فحلت له .

أخرى ؛ في رجل أدخل بيته ضيفا فخرج رب البيت ليطلب لضيفه طعاما ، وفي وقت خروجه كان قد جامع زوجته حلالا ، وخرج حين فرغ من

جماعه اياها هي ، فلما رجع الى منزله بالطعام وقبل أن يغتسل من جنابته ليطعم ضيفه فمنعه ضيفه الدخول ، وقال لقد تزوجت بزوجتك حلالا بكتاب الله وسنة رسوله ، وقد حرمت عليك ، ما الجواب اذا حلت للضيف وصارت له زوجة وحرمت على الأول ؟

الجـواب ؛ ان رجلا له امرأة وهي حامل ، فقال لها : ان ولدت أنثى فأنت طالق ، فلما ذهب الزوج ليطلب طعاما لضيفه ولدت الزوجة جارية ، فانطلقت ، ثم ولدت بعد ذلك غلاما ، فحينئذ ملكت نفسها ، وانقضت عدتها فخطبها الضيف الى وليها فزوجه اياها ، وملكها بعقدة النكاح بلا وطء ، وأتى الزوج وقد فاته ، وتزوجت بالتزويج الحلال .

أخرى ؛ رجل يدعي انها زوجته ، وأنكرته الزوجة بين يدي الحاكم ، وأقام الرجل شاهدي عدل فشهدا انها زوجته ، فلما أراد الحاكم أن يقضي عليها ، ثم جاء رجل آخر فقال : هي زوجتي أنا ، وأقام شاهدي عدل ، فأنكرت المرأة التزويج وأقامت شاهدي عدل ان الرجلين المدعيين لها التزويج ، انهما عبدان لها ، ما يفعل الحاكم ؟

الجـواب ؛ ان رجلا كانت له ابنة وله عبد ، زوّج ابنته بعبده ثم ان العبد غاب فاشترته زوجته من أبيها ، فانفسخ النكاح ، وصار الزوج عبدها ، فلما انقضت عدتها زوجها أبوها بعبد له آخر ، ثم مات الأب فورثت هي زوجها ، فصار مملوكا لها ، وانفسخ النكاح بالملك فصحت بينة وحكم الحاكم عليهما بالرق ، فكان القول قولها ، وكذلك رجل حلف بطلاق زوجته ان دخلت عليها أمها وزوجته حامل قد قرب ميلادها فخرج ليشتري لها شيئا من السوق ، فدخلت عليها أمها قبل أن تلد بساعة فطلقت منه ، ثم ولدت وانقضت عدتها وحلت للأزواج ، فتزوجت بعد ما وضعت حملها ، فجاء زوجها فوجد عندها زوجا ومنعه من الدخول عليها ؛ لأنها قد حرمت عليه .

أخرى ؛ رجل خرج في سفره وهو صحيح سالم ، وحضرت صلاة الظهر وهو في السفر وطلب المـاء فلم يجد المـاء فتيمم وصلى ، ثم نظر قدامه ففسدت عليه صلاته ، ونظر عن يمينه فحرمت عليه امرأته ، ثم نظر عن يساره فوجبت عليه الزكاة ، ثم نظر فوقه فوجب عليه الصيام ثلاثين يوما ووجب عليه الدين ، ثم نظر خلفه فوجب عليه القتل .

الجـواب ؛ أما تيممه فانه تيمم وقدامه المـاء فصلى ، ثم نظر قدامه فنظر المـاء وهو قريب منه وقد فسد تيممه وصلاته ، ووجب عليه الطهور بالمـاء والصلاة ، وأما نظره عن يمينه ، وكان قد تزوج امرأة مفقودة فنظر عن يمينه واذا بالمفقود قد جاء ، وأما نظره عن يساره فانه لمـا نظر الى يساره رأى مالا له ورثه من سنين ؛ ولم يكن أخرج زكاته فوجبت عليه الزكاة ، وأما نظره الى خلفه فانه قد قتل رجلا والمقتول له ولد صغير فبلغ الصبي فنظر اليه الرجل وهو يريد قتله بأبيه ؛ لأنه قد وجب عليه القتل ، وأما نظره الى فوقه ؛ فانه نظر الى الهلال فلما رآه حل عليه الدين ووجب عليه الصيام ؛ لأنه شهر رمضان ثلاثون يوما .

أخرى ؛ خمسة نفر زنوا بامرأة واحدة ، فوجب على واحد منهم القتل ، ووجب على الثاني منهم الرجم ، ووجب على الثالث الحد ، ووجب على الرابع نصف الحد ، ولم يجب على الخامس شيء .

الجـواب ؛ فأما الذي وجب عليه القتل ، فكانت امرأة ذات محرم منه ، وأما الذي وجب عليه الرجم فهو محصن ، وأما الذي وجب عليه الحد فهو غير محصن وهو بكر ، وأما الذي وجب عليه نصف الحد فهو مملوك ، وأما الذي لم يجب عليه شيء فهو صبي غير بالغ .

(مســألة) : رجل هو وامرأته راكبان على جمل ، فنزلت المرأة من أعلى

الجمل فحرمت على زوجها ، ثم نزل الزوج فحلت له .

الجواب ؛ انهما كانا يهوديين فحين نزلت المرأة أسلمت وشهدت أن محمداً ﷺ نبيه ورسوله ، فحرمت على زوجها اليهودي ، ثم نزل هو بالحال لما رآها انها أسلمت فأسلم ، فحلت له ؛ والله أعلم .

فصل : وسئل الشيخ أبو عبدالله محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ ؛ متى ثبت عقلك ؟ قال : اعقل وقد انطلق الثور وأنا في المهد فجزت الصُّبَيْنِيَّة على المهد فكفته ، وأثبت عقلي وأنا أصيح تحت المهد ، فنظر ذلك اليوم فإذا هو ابن ستة أشهر .

قيل للشيخ أبي علي موسى بن علي ـ رحمه الله ـ : متى اثبت عقلك ؟ فقال : كانت والدتي تطحن وقد جعلتني على الرحى ، قال : فبلت حتى اختلط البول بالرحى والدقيق فضربتني ، فنظر ذلك ؛ فإذا هو ابن سنة وأربعة أشهر .

وسئل محمد بن الأزهر ـ رحمه الله ـ ؛ متى اثبت عقله ؟ قال : ذكروا وأنا أسمع يقولون في البيت اذبحوا البقرة ، فنظر ذلك فإذا هو يوم مولده رحمة الله عليهم جميعا ، وذكر ان عبدالباقي محمد بن علي بن عبدالباقي ـ رحمه الله ـ ؛ لما ترعرع وانتشأ تكلم عنده أهله ، انك خرجت من بطن أمك بمشيمتك فشققنا عنك بحرف ذهب ، ولم نعرف أين وضعناه الى وقتنا هذا ، فقال لهم : حين شققتم عني كأنكم وضعتم شيئا وأنا أنظر في موضع كذا فالتمسوه ، وهو سرب الجدار فالتمسوه فاذا هم به ، والله أعلم .

فصل : ويوجد انه في زمن الشيخ صالح بن سعيد بن زامل انهم استطولوا ليلة من الليالي فظنوا ذلك بدو الساعة ، كلما قاموا وصلوا ما شاء الله ، ورقدوا ما شاء الله ، وقاموا وسبحوا وصلوا ما شاء الله وجدوا الليل على

حاله ، قال لهم الشيخ صالح : انظروا الى البهائم ان كانت تجتر فليست هذه ليلة الساعة ، وان كانت لم تجتر كانت هذه ليلة الساعة ؛ والله أعلم بصحته .

(مسألة) : نظما :

اليك سؤالا ما تقول سعيدنا ففي رجل للزهد والعلم يجنح
تزوج خرعوبا كعوبا وأمها بعقد صحيح ثابت ليس تبرح
فماتا وحاز الارث بالشرع منهما أفدني أفدني منك قولا ينجح
وجد بجواب أقبس الشرع نوره يكشف ليل الجهل عنا ويمصح

الجواب :

اليك جوابا من لدني كأنه شعاع وكل الشك عنه يصرح
فذاك فتى يوما تزوج أمها فماتت ولم يدخل فبالارث يربح
فمن بعد ما ماتت تزوج بنتها فأيضا توفت يعطى ارثا ويمنح
فهذا الذي قد حاز ارثيهما معا لعقد نكاح ثابت لا يزحزح
فان كان هذا القول حقا فخذ به وسل من كل للعلم يغدو ويصبح

(مسألة) : ومن كتاب لقومنا محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن موسى بن معدان ، عن الحسين بن أبي العلاء ، عن اسحاق عن أبي عبدالله في الرجل يقبضه الرجل ثلاثين درهما في ثوب ، وآخر عشرين درهما في ثوب ، فبعث بالثوبين فلم يعرف هذا ثوبه ولا هذا ثوبه ، قال : يباع الثوبان فيعطى صاحب الثلاثين ثلاثة أخماس الثمن ، والآخر خمسي الثمن .

قلت : فإن صاحب العشرين قال لصاحب الثلاثين : اختر أيهما شئت ؟ قال : قد أنصفه .

قال غيره ، ولعله أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي : اذا ثبت

الثوبان لهما مع ثبوت الجهالة منهما ، ثبتت الشركة فيما بينهما فيهما ، ولا يكون البيع ولا التوزيع للثمن على ما حكي الا عن تراض منهما ، والا فأصح ما يخرج فيهما على قياد ما جاء في مثل هذا في مذاهب أصحابنا ، أن يكون كالموقوف أمره أبدا حتى يتصالح الشريكان ، ولا غاية لذلك الا الصلح الجائز منهما ، ويخرج في بعض القول على معاني ما جاء في مثله انهما يكونان للفقراء بمنزلة ما لا يعرف من الأملاك ربه ان لم يتصالحا فمهما تصالحا على شيء ، والصلح خير ، وان رضيا بالبيع جاز ، ويكون الربح والوضيعة على ما اتفقا عليه من الصلح الجائز قبل البيع أو بعده بينهما ، فان عدم الاتفاق على توزيع الربح أو الوضيعة ، ولم يكن له ثبوت فيما بينهما عليهما رجع الأمر فيهما في الحكم على سبيل ما تقدم في القيمة كلها ، كان الربح أو الوضيعة ، أو في أحدهما ، للزوم الجهالة هنالك للتوزيع ، ولو بلغ الكل منهما رأس المال لحصول النقص في أحدهما لا محالة ما لم يبلغ كل واحد من الثوبين قيمة الأكثر قيمة ، فيعلم بلوغ رأس المال من كل واحد منهما يقينا ، ويحسن في النظر عند ذلك مع الاختلاف في التوزيع بينهما للثمن ، ان يعزل من الجملة جملة يوزعانها بينهما قسمة ، ويكون لكل واحد رأس ماله (رأس المال) ؛ لأنه قد بلغه لا محالة ، كان الثوب هذا له أو هذا ، ويبقى أصل الجهالة في الربح ، ويكون حكمه على ما تقدم من حكمهما ، كانا في بلوغ القيمة سواء ، أو كان المزيد على قيمة الأكثر قيمة في أحدهما أو كليهما ، فكله سواء ؛ لأنه لا يدري توزيع الربح هنالك كيف يكون عند عدم الصلح على توزيعه على قدر رأس المال ، أو ما يقع الاتفاق عليه منهما قبل البيع ، أو بعد البيع ، ولا محال كون المزيد لأحدهما في الربح على الآخر ، لكنه مجهول لا يعرف لجهالة الأصل الخارج منهما الربح ذي الثلاثين من ذي العشرين ، ولتفاضل الأصلين في أصل القيمة ، وجهالة المفضول من الفاضل منهما فيهما جهل الخارج من بينهما من الربح ، فلم يدرِ أي الأصلين منهما أكثر ربحا مع كونه لا محالة ، فكانت

الجهالة في الربح لا في الأصل في هذا الموضع لهذه العلة ؛ والله أعلم فمن وقف عليه فلا يأخذ منه الا الحق .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه ؛ محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد ، وعلي بن ابراهيم عن أبيه جميعا ، عن ابن محبوب ، عن عبدالرحمن بن الحجاج ، قال : سمعت ابن أبي ليلى يحدث أصحابه ، فقال : قضى أمير المؤمنين عليّ بين رجلين اصطحبا في سفر ، فلما أرادا الغداء ، أخرج أحدهما من زاده خمسة أرغفة ، وأخرج الآخر ثلاثة أرغفة ، فمر بهما عابر سبيل فدعواه الى طعامهما ، فأكل الرجل معهما حتى لم يبق شيء فلما فرغوا ، أعطاهما العابر ثمانية دراهم ثواب ما أكل من طعامهما ، فقال صاحب الثلاثة الأرغفة لصاحب الخمسة الأرغفة : قسمها نصفين بيني وبينك ، قال صاحب الخمسة : لا ؛ بل يأخذ كل واحد منا من الدراهم على عدد ما أخرج من الزاد ، فأتيا أمير المؤمنين في ذلك ، فلما سمع مقالتهما فقال : اصطلحا فإن قضيتكما دينه اقض علينا بالحق ؛ قال : فأعطى صاحب الخمسة الأرغفة سبعة دراهم ، وأعطى صاحب الثلاثة الأرغفة درهما ، وقال : أليس أخرج أحدكما من زاده خمسة أرغفة ، وأخرج الآخر ثلاثة ؟ قالا : نعم ؛ قال : أليس أكل ضيفكما معكما مثل ما أكلتما ؟ قالا : نعم ؛ قال : أليس أكل واحد منكما ثلاثة أرغفة غير ثلث ؟ قالا : نعم ؛ قال : أليس أكلت أنت يا صاحب الثلاثة ثلاثة أرغفة غير ثلث ، وأكلت أنت يا صاحب الخمسة ثلاثة أرغفة غير ثلث ، وأكل الضيف ثلاثة أرغفة غير ثلث ؛ أليس بقي لك يا صاحب الثلاثة ثلث رغيف من زادك وبقي لك يا صاحب الخمسة رغيفان وثلث وأكلت ثلاثة غير ثلث فأعطاكما لكل ثلث رغيف درهما ؟ فأعطى صاحب الرغيفين وثلث سبعة دراهم وأعطى صاحب الثلث رغيف درهما .

قال غيره ؛ ولعله أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي : نعم ؛ هذا صحيح ؛ لأنه أكل من عند ذي الخمسة رغيفين وثلث رغيف ، وبقي من عند ذي الثلاثة ثلث رغيف في الحكم الظاهر لما ثبت بينهم التساوي في الأكل في الحكم الظاهر لا في أحكام الحقيقة انه كذلك ما لم يصح ، ولا فيها اذا صح ما أكله من أرغفتهما أو أحدهما دون الآخر ، أو صح ما أكله أحد الشريكين مما هو أقل من ذلك أو أكثر ، مما أخرجاه من الأرغفة ، والا فهو كما قال في الحكم ، لأنك متى وزعت ما أكله من عندهما ، وأعطيت المخرج للثلاثة الأرغفة للثلث جزءا من الدراهم كان لذي الخمسة سبعة أمثاله ؛ لأن الرغيفين والثلث رغيف سبعة أمثال ثلث رغيف ، مهما جعلت كل رغيف ثلاثة أجزاء على مقدار ثلث صاحب الثلاثة ؛ والله أعلم .

الباب الثالث عشر

فيما يجوز من التمني وما لا يجوز

عن الشيخ عدي بن سليمان الذهلي في صفة التمني وجوازه وحجره ؛ لأني وجدت في موضع ، لا يجوز أن يقال لشيء كان : (ليته لم يكن) ، ولا لشيء لم يكن : (ليته كان) ، وقد قالت مريم - عليها السلام - : ﴿يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾ ، وقال النبي - عليه السلام - فيما يروى عنه : «يا ليتني غودرت مع أصحاب النحض» ، وذكر أن عيسى - عليه السلام - ذكر أهوال يوم القيامة فقال : يا ليتني لم أخلق قط ؛ فعرفني - سيدي - بمعاني هذا ، والفرق فيما يجوز منه ، وما لا يجوز مأجورا ان شاء الله .

الجـواب ؛ والله الموفق والهادي الى طريق الحق والصواب ، فالذي وجدته في آثار المسلمين من أصحابنا - رحمهم الله - ان هذا النهي الذي ذكره الله - تعالى - في كتابه كما قال - تعالى - : ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ ، فهذا نهي تأديب ، لا نهي تحريم ، وقد جاء في بعض الأخبار عن النبي ﷺ : «يا ليتني غودرت مع أهل النخض شهيدا» ، وقال الله - تعالى - حكاية عن مريم - عليها السلام - : ﴿يا ليتني متُ قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾ ، فعلى هذه الصفة لا يضيق التمني اذا تمنى شيئا من الوجوه الحلال الجائزة ؛ والله أعلم .

ومن غيره ؛ من كتاب [الأحاديث] ، «لا يتمنى أحدكم الموت اما محسنا ، فلعله يزداد ، واما مسيئا فلعله يتوب» .

قال الشيخ ناصر بن جاعد : يعني انه لا يجوز لأحد أن يتمنى الموت ؛ لأنه ان كان طائعا فيجب عليه أن يحب زيادة الطاعة والعبادة له ، ولا يعلم من نفسه أن الله رضي عنه أم لا ، وان كان مسيئا فلعل نفسه تعاتبه وتلومه حتى يتوب ويرجع .

رجــع : وقال النبي ﷺ : «اذا تمنى أحدكم فلينظر الى ما يتمنى فانه لا يدري ما يكتب له من أمنيته» ، وعن عائشة عنه ـ عليه السلام ـ : «اذا تمنى أحدكم فليكثر فانما يسأل ربه» .

رجــع

(مســألة) : من الأثر ، وسألته عن قول القائل : يا ليت كان كذا وكذا ، هل يجوز ؟ قال : هذا تمنى ان فعل الله به الخيرة ، والتمني المكروه أن يتمنى ما رزق غيره من المسلمين ، وان تمنى أن يرزق في مثلهم فجائز الدليل على اجازته قول مريم ـ عليها السلام ـ : **﴿ياليتني مت قبل هذا﴾** ؛ والله أعلم .

(مســألة) : وجائز للانسان أن يقول : ليت شعري عن كذا وكذا ، لما روي عن النبي ﷺ انه قال : «ليت شعري ما فعل أبواي» فأنزل الله ـ تعالى ـ : **﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾** ، ومعنى (ليت شعري) ؛ ليت علمي وما يشعرك وما يدريك ؟ وسمي الشاعر شاعرا ؛ لأنه يفطن به غيره من معانيه ، والله أعلم .

(مســألة) : عن ابن مسعود : الخير ثقيل مَريّ والشر خفيف وَبيّ ،

وقال : لأن أعض على جمرة فتحرق ما أحرقت أحب اليّ من أن أقول لما لم يكن (ليته كان) ، وليت ما كان (لم يكن) ، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ ، ليس هذا بنهي محرم انما هو أدب من الله ـ عز وجل ـ انما قالت أم سلمة وغيرها : ياليتنا كنا رجالا فجاهدنا وغزونا ، وكان لنا أجر مثل أجر الرجال ؛ فأنزل الله ـ عز وجل ـ الآية .

وقد جاء ؛ لا يتمنى أحدكم مال أخيه ، ولكن ليقل : اللهم ؛ اعطني ، معنى التمني ؛ يسر لي ان تفعل فافعل ، ولكن ليقل : اللهم ؛ ارزقني من فضلك .

(مســألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد ـ رحمه الله ـ ؛ وفيمن يقول : ياليتني أو ياليت كذا وكذا ، ويدعو على دابة غيره ، أينتقض وضوؤه وصومه أم لا ؟

الجـواب ؛ اذا كان الذي يتمناه من طاعة الله أو مما هو مباح له ، فلا يؤثمه ذلك ، ولا ينتقض وضوؤه ولا صومه ، وأما الذي يدعو على دابة غيره بالتلف ، فان كان صاحب الدابة مؤمنا ، فلا يجوز له ذلك ، وفي النقض لوضوئه بالمعاصي اختلاف ، وأما الصوم فلا ينتقض ؛ والله أعلم .



الباب الرابع عشر

في الشعر وما يجوز منه وما لا يجوز

عن الشيخ الفقيه سعيد بن بشير الصبحي في المدح بما لا يكون . كمثل من قال لمن يمدحه ، وهو المتنبي :

متى مـا يشر نحـو السماء بكفـه تخر له الشعـرى وينكسف البدر

وأمثال هذا من الكلام ، أيجوز هذا على حال ان كان لتقية أو طلب شيء من عرض الحياة الدنيا ، أو مكافأة لشيء متقدم ؟ أم كيف صفة وجه جوازه حتى لا يكون قائله مأثوما ولا كاذبا ، أم هذا لا يستحيل عن الكذب ؟ وان قاله وهو صائم أو متوضىء ماذا يلزمه ؟

الجـواب ؛ اذا خرج لهذا المـادح مخرج يحتمل فيه عند أهل العلم وجه حق ولو لم يعلمه هو ، جاز له ذلك ، ولم يضق عليه ، فالتقية مخرج والمصانعة مخرج ، وما يجوز من الاستعارة في القول ، وما يستعان به على أمر الدين والدنيا فكل هذا مما فيه السعة لقائله .

وقد سمعت من ديوان شيخنا خلف بن سنان مما يجوز القول في مدائحه واستعاراته ، ويقول (حكاية) وقالت ، وفي كلام العرب جائز وصواب والله

أعلم ؛ وترك هذا أحب اليّ لضعفي وقلة علمي وبلائي ، ولا يحمل الناس على ضعف من ضعف عما فيه المخارج والسعات والسلام عليك ورحمة الله .

(مســألة) : عن الشيخ ناصر بن السيد أبي نبهان ؛ ما تقول فيمن أعجبه من رجل حسن خطه وحلاوة لفظه ، فقال له : ما رأيت أحسن من خطك فيما نظرت ، ولا أحلى من لفظك فيما سمعت ؛ أيكون هذا جائزا من القول أم لا ؟ وما صفة المدح الذي لا يجوز ؟ وما معنى قول النبي ﷺ : «احثوا في وجوه المداحين التراب» .

الجـواب ؛ ان ادخال السرور على الاخوان بمثل هذا ، لا يضر ، ومن المعلوم ان كثيرا من الأقوال أحلى من ذلك القول ، ولكن هذا بمعنى التلطف والتعطف ، والمدح الذي لا يجوز الذي يوجب به الولاية مع الناس لغير عذر فيمن هو من أهل الظلم لا غير ذلك ، حتى انه سئل الشيخ العالم سعيد بن بشير الصبحي في مدح أهل الشعر لغير أهل الاستحقاق مثل قولهم :

متى مـا يشر نحـو السماء بكفـه تخر له الشعـرى وينكسف البدر

فأجاز ذلك وذلك صحيح معنا ، ومن المعلوم انه لم يكن ذلك ، وانما المراد منه اظهار حكمة ، واظهار الحِكَم يدل على كثرة حِكَم الله واتساع علمه ، ويتغالب بها أهل الفصاحة لتدل على كرامة الله لخلقه ، واعجاز الله خلقه ببعضهم بعضا على انه لا قدرة لمخلوق على شيء الا بالله ، ولتعظيم النعم على ما شاء من عباده اما ليكون له ، واما ليكون عليه ؛ والله أعلم .

(مســألة) : عن النبي ﷺ انه قال : «احثوا في وجوه المداحين التراب» ، «احثوا في أفواه المداحين التراب» ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي : ففي هذا الحديث معان :

المعنى الأول ؛ ما حدّ المدح الذي يؤمر أن يحثى التراب في وجه الذي جاء به ؟

المعنى الثاني ؛ المأمور أن يحثي التراب فيمن جاء به ؟

المعنى الثالث ؛ أن يحثى التراب في وجهه على ظاهر لفظه أم له معنى آخر ؟

المعنى الرابع ؛ جاء لفظ الحديث عموما ، أهو على العموم في كل مدح ، وفي كل مادح ، وفي كل ممدوح ؟

بيـــان : فأما عمومه في ذلك ، فليس المراد بالحديث العموم في ذلك ؛ لأن حسان بن ثابت كان شاعرا له ، وكان يمدح عشيرته وغيرها ، فلم يصح من النبي ﷺ انكار ، واقراره على ذلك مما يوجب الحكم بإباحته له ، وأيضا ؛ فإن بردة العرب قيلت فيه وفي أصحابه ، وفيها مدح ؛ فصح ان مدح المستحق جائز .

بيـــان : فلما كان لفظ الحديث على العموم ، وصحّ انه لم يرد به العموم ، صح انه قد أجاز فيه التأويل ، وانه ليفهم في التأويل كما جاء كذلك في التنزيل .

بيـــان : والمدح على أقسام ، فمنه ما هو كذب وباطل ، ويطلب به باطلا ، فهذا حرام قطعي ، وهو وجه من تأويل الحديث ، واحثاء التراب في وجهه استعارة لحرمانه قضاء ما يطلب ، أي يعطى التراب في وجهه مبالغة في عدم قضاء حاجته ، ليس المراد بالتراب حقيقة أي يعفر به في وجهه ، بل يردع عن ذلك بما يردعه من الكلام ، ويحتمل ان زجره بالكلام هو المستعار للتراب .

بيـــان : وقسم ثانٍ ؛ ان يكون المدح باطلا ، ويطلب به أمرا مباحا ، فإن كان ما يطلبه لا يلزم الممدوح قضاءه فإن شاء قضى له حاجته ، وأحثى التراب على وجهه لمدحه بالزجر له عن ذلك ، وان شاء بالمنع عن قضاء حاجته وبالزجر .

بيـــان : وقسم ثالث أن يكون المدح حقيقة كذبا ، ولا يخرجه الى باطل محرم عليه القول به ، أو هو حق ، ويطلب به أمرا باطلا ، فاحثاء التراب عليه في وجهه بعدم قضاء حاجته ، وزجره عن مطلبه ذلك ، ويجوز له أن يكافئه على شعره ؛ لأنه قد امتحن قريحته لأجله فلا يفوت احسانه بغير مكافأة لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ ، ولا يقدح في المكافىء وهن منزلة بأنه أحب المدح فيه ، فإن رسول الله ﷺ أحب المدح فيه ولازم مدحه .

بيـــان : وقسم رابع ؛ أن يكون المدح على وجه جائز ، والممدوح ظالم ، فمعنى الحديث غير متوجه اليه باحثاء التراب من جاءه مادحا له ، وليس عليه أن يحثو بالمعنى الذي ذكرناه لأجل ظلمه ، لأن عليه أن يرجع عن ظلمه ، ويكون على الحالة الممدوحة عند أهل الفضل .

بيـــان : وقسم خامس ؛ أن يكون المدح جائزا ، والممدوح أهلا للمدح ، فهذا الذي ذكرناه أولا انه استعمله حسان ، وقرره النبي ﷺ .

بيـــان : وقد يكون المدح في شعر ، وقد يكون نثرا في قرطاسة رسم فيها حاجته ، وأراد بها مكاتبة ، فهذا ما لم يأت بباطل لا جواز له فلا بأس به ، وليس على المكتوب أن يرد جوابا له ان لا يفعل ذلك .

بيـــان : وقد يكون عند طلب الحاجة باللسان نثرا ، فيكثر من المدح ، فإن كان كلاما قليلا سكت عنه ، وان أطال فاللائق بالذي يمدحه أن يكفه عن ذلك بكلام طيب لطيف لا بمقدار ما يستحقه .

بيـــان : وقد يكون المدح في صورة الكذب ؛ وأجاز العلماء للشعراء في ذلك اذا كان في المفهوم انما يريد به الشاعر اظهار فصاحة ، واظهار حكمة فيه ، وسئل الشيخ العالم سعيد بن بشير الصبحي : هل يجوز للشاعر أن يقول ما هو نوع من الكذب :

متى مـا يشر نحـو السماء بكفـه   تخر له الشعـراء وينكسف البدر

فقال : يجوز مثل هذا للشعراء وأشد من هذا ، وليس هذا مما يراد به الكذب ، وانما يراد اظهار حكمة وبلاغة وفصاحة ، ولو حرم ذلك لم يظهر شرف العربية وأهلها على غيرها من اللغات ، وعلى غيرهم من الناس ، وصحيح ما أفتى به ، ودليل ذلك تغزل الشعراء بمدح النساء ليس هن نساء وتهتكهم في الحب ، وتفاخرهم في ذلك ، وفي دقة نحوهم ، وقد عظم العلماء شعرهم لأجل ذلك ، وقوة تركيب الكلام ، ويجوز مدح الملوك بمثل هذا ، وانما لا يجوز بما يوهم وجوب ولايتهم ، وما يقتضي تصويب باطلهم ، ويقويهم على الظلم والجور ، ويجيز لهم باطلا على شيء ، أو يعينهم على الظلم فيدلهم بما جهلوه من أبواب الظلم ، وما أشبه ذلك فإحثاء التراب في وجه من وجدوه ؛ ان لا يحسنوا اليه ولا يحبوا أشعاره في حضرته ، أو حيث يعلم بهم ، فاعرف ذلك .

(**مســألة**) : من كتاب [الأشياخ] ، ونهي عن الشعر وعن مجالسة الشاعر ، قال : ان صح النهي فذلك يتوجه معناه الى من شتم الناس ، أو مدح بالكذب ، فأما من قال حقا بغير مدح كذب ولا شتم ، فذلك لا تضر مجالسته ، وقد روي عن النبي ﷺ انه قال : «ان من الشعر لحكمة» ، وقال لحسان : «اهج المشركين وجبرائيل معك» ، وفي بعض الحديث انه قال : «اللهم أيده بروح القدس» .

وقد روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ انه مر على حسان وهو ينشد في المسجد فلحظ اليه فقال : كنت أنشد فيه عند من هو خير منك ، يعني رسول الله ﷺ .

(مســألة) : عن الشيخ حبيب بن سالم البوسعيدي ، وما تفسير هذه المسألة ؟ قال أبو سعيد : معي ؛ انه قد كره من كره الأخذ على منشدي الشعر خاصة اذا لم يكن محسنا في ذلك ، فقيل له : احسن فهذا لا يجوز عندي ، وأحسب انه في بعض القول انه ليس بمنكر اذا أخذ عليه فذلك عندي اذا لم يكن فيه كذب ، ولم يكن لأحد عليه يخرج على معنى اللفظ ما صفة الأخذ عليه ، وما تفسيره ومعناه ؟

الجـواب ؛ معناه عندي أن يكون الشعر فيه مصاريع ينشدها المنشد أولا ، وينطق بمصاريع وهو من يأخذ عليه ومن حضر صفته ، ومثل ذلك أن ينشد الشاعر أبياتا من صفات النبي ـ عليه السلام ـ وفي آخر سجعهم نبيكم صلوا عليه وسلموا ، ينطق هو وهم ، فيكونوا هم الآخذين عليه ، ففي هذا المعنى الكراهية ، وخصوصا اذا قيل له : احسن سجعك وصوتك ، والاختلاف فيه من الكراهية ، وترك انكاره اذا كان على هذه الصفة يأخذون شيئا جائزا ، ولا كان كذبا ولا لغطا .

(مســألة) : ومن غيره روي عن رسول الله ﷺ انه قال : «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «امرؤ القيس قائد الشعراء الى النار» ؛ لأنه أول من أحكم قوافيها ، وقال ـ عليه السلام ـ : «من قرض بيت شعر بعد العشاء لم تقبل له صلاة تلك الليلة حتى يصبح» .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : الشعر هو أن ينظم الشاعر متغزلا أولا في النساء ، أو فيما شاء كما هو شعر الجاهلية والاسلام ، ثم يخرج فيما شاء ،

وهو الذي ذكره الله ـ تعالى ـ انه شعر ، وأهله انهم الشعراء ، وهم الذين غالبهم القرآن ، وهم الذين سلك الله بمنهج القرآن على مسالكهم ، فجعل الفاتحة في مقام تغزلهم بالنساء ، كأنه ولي يخاطب الله ـ تعالى ـ وبالغ في صفاته الى أن يدق على جميع العارفين نهاية كماله ، وقال : **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون﴾** ، ليس المراد هنا انه يخطئهم ، ولكن يعني أن الشعر الذي هو فيه التغزل في الهوى ، ولو عمل به الانسان لضل الطريق الحق ، وهم يعلمون ذلك حتى انهم لا يفعلون ما يقولونه فيه ، وأما من نظم علما وحكما ، فلا يحسب في ديوان الشعراء بل هم هو عالم وحكيم ، وقد صح أن التغزل بالنساء والهوى جائز ، واتخذ النبي ﷺ حسان بن ثابت شاعرا ، وهذا الحديث يدل على تحريم نظم الشعر ، فإن كان المراد به شعر الغناء الذي يتغنى به أهل الهوى في مجالس الهوى والعشق ، فليس هو من الشعر الصحيح ، فصح ان هذا الحديث غير صحيح ولا سيما قوله : «حتى يصبح» ، كأنه بعد ذلك تقبل منه الصلاة الا تلك الليلة فهو مما يدل على عدم صحته .

قال الناسخ وعن الزمخشري : ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام .

رجـــع : وقال ـ عليه السلام ـ : «ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكمة وان من القول غيالا» ، قال الناسخ : وقيل في تفسير : «ان من العلم جهلا» ، هو ان يتعلم ما لا يحتاج اليه كالنجوم وعلم الأوائل ، ويدع ما هو محتاج اليه في دينه من علم القرآن والسنة ؛ والله أعلم .



الباب الخامس عشر

فيما كرهه المسلمون

عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، قال أبو المؤثر : (ليس ينبغي أن يدخل في شبهة مخافة مكروه) ، ففسره لي ؛ لأنه قال : (ينبغي) ؛ فكأنه اختيار لا الزام ، ففسر لي ـ سيدي ـ هذا المعنى وما يجوز منه وما يحتمل المعاني .

الجـواب ؛ لأن الوقوف عن الشبهات من طبائع المسلمين ، ويأمرون به ، والمؤمن وقاف ، والمنافق وثاب ، فلا يدخل في الشبهات لأجل مكروه من أهل الدنيا .

(مســألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد فيما يوجد في الأثر انه مكروه في بعض الأشياء ، وركبه أحد من غير خلاف للمسلمين ، ولا استخفاف بقولهم مثل ما ليس فيه ضمان ، هل يؤثم راكبه على هذه الصفة أم لا ؟

الجـواب ؛ اذا كانت الكراهية الا من طريق الاستحسان لا من قبل التحريم ؛ فلا يؤثم في ذلك ؛ والله أعلم .

(مســألة) : عن الشيخ خلف بن سنان الغافري ، واذا جاء شيء فعله،

أو قوله ، فهل يحسن فعله أو قوله ؟ وما تكون النية في فعله ؟ لأنه مكروه جوابه ينبغي تركه .

(مسـألة) : سألت أبا سفيان عن المكروه ؟ فقال : ان الله ـ تبارك وتعالى ـ أحل حلالا ، وحرم حراما ، وأمسك عن أشياء لم يجِ فيها بيان ، فكرهها فقهاء المسلمين وعلماؤهم ، فليس لأحد أن يزعم ان ما كرهه فقهاء المسلمين حلال .

الباب السادس عشر

في ذكر توصيل الشيطان الى اضلال العباد وقدرته عليهم

ومن كتاب [الاقليد] قال بشير : ان ابليس ـ لعنه الله ـ يصل الى اغواء ابن آدم بالآلة ، كالذي يتناول الشيء بالرمح وغيره ، وقيل : قاعد ، وليس ظهور الأصوات من الجن كظهور الأجسام واحكامهم معهم كأحكام بني آدم .

(مسـألة) : ومنه ؛ ووصول ابليس اذا هم بالمعصية العبد بالآلة كالتناول بالرمح هذا قول المعتزلة ، والأصح ان قلب ابن آدم كالقارورة في جوفها نار ونور ، يبصر من خارجها ، فاذا هم بالحسنة سطع ذلك النور الى دماغه فيتفرق ثلاثة أقسام ، والشهوة مركبة في ابن آدم وهي طبع فيه ، فاذا كان كذلك أضل ابليس على ذلك النور ، ويحول بينه وبينها ويمنيه الأماني حتى يمنعه ، واذا هم بالمعصية أظلم .

وقيل : الشيطان قاعد في الجنب الأيسر على فم القلب ، يوسوس ، فإذا ذكر اسم الله خنس ، وهو الذي ذكره الله ـ تعالى ـ وابليس داع الى

الضلال والكفر ، والله خالقها ، ويضل ابليس من الشرق الى الغرب له قبيل وهم أعوانه ، والشياطين أقرانه وسلطانه على الجن والانس .

(مســألة) : وفي كتاب [بيان الشرع] ؛ عن أبي علي الحسن بن أحمد ؛ واذا تكلم الرجل بالذكر ، أوبما يجوز في نفسه ، أتعرفه الحفظة بالعرف أم بغير ذلك ؟ فقد قيل : ان الحفظة تشم العرف الطيب اذا ذكر الرجل في نفسه ، وقيل : انهم يجدون شيئا لم يكتبوه مما لم يعلم الحفظة به ؛ والله أعلم .

(مســألة) : في الخاطر فخاطر الالهام وخاطر الوسواس ما يوقعك في الأباطيل ، ويصرفك عن الحق ، والوسوسة اذا دخلت في القلب كالدخان في البيت ، والبيت مظلم لا باب له حتى يخرج الدخان ، فاذا انفتح الباب أضاء القلب كالسراج ؛ والالهام من الملك الملهم قاعد عن يمين القلب ، كما ابليس عن شماله ، ومسكنهما الصدر .

والخواطر أربعة : خاطر من الله يدعو الى الأنبياء ، ومن الملك يدعو الى الطاعة ، ومن النفس يدعو الى التزين ، ومن الشيطان يدعو الى الحقد والحسد والعداوة ؛ وقال نجاد بن موسى : من أجاب ناطقا عن الله فقد عبد الله ، وان كان الناطق عن ابليس فقد عبد ابليس ، وعبادة الشيطان طاعته .

(مســألة) : ومن كتاب [الكشاف] تصنيف محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي في تفسير قول الله ـ تعالى ـ في مريم ـ عليها السلام ـ : **﴿واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾** ، قال وما يروى من الحديث : «ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها» ، فالله أعلم بصحته فإن صح ؛ فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما معصومان ، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله : **﴿لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين﴾** ، واستهلاله

خارجا من مسه تخيل وتصور لطمعه فيه ، كانه يمسه ويضرب بيده عليه ، ويقول : هذا ممن أغويه ونحوه من التخيل ، قول ابن الرومي :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها   يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها   لأوسع مما كان فيه وأرغد

وأما حقيقة المس والخنس كما يتوهم أهل الحشو ، وكذا لو سلط ابليس على الناس يخنسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلون به من خنسه ، انتهى فينظر في ذلك وفي جميع ما كتبناه في هذا الكتاب ثم لا يؤخذ بشيء منه الا ما وافق قول الاستقامة ، واتضح حقه بما لا شك فيه ولا ارتياب .

(مسألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد الزاملي في قوله ـ تعالى ـ : **﴿ان عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾** (الآية) ، أهل هذه الصفة لم يدخل عليهم الشيطان من تاب أبدا ولو لم يوسوس لهم أم غير ذلك ؟

الجواب ؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ان معنى ذلك ؛ ليس له سلطان على المؤمنين أن يدخلهم في معصية يصرون عليها الى أن يموتوا فيها فيدخلوا بها النار ، ولو لحق منهم معصية تابوا منها ورجع خائبا ولم يكن له سلطان ؛ والله أعلم .

قال غيره : ولعله أبو نبهان ؛ حسن معنى ما قاله في هذا ؛ لأنه ليس له قوة على هلاك من يكون من المؤمنين ، وانما أقصى ما يقدر عليه أن يدله على ما يعصى في رأي أو دين ، فإن اتبعه فأزله عن طريق رشده في حين ، رجع الى ربه فتاب من ذنبه ، ولم يصر على ما فعله فلم يحصل له في دعائه الا التعب في عنائه ، والزيادة في شقائه مع ما يرجى من الله ـ تعالى ـ لذاك ، أن يبدله بالتوبة مكان السيئة حسنات بدلا من الهلاك ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

فصل : ومن كتاب [الكشاف] فإن قلت : ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله ؟ قلت : هو كلام ورد مورد التمثيل ، مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يستنفرهم من أماكنهم ، ويقلقهم عن مراكزهم ، وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العبث ، وقيل : يجوز أن يكون لابليس خيل ورجال ، واما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية تحملهم عليها في بابها كالرياء ، والمكاسب المحرمة ، والبحيرة والسائبة ، والانفاق في الفسوق ، والاسراف ، ومنع الزكاة والتوصل الى الأولاد بالسبب الحرام ، ودعوى ولد بغير سبب ، والتسمية بعبدالعزى وعبدالحارث ، والتهويد ، والتنصير ، والحمل على الحرف الدنية ، والأعمال المحظورة وغير ذلك ، وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الاله والكرامة على الله ـ تعالى ـ بالأسباب الشريفة ، وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها ، والاتكال على الرحمة ، وشفاعة الرسول ﷺ في الكبائر ، والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل ، ﴿ان عبادي﴾ (يريد الصالحين) ، ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ ، أي لا تقدر أن تغويهم ، وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله : ﴿الا عبادك منهم المخلصين﴾ ، فإن قلت : كيف جاز أن يأمر الله ـ سبحانه ـ ابليس أن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر ، صادا عن الخير ؟ قلت : هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية ، كما قال للعصاة : ﴿اعملوا ما شئتم﴾ .

(مسألة) : عن بعض قومنا ، وحديث تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهم لترجى ظاهره مخالف لا قواطع ان صح بما هو مذكور في كتب الحديث ، مما أقر به على ظني فيه ان الشيطان يرصد لقراءته ـ عليه الصلاة

والسلام ـ وكان يرتل القرآن اذ ذاك عند البيت فحين انتهى ـ عليه الصلاة والسلام ـ الى هذا المحل ، وكانت منه وقفه للتنزيل درج ذلك على تلاوته محاكيا صوته ﷺ ، فظن به انه من قوله .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : هذا ما لا يجوز أن يجري على النبي ﷺ ، ومما يجب تنزيهه ﷺ أن الشيطان يستطيع أن يتخيل معه يتلو باطله على تلاوته ﷺ في خلال وقفاته اذ لو كان الشيطان مسلطا لذلك لما استطاع النبي ﷺ أن يتلو القرآن ، ويسكت حيث شاء ثم يقرأ ، ولكان مغلوبا يغلبه الشيطان ؛ لأنه يصير بذلك عاجزا عن أن يصرف الشيطان عنه ، ولا شك في بطلان هذه الرواية ، وكذب راويها ، وأوجب علينا تكذيب هذه الرواية ، وتكذيب راويها ، وتضليل مصدقها ، والشاك فيها ضال أيضا لا يجوز الشك في باطلها وكذبها ، فاعرف ذلك والله أعلم .

(مسـألة) : وجدتها على أثر ما عن الشيخ صالح بن سعيد ولعلها عنه ؛ وأما الالهام ؛ فمن الله ، والوسوسة من الشيطان ـ لعنه الله تعالى ـ ، والخاطر وحديث النفس لم يفرق بينهما ؛ والله أعلم .

(مسـألة) : عن الشيخ خميس بن سعيد ـ رحمه الله ـ الى من سأله وصف لي ـ سيدي ـ الفرق بين حديث النفس ، ووسوسة الشيطان ـ لعنه الله ـ ما الذي يفرق به العبد بين ذلك ؟ وكذلك معرفة الالهام وكيف صفة حديث النفس الذي اذا تابعه الانسان أورد له جوابا ، وهو في الصلاة نقض ذلك صلاته ، كيف صفة المتابعة ورد الجواب ؟ قد جاء في الأثر ان الخاطر الذي من قبل الله ـ عز وجل ـ ابتداء قد يكون اكراما والزاما للحجة ، وقد يكون امتحانا وتغليظا في المحنة ، والذي يكون من قبل الملك الملهم لا يكون الا بخير ، وهو كالناصح المرشد ، وأما الخاطر الذي من قبل الشيطان ،

فلا يكون الا بشر اغواء ، وربما يكون بخير مكرا واستدراجا ، وأما الذي يكون من قبل النفس ، فلا يكون الا بشر وربما يدعو الى الخير ، والمقصود منه شركا للشيطان ، وأما الفرق بين هذه الخواطر فكل ما وافق الشرع أو وافق أحدا من الصالحين ، فهو خاطر خير ، وكذلك اذا عرض على النفس ، وتفرق منه نفرة طبع لا نفرة خشية وترهيب ، فهو خاطر خير ، وان كان تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة ، فهو شر ، اذ النفس أمارة بالسوء لا تميل الى خير .

وقيل : الذي يكون من قبل النفس يكون ثابتا على حاله ، والذي يكون من قبل الشيطان يكون مترددا مضطربا ، وان كان عقيب ذنب أحدثه الانسان فهو من الله ـ تعالى ـ اهانة وعقوبة للعبد بشؤم ذنبه ؛ لأن الذنوب تؤدي الى الشقوة ثم الى الرّين ، قال الله ـ تعالى ـ : **﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾** ، وان وجدته لا ينقص ولا يضعف فهو من حديث النفس ، وان كان الخاطر ينقص ويضعف فهو من الشيطان .

وقيل : ان كان الخاطر قويا مصمما فهو من الله ، وان كان مترددا فهو من الملك الملهم ، وهو بمنزلة الناصح الذي يرجو الاجابة والقبول في الخير ، وان كان عقيب اجتهاد وطاعة ، فهو من الله ، وأما خاطر الخير الذي يكون من الشيطان استدراجا الى الشر ، فذلك اذا كان العبد راغبا فيه مبادرا له لا خوف معه فيه من الله ومع بصيرة من الله ، فاعلم انه من الشيطان ـ لعنه الله ـ ؛ والله أعلم .

قال غيره : روي عن النبي ﷺ انه قال : «ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذي ذكره الله **﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾** » ، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : العقل ثلاث عيون :

عين الوسطى ، عين الغريزية ، وهي المخاطبة بالفعل والترك ، وفيها محل تجلي العلوم والحكم والمعرفة لكن لا ترى الأشياء الا من بعد ، كما ترى صور الناس من بعد ، ولا تعرف صفاتهم في الجمال والقبح .

ثم العين المدبرة ، وهي التي بمنزلة الزوجة ، ومحل مجيىء الشيطان ، يخيل لها الأشياء الرذيلة حسنةً جميلة .

والعين الثالثة ؛ البصيرة ، ومنها يشرق نور محبة الله ، ونور الخوف من سخطه ، ونور محبتها هي الى الله ، وهي الداعي التي تدعوه الى طاعة الله الجمال ، والكمال الحقيقي ، فان تبع المدبرة مال الى الرذائل ، وان اتبع البصيرة أشرقت أنوار محبة الله وأنوار معرفته في كل ما رآه من بعد ، فيراه حقيقة كما هو ، ويرى القبيح قبيحا ، وهو العالم بالله الذي يخشاه ، وان خالف العين البصيرة واتبع هواه ، طلب الكمالات ، ولم يرها لبعدها فتارة يصيبها وتارة يخطئها بالكمالات الجالية كالعلو ، والرئاسة ، والغلبة ، تارة على وجه الحق ، وتارة على وجه الباطل ، فيتولد باتباعه هواه واتباعه المدبرة ظلمة تسد العين البصيرة ، ولا تزال تزداد تسلك الظلمة حتى لا يبقى فيه داع للخير ، وهي المراد (بالران) .

رجــع

(مسـألة) : ومنه : وفي المسألة التي قيل فيها : من اراد ان يعرف ما عند الله له ، فليعرف ما عنده لله ما تفسير ذلك ؟ أهو يعرف ما عنده لله من التعظيم والاجلال والاتباع لأوامره ، والانتهاء عن مناهيه ام غير ذلك ؟

الجـواب ؛ اني لم اعلم اني وقفت لهذا الحديث على تفسير ومعي ان معناه يقرب مما ذكرت الا انه في الحقيقة ان العبد لا يعلم بما علم الله منه وله ، وما يصير اليه امره ، وينتهي اليه غاية حاله في الدنيا والآخرة ؛ لأن علم الغيب

محجوب عنه ، واما في مجاز الكلام فعسى ان يكون اذا عرف العبد من نفسه الطاعة والمودة لله ـ تعالى ـ ، واخلاص العمل له ان يكون رجاء في القرب من الله اكثر ممن ينتهك المحرمات ، ويعمل السيئات ، فعسى ان يكون على هذه الصفة ، ومن كان لهذه الصفة ، فهو لا يطمع بالقرب من الله ، وربما دنا الى القنوط ، والقنوط هو بحر الهلاك من غرق فيه لم يرج له منه خلاص ، والرجاء هو سفينة النجاة ؛ من ركب فيها رجي له السلامة والوصول الى دار الكرامة ؛ والله اعلم .

الباب السابع عشر

في ذم الدنيا وذكر غوائلها

روي عن النبي ﷺ انه قال : «اتقوا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت» ، قال غيره : وهو الشيخ العالم ابو نبهان ، جاعد بن خميس الخروصي ، فيما احسب : نعم ، لما تبديه سحرا من خيال ، لعين من لا يرى الا ما اظهره فكرا من كمال ، وزينة في جمال ، تستهوي بهما من نظر اليها بعين الرغبة في حال ، فيغتر بها لعمى عن رؤ ية ما قد اخفته سرا من قبيح ما بها من احوال ، وسوء ما لها من افعال ، من لا عقل له واما من له معرفة بأمرها ، وما هي به وعليه من مكرها ، فانه لا بد وان يعرض عنها زهدا لها لما يعرفه من سحرها ، حتى لا يراها الا بعين من يراها لا شيء في ذكرها ، والله اعلم ؛ فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : وقال المسيح ـ عليه السلام ـ : مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له امرأتان ان ارضى احداهما أسخط الاخرى ، وقال علي : مثل الدنيا والآخرة كمثل المشرق والمغرب ، ورجل سار بينهما ، كلما قرب من جانب بعد من جانب ؛ قال غيره : وفي هذا من قولهما : ما دل على ما هما من اضداد ، وان الجمع بينهما محال ، لما به من صلاح في فساد ، اويمكن على تعاند الضرتين

وتباعد ما بين الطرفين ، ان يجمع بين الامرين ، في عموم او على الخصوص في حال ، فيبطل ما اظهراه فيهما من مثال ، وهيهات في هذا ان يصح لمن رامه من الاكياس فضلا عما دونهم من ضعفاء الناس ان اولى ما بك ان لا تطمع ، في نيل ما لا مطمع فيه لابناء جنسك اجمع . والله اعلم ؛ فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : وروي عن النبي ﷺ : «حبان لا يجتمعان في قلب واحد حب الدنيا وحب الآخرة» ، قال غيره : لانهما ضدان على الابد لا يجتمعان فأي شيء منهما احبه صرفه اليه ، فاغرق قلبه ، ومع اقباله عليه فلا بد وان يكون فيه ادبار عن الآخر في القلب عن الوفاء بالامرين جميعا ، الا ان اولى ما به ان يكون لربه مطيعا في كل حال والله الموفق فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : وقال ﷺ : «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ، وشهواتها يطلب من لا فهم له وعليها يعادي من لا علم له وفيها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له» ، قال غيره : ان هي الا دار زوال ، وما لها الا عارية مسترجعة على حال ، ولا جمعها الا شتات ولا شهواتها الا الى آفات في المآل ، فأنى على هذا يعادى عليها او يحسد فيها من رآها جيفة ، فتركها خيفة لعلمه بها ، وفهمه عنها ما هي به ، وعليه في حالها وما سترجع اليه في مآلها ، الا وان الناس في الجملة فريقان ؛ ولهم فيها طريقان ، احدهما الى النار ، والاخرى الى الجنة مع الابرار .

فالتي الى الثواب هي المحمودة ، والتي الى النار العقاب هي المذمومة ، وما اعان على كل منها فله في حكمه من مدحه او ذمه ، وما لم يؤد بأهله الا الى

نقص في الدرجات ، فعسى ان يكون بين الامرين في الحكم من جهة المدح والذم ، لانه بالاضافة الى ما فوقه او تحته يحمد تارة ويذم اخرى ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجع : ومن غيره : وقال لقمان : يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك لدنياك تخسرهما جميعا ، قال غيره : ولعله سعيد بن احمد الكندي : لم يؤذن للآخرة ان تكون مع الدنيا ، واذن للدنيا ان تكون مع الآخرة ، لأن الدنيا خادمة الآخرة وليست الآخرة بخادمة للدنيا وابناء الدنيا خدام لابناء الآخرة ، وليس ابناء الآخرة خداما لأبناء الدنيا .

رجــــع

(مسألة) : وقيل : ان الدنيا كالميتة لا ينتفع منها بجلد الا بعد الدباغ ، ولا ينتفع بالدنيا الا من جعلها زادا للآخرة ، وقيل : هي كالميتة لا يحل تناولها الا من ضرورة ، كذلك ان استكثر منها فتن ، فلا ينبغي للعاقل ان يأخذ منها الا بقدر الحاجة .

وقيل : الدنيا كالميتة لا يرغب فيها الا الكلاب ، ويتنزه عنها العاقل وله قيمة ، وقال علي فيما عنه يروى : الدنيا جيفة فمن طلبها وارادها فليصبر على معاشرة الكلاب .

قال غيره : ان في الدنيا لحراما وحلالاً وشبهة ، فالحرام محجور والحلال مباح ، وما اشكل من الامور فالوقوف من حكمه لعدم معرفة علمه ، والزهد في الحلال على وجه التحريم له ضرب من الضلال ، وانما يجوز على سبيل التطوع به لما فيه من فضل على من اخذه بعدل ، وعلى هذا فعسى في التمثيل لحرامها بالميتة ، ولحلالها بما دونها من جيفة ، لا يمنع من جوازها فيمتنع منه من

وراءه كذلك فعافه الا عند الضرورة في غير تحريم ، ويقبله آخرون ان يكون اصح ما قيل ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : روى ابو هريرة عن النبي ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة المنافق الكافر» ، وفي حديث آخر : «الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه» ، قال غيره : صحيح ؛ لأن المؤمن في دنياه لا بد وان يكون في حبس تقواه عن متابعة هواه ، مادام في الاحياء ، فاذا نزل الى القبر فهو حصنه من الاعداء ، اذ ليس لهم عند ذلك الى ما يرومونه به من الهلاك ، وبعد خروجه منه ، فليس له مثوى الا في جنة المأوى ، والكافر على العكس من هذا لاتباعه شهوات النفس ، فهو على ما به من شركه او نفاقه ، كأنه في عالم اطلاقه لا يمتنع في الامور من شيء من المحجور ، حتى اذا صار في قبره مولجا لم يجد لنفسه من عمله مخرجا بعد موته ، فكانت اولى ما به النار ، وبئس القرار ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـع : قال غيره : ولعله الشيخ سعيد بن احمد الكندي نعم ؛ وان قلت : سجن الكافر ، وجنة المؤمن من وجه آخر فذلك صدق .

رجـــع

(مســألة) : عن ابي موسى الاشعري عن النبي ﷺ انه قال : «من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» ، قال غيره : لأن من مال الى شيء لحبه استولى على قلبه ، فاغرقه عن النظر الى ما عداه ، والدنيا على الضد من الاخرى ، وما اقبل عليه منهما فلا بد وان يصرفه عن الآخر لما له فيه من هم وعناء يستغرق في عمره جميع اوقاته لعدم

كون انقطاعه الى حد وفاته ، واذا كان لا قدرة له على الوفاء بالامرين ، ولا بد له من احد الضررين ، فاحق ما به ان يؤثر ما يبقي على ما يفنى لأنه اهون الشرين ، ولا شك في الآخرة انها ابقى من الاولى ، فهي به اولى على حال ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مسـألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «انا زعيم المكب على الدنيا الحريص عليها ، بفقر لا غنى له ، وشغل لا فراغ منه ، وهم وحزن لا انقطاع لهما» ، قال غيره : نعم ؛ لأن كل باب يفتح له منها لا بد وان يستدعي عدة ابواب اخرى مع ما به من سد ، لما قابله في الاخرى ، فلا يزال على اقباله عليها في فقر اليها ، وهم بها تارة في تحصيل ، وتارة في اصلاح وتعديل ، وحزن على ما يفوته منها ، وعلى قدر الفرح يكون الترح ؛ والله اعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مسـألة) : عن ابن مسعود قال النبي ﷺ : «من اصبح على الدنيا حزينا اصبح ساخطا على ربه» ، قال غيره : لأن ما فاته منها لا بد وان يكون عن قضاء الله وامره في نفس او مال ، وليس له الا ان يرضى عن ربه في كل حال ، فان السخط منه لما يكون منه نوع ضلال ، وما لا يقدر على رده من حزن يعرض له في قلبه ، فعسى ان لا يؤاخذ به الا ان يكون في محجور ، فانه في حزنه على فوته غير معذور ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مسـألة) : وقال النبي ﷺ : «نعم المطية الدنيا فارتحلوا منها تبلغكم

الآخرة» ، قال غيره : نعم ، هي المطية ونعمها لمن استظهرها لاخراه ، ولم يمل اليها تابعا لهواه ، مغترا بظاهر ما يراه ، حتى ينتهي الى ربه طاهرا من ادناس ذنبه ، وان هو مال الى امرها أردته من على ظهرها ، وفي هذا ما يدل بالمعنى على انها للمؤمن نعمة ، وعلى الكافر بلاء ونقمة ، وكيف لا تكون كذلك ، وهي المزرعة للآخرة ، فكما تزرع اليوم تحصده غدا ، وكما تدين تدان ، ولا يظلم ربك احدا ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى يرضي ربه ، وبئست الدار الدنيا لمن صرفته عن ربه ، وقصرت به عن رضى ربه» ، قال غيره : وفي هذا ما يدل على انها صالحة لأمرين الطاعة والمعاصي ، فهي مزرعة لبذرين ، وكما يزرع بها يومئذ من خير او شر يحصد غدا ، فان الجزاء من جنس العمل ، ولا يظلم ربك احدا ، فنعم الدار هي لمن زرع فيها ايمانا وبرا ، وبئس الدار هي لمن زرع فيها طغيانا وكفرا ؛ لأن ما بعدها من جزاء في نعيم مقيم ، او عذاب اليم في جحيم هذا بعدل ، وذاك من فضل لا يكون الا على ما كان بها من عمل في اصابة او زلل ، فها هي على مالها من حكم بين حمد وذم ، اوليس كذلك ، وما عند الله لأهل السعادة من نوال ، ولأهل الشقاء من نكال ، لا يكون الا على ما كان من اعمال ، الا وانها موضع العمل والآخرة موضع الجزاء على حال ، فهي على هذا مذمومة بالاضافة الى هؤلاء ومحمودة بالاضافة الى اولئك فازرع في هذه الدار ، ما تحب فترضى ان تلقاه في دار القرار من صالح او فاسد تجزاه في الجنة او النار ، ولا بد من احدهما ، فاما ان يجتمعا هنالك لاحد منا ، فلا يصح لما به من محال ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـع : قال غيره : ومن كتاب (الاحياء) ، ان الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء ، الا ما كان لله ـ عز وجل ـ من ذلك ، قال الشيخ سعيد بن احمد الكندي : حد الدنيا المذمومة كل ما يعاقب عليه فاعله ومعتقده وقائله في الدنيا والآخرة ، وقال ولده سليمان بن سعيد فيما اظن : ان حد الدنيا المذمومة كل ما يكتفي عنه العبد بدونه ، ولا يضره ترك اشتغاله به ، فهو منها ، وكل ما لا بد للمرء منه ، وتركه يضر به ، واشتغاله به يصلحه ، فذلك لا يسمى من الدنيا المذمومة ، بل هو من احوال الآخرة ، لا سيما اذا كان امر الآخرة لا يتأتى لآتيه الا به .

رجـــع

(مسـألة) : وقال ﷺ : «ليكن بلاغ احدكم كزاد الراكب» ، قال غيره : نعم ما دل عليه فامر به في هذا القول ، فان ما زاد عليه من الزاد في حكم الفضول المثقلة لاهلها من غير ما فائدة في حملها ، نعم ؛ ومن طلب الآخرة بدلا من الاولى فالخفة به اولى لما بها له من فارغ الى ما رامه في توجهه الى ربه فاقنع بما به يكتفي من بلاغ ، فان في الحديث عن النبي ﷺ انه قال : «ما طلع قرن من الشمس الا بعث الله ملكين يناديان يا أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» ، وفي حديث آخر عن ابن عباس ـ رحمه الله ـ عنه ﷺ : «فاعلموا ان اغبط الناس عملا يوم القيامة الخفيف الحاذ» ،

ولعله لما يرونه كثرة ثوابه ، وقلة حسابه ، وفي قوله ـ عليه السلام ـ : «ما من بار ولا فاجر الا ود يوم القيامة ان لو كان فقيرا» لكي يكون اهون للحساب ما يدل على هذا ، وقال النبي ﷺ : «ما من غني او فقير الا ود يوم القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا لا بد منه» والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : ابن عمر ان النبي ﷺ قال : «فضول الدنيا حلس ومن طلب الدنيا للدنيا ابتلي باربع خصال هم : لا انقطاع له ، وشغل لا فراغ منه ، وامنية لا ينالها ، وامل لا يبلغ منتهاه» ، قال غيره : لا لفائدة تكون له في دنياه ، ولا لعائدة عليه في اخراه ، لأن ما خرج عن حد الكفاية الى ما زاد عليها ، فهو من التكاثر ، ولا خير في جميع ما الهاه ، عن عبادة مولاه ، وان كان في اصله من المباح فكل ما شغله عن ربه فهو مشؤوم والاقبال عليه مذموم ، وما انزله من رتبة العلي الى ما دونها فهو من النقص عن الكمال ، وان لم يخرج به عن مقام الطاعة على حال وما اخرجه عاد به الى الخسران في المآل ، وما لم يكن لله ، فهو لغيره وان قل فلا خير فيه ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـع : ومن غيره ؛ من كتاب (الاحياء) ، كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها ، والتنعم بالمباحات على قدر الضرورات ، والحاجات الداخلة في جملة الرفاهة ، كالتنعم بالذهب ، والفضة ، فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة ، قال : لعله الشيخ سعيد بن احمد الكندي على اثره ، كل ما اباحه الله ـ تعالى ـ لخلقه ولم يتمتع به نبيه فاسدة ، فذلك لا يلام عليه فاعله وان كان غيره يجنبه عنه يسمى زاهدا فان الاول يسمى عابدا .

رجـــع

(مسـألة) : ابن عمر عن النبي ﷺ : «ما يصيب احدكم من دنياه شيئا الا نقص من درجاته عند الله» ، قال غيره : وهذا فيها الهى من انواع الحلال ، لخروجه عن حد ما به يكتفى لا فيها لا بد منه لوجوبه لازما فانه في حق من اراد به وجه الله من جملة ما للآخرة من اعمال ، وان كان في الدنيا فليسه في حكمها

على حال لما به من زيادة في اجره عند ربه ولا فيما يكون من انواع الحرام في دين الاسلام لما فيه من هلاك من هوى في دركاته لا ما دونه من نقص في درجاته ، وفي هذا ما يدل على ان المراد ما قد ابيح من فضول اذا لم يكن له في غيره محال ، فيجوز ان تصح دعواه في قول : والله اعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مسألة) : وقال ـ عليه السلام ـ : «لا تشتغلوا بالدنيا عن عمل الآخرة فتحل بكم عقوبة الله» ، قال غيره : ولعل المراد به في هذا الموضع ما قد شغل عن الفرض لا ما عداه من نفل ، لعدم ما فيه من عقوبة على من تركه لما به من شغل ؛ لأنه في نفسه من الوسائل ما اريد به من مثوبة في درجة رفيعة تقتضي ما به من مزيد الفضل ، لا من الفرائض في الطاعة فيستحق في تركه ان يعاقب على ما اضاعه في موضع القدرة عليه ، وما لزمه من شيء في دينه لم يجز له فيه الا ان يؤديه كما عليه ، والا فالعقاب من ورائه ؛ والله اعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مسألة) : عمر عن النبي ﷺ انه قال : «لا تفتح الدنيا على قوم الا القى الله بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة» ، قال غيره : لما تورثه بين اهلها حال الجمع ، او ما بعده من المنع ، لا على ما جاز في الشرع ، من التعاند عليها لشدة التنافس فيها ، الداعي الى التمانع والتحاسد ، والتباغض والتدافع ، المقتضي في كونه لظهور التقاطع عداوة من كل واحد منهم للآخر لا لشيء غير ما هم به من طلبها ، ايثارا لها على ما بعدها لحبها ؛ الا وان في قول الله ـ تعالى عز وجل ـ : ﴿كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى﴾ ، ما يدل على هذا ؛ لأن في الطغيان ما يدعو الى العداوة والظلم والعدوان ، والله

اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : عن انس ان النبي ﷺ قال : «من كان نيته الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع شمله وأتته الدنيا وهي راغمة» ، قال غيره : نعم ؛ لأن من اهمه شيء صرفه عن غيره اليه ، وما في الآخرة منْ خير قد جمع فلا تفرق فيه وليس لها في الطاعة الا طريق واحدة ، فمن اهمه امرها فطلبه ، دله عليها وبصره بها ، فنهى له ما تحتاج له في طريقه اليها ، وعرفه نفسه ما هي فعرفها ، وكشف له عن الدنيا فتركها في توكله عليه ، ورزقه القناعة ، فاقتصر على مقدار ما به يبلغ اليه ، واخبره بانه على تقواه لا بد وان يوصله اياه من حيث لا يدريه على رغم دنياه ، فصدقه في وعده ، واطمأن الى ضمانه لعلمه الذي لا يشك فيه ان الرزق من عنده ، وانه لا يبدل القول لديه ، فلا يخلف على عبده حتى صار لهذا في قلبه عناه ، وطوبى لمن رضي عن الله بما اعطاه ، وعلى العكس من هذا في الدنيا لانها متفرقة فمن اهمه جمعها تفرق في اوديتها فكره ، وربما في شعابها حتى يفوته من الله ذكره ؛ لأن كل شيء بلغ اليه لا بد وان يدعوه الى ما خرج عن يديه لا غاية لذلك الا الوفاة ، فلا يزال بها في فقره ما دام بها ، الا ان يمن عليه بالرجوع ربها الى ما اتاها هو به احرى من طلب الاخرى ، والله اعلم فينظر في ذلك .

(مسـألة) : وعن تفسير الرواية التي قيل فيها عن الله ـ عز وجل ـ يقول : [اني لا اجمع حبي وحب الدنيا في قلب واحد ابدا] ، ما تفسير هذا الحب ؟ أرأيت اذا كان الرجل يحب المال في الدنيا ، ويحب النساء ، ويحب السكن الجيد ، والحرث ، والطمع من الحلال ، ويكره الموت ، ولا يحب ذلك ليفسد في الارض ، ولا ليعصى الله ـ عز وجل ـ أيضره ذلك ام لا ؟

الجـواب ؛ ان حب الدنيا ان يحب المعصية فيها ؛ والله اعلم ، واما المؤمن فلا يضره ذلك اذا كان على طاعة الله ـ عز وجل ـ ، قال غيره : صحيح ان هذا لا يضره ما لم يصده عن طاعة الله فيغره ، الا انه ما زاد على مقدار البلاغ لا شك فيه انه من الفضول ، فالتارك له من ذوي العقول زاهدا فيه بما اراده من التفرغ به الى عبادة ربه افضل ، ودرجته اعلى واكمل ، ولن يجوز على حال في القول الا ان يكون كذلك ؛ والله اعلم فينظر في ذلك . انتهى .

وهذا الرد الذي على اثر هذه الروايات والمسائل هو عن ابي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ـ فيما احسب ـ ، لاني نقلته من تأليفه .

فصـل : ومن كتاب (الاحياء) ؛ وقال يحيى بن معاذ : الدرهم عقرب ، فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه ، فانه ان لدغك قتلك سمه ، قيل : فما رقيته ؟ قال : اخذه من حله ووضعه في حقه ، قال غيره : ولعله الشيخ سعيد بن احمد الكندي : كان قليلا او كثيرا .

رجـع : وقد سمى الله المال خيرا في مواضع ، فقال : ﴿ان ترك خيرا﴾ (الآية) ؛ قال غيره : ولعله الشيخ سعيد بن احمد معنا انه ما سمي خيرا الا انه يفضي بصاحبه الى الخير الحقيقي ان استعمله صاحبه ، وانفقه في الخير ، كمثل الطاعة سميت حسنة ؛ لانها تفضي بصاحبها الى الحسنة الحقيقة .

رجـع : وقال رسول الله ﷺ : «نعم المال الصالح للرجل الصالح» ، وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ ، قال غيره : انظر كيف سماه الله رحمة يرحم به من يشاء ، ويوصلهم الى الرحمة الحقيقية

وهي الجنة .

رجـع : وقال ـ تعالى ـ ممتنا على عباده : ﴿ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا﴾ وقال ـ عليه السلام ـ : «كاد الفقر ان يكون كفرا» ، وهو ثناء على المال ، قال غيره : وربما يكون له الغنى ايمانا .

رجـع : ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده ، وآفاته وغوائله وينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه ، وانه محمود من حيث هو خير ، ومذموم من حيث هو شر ، فانه ليس بخير محض ولا بشر محض ، بل هو سبب للامرين جميعا ، وهذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى .

قال غيره : يروى عن ابن عباس في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ويزدكم قوة الى قوتكم﴾ ، اى مالا الى مالكم .

رجـع : قال غيره : وشبهه الغزالي بالحية ، تأخذها وتستخرج منها الترياق ، ويأخذها الجاهل فيقتله سمها من حيث لا يدري .

رجـع : ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصوده ، واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها ، غير ناس لها ، فقد احسن وانتفع ، وكان ما حصل به الغرض محمودا في حقه ، فاذن ؛ المال وسيلة الى مقصود ، قال غيره : يروى عن عبدالرحمن بن عوف انه كان يقول : حبذا المال اصون به عرضي واقرضه ربي فيضاعفه لي ، قال غيره ويغنيه عن المكاسب وهو مخوفه ، ويستره عن الناس وهم احمقون .

رجـع : فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ جيفة وهو لا

يشعر ، كما ورد في الخبر ؛ قال غيره : من اخذ المال لغير الله ، فقد ذبح بغير سكين ، ومن اخذه لله تعالى ، قل او كثر ، فهو على الصراط المستقيم .

رجـع : ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله ، وكان المال مسهلا لها ، وآلة اليها ، عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية ، فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا ﷺ : «اللهم ؛ اجعل قوت آل محمد كفافا» ، فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحص خيره ، وقال : «اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا» ، واستعاذ ابراهيم ـ صلوات الله عليه ـ فقال : ﴿**واجنبني وبني ان نعبد الاصنام**﴾ .

وفي بعض التفاسير انه عني بهذين الحجرين من الذهب والفضة ، اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الآلوهية في شيء من الحجارة ، وانما معنى عبادتها حبها ، والاغترار والركون اليها ، قال غيره وهو الشيخ سعيد بن احمد الكندي : واعم اسماء للاصنام من الدراهم والدنانير أهوية النفوس ، اذ يدخل في ذلك جميع الدنيا وما فيها ، ويشهد لذلك قوله : ﴿**افرأيت من اتخذ الهه هواه**﴾ ، فقد صار هواه اذا كان بغير الحق صنما له يعبده من دون الله ، ولو بارتكاب كبيرة ، او باصرار على صغيرة (رجـع)



الباب الثامن عشر

في الحسـد

ومن كتاب (الاحياء) ؛ اعلم ان الحسد من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع الغضب ، والغضب اصل اصله ، وقال رسول الله ﷺ : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» ، وقال ﷺ : «لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا» ، قال غيره : ومعنى التدابر ان يتباعد بحاله عن صاحبه فيقع بينهما التباعد .

رجـع : وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت عنه فاخذ اخا له ، فقال : ان جئتني باخيك والا ضربت عنقك ؟ فقال له : أرأيت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين اتخلي سبيلي ؟ قال : نعم ؛ قال : فانا آتيك بكتاب من الله العزيز الحكيم ، واقام عليه شاهدين : ابراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ ثم تلا قوله ـ تعالى ـ : **﴿ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى﴾** ، فقال زياد : خلوا سبيله ، هذا رجل لقن حجته .

فصل : وقال النبي ﷺ : «ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «يا عائشة انه من اعطي حظه

من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنيا والآخرة» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق» ، وقال ـ عليه السلام : «ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الحرق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا وقد حرموا» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «ايما وال ولي فلانا ورفق ، رفق به يوم القيامة» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «اتدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «الرفق يمن والخرق شؤم» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «التأني من الله والعجلة من الشيطان» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه» .

(**مسألة**) : ومن كتاب (بيان الشرع) ، وسألت عن الحسد ما هو؟ قال : الحسد ان تحسد المؤمن على ما في يده ، وتود ان يزول عنه ما في يده من شيء ليكون ذلك لك انت دونه ، واما اذا احببت ان يكون في يدك مثل ما في يده من نعمة ، فلا يكون حسدا .

قلت : فحسد الكافر ؟ قال : حسد الكافر لا اثم فيه بل فيه الثواب .

قلت فالغبطة ما هي ؟ قال : ان يغبط الانسان المؤمن ما في يده من نعمة يود ان يكون في يدك مثله ، ولا تحب ان يزول ماله ويتلف .

(**مسألة**) : عن الشيخ العالم صالح بن سعيد الزاملي ، واما اذا حل القلب الحسد ، ولم يتابعه الانسان ؛ فعلى معنى قوله انه لا يأثم بذلك ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، قال غيره : صحيح ؛ ولا اعلم انه يخرج فيه فيجوز عليه الا هذا ؛ والله اعلم فينظر في ذلك .

(مسألة) : وقال لقمان لابنه : اياك والحسد فانه يكثر الهم ويفسد الدين ، ويضعف اليقين ، قال غيره : ولقد انذره فنصح حين حذره من الحسد فاخبره ، لما فيه من داء اظهره خوفا عليه من ان يصيبه من آفاته ما ذكره ؛ لأن من اراد ان يسد على الخلق باب الرزق من الملك الحق لم يزل في هم لازم وغم دائم ، فلا دنيا ولا دين ، ولا راحة ولا يقين ؛ لأن الله يأبى من ان يكون الا ما اراده على العموم او الخصوص في عباده ، فانى يبلغ الى ما لا يقدر عليه ، ومتى له بالراحة مما به ان لم يرجع الى ما له او عليه ؟ واي دين لمن عاند ربه في حين ، فاراد ان يحدث من اجله غير ما اراده ، واي قوة في يقين لمن عمي في نفسه عن رؤ ية ما بها من عجز عن قطع ما اراد الله ان يوصله ، وظن في جهله انه ينال في هذا ما قد امله خوفا من ان يفوته لغيره ما في حكم الله انه له اما انه لو تصور في قلبه يقينا ان امر الله لا يبدل على حال في نفس ولا مال ، ولا يقدر على رده بمنع يكون يومئذ في دفع لما شك في الحسد انه ضرر بلا نفع ؛ والله اعلم فينظر في ذلك .

(مسألة) : وقيل : لما كان الحاسد لا يمكنه ان يحوز فضائل اهل الفضل احب ان يهلك الناس كلهم ، ولا يرى في الارض من نعمة مشاهدته ، قال غيره : ان في هذه الرذيلة لعدة آفات غير قليلة ، وربما تبلغ بمن به فيمن يحسده الى ان يكره بقاء حياته فيحب كون وفاته لما يجده من الم في قلبه لما يراه عليه من نعمة ربه خصوصا ان لم يقدر على سلبه لعسى ان يستريح من تعبه ، والجمع في هذا مثل الواحد ان نزلوا اليه في قلب الحاسد ، وان كان فيهم اناس من اهل العدل وذوي السابقة في الفضل ، وكان فيه زوال ما به من نعمة ، وحلول ما به من نقمة ، فلا راحة له الا به ، وربما لا يجد مناه فيبقى في عذابه ما بقي في دهره ، على هذا من امره ولعذاب الآخرة اشد وابقى ، وهذه من احد مولداته فينبغي ان يحذر لآفاته الموجبة لهلاكه ؛ والله الموفق فينظر في ذلك .

(مسـألة) : عن الشيخ ابي نبهان نجاعد بن خميس الخروصي من مسألة له طويلة ، قلت له : وعلى هذا يكون القول في الحسد ام لا ؟ قال : نعم ؛ هو كذلك ؛ لانه من انواع المهالك ، فهو اذاً في نفسه لحرامه ذميم وصاحبه في الدنيا والآخرة في عذاب اليم ؛ لانه في منزلة مظلوم ، فكيف على هذا لا يكون في ذلك ؛ قلت له : وما هو واي شيء يكو اخبره به لعله ان يتوقاه ؟ قال فهو كراهة ما انعم الله به على من يحسده في حاله وحبه يومئذ لزواله ، والله يأبي الا ما اراده من الوفاء لعبده بما في علمه انه لا بد وان يصله من عنده .

قلت له ومن الواجب على العبد ان يحذره في كل موطن على العموم في حق كل احد ام لا ؟ قال : نعم : الا في نعمة يتقوى بها على شيء من معاصي الله ، والا فهو من الحرام فاحذره ، فانه على تمكنه يدعو الى ما هو اكثر منه واشد في دين الاسلام ، وربما بلغ بمن به الى عدم الرضى عن ربه وحمله على منازعة القدر ، فدله على الاحتيال في قطع ما اراد الله ان يوصله الى عبده وزوال ما من به عليه من عنده وصرفه عنه بعد كونه بمبلغ ما قدر ، وما اليه من حيلة يقدر بها عليه ، فلا يزال في هم وتعب على هذا من امره ، وغم لا راحة له منها الا ان يرجع او يعطى من ربه ما يتمناه ، وانى له به ، ولان كان يوما فتلك موافقة لا ان الله اكرمه بما في مناه ابدا .

قلت له : وما الذي دل في حكمه على تحريمه وذمه ؟ قال : ان في امر الله بالتعوذ من شر ما به ، ونهي رسول الله عنه ما دل على تحريم وذم وكفر من به وظلمه وتأثيمه ، وكفى بما يلقاه من كمد ونصب كل ذي حسد لا لفائدة في دنياه ذما له في حاله عند من عرفه بذلك ، فكيف بمن رأى ما فيه من جزاء له عليه في اخراه الا بالرجوع عنه والا فلا بد من ذلك .

قلت له : فالحسد لا من الدين ولا من اخلاق المؤمنين على حال ؟

قال : هكذا معي ؛ في هذا لا غيره ، الا وان في قول رسول الله ﷺ : «المؤمن يغبط والمنافق يحسد» ، ما يدل على انه من اخلاق المجرمين الا من جاز على ما به من نعمة تقوى بها على معصية ربه ، فهو كذلك .

قلت له : فالغبطة في هذا الموضع ما هي عرفني بها تصريحا ؟ قال : فهي ان تشتهي نفسه مثل ما لغيره من شيء جاز في اصله فحل ، وهذا مما لا يمنع منه مؤمن ولا كافر لجوازه .

قلت له : وما عمله العبد من عمل صالح فالحرام من الحسد لا بد وان يهدمه ؟ قال : نعم ؛ لأن الله قد حرمه ، وفي قول النبي ﷺ : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» ، ما يدل على ذلك .

قلت له : فان عرض له في قلبه لاحد ما لا يجوز عليه من حسد ماذا يعمل معه ؟ قال : فليعرض عن الميل اليه في متابعة ، وكفى به اداء لما عليه في ذلك .

قلت له : وما لم يعمل بما دله عليه فلا اثم فيه وان عرض له ؟ قال : نعم ؛ اذ لا يلزمه ما لا يقدر عليه ، ولا شك في كون عروضه انه لا مما اليه فلا شيء فيه على حال .

قلت له : افلا يخلو احد من اصل هذا الداء فينجو من جميع ما به من البلاء ام لا ؟ قال : الله اعلم وانا لا ادري ما في هذا الا ما في الحديث عن النبي ﷺ انه قال : «ثلاثة لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج منهن من اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ» ، وفي حديث آخر : «اذا حسدتم فلا تبغوا واذا ظننتم فلا تحققوا واذا تطيرتم فامضوا او على الله فتوكلوا» ، وفي رواية ؛ ما يدل على

امكان النجاة منه لما فيها من زيادة على قوله : «لا ينجو منهن احد» ، و«قل ما ينجو» ، وعسى في هذا ان لا يبعد .

قلت له : فالزهد في الدنيا ما هو ؟ قال ، ففي القول انه ترك ما قد ابيح من الفضول بعد القدرة عليه بلغ لمن به الى عدم الرغبة فيه ، فهو الغاية في ذلك .

قلت له : وما الذي لا بد له من تركه ابدا ؟ قال : ما كان من انواع الحرام او ما اشبهه فلحق به في الاحكام لا غيره ، مما زاد عليه ، فانه نفل ، وله فيه فضل .

قلت له : فان كان داع الى ما يجوز له الا انه يمتنع من اجابته الى ما يدعوه اليه خوفا من ربه ؟ قال : فهو من الجهاد في الله وله اجر ما نواه به ، والله اعلم فينظر في هذا ، وفي جميع ما قلته على اثر ما في هذا الفصل من الروايات والمسائل من بيان فان خرج في العدل فصح لبرهان والا ترك .

(مسألة) : وقال ﷺ : «اوصاني ربي بسبع : بالاخلاص في السر والعلانية ، وان اعفو عمن ظلمني ، واعطي من حرمني ، واصل من قطعني ، وان يكون صمتي ذكرا ، وكلامي شكرا ، ونظري عبرا» ، وروي في الحديث عن النبي ﷺ : «ان جبرائيل نزل عليه فقال : يا محمد ؛ اني أتيتك بمكارم الاخلاق في الدنيا والآخرة خذ العفو وامر بالمعروف ، واعرض عن الجاهلين ، وهو يا محمد ان تصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك » .

قال غيره : ما احسن ما دله عليه فامره ؛ فالذي يكون من اللوازم ، والا فهو في اخلاقه من انواع المكارم ، وللمؤمنين في رسول الله اسوة حسنة في

كل حالة ، الا ما خص به دون غيره من امته ، الا وان من اخلص لله في سره وعلانيته ، وعفا عمن ظلمه ، ولم يمنع من حرمه ، ولم يقطع من صرمه ، في موضع لزومه او جوازه له في يومه لما به من فضل ربه لا لما سواه من امر دنياه ، فقد بلغ في احسانه ارفع درجة تكون في اخراه ، وان اراده لما عداه فلا شك فيه انه لغيره ، وما له في الآخرة من خلاق ، على ما فعله من سوء اخلاق ، وان اشرك معه احدا من عباده فهو الغني عن الشركة والرد اولى ما به لفساده ، ومن ابقى على نفسه من دينه مثقال ذرة لم يؤده قبل حينه ، واصر عليه في جهله او علمه ، فليس بمخلص في حكمه ؛ واني له بعد موته على ما به من ظلمه وتلافيه ثم قضاء ، او يجوز ان يكون في الآخرة ، وليس هي الا دار جزاء على ما كان في الدنيا في عمل قد اصابه او ذلل .

فليحرص على ان يكون في مقام الاخلاص مادام في الحياة ، فان من ورائه الفوز بالخلاص ، والا فليس بعد الوفاة الا الجزاء بما قدمته يداه من خير او شر يلقاه ، ومع هذا فان قدر على ان يكون صمته فكرا ، وقوله ذكرا ، ونظره عبرة ، وفعله شكرا ، ليس له في نفسه ارادة الا ما يكون من انواع العبادة ، ان تحرك فلله ، وان سكن ففي الله فقد اعطى الربوبية حقها من العبودية ، فهو عبد الحق صدقا ، اذ قد صار له بالكلية حتى لم يبق فيه لغيره بقية فاعرفه حقا ، والله اعلم فينظر في ذلك .



الباب التاسع عشر

في الريـــاء

ومن جواب الشيخ الفقيه صالح بن سعيد الزاملي ، وما تفسير هذه المسألة قال النبي ﷺ : «اخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر وهو الرياء والشهوة الخفية والنعمة الملهية» ؛ ما معنى الشهوة الخفية والنعمة الملهية ؟

الجـواب ؛ ان معنى ذلك على ما سمعته من الاثر ان يكون الرجل يصلي في خلوة ، ويحب في قلبه ان يعلم الناس انه يستر اعماله ليحمدوه على ذلك والله اعلم .

قال غيره : وهو الشيخ ابو نبهان جاعد بن خميس الخروصي نعم ؛ صحيح ؛ لان من الشهوة الخفية ان يحب من الناس الاطلاع على ما به من الخصوصية عموما لما ظهر من اعمال او بطن من احوال ، الا وان الرياء ربما دخل عليه من حيث لا ينظر الخلق اليه .

واما النعمة الملهية ؛ فهي ما قد امتن بها على عبده فاغفلته عن ذكره والهته عن القيام بشكره ، والعياذ بالله من نعمة مورثة لنقمة ، فهذا ما عندي والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه ؛ وفيمن يعارضه الرياء في اشياء يعملها في بعض الاوقات وينفيه بجهده ، أيكون مأثوما ام لا ؟

الجـواب ؛ لا اثم عليه ، والله اعلم ، قال غيره : ان هذا الا موضع اجر لما به من مجاهدة في دفع ما ورد على قلبه من نحو هذا لا موضع اثم لعدم ما فيه من ظلم ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : وسألته عن الذي يغضب من الكلام القبيح ، ويفرح بالمدح ، ايجوز له ذلك ام لا ؟ قال اما غضبه من الكلام القبيح فلا يضيق عليه ذلك عندي ، وام الفرح بالمدح فلا يجوز اذا فرح وساعده هو على ذلك ، واما ان دخل الفرح في القلب وهو لا يريد ذلك فلا يضيق عليه ذلك .

قال غيره : نعم ؛ انه اذا فرح به من حيث انه نعمة من ربه اوصلها اليه على لسان من اثنى عليه بما هو فيه فعسى ان لا يضيق على العبد ان لا يرده ؛ لانه انما كان فرحه لما اهداه اليه مولاه ؛ لانه هو الذي سخره يومئذ لما اظهره بعد ان اقدره ، وما لم يسكن اليه حتى يخرجه من حق الى باطل فعندي ؛ انه لا يضره على هذا ما يفرح فيسره ، وان مدحه بما ليس فيه فهو من الكذب على حال ، والرد له اولى ما به لمن قدر على رده اليه .

ومن القول الصحيح في الغضب على ما يكون من الكلام القبيح انه لا لوم فيه ما لم يبلغ به الى ما لا يجوز له والا فهو في موطن الحق محمود ، وانما يذم ما قد خرج عنه الى غيره من الباطل ، فانه في قبيحه مذموم ، وعلى اهله مردود ، والله اعلم فينظر في ذلك .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ خميس بن سعيد بن علي الرستاقي ، وفيمن عارضه - اجارك الله - الرياء في شيء من اعماله او اقواله وهو يدافع ذلك ، وربما غفل في شيء منه عن المدافعة ، وحين ذكر تاب الى الله - عز وجل - ايحبط عمله ذلك ام لا ؟

الجواب ؛ وبالله التوفيق ارجو ان العبد لا يؤاخذه الله - تعالى - الا بذنب قصد اليه وتعمده ، واراد به الرياء قصدا منه لذلك ، واما اذا كان اعتقاده في عمله له طاعة لله ومخلصا بعمله لله لا للرياء ولا للسمعة ، ولا لاجل شيء من امور الدنيا فعارضه الشيطان في ذلك ، وغفل عن المدافعة ، فارجو ان لا يؤخذ بذلك ، وهذا ما لا يسلم منه الا من عصمه الله ، والاكثر على هذا ، وطبعهم على هذا من الغفلة ، الله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

قال غيره : صحيح ؛ لأن انواع الرياء عديدة والبلية بها شديدة ، وقد يعارض الشيطان على كرهه الانسان الا انه والحمد لله ما لم يتابعه الى ما دعاه اليه ، فلا شيء عليه فان هو اصغى الى ما قد امره به فاتبعه عالما او جاهلا ، فالرجوع الى الله عما نواه ، او كان له فاعلا ولا بد ؛ والله اعلم فينظر في ذلك رجع .

(مسألة) : ومنه ؛ فيمن ترك شيئا من افعال الطاعة حياء من الناس ، ايضيق عليه وتلحقه معاني الرياء ام لا ؟ ومثل ذلك من خرج الى مسجد ليصلي فيه غير الفريضة فوجد فيه ناسا ، وتركه حياء ، او اراد سترا لنفسه ، وذهب الى غيره من المساجد او ترك ذلك ، وكذلك من يقرأ القرآن وحين يحضره الناس ترك القراءة لانه يستحي ويتخجل بحضرة الكثير ، كذلك من اراد ان يعطي احدا شيئا ، ويستحي ان يعطيه بحضرة الناس ، أيضيق عليه هذا

الوصف اذا ابتلي به ام لا ؟

الجـواب ؛ وبالله التوفيق ان الذي جاء به الاثر من عمل شيئا من الطاعات والعبادات لاجل الناس ، فقد اشرك في عمله غير الله ، والله غني عن عمل العبد لا يقبل الله الا ما كان خالصا له من اعمال العبادة ، واما ان ترك شيئا من اعمال الطاعات لاجل الناس ، فذلك من اسباب الرياء ، ولكن لا يعمل لاجل الناس ، ولا يترك عمل الطاعة ، لاجل الناس ، ويدافع عن نفسه النيات الفاسدة ، ويذكر ضعفه وقدرة الله عليه ، وافتقاره الى الله ، وعظم منته وانعامه عليه ؛ لأن عمله لا يقوم باقل نعمة انعمها الله عليه ، ويعلم ان الله غني عن عباده ، وهو الفقير الى الله ـ عز وجل ـ .

قال غيره : نعم ، قد قيل في الطاعة : ان عملها من اجل الناس شرك لغير الله في العمل ، وان تركها من اجل الناس رياء ، وانه لمن قول الاولى ، فينبغي على هذا له ان يقوم بها لله وحده ، فيجعل في نفسه من حضره اولا من ابناء جنسه مثل الحجر ، او ما يكون من انواع الشجر ، في معنى القدرة على النفع والضرر ، فان منعه فرط الحياء من نفله ، او انه اراد ان يسره عن الغيرلما في اخفاء فعله من زيادة في فضله ، فعسى ان لا يدخل عليه على هذا معنى الرياء ، ما لم يتركه خوفا من المذمة ، بان يقال : انه مراء في فعله ، فاما ان يعمل او يدع ما له او عليه من اجله ، او يضيع ما قد لزمه لحياء افرط عليه ، فلا وجه فيه ؛ والله اعلم ، فينظر في ذلك .

(مســألة) : روي عن النبي ﷺ : «ان الله ـ سبحانه ـ يقول : أنا أغنى الأغنياء عن الشريك من عمل عملا أشرك فيه فنصيبي له فإني لا أقبل الا ما كان خالصا» ، قال غيره : وفي هذا ما دل على أن كل ما يكون من عمل لا لله وحده فهو لرده عليه من العناء الذي لا خير فيه ؛ لأنه لا حاصل له

الا النكال في يوم الجزاء ، فاحذر يا هذا من الرياء ، فإنه في أنواع الأعمال من هذا الباب على حال ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : وقال ﷺ : «أخوف ما أخاف عليكم الرياء ودقائقه» ، قال غيره : لأنه يدخل على جميع الأعمال ما عدا النيات على ما هي به من الأحوال الا على قول من يذهب من القوم الى أن كل ما كان لغير الله من عمل فهو رياء ، وعمله هباء ، فإنه على قياده يأتي على ما بها ان صح ، والا فهو كذلك وما دخل عليه أفسده على حال ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : وقال ـ عليه السلام ـ : «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء» ، يقول الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة اذا جاز العباد بأعمالهم : «اذهبوا الى الذين كنتم تراءون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء» ، قال غيره : الا وان الأصل في الشرك بالله هو أن يجعل معه شريكا في شيء ، فإن كان في العمل بالطاعة فهو الأصغر ، وان جاوزه الى ما فوقه من الشركة في الالهية فهو الأكبر .

والمرائي في عمله لما ان أشرك فيه مع الله غيره دخل عليه من الشركين ما صغر ؛ لأنه لم يتعداه الى ما كبر ، والله أعز من أن يقبل من عبده الا ما كان لوجهه خالصا ، وفي الرد ما دل على كون الطرد المقتضي لوجود البعد ، وكفى به خزيا لأهله فلذا مع ما به من دقة في غوائله يدخل في العمل على عامله خافه عليهم ﷺ فأنذرهم في هذا بما به أخبرهم ؛ لأنه الناصح الأمين ، وحق في هذا ومثله أن يخاف على ما به من بطله ، فإنه يفسد العمل كما يفسد الرهج

العسل حتى يصير من بعد الشفاء الى طبعه سمّا مهلكا ، والعياذ بالله من الشقاء ، والله الموفق فينظر في ذلك .

(مسألة) : يروى عن رسول الله ﷺ : «ان المرائي يوم القيامة ينادى بأربعة أسماء : يا فاجر ، يا كافر ، يا غادر ، يا خاسر ، ضل سعيك ، وبطل عملك ، فلا خلاق لك ، التمس الأجر ممن كنت تعمل له يا غادر» ، قال غيره : وهذه والله هي المعصية الكبرى ، مع ما به من حسرة على ما جرى ، وفضيحة بين الورى ، فاتقوا الله يا أهل الألباب في الأمر والنهي ، ولا تركنوا الى هذه الدنيا فإنها دار فناء ، فكونوا منها على حذر واياكم والكبرياء والعجب والرياء ، وجميع ما كبر من المعاصي ، أو صغر فإن الخلاص لا يكون الا لمن لازم الاخلاص بإخراج الخلاص ، عن معاملة الحق ، فليعمل كل منكم لربه فيما يأتي أو يذر ، فإن الغير لا يغني من الله شيئا ، فإن عصاه فليرجع بالتوبة اليه لرضاه ، والا فالهلاك في النار من وراء الاصرار والعياذ بالله من ذلك .

(مسألة) : عن الشيخ العالم أبي نبهان ، جاعد بن خميس الخروصي ، وعن الرياء في العمل بالطاعة من فاعله ما هو عرفني به مأجورا ؟ قال : فهو ان يعمل ما له أو عليه لرجاء حمد ، أو يتركهما مخافة ذم ، الا انه من مثله في هذا وذاك فاعرفه ، فإن في الأول شركا لغير الله دون الثاني ، فإنه رياء محض ، وفي قول آخر عن القوم : ان كل ما كان لغير الله من عمل فهو رياء ، قلت له : وما خطر له من هذا بقلبه في شيء من أعماله فنفاه ولم يعمل به ، ولم يعزم عليه ، قال : فهو من جملة جهاده في ربه فلا شيء فيه الا ما يكون له من أجر على ذلك .

قلت له : فإن فعل ما دعا اليه الشيطان من هذا فدله عليه ؟ قال : فلا بد فيه من الاستغفار والتوبة الى الله بلسانه في الليل والنهار ، الا لمانع له

منها في زمانه لفظا ، فيجزيه ما عقده في قلبه من توبة الى ربه ولا بد ، والا هلك ، وفي هذا ما دل بالمعنى على تحريمه وذم من به وتأثيمه فينظر فيه فإنه كذلك .

قلت له : فهل له تأثير في العمل أم لا ؟ قال : نعم ؛ ان له أثرا قويا حتى انه يأتي عليه من أصله فيجره في احباط له بلا مراء يصح فيه من قائل أبدا .

قلت له : وما الذي يدل في برهانه على ذمه وتحريمه في احباط العمل به وبطلانه ؟ قال : ان في الآي والخبر ما يدل في عدله على هذا كله مثل قوله ـ تعالى ـ : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون﴾ ، وقال النبي ﷺ : «ان المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء : يا فاجر ، يا كافر ، يا غادر ، يا خاسر ، ضل سعيك ، وبطل عملك ، وحبط أجرك ، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له» .

قلت له : فهل من زيادة فيه على هذا يوجد فيها أم لا ؟ قال : نعم ؛ هي عن حكم الله في غير موضع من قوله ، وأخرى في الحديث عن رسوله مع ما فيه من قول المسلمين في آثارهم وكفى بها من قولهما دليلا لمن يعقل ، والا فلا يغني كثرة ما ينقل من الآيات والأخبار وصحيح الآثار عن قوم لا يؤمنون .

قلت له : ويكون في كل من القول والعمل أم لا ؟ قال : نعم ؛ هو كذلك ولا أعلم انه يختلف في ذلك .

قلت له : فيدخل على الانسان في أصل الايمان لفظا باللسان ، وعملا بالأركان ؟ قال : فالذي عندي فيه انه يدخل عليه اذ قد يؤمن من يومئذ ظاهرا في حال ، لكي يقال : انه مؤمن ، وقلبه خال كما يدخل على ما يكون

به من أعمال .

قلت له : ويكون في النية أم لا ؟ قال : قد قيل فيها : انه لا يدخل عليها ، وعلى قول آخر : فيجوز لأن يلحقها ان صح ما فيه ان جميع ما كان لغير الله - تعالى - رياء وينظر فيه .

قلت له : ويدخل في الناس في الأعمال الدنيوية كما في الأعمال الدينية أم لا ؟ قال : نعم ؛ يدخل عليهم في الأمرين جميعا ولا نعلم ان أحدا يقول بغير ذلك .

قلت له : وعلاجه لازم لمن بلي به في الحال ؟ قال : نعم ؛ لأنه داء مهلك في المآل الا انه والحمد لله قابل للزوال ، فلا بد من علاجه ، والا فالهلاك ، فاحذر من أن يدخل عليك في شيء من الأعمال ، والله الموفق للخير ، انتهى ما نقلته من هذا المسألة .

(مسألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد الزاملي ؛ وفيمن أراد أن يعمل طاعة مثل الأذان والصلاة وغيرهما ، ورده الحياء أو رئي في ذلك المكان ناسيا ورجع ، أيؤثم أم لا ؟

الجواب ؛ فيما عندي ان كان رجعته عن هذه الطاعة لئلا يقول الناس انه يصلي ويؤذن ويسخروا ، فهذا عندي لا ينجو من الاثم ؛ لأن بعض الناس يكرهون الصلاة وذكر الله ، ويسخرون بمن فعل ذلك ، وان كانت رجعته من أجل انه يخجل عند حضرة الناس ، ولا يحسن الصلاة بحضرتهم من كثرة الخجلة ، فهذا لا يأثم عندي ؛ لأن هذا طبع في بعض البشر يخجلون عند كثرة الناس ؛ والله لا يكلف نفسا الا وسعها .

قال غيره وهذا حسن المعنى من قوله ، فهو صحيح ؛ لأن ما دخل عليه

من الحياء المانع له من تلك الطاعة ، لا من فعله ، فهو اذاً من عذره ما لم يضيع لازما ليس له أن يتركه من أجله ؛ والله أعلم .

(مســألة) : عن الشيخ خميس بن سعيد ، وهل يجوز للانسان أن يذكر الذي أعطاه مثل انه عوتب ما لك لا تعطي فلانا ؟ فقال : قد أعطيته كذا وكذا أم لا يجوز ذلك ؟

الجــواب ؛ ان لم يرد ذلك رياء ولا سمعة ، فلا يضيق ذلك ، وقد قال الله ـ تعالى ـ : **﴿ان تبدو الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾** ، ورغب النبي ﷺ في كتمان الصدقة ، فقال : «ورجل تصدق فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه» ، وكلام هذا معناه وأكثر ما جاءت الآثار بتفضيل الكتمان على الاظهار الا أن يظهر ذلك على نية ليقتدي الناس به فيكون الاظهار أفضل ؛ والله أعلم .

قال غيره : وجدت عن بعض أهل الخلاف ان الصدقة الفرضية اعلانها أفضل من اخفائها ، والصدقة النفلية اخفاؤها أفضل من اعلانها ، وهذا عندي صحيح ؛ والله أعلم .

(مســألة) : ابن عبيدان ، وفيمن يحسن صوته عند تلاوة القرآن وقراءة الشعر ، ان يستحسن الناس منه ذلك لتقوى رغبتهم في استماع ما يقرأه والانصات اليه ؛ قال : اذا لم يرد بذلك رياء ولا سمعة ، وانما أراد أن يخشع قلوب السامعين لذكر الله ـ عز وجل ـ فجائز ؛ والله أعلم .

(مســألة) : وفي كتاب [احياء علوم الدين] ، فإن قلت : فالرياء حرام ، أو مكروه ، أو مباح ، أو فيه تفصيل ؟ فأقول : فيه تفصيل ، فإن الرياء هو طلب الجاه ، فإما أن يكون بالعبادات ، أو بغير العبادات ، فإن كان

بغير العبادات فهو كطلب الحلال من المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ، قال غيره ؛ ولعله سعيد بن أحمد الكندي : وذلك كمثل سؤال يوسف ـ عليه السلام ـ حين قال للملك : ﴿اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم﴾ ، وكذلك قوله : ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي﴾ ، وقول ابراهيم : ﴿قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني﴾ ، وهذا معنى ليس يطلق عليه اسم الرياء ، ولكنه اخبار صدق وممن أخبر به ؛ والله أعلم (رجع) .

البـــاب العشـــرون

في الصـــــبر

قال النبي ﷺ : «الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله» ، قال غيره : وهو الشيخ أبو نبهان جاعد بن خميس ـ فيما أحسب ـ : الله أعلم لأي شيء صار نصف الايمان ، ورسوله أدرى بمعنى ما قاله ، فإن صح عنه ، فهو الموكل بالبيان ، والذي فيه يتوجه لي ان الدين في أصله مبني من علم وعمل ، لا بد في موضع لزومه من الصبر على فعله ، فهو اذاً على هذا نصف الايمان ؛ لأن القول ، والعمل ، والنية ، من الأعمال ، وانها من جملة ما له من الأركان ، فلا يصح ثبوته بعد لزومها لانسان الا بها قطعا في كل زمان ، ولما كان اليقين في هذا مناطا بالمعارف الالهية التي هي الأصل في العبودية ، لم يصح الا به ؛ لأن الشك في أصل الدين ، أو في شيء منه مبطل له في الحين فانى يقوم على هذا بغير يقين ، كلا فإن ما عداه فرع له وفي هذا ما دل فيه على انه أصله الذي عنه نشأ فهو كله والله أعلم ؛ فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســـألة) : وقال ﷺ : «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر» ، قال غيره : لأنهما نفس الشكر ، فاليقين هو الأصل لفرع الصبر ، والجنة ثمرتها ،

فكيف لا يكون على هذا قليلا في الناس ، والله يقول : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ ، الا وان من عرف ربه ونفسه وما أعده في الآخرة لمن أطاعه فوعده ولمن عصاه فتوعده ، فلا بد وان يصبر على تحمل ما به تعبده لأدائه اليه كما هو عليه في اخلاص رجاء ثوابه ، وخوفا من عقابه حتى يلقاه على ما يحبه ويرضاه ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : وقال ﷺ : «الصبر كنز من كنوز الجنة» ، قال غيره : وفي هذا ما يدل بالمعنى على فوز من بلغ الى هذا المكنوز ؛ لأنه من جملة ما فيها من الكنوز ، فالوصول اليه مقتض في كونه نفس الظفر بها على حال ، والله أعلم فينظر في ذلك .

(مســألة) : عن الحسن ، الصبر صبران : صبر عند المصيبة ، وصبر عمّا نهاك الله عنه ، وهو أفضل ، قال غيره : مواضع فرض الصبر على العبد ثلاثة : ما أصابه في نفس ، أو مال ، وأداء ما عليه ، وترك ما ليس له على حال ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : روي عن رسول الله ﷺ : «المحبة أساس المعرفة والثقة علامة اليقين والرضى بتدبير الله» ، قال غيره : الله أعلم والذي لا مرية فيه ؛ ان من عرف ربه مال اليه فأحبه ، ومن أيقن بوعده وثق به لصدقه في الوعد والوعيد ، ومن استسلم رضي عنه في تدبيره بكل ما يجري عليه من تقديره ؛ لأنه أعلم بما هو الأصلح لعبيده ، ومن رأى في طي بلائه صبر على قضائه ، وبلغ به الى أن لا يختار لنفسه الا ما اختار له فلا يكره شيئا من أمره حلوه

ومره ، فاما أن يحب من لا يعرفه فيثق به ، ويرضى عنه ، فعسى أن لا يصح تصوره في وصفه ؛ لأن هذه لا تكون الا عن علم ، والا فلا يكون لها من غير ما شك ؛ لأنها من ثمراته في قول حزم ، وجميع الأعمال ما ظهر منها أو بطن ، على هذه الحال ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

(مســألة) : وقال أبو الدرداء : ذروة الايمان أربع : الصبر للحكم ، والرضى بالقضاء ، والاخلاص ، والتوكل والاستسلام ، قال غيره : صحيح والذي معي ؛ في هذه انه لا يصح لانسان بما دونها بعد لزومها بقاء ايمان ؛ لأن مركزه ما أنزل الله به ، ولم يصبر لحكمه وأشرك في علمه غيره ، أو ضيع شيئا مما لزمه في جهله ، أو علمه أو اعتمد على ما سواه ، أو انه أبى أن يستسلم لأمره في كل ما أمضاه ، فإيمانه هباء وأعماله عناء ، وفي هذا ما يدل على أن الصبر في الله على بلائه ، والاستسلام لأمره ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه لازمة لمن بلي بها ، ولا بد له من تأديتها اليه ، والا فلا ايمان له ، الا وان الاخلاص روح الأعمال ، وما خلى في كونه عنه لم يقبل على حال منه ، وكان الرد له أولى ما به والعياذ بالله من شره في المآل ، والله الموفق بخير فينظر في ذلك ، انقضى وهذا الرد عن أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ، فيمن أحسن لأني نقلت ذلك من تأليفه وتصنيفه ، فينظر في ذلك ، وفي جميع ما نقلته في هذا الكتاب عن أصحابنا ، وعن قومنا ، ولا يؤخذ منه الا ما صح عدله .

(مســألة) : لعله عن النبي ﷺ : «ان الله ـ تعالى ـ يبغض الوسخ والشعث» ؛ قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : المعنى التنبيه على قلة كتمان الورع ، فلا يظهره باللباس والرياء في الورع حرام ، وأما اللباس فلا يحرم الرياء به ؛ لأنه ما يزين المرء لباسه الا لأجل الناس الا أهل المعرفة ، فربما ينوون به حفظا لجاههم ؛ لأن على المرء حفظ جاهه ندبا ، فلا يتعمد الى فعل ما يزيله عنه مما لا ضرر عليه في تركه ؛ والله أعلم (رجع) .



الباب الحادي والعشرون

في الكـــــــبر

قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله ـ عز وجل ـ : ﴿الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في نار جهنم﴾» ، قال غيره ؛ وهو الشيخ أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي ـ فيما أحسب ـ : صحيح ؛ لأنهما من صفات الربوبية ، والعبد من شأنه التواضع في العبودية ، والاستكانة تحت الأوامر الالهية ، فإن نازعه في واحد منهما استحق الطرد عن بابه ؛ لأنه في سوء آدابه ، أتى ما ليس له ظلما وعدوانا يورثه اثما ، وفي هذا ما دل على تحريمهما ، وهلاك من ركبهما في دين أو رأي ، أو دان بحلمهما ، فإن رجع فتاب الى ربه ، والا فالنار أولى ما به ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

(مســألة) : وقال أبو هريرة : وقال رسول الله ﷺ : «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله» ، قال غيره : وفي هذا ما يدل على ما يلقونه من الذل والخزي والهوان ، بدلا من التجبر والتعزز ، والكبر على الحق ، أو على أحد من الخلق ، لا على ما جاز ،

ولا بد فإن من حق العاصي أن يذل فيهان ، وعلى قدر الترفع في المعاصي يكون النزول يوم الأخذ بالنواصي والأقدام ، وهذا ما لا شك فيه انه من قبيح الآثام ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : وقال ﷺ : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» ، قال غيره : صحيح ؛ لأن أصل الكبر في القلب على حال وثمرته ما ظهرت على الجوارح من أعمال ، ومن تكبر في نفسه لما قل من أنواعه أو كثر فلا بد من أن يؤخذ به ، الا من رجع الى ربه ، والا فالمتلطخ بشيء من الأقذار ، لا يصلح لقرب الملك العزيز الجبار ، الا من بعد التوبة والاستغفار ، والا فالبعد له عن دار ثوابه مع الاصرار على ذنبه أولى ما به ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «من لعق اناءه وخصف حذاءه وشمر رداءه وحمل شراءه رمى الكبر وراءه» ، قال غيره : وهذا من التواضع الموجب على الخصوص في هذه المواضع لزوال الكبر فيها عن فاعلها لا على العموم لأنواع ما يكون به التكبر في الاجماع ، اذ قد يكون بغيرها مع البراءة منه ثم والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : عن ابن عمر ان النبي ﷺ قال : «من لبس الصوف ، وانتعل الخصوف ، وركب حماره ، وحلب شاته ، وأكل مع عياله فقد تواضع لله من الكبر ؛ اني عَبْدٌ وابنُ عبدٍ أجلس جلسة العبد وآكل أكلة العبد» ، ولم

يأكل طعاما الا وهو جاثٍ على ركبتيه ، قال غيره : وهذا من الخاص في اللباس والنعال ، والركوب ، والجلوس ، والأكل عند العيال ، والحسب على ما أراه في الحال ان صح لما قد تعاطاه من الأفعال ، في ثوبه ونعله وركوبه وجلوسه وأكله واقراره على نفسه بأنه عبد في أصله ، تواضعا لله في هذا كله ، لا من العام لجميع ما به يتكبر من شيء فيبرأ بفعله من أنواعه كلها ، فإنه ربما أتاها فتواضع فيها من له كبر في غيرها ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

(مسـألة) : من الأثر ؛ وكيف صفة الكبر الذي ذكره رسول الله ﷺ : «من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر لم يدخل الجنة» ؟

الجواب ؛ وبالله التوفيق ؛ اذا أنف من قبول الحق اذا أمر بمعروف ونهي عن منكر ، فهذا لا يجوز وهو داخل في الكبر ، ولا يخفى عليك أحوال أهل الكبر والله أعلم .

قال غيره : نعم ؛ وقد يتكبر في نفسه على الخلق بغير هذا لا على ما جاز في الحق ، والله أعلم فينظر في ذلك ، وهذا الرد عن أبي نبهان ـ فيما أحسب ـ ؛ لأني نقلت ذلك من تأليفه .

(مسـألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «اجتنبوا الكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله اكتبوا عبدي هذا من الجبارين» .



الباب الثاني والعشرون

في مدح التواضـــع

ومن تأليف الشيخ العالم أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ؛ روي عن رسول الله ﷺ انه قال لأصحابه : «ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة» ؟ قالوا : وما حلاوة العبادة يا رسول الله ؟ قال : «التواضع» ، وقال ﷺ : «أوثق عرى الاسلام الحب في الله ، والبغض في الله ، وأفضل العبادة حسن الظن بالله ، وحلاوة العبادة التواضع» ، قال غيره : وفي هذا من قوله : «حلاوة العبادة التواضع» ، ما يدل على انه ما خفي من العبادة عنه ، فلا حلاوة له في كل المواضع ، اذ لا يليق بالعبودية الا أن تذل لمن له حكم الربوبية ، فتدع التعاظم على أحد من خلقه الا من يكون التكبر عليه من حقه ، الا وان الحب في الله والبغض فيه ، من أوثق العرى في دين الله ، لمن تمسك بهما من الورى لما بهما من ولاية أوليائه ، وعداوة أعدائه ، بما فيهما من حق في موضع لزومهما ، أو ما يكون من جوازهما ، ولا شك في أنهما من أركان دين الله ، ومن الواجب على العبد لربه أن يحسن الظن به ، ومن الكبائر ما على العكس من هذا ، فهو من الحرام في دين الاسلام ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مسـألة) : قال رسول الله ﷺ : «ما وضع عبد نفسه الا رفعه الله وما رفع عبد نفسه الا وضعه الله» ، قال غيره : نعم ؛ لأن عز الربوبية يقتضي في حكمه ذل العبودية لكل ما له على الخصوص من كل وجه في القضية ، وعلى العبد أن يعرف قدره ، فلا يجاوز موضعه الى ما وراءه تأدبا ، فإن امتثل أمر مولاه ، كان من حقه أن يرفعه ، وان أبى الا أن ينازعه من صفاته ما ليس له فيكون معه أو ان يخالفه في شيء ، فهو أهل لأن يضعه ؛ لأنه عبد سوء قد أنزل نفسه لا في منزلته جزما عدوانا وظلما ، ومن حق العاصي أن يوضع فيها جزاء لما قد ترفع ، فيقال له على سبيل التهكم : ذق انك أنت العزيز الكريم في دعواك ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مسـألة) : قال النبي ﷺ : «التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله» ، قال غيره : وفي هذا من قوله ما دل على أن للتواضع في مقام الدين منزلة شريفة في درجة عالية ، فمن بلغ اليها بمن الله فبقي فيها مقيما حتى الوفاة ، نال من ربه مرتبة رفيعة وشرفا عظيما ، وعلى من رامه أن يضع نفسه للحق ، فلا يتعاظم على أحد من الخلق الا من تكبر فإن من حقه أن يحقر ، والا فلا بد له في سلوكه الى مولاه من أن يغيب عن رؤيتها بعين التعظيم لها ، وعلى قدر الوضع يكون الرفع حتى اذا نزل الى الفرش ، وصل الى العرش ، وان يكن الأمر بالعكس فعلى مقدار الترفع في النفس يكون نزولها حتى تنتهي الى أسفل سافلين بدلا من عليين ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مســألة) : وقال ـ عليه السلام ـ : «التواضع للمتواضعين تواضع والتكبر على المتكبرين تواضع لله» ، قال غيره : نعم ؛ لأن من حق المتواضع أن يعزّ ومن حق المتكبر على من قدر أن يذل فيحقر ، فالأمر ان هذا من التواضع لله ، لأنهما من طاعته ، وفي هذا ما دل على أن العمل بهما نوع من عبادته ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مســألة) : قال رسول الله ﷺ : «تواضعوا ولا يزدري بعضكم بعضا» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «يا أيها الناس اني لست أخاف عليكم أن تحتقروا أعمالكم ولكن أخاف عليكم أن تزكوا أنفسكم» ، قال غيره : وتالله ما خافه عليهم الا لما به من مخافة على من فعله فهو موضع خوف على حال ، لأن من زكى نفسه الأمارة له بالسوء ، لا بد وأن يكون قد رضي عنها لما يظنه لها من منزلة علية ، عمىً عن رؤية ما لها من صفات رديّة ، وأخلاق رذيلة دنية ، واخلاط وبية ، يحتاج معها ما كانت في البقاء الى العلاج ، فأين موضع التزكية على هذا يكون من نظر الى أخيه المسلم بعين الازدراء فقد حقره فضيع ما له عليه من حق في تعظيمه له كما أمر به الله في غير موضع ، فذكره ومن خالف الى ما ليس له ، هلك فأي مخافة أعظم من شيء يقود من ربه الى النار والعياذ بالله من ذلك ؟

رجــع

(مســألة) : أنس عن النبي ﷺ : «ان الله أوحى اليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» ، وفي رواية أخرى عن ابن عمر عنه ـ عليه السلام ـ انه قال : «اني عبد وابن عبد والله قد أوحى اليّ أن

تواضعوا ولا يبغي أحد على أحد» ، قال غيره : فالاقرار من العبد لمولاه بالعبودية ، والتواضع لازمان ، والفخر والبغي على الغير محرمان ، ولا بد له من أداء ما عليه ، ولا بد من ترك ما ليس له بحق في الله أو ما دونه من خلق ، وقد دله على الأمرين ، فإن امتثل صلح لقربه ، والا فالطرد أولى ما به لبعده من ربه ، هذا ما لا يجوز غيره من قول يخالفه ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «الكرم التقوى ، والشرف التواضع ، والغنى اليقين» ، قال غيره : قد مضى القول في هذه ولما به قد عرفها من أداة التعريف المخرج لها عن النكرة الى ما هي به من المعرفة ، فعسى أن يجوز في كل منها أن يكون جنسا لما به من أنواع فدل بلحنه على انه لا وجود لما به في الخارج عنه ، فلا كرم الا لمن اتقى ولا شرف الا لمن تواضع ، ولا غنى الا لمن أيقن بلا نزاع يمكن أن يصح لمن رامه يوما بعدل في قول فصل ؛ لأن من لم يكن على ثقة من ربه بأنه يفوته ما عنده لم يزل الى ما يحاوله من دنياه فقيرا ، ومن يكبر في نفسه وضعه الله في أخراه فعاد فقيرا ، أو من أبى تقواه طرده عن بابه ، فأي كرم يكون له في موضع عقابه ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : قال النبي ﷺ : «ان من التواضع أن يرضى أحدكم بالمجلس دون شرف المجالس وأن يسلم على من لقي وأن يترك المراء ولو كان محقا» ، وقال ﷺ : «من ترك لبس جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله كساه الله حلة الكرامة» ، قال غيره : وروي انه خرج ـ عليه السلام ـ في غزوة تبوك وعليه جبة صوف ، وازار صوف ، وجوارب صوف ، وهذا ونحوه لا من

اللازم في تقواه ، ولكل امرىء في الواسع ، وعليه ما نواه ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

(مســـألة) : وقيل : ان العفو لا يزيد العبد الا عزا ، والتواضع الا رفعة ، والصدقة لا تزيد المـال الا كثرة ، فاعفوا يعزكم الله ، وتواضعوا يرفعكم ، وتصدقوا يرحمكم الله ويثري أموالكم ، قال غيره : صحيح وفي الحديث عن النبي ﷺ انه قال : «طوبى لمن تواضع في غير منقصة وأذل نفسه من غير مسألة وأنفق مالا جمعه من غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وجالس أهل الفقر والحكمة ، طوبى لمن أذل نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «أرأيتم سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ وما أعطي من الملك فإنه لم يرفع رأسه تخشعا حتى قبضه الله اليه وكان اذا رأى مسكينا جلس معه وقال : مسكين جالس مسكينا» ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

(مســـألة) : عن الشيخ العالم ناصر بن أبي نبهان الخروصي ، وسئل ما معنى ما يروى عن النبي ﷺ انه قال : «من تواضع لغني صالح ذهب ثلثا دينه» ، قال بعض أهل العلم على اثر الرواية : هذا في غني صالح ، فكيف الغني الظالم ؟ فما معنى هذا التواضع وفي أي حالة ؟ أوضح لنا ذلك مأجورا .

الجـواب ؛ ليست كل رواية رويت عن النبي ﷺ صحيحة ولا ثابتة ، الا اذا وافقت الشريعة الصحيحة ، والفقير لا بد له أن يتواضع للغني الصالح ، أو الغني الطالح رجاء نفعه ليخدمه ، ولغير ذلك من حوائج الدنيا والدين ، وللمجوسي لأجل حوائجه على يده ومن لم يتواضع للناس صار مهزأة مع الناس ، وضاع جاهه ، وتشوشت عليه عبادته لربه ان كان أراد

بالتواضع حسن الخلق ، فهذا مما يؤجر به المرء مع جميع ما قدر أن يحسن خلقه له من مسلم وكافر ، الا في حال يجب عليه اظهار الشدة كمواضع الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مع ان ذلك من التواضع لله ولهم ؛ لأن انقاذهم من هلكتهم من أعظم الاحسان لهم ، فهذا هو الأصح في الشريعة التي تناهت الينا عن الله على لسان رسوله ﷺ وما نقل العلماء لنا ، وان كان المراد التواضع من المرء لغيره من الناس على أن يعمل شيئا لا يرضاه الله ورسوله والمسلمون من معاصي الله ، رضي لذلك المتواضع ، فالغني والفقير والمسلم والكافر في ذلك سواء ، فلا معنى في تخصيص الغني عن غيره بالرواية ، فارجع في كل مؤثر عن النبي ﷺ أو عن الله - تعالى - بالروايات ، أو عن المسلمين الى صحيح الشريعة ، فإن وافق العدل منها فهو الحق ، وان لم يوافق فاردده الى من قاله ، ولا تعمل به ، والله أعلم .

(مسألة) : عن الشيخ صالح بن سعيد - رحمه الله - وما معنى الخشوعين المذكورين وهما خشوع الجسد والقلب ؟ ما معنى خشوع الجسد ؟ أهو الذي يقول ما لا يفعل أم غير ذلك ؟

الجواب ؛ أما معنى خشوع القلب اذا كانت فيه الخشية لله والخوف منه ، وأما خشوع الجسد فهو الهيئة الحسنة في الجسد من الأدب والتواضع في الصلاة وغيرها ، فإذا وافق خشوع الجسد خشوع القلب فتلك السيرة الحسنة ، واذا خشع الجسد والقلب غير خاشع فتلك سيرة النفاق أعوذ بالله منها ، وصفة المرائين يظهرون التواضع للناس ويحسنون الصلاة في ظاهر الأمر ، وليس في قلوبهم خشية لله أعاذنا الله وجميع المسلمين من هذه الصفة ؛ والله أعلم .

(**مسألة**) : ومن غيره وبعض فرّق بين الخشوع والتواضع ، فقال : أرجو أن يكون الخشوع في القلب ، والتواضع والخضوع في الأعضاء والجوارح ؛ والله أعلم .

فصل : عن أبي امامة عن رسول الله ﷺ : «ان أغبط الناس عندي المؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة والصيام ، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالأصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ، عجلت منيته وقلت بواكيه وقل تراؤه» .

رجع : ومن بعض الأشعار فيه :

أخص الناس بالايمان عبد	خفيف الحاذ مسكنه القفار
له بالليل حظ من صلاة	ومن صوم اذا طلع النهار
وفيه عفة وبه خمول	اليه بالأصابع لا يشار
وقل الباكيات عليه لما	قضى نحبا وليس له يسار

(**مسألة**) : روي عن النبي ﷺ انه قال : «اذا حاك في نفسك شيء فدع» ، قال غيره : هذا صحيح ؛ وعنه ـ عليه السلام ـ : «دع ما يريبك الى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة» ، وفي رواية أخرى : «فإنك لن تجد فقد شيء تركته لله» ، وعنه ـ عليه السلام ـ : «اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته» .

(**مسألة**) : ومن تأليف الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس ، قيل لرسول الله ﷺ : ما الورع ؟ قال : «تقف عن الشبهات وتأخذ بالبينات» ، قال غيره : والمراد بالورع من العبد هو التقوى من الله بأداء ما لزمه ، وترك ما حرمه ، والوقوف عن كل شبهة لما بها من اشكال ، والا فلا ورع له

ولا تقوى ولا دين على حال ، وربما يكون عما ألهي فإن كان من الفرض والا نواه نقلا ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : وفي الحديث عن النبي ﷺ : «دع ما يريبك الى ما لا يريبك» ، وقال ﷺ : «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس» .

قال غيره : وفي هذا ما دل على أن ما رابه من شيء فلم يدر الوجه فيه ، فليس له أن يقدم عليه ، واما تركه بما لا بأس به حذرا لما به بأس فعسى في العدل أن يخرج من باب النفل لمن شاء ما به من الفضل ، فإن الفرض لا يكون الا في فعل ما عليه ، وترك ما ليس له ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : عن معاذ ، عن رسول الله ﷺ انه قال : «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» ، وقال ﷺ : «لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق» .

قال غيره : وفي هذا من البرهان ما دل في التقوى من الله انها لازمة على كل حال بكل مكان ، واتباع المعصية المعبر عنها بالسيئة بالحسنة التي هي التوبة على هذه الحال من لزومها في الاجماع من غير ما تأخير لها ، لمعنى ما بها أريد من محوها ، كيلا تبقى في ميزان كفره المقتضي في اصره لعذابه ، الا وان عليه أن يخالق الناس بخلق حسن لا بغيره من سوء أخلاق ، اذ ليس لمن به في الآخرة من خلاق ان اتبعه بما لا يجوز له من عمل يكون معه ، فخالقهم بعكس ما قد أمر به ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع : قال غيره : ان الأخلاق الكريمة واللئيمة عطايا من الله يضعها حيث يشاء من خلقه ، وذلك بحسن اختيار هذا وبسوء اختيار هذا .

رجـــع

(مســألة) : قال النبي ﷺ : «الكرم التقوى والشرف التواضع والغنى اليقين» ، وقال ﷺ : «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن سره أن يكون أقواهم فليتوكل على الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن لما في يد الله أوثق منه بما في يديه» .

قال غيره : وشاهده من قول الله : ﴿ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ، وقوله : ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ ؛ فالتوكل على رب العالمين لا يكون الا عن قوة في اليقين ، ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ ، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره﴾ ، فكيف لا يكون أقوى الناس من كان الله في عونه لما به من قوة في يقينه تحمله على التوكل عليه ثقة به في جميع أموره لعلمه الذي لا شك فيه ان الخلق والأمر كله بيده ؟ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وان ما قدره له أو عليه لا بد من كونه حتى القطع اليه ، ومن كان مع الله كان الله معه ، ﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ ، ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ ، ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾ .

(مســألة) : وقال ابن مسعود : المتقون سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة ، قال غيره : نعم ؛ هو كما قال ؛ لأن الحكمة التقوى هي الجامعة لما في الطريقة من خير ، فأهلها في الحقيقة سادة ، والفقهاء لا شك

انهم هم الأدلاء عليها ، والدعاة اليها ، فهم لمن رامها قادة ، ومجالسته لهم لا بد وأن يكون له في أمر دينه زيادة لما يستفيده بهم من علم يدله على ما يعلمه من هدى ، أو يتركه من ردى ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســـألة) : وسئل بعض الحكماء ؛ كيف أنت ؟ فقال : أنا مع المولى على الموافقة ، ومع النفس على المخالفة ، ومع الخلق على النصيحة ، ومع الدنيا على الضرورة ، قال غيره : وفي هذا ما يأتي على جميع ما لزمه أو جاز له في نفس أو مال فيعمهما على حال ؛ لأن من وافق مولاه وفارق هواه ، ونصح من قدر عليه من الخلق فهو الذي عليه ، وله في الحق في موضع لزومه أو جوازه في يومه ، وقد فعله لربه مع ما هو من زهده في الدنيا ، وعزوفه عنها الا ما لا بدّ منه ضرورة اليه ، وليس ذلك في الحقيقة منها ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســـألة) : وقال بعض الحكماء : جميع العبادات من العبودية أربعة : الوفاء بالعهود ، والمحافظة على الحدود ، والصبر على المفقود ، والرضى بالموجود ، قال غيره : صحيح ؛ لأن من وفى لله بعهده فأدى ما لزمه ولم يدع شيئا منه بعمده ، وحافظ على ما في حده فلم يجاوزه غلوا ، ولم يقصر دونه تهاونا ولا علوا ، وصبر على فقده ، ورضي بما وجده لا لشيء في نفسه الا ما أراده به من صدقه في ربه فقد أتى على ما عهد به اليه فوفى لربه كما عليه ، فهو كما قاله في لفظ صحيح ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مســألة) : وقال ﷺ في خطبة الوداع : «أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، وكلكم لآدم وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس للعربي فضل على العجمي ، والأبيض على الأسود ، الا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؛ قالوا : نعم ؛ قال : فليبلغ الشاهد الغائب» .

(مســألة) : قيل لرسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ قال : «اجتناب المحارم وأن لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» ، وقال ﷺ : «من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان وغنىً بلا مال فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته» .

قال غيره : وفي هذا ما يدل على أن العاصي في وثاق الذل ، وان عاش بين الناس عزيزا في دنياه ، فإنه لا بد في عزه من أن ينحل عنه فيرجع به الى المهانة بدلا منه في أخراه ، فإن العزيز من أطاع الله لا غيره ، فدع عنك ما يفنى فإنه الى الذل مصيره ، وعليك بما يبقى ، فإن الآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مســألة) : وقال ﷺ : «المجاهد من جاهد نفسه في الله» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «من خاف الله ادلج ومن ادلج بلغ المنزل ، ألا وان سلعة الله غالية ألا وان سلعة الله غالية» ؛ قال غيره : الله أعلم ولعله ان يكون المراد به قطع هذه المسافة المظلمة الى الله خوفا من الانقطاع عنه في شيء من مهالكها المدلهمة ، فإن من خافه أقبل عليه وأسلم وجهه اليه بأداء ما أمره به فألزمه ،

وترك ما نهاه عنه فحرمه مع الزيادة لما يقربه من أنواع العبادة ، كما ان من خاف في زمانه أن يفاجئه الصبح بمكانه ، فيتناشه في بعده ما لا يقوى على رده ، لا بد وأن يبعثه الى اللجاج فيحمله حينئذ على الادلاج ، وهذا وذاك في المعنى على سواء ، وان كان الدلج في أصله سير الليل من الورى ، فإن الدنيا على وجه المثل ؛ ليلة في عين من يرى صبحها القيامة ، وعند الصباح يحمد القوم السرى ، فاسر بها الى الملك الأعلى ما دمت في الحياة لعسى أن تبلغ الدرجات العلى ، واياك والبطالة وغرور الآمال ، فإن ما عنده لا يدرك بالمنى ، ولا ينال بالهوينا على حال ، أو ليس هذا بالحق ، بلى ؛ فإن سلعة الله غالية ؛ لأنها في جنة عالية ، فأنى يصح لمريد أن يبلغ اليها لا في اجتهاد ، ولا من طريق رشاد ، وليس لها ثمن الا التقى في السر والعلانية حتى اللقاء ما هذا الا نفس المحال ، فاجتهد في التقرب الى الله بما يكون من صالح الأعمال ، ودع ما يكون من أنواع الفساد على حال ، ولا تهمل ما بك من نفس فإن كون السلامة مع التعبد لا ترجى أبدا الا لعبد جاهد نفسه في دنياه صادقا ، فراقبها في كل نفس لمن أتاه ، من تقواها ما به يقدر على مخالفة هواها ، والله أعلم فينظر في ذلك .

الباب الثالث والعشرون

في العجـــــب

عن الشيخ الصبحي ؛ والذي يعجبه من نفسه انه مؤدٍ ما عليه من الحقوق لله ـ تعالى ـ وما يجب عليه للمخلوقين ، وانه يقضي للناس حوائجهم وانه فرح سمح هين لين متواضع لأقل منه ، أيلحقه من اعجاب نفسه شيء فيما بينه وبين الله وعنده انه مؤمن ؟

الجـواب ؛ وبالله التوفيق ؛ اذا فرح بتوفيق الله لطاعته ، فلا يلحقه شيء ولا اثم فيما عندنا ؛ والله أعلم .

(مســألة) : عن الشيخ خميس بن سعيد الرستاقي ، وفيمن أخذ برأيه في شيء فأعجبه رأيه ، أو أعجبه الأخذ برأيه أو أعجبه صوته ، عند قراءته ، أيسعه ذلك ، وهل تجزيه التوبة ؟

الجـواب ؛ ان الاعجاب يحبط الأعمال كالرياء ، وأما اذا كان منه ذلك على سبيل الفرح بإصابة الحق برأيه ، وحسن التلاوة بصوته ، على سبيل النعمة التي أنعم الله ـ تعالى ـ بها عليه ، وخصه بذلك دون غيره ، فأرجو أن لا يضيق عليه ذلك ومثل هذا تسع فيه التوبة والندم ، والاستغفار والاعتقاد أن لا يعود الى مثل ذلك ؛ والله أعلم .

قال غيره : وهو أبو نبهان ـ فيما أحسب ـ صحيح ؛ الا انه في موضع ما جاز له لخروجه عن الاعجاب في حكمه لا توبة فيه ، فلا ندم ولا استغفار عليه لجوازه له ، وأما في موضع اعجابه الموجب على حال في كونه لعقابه ، بدلا من ثوابه ، فلا بد له في ظلمه ، من أن يدفع عنه بالتوبة نازلة اثمه ، والا هلك في اصراره ، والعياذ بالله من ناره ، فهذا ما عندي ، والله أعلم فينظر في ذلك .

(**مسـألة**) : من الأثر ؛ وفيمن يقول بشيء فيصيب في مقاله ، ويفرح اذا أصاب أيأثم في ذلك أم لا على انه لو أخطأ لم يفرح ويكون هذا من الاعجاب أم لا ؟

الجـواب ؛ وبالله التوفيق ؛ انه لا اثم عليه على صفتك هذه ، والله أعلم ، قال غيره : نعم ؛ لأن فرحه بما قد وفق له من الاصابة في القول ، لا من الباطل ، فيمنع من جوازه له ويؤثمه ان خالف الى فعل ما نهى عنه لحرامه ، كلّا ؛ فالفرح بما أصابه من الحق في أحكامه فهو من جملة خيره ان نواه لربه لا لغيره ، والله أعلم فينظر في ذلك .

رجـع

(**مسـألة**) : وقال النبي ﷺ : «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك ؛ العجب» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه» ، وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : «كم سراج أطفأه وكم عابد أفسده العجب» .

قال غيره : وفي اظهاره لما به خافه عليهم اعذار منه ﷺ ، وانذار لمن يخاطبه ، أو بلغ فيه فعرفه ، وشفقة عليه من أن يقع فيه فإنه من القواطع على

المسالك المردية له في المهالك ، كما في الحديث الثاني من قوله في الشح المطاع الى ما دعا اليه من المنع ، لمن به من الأداء لما عليه والهوى المتبع ترك ما لزم ، أو فعل ما قد حرم على الدينونة ، أو الانتهاك والاعجاب في النفس بما فيه ، أو بما يكون أو بماله غفلة عن المنعم به عليه مع الركون اليه انها من المهلكات على حال ، فاحذر مواضع الهلاك ، والله الموفق فينظر في ذلك .

رجـــع

(مســألة) : وقال ﷺ : «من قال اني خير الناس فهو من أشر الناس ، ومن قال اني في الجنة فهو في النار» ، قال غيره : صحيح ؛ لأن قوله : بأنه من أخير الناس من العجب بأمره ، فهو من أشرهم على هذا لركوبه ما ليس له لحجره ، ومن قال : انه من أهل الجنة لا عن دليل لبرهان من ربه ، أو من رسول فقد تعاطى من الغيب على الجهل ما لا يحل له أن يقطع به في قول ، أو يجوز له أن يحكم لنفسه أو لغيره بما لا يعرفه جزما في حينه ، كلّا ؛ ان هذا الا من الحرام عليه في دينه ، فإن رجع فتاب الى الله ، والا فهو في النار ؛ والله أعلم .

قال غيره : نعم ؛ صحيح ؛ لأن المعجب على ما به من الباطل لا خير فيه فهو من الأشرار ، وان ظن في نفسه جهلا بأنه من الأخيار ، وان قال : انه في الجنة أو النار ، فقد أتى ما ليس له ؛ لأنه من حكم الحقيقة ، ومن يجوز على حال في أحد من الخليقة الا صح فيه ما له من هذا ، وعليه من قول الله ، أو من لسان أحد من رسله ، والا فالهلاك من ورائه ، ولا شك في ذلك ؛ لأن الأمن من مكره ، واليأس من روحه محرمان عن قوله ؛ والله أعلم ، فينظر في ذلك .

(مســألة) : وقيل : كفى بالمرء عمىً ان لا يخشى الله ، وكفى بالمرء

جهلا أن يعجب بعمله ؛ قال غيره : والحق ما قاله في هذا لا غيره ؛ لأن من عرف ربه بالقدرة ونفسه بالعجز عن الامتناع من عقابه اذ لا ملجأ منه الا اليه ، خافه لا محالة فاتقاه بترك ما ليس له ، وأداء ما عليه ، لما أراد بهما من رضاه عنه ، ولم يعجب بصالح عمله حين رآه ؛ لأنه لعلمه الذي لا يشك فيه انه لا حول له على شيء الا به ، ومن لم يكن على مخافة من الله في حاله وأعجب بشيء من أعماله ، فهو الدليل على ما به من عمى ، الا وان قول الله - تعالى - : ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ، ما يدل على هذا وكفى ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

(مسألة) : وقال رسول الله ﷺ : «من لم تكن فيه أربع خصال فهو هالك ؛ أولها : لسان طاهر من الكذب والغيبة ، والثاني بطن طاهر من الحرام والشبهة ، والثالث قلب طاهر من الغش والخيانة ، والرابع نية طاهرة من الرياء والسمعة» ، قال غيره : صحيح ؛ لأن الكذب لا لاصلاح بين اثنين ، ولا دفع مضرة في حين ، والغيبة لمن لا تجوز عليه من الباطل ، والحرام كله محجورا ، والشبهة متروكة ، والغش والخيانة لا تصح معهما الديانة ، والرياء وحب السمعة آفتان لمن به موجبتان لبعده من ربه فهي على هذا من المهالك ، ومن كان على ما لا يجوز له في دين خالقه ، فهو هالك وما أشبهها من شيء في المعنى ، فهو كذلك ؛ والله أعلم فينظر في ذلك .

رجــع

(مسألة) : من آثار المسلمين قلت : فعرفني العجب الذي يفسد العمل ، كيف يجد في قلبه وما يقول بلسانه مثل من يصلي في ليل أو في نهار ، أو يصوم أو يحج أو ينوي بذلك طاعة لله ، فإذا عمل معصية دخل في قلبه الهم عليها والندم عليها ، أو يرى من يعمل المعاصي ؟

الجـواب ؛ انا قد قطعنا مسألة العجب ، والعجب كما وصفت ، ولكن العجب اذا أعجب من طريق التعظيم ، والتكبر في النفس يرى انه قد بلغ بعلمه منزلة لا يرى لأحد مثلها ، والله أعلم وسل عن ذلك ، وأما الفرح والسرور ؛ فليس هو مما يحبط العمل .

قلت له : وكذلك الرياء الذي يحبط العمل كيف هو ؟ قال : هو الذي يرائي بعمله الناس كي ينظروه يعمل جيدا ولا يريد بذلك وجه الله ، ويشرك به غيره في رياء بعمله ويرائي في منطقه وكلامه ليقول الناس انه بليغ يريد بذلك رياء لهم .

قلت له : فإن دخل في قلبه من هذه الأشياء من غير محبته ؟ قال : اذا لم تتابع الخاطر ، ودافعته عنك ، فلا شيء عليك ، وتنفي ذلك عن نفسك ، ولا تساعده ، فلا مضرة لك في الخاطر ، الا مع الاعتقاد والمتابعة ، وأما خواطر القلب في الرياء والعجب ، فلا يسلم منه أحد الا من عصمه الله ، ولكن ينبغي أن لا يتابعه العبد ، قال غيره : أما العجب في العمل الصالح من العبادة لله ، فهو أن يستعظمه من نفسه ، فيرى أن له قيمة عند ربه غافلا عن رؤية من أنعم عليه به ، وأما الرياء فهو أن يشرك فيه الغير لمنزلة يرومها ، أن يكون له في قلبه ، وكل منهما في فساده محبط له على انفراده ، وليس ما يعرض من الخواطر في هذا شيء ما لم يتابعه فيميل الى ما دعاه اليه ، والقول في الكبر كذلك فيما له أو عليه ، والله أعلم فينظر في ذلك .

(مســألة) : من الأثر ومن الواجب على كل ذي لب وعقل أن يجتنب الغضب والمزاح ، وينوي الطاعة لله في جميع أموره ، أما الغضب فهو داعٍ الى ذهاب العقل ، وبه ينشط الشيطان ، ويقوى على العبد ، فهيهات أن يسلم ، وأما المزاح فإنه داعٍ الى الهوان والتفريط ، وسمي مزاحا لأزاحته عن الحق ، وبه يقع الهوان لصاحبه ويكاد صاحبه أن لا يسلم من الهفوات ؛ والله أعلم .



الباب الرابع والعشـرون

في الفقر والزهد والقناعة واليأس

وقيل : الفقر ثلاثة اقسام : فقر الخلق الى الله ـ تعالى ـ وعدم الاملاك لعرض الدنيا والحرص ، وهو فقر النفس ، وهو الذي استعاذ منه ﷺ ، قال غيره صحيح .

فان الأول ؛ في عموم اذ لا مخرج لاحد منه طرفة عين ، فالعارف لا يزال الى الله اضطراره في كل حسن .

والثاني ؛ في خصوص لمن فقد ما به يستغني من المال ، وعلى من بلي به ان يصبر فيرضى عن الله في كل حال .

والثالث ؛ على من دخل ما به داء مهلك في المال ان يعالجه بما له من دواء ؛ فانه قابل الزوال ، وانه لمن الخاص فاعرفه والعياذ بالله من جميع المهالك ، وبه التوفيق فينظر في ذلك .

رجـع : ومن غيره ؛ عن علي عن النبي ﷺ : «من زهد في الدنيا علمه الله بلا معلم ، وهداه بلا هداية ، وجعله بصيرا وكشف عنه العمى» .

رجــــع

(مســألة) : روي ان النبي ﷺ سأل جبريل عن الزهد ، فقال : الزهد ان تحب ما يحب خالقك ، وتبغض ما يبغض خالقك ، وتتحرج عن حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها ، قال غيره : والله يحب الطاعة واهلها ، ويبغض المعاصي ومن فعلها الا من رجع اليه فتاب من ذنبه ، ولم يصر عليه والتحرج عن حلال الدنيا الا ما لا بد منه لا على وجه التحريم له هو الزهد في الدنيا ، وفي الحديث عن النبي ﷺ انه قال : «عليكم بالزهد فيها فانه كمال الايمان وتصديق القرآن ورضى الرحمن» ، وناهيك به في فضله شرفا لاهله ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجــــع

(مســألة) : انس بن مالك ؛ جاءت امرأة الى رسول الله ﷺ فقالت : علمني يا رسول الله شيئا فقال : دعي الدنيا وما فيها ، واعملي في الدنيا للآخرة ، وازهدي في الدنيا لعلك تنالين شرف الآخرة» ؛ قال غيره : ما انصح المصطفى لامته ﷺ حين هدى ، والزهد في الدنيا ان تقنع من حلالها بما كفى ، فتدع ما الهي رغبة في المنزلة الاعلى الا انه قد ظهر الطمع على اهل الزمان ، فذهب الورع حتى قل في الناس من يقتصر على ما حل ، فكيف بمن يكون على هذا ما اعز وجوده في هذه الايام فاعدم شهوده ؟ والله اعلم فينظر في ذلك .

رجــــع

(مســألة) : ابو هريرة عن النبي ﷺ : «من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله وهو عليه غضبان ، ومن طلب الدنيا حلالا واستعفافا عن المسألة وقياما على عياله وتعطفا على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه

كالقمر ليلة البدر» ، قال غيره : وفي هذا ما دل في طلبها من الحلال على ما سفل وعلا ، فدع ما مر وخذ ما حلا واصبر ، فالعاقبة للتقوى ؛ والله الموفق فينظر في ذلك .

رجــع

(مسـألة) : عن جابر ان النبي ﷺ انه قال : «القناعة مال لا ينفذ» ؛ قال غيره : انها تقتضي في نفس من له الرضى عن الله بما آتاه من رزقه في دنياه مع اليأس مما في ايدي الناس الداعي الى الاكتفاء بالموجود عن طلب المفقود ، وان قل من انواع ما حل اقتصارا منه في سبيل الرشاد على مقدار الزاد ، لا غيره من الزيادة ، على مقدار الحاجة اليه فانه ليس له فيه ارادة ، فصار له في السير ، غنى في حاله عن الكثير ، وفي هذا ما يدل في القناعة ، على انها نعم البضاعة ، لما بها من ربح لأهل الطاعة فهي عز لا يبلى ، وكنزل لا يفنى ، فاقنع من الدنيا بما كفاك ، فانه لا خير فيما زاد عليه فألهاك ، والله الموفق فينظر في ذلك .

رجــع

(مسـألة) : وقال ﷺ : «خيار امتي القانع ، وشرار امتي الطامع» ، قال غيره : لأن الطمع لا حد له حتى يأتي على ما في الدنيا اجمع وربما افرط على من به فدله على اقتحام ما لا يحل له من شبهة ، او ما يكون من انواع الحرام ، وحمله على التصنع والمداهنة ، والمكر والخداع والكذب في الكلام فاورثه الحسد والرياء ، واللدادة في الخصام ، ونحو هذا من الحيل الفاسدة ، يرجو بها ان يتوصل الى نيل ما رامه ، فهو ابدا في رق ما فيه يطمع ايامه ، وربما آل به الأمر الى الشحناء والعداوة والقطيعة ، والبغضاء ، وادى الى ما يتبعها في العباد من انواع الفساد ، ولو انه قنع بما اوتيه من كفاف فترك الطمع فيما زاد

عليه ، والى ان يجمع ما يحتاج اليه لسلم من شره فاستراح على حال من ضره والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : «ليس الغني عن كثرة العرض انما الغني غني النفس» ، قال غيره : صحيح ؛ ان من كان في قلبه كون غناه قنع في رزقه لما يؤتاه ، ولم تكن له حاجة الى ما سواه ، فهي غنى في نفسه على هذا الحال ، وان كان فقيرا من المال ، ومن اوتي الدنيا بحذافيرها ، الاشياء واحدا من خيرها ، قد خرج عن يديه فسعى في تحصيله او كان له ارادة في نيله ، فهو فقير اليه باق في وثاق ما قد طمع فيه ، فأين موضع الحرية يكون لمن لم يكن لله عبدا بالكلية ، اني لا اراه مادام فيه لغيره بقية ، والله اعلم فينظر في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : ومن جواب الشيخ صالح بن سعيد الزاملي وفي اليأس المذكور مما في ايدي الناس ما معناه وما حده ؟ وكذلك الطمع مما في ايدي الناس ؛ أرأيت فيمن يطمع من عند قريب له او نسيب او صديق بمثل ما يفعله له في العادة المتقدمة بينهما من المنافع في الاكل والضيافة ، وغير ذلك ، وليس بطمع اتكال ، ولكنه يرجو منه مثل ما يفعله له المتقدم أيضيق عليه مثل ذلك ام لا ؟

الجـواب ؛ ان هذه المسألة مجملها ان لا يغضب على احد ما لا يجب عليه من الحق ، ولو طمع وبالله التوفيق ، قال غيره : الله اعلم والذي معي في الناس مما في ايدي اليأس انه قطع الرجاء له هو المحجور ، وما كان رضى قناعة بما له عند الله من مضمون ، لا بد من وصوله اليه ، والطمع على

العكس من هذا ، وله حكم ما وقع عليه مباح او مكروه او مكروه او محجوره ، الا وانه ربما دعا إلى عدة امور وما لم يبلغ به الى حرام او شبهة في دين الاسلام ، فعسى ان لا يمنع من جوازه وما دله في طريقه اليه على فساد حرم عليه اتباعه ، وان كان الشيء على حال في نفسه نوع حلال ، وما خرج على معنى الزهادة ؛ فهو الى من اراده لما به من فضل في العبادة ، والله اعلم فينظر في ذلك .

فصـل : في الفقر وشرف اهله قال الله ـ تعالى ـ : **﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض﴾** (الآية) ؛ قال بعضهم صفة الذين حبسوا عند الله من غير تعرض ، ولا اظهار جزع ، الا الى الله ـ عز وجل ـ وقيل : **﴿للذين احصروا في سبيل الله﴾** ، الذين وقفوا مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلم يرجعوا منه الى غيره ، و**﴿لا يستطيعون ضربا في الارض﴾** ، لا يتحركون لطلب الارزاق ؛ وقيل في هذه الآية : يمنعهم علو هممهم عن رفع حوائجهم الا الى مولاهم **﴿يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف﴾** ، قيل : يحسبهم الجاهل اغنياء في الظاهر ، وهم اشد الناس افتقارا الى الله ـ تعالى ـ في الظاهر واستغنى عن غيره في الباطن **﴿تعرفهم بسيماهم﴾** ، قيل : بطيب قلوبهم ، وحسن حالهم ، وبشاشة وجوههم ، ونور اسرارهم ، وجولان ارواحهم ، في ملكوت ربهم ، وقيل : كلت السنتهم عن سؤال من يملك الملك ، فكيف من لا يملكه ؟

وقيل : الفقر رداء الشرف ، ولباس المرسلين ، وجلباب الصالحين ، وتاج المتقين ، وزين المؤمنين ، وامنية المريدين ، وغنيمة العارفين ، وحصن المطيعين ، وسجن المذنبين ، ومكفر السيئات ، ومعظم درجات الحسنات ، ومرفع الدرجات ، ومبلغ الى الغايات ، ورضى للجبار ، وكرامة لاهل ولايته من الابرار .

وقيل : علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر ، وقيل : الافتقار الى الله ـ تعالى ـ غنى وعز ، والافتقار الى سواه فقر وذل ، وقيل الفقر سر من الله ـ تعالى ـ الى العبد ، فاذا كتمه كان امينا ، واذا اظهره سقط عند اسم الفقر ، وقيل : الفقر عز والمسألة ذل ، وقيل : الفقير الصادق لا يسأل ولا يرد ، وقيل : لا يوزن يوم القيامة فقرك ولا غناك ، وانما يوزن صبرك على الفقر وشكرك على الغنى ، فتعالوا حتى نصبر ؛ ونشكر والله المستعان .

الباب الخامس والعشرون

في شيء من التصوف وصفات النفس من معاني علم الحقيقة

عن الشيخ العالم ناصر بن ابي نبهان ، انتخبناه من كتاب عنه كبير ، واهل التصوف بتجريد النفس المجردة المقدسة بنور العلم ، والايمان بدرجات وسائل انوار التجريد ، فانهم تمسكوا بشدة قوة المراقبة لله ـ تعالى ـ الى احوال نفوسهم ، وصفاتها الذميمة لاماتتها وجلائها منها اصلا لم يكتفوا بالخلاف لها مع بقائها فيهم فمتى تحركت النفس بانبعاث صفة ذميمة منها ظهر اثر وسخها في زجاجة مرائي عيونهم ، وتكدر بتكدر زجاجته ضوء السراج الذي هو نور ايمانهم ، وهو الامر الالهي الذي انزله على هذا العقل الكريم الذي هو بيت الله ومسجده ، وهو نور محبته او اثر وسخ في اعينهم الناظرة في ارضه ، او جدرانه ، او غمائه او مشكاته ، او اثر وسخ في اعينهم الناظرة لنور الايمان الذي هو السراج ، بادروا بقوة الاجتهاد لجلائه في الحال حتى يذهب بالكلية فهم لا يقبلونه في ذلك اصلا ، وان لم يروا انفسهم انه وقع منهم به عمل مكروه فضلا ان يكون محرما ، او ترك مندوب فضلا عن ترك لازم عمله ، فانهم عرفوه حق اليقين ، ان العقل مسجد الرب ، وبيته الذي ينزل فيه امره ، ويهبط فيه وحيه الالهامي ، ويتجلى فيه نوره ، وارسل فيه رسوله وامينه الداعي اليه ، فان وقع من الشيطان شيء فيه من القذى ، او وقع ذلك من النفس ما لا يليق مثل البصاق والمخاط ، والاوساخ ، ومما يكدر شيئا مما ذكرناه

بادروا بعلاجه الى اخراجه في الحال لله الكبير المتعال ، حبا لله ولنور محبته ، ولداعيه اليه سبحانه ذو العظمة والكمال .

وكل داء او وسخ ظهر لهم في شيء مما ذكرناه فلا يجلوه الا بدواء مناسب له ، وبمصقلة مناسبة لذلك ، ولا يعمل الدواء ، ولا تعمل المصقلة الا من قوة المراقبة بالنظر الى الله ، والى ما يحبه ويريده ويشاؤه ومن قوة النظر الى قبح ذلك الداء ، وقبح ذلك الوسخ ، ومن النظر الى جمال انوار الايمان الذي هو محبة الله ـ تعالى ـ لعبده المؤمن وهو قبلة الثلاثة الاوامر الذين هم ينظرون بعيون العقل بمسجد الرب ، العشق والشغف والاصطلام في احد من خلق الله ، لغير الله ، فلا ترضاه امراء عيون عقولهم ان يكون ذلك في ذواتهم ، ولا في مرائي عيونهم ، ولا في زجاجة سراج نور الايمان ولا في مسجدهم ؛ لأن المعشوق والمشغوف به يكون حائلا بينهم في عبادتهم لربهم ، وبين قبلتهم لله التي هي كعبة نور الايمان وسراج المحبة باقبح صورة ، وهو اقبح شيء في النظر معهم فيزيلونه في الحال ، متى ظهر لهم ذلك منهم ، ويكتفون بمحبة الله معبودهم ، وبمحبة ما يحبه من العلم الذي جعله علما كريما عنده من علم دينه ، او علم ما جعله وسيلة الى التطلع به على العلوم النافعة ، او علم ما جعله آية عظيمة من آياته الدالة على قدرته ، آية عظيمة من كراماته لهم ، الا انهم لا يريدون بالاطلاع عليه لطلب حظ عاجل ، ولا لغير ما احب الله ولا عطاء النفس هواها ، وانما يريدون به النظر الى قدرته ، وعظم كرامته ؛ لأن جميع الكائنات في تكوينها هي في الحقيقة لاجل العباد ، وهم منهم فهي لاجلهم ، وكل واحد فهي لاجله ، ومحاسب على جميع نعم الوجود كائنا ما كان فان كفر ، كفر بالنعم كلها ، وان شكر شكر النعم كلها .

وكذلك ، محبة من احبه الله ـ تعالى ـ كالرسل والانبياء ، وأوليائه ـ جل وعلا ـ ومحبة ما احبه لهم الله ـ تعالى ـ كالنساء المحلل له محبتهن ؛ لان محبتهن

ومحبة الولد تكون فيهم من خارج المسجد ، لا في داخله ، بدليل انهم لا يشتغلون بذلك عن الله ، ومتى غابوا عن اعينهم لم تبق هنالك غير محبة الله ـ تعالى ـ ؛ وانما اوقات وقتها الباري لهم استحبابا او لزوما ، يخرجون من المسجد ليقضوا حق هؤلاء قريبا منه من حيث انهم يرون نور السراج مواجهين له من الباب فيقاربوا باجساد ، والعيون لا يصرفونها عن رؤية جمال نور المحبة ، وحسن ضوء سراجها ، واما مثل حب من احب الله فلأنهم عباد لله ـ تعالى ـ مثلهم او افضل منهم ، فمتى ظهر حب احدهم ظهر نوره في المسجد ، ولم يحل بينهم وبين قبلتهم .

واما العلوم فهي مثل النجوم فكلما زاد نجم وتجلى فيه نور الايمان ، زاد نوره في المسجد ، واما ما كان لغير الله ـ تعالى ـ فهو حائل بينهم وبين قبلتهم ، باقبح صورة ، لأن هو الذي قدمه خلافا لما يحب الله ، وان لم ينو به الخلاف لكن معروف عندهم بما مع الله انه يجب لهم ان لا يقدموه ولا يدخلوه مسجده وبيته ، وان كان لا يؤاخذهم بالسخط عليهم ، واما مثل حب النساء فليس هو معهم لاجل قضاء الشهوة ، ولكنه من مندوبات الشرع ، ومن الوسائل الشرعية ، فهو مما يحبه الله لهم لاخراج من اراد اخراجه ذرية منهم ، وكذلك حبهم للمال لا لذات المال ، ولا لأجل لذة يجدونها في نفوسهم في حبه ، وانما يحسنون التدبير فيه ليتم لهم امر العبادة لحاجتهم اليه ، ولخوفهم ان تصدهم الحاجة الى ما لا بد لهم منه بالاشتغال في جلبه ، فهم لا يحبون المال ، وانما يحبون همهم الذي هم به مهتمون .

وكذلك الصنائع وجلب المنافع ، وان سلكوا اليها قدر الحاجة فلا يلتفتون الى حبها لذاتها أصلا ، ولا يشتغلون بالفكر فيها نهارا ولا ليلا .
وقد ظن كثير من اهل التصوف ان التصوف هو ترك هذا ، والسياحة في الفيافي والقفار ، وليس الصحيح كذلك وانما التصوف ترك حب هذا لذاته او

الاشتغال به لحب ذاته ، او لحب النفس لذاته ، واما ان يكون ذلك لله ـ تعالى ـ وهو مما يحبه الله له في الشرع الاشتغال به بالظواهر لعمله ، ويكون عباد عيون القلب ليس لها حب في ذلك الا لاجل محبة الله لهم في ذلك ، فليس هذا مما يفسد طريقة التصوف ، وليس التصوف السياحة في الفيافي والقفار ، وانما التصوف التجريدي بان يتجرد من كل صفة يحب الله له ان يتجرد منها ، ويقربه اليه بذلك زلفى ، وان يعمل بما يحبه له ان يعمله شرعا او حقيقة ، او ان يتجرد من كل صفة ليست هي لله ؛ فان امكن ان يكون فيها شيء لله ويحب الله منه ذلك احالها ، وان لم تصح لها احالة او يحب الله زوالها ازالها ، ولو كان في فراش زوجته .

والسياحة في المحبة النظر الى الله ـ تعالى ـ في صفاته كما سنأتيه ، والسياحة بالتجريد ؛ النظر الى ما يكدر الصفو ، والى قبح الكدر ، والى انواع العلاج ، والعلاج روما به لله ـ تعالى ـ فافهم ذلك ؛ واما الرياء والنفاق فهما في المثال كما ذكرناه في العشق ، فاما الرياء والنفاق فامراء العيون يرونه في مسجد الله في المثال ان العين المدبرة ، او العين الغريزية احبت ان ترى ذلك الذي تريد ان ترائيه ، او تنافق لاجله جمال ذلك النور ، او اعمالهم فادخلته المسجد ، وقدمته في صلاتهم الجماعة ، وعبادتهم لاداء الطاعة اماما عليها ، واخرت الذي كانت تأتم به ، وامرت ان تأتم به ، وهو رسول الله اليهم ، الداعي لهم الى الله ، وجعلت قبلتها دون القبلة المأمورة باستقبالها لها ، فما اقبح من ذلك وصفا في رؤيتهم اذا رأوه انه كذلك هما في الحقيقة ، ولو كان الذي ترائيه نبيا ، فليس لها ان تجعل النبي قبلتها او امامها لغير الائتمام في الاتباع والائتمام لصلاة الظاهر ، واما في الباطن فليس ذلك الذي صورته وجعلته قبلتها وامامها ، هو النبي في الحقيقة ؛ لان هذا المثال الذي مثلته تضل به ويحجبها عن ربها ان شاءها ان تعبد لتريه عبادتها ، وتجعل ذلك كرامة

وضيفا له قدمته قبله ، وان شاء منها ترك العبادة تركت ، وقد تركت عبادة ربها بعبادته ولاجله فقد رأت ونافقت ، لأن النفاق ترك عبادة الله - تعالى - لرضى غيره - جل وعلا - وهم يعلمون ان الله يحب لهم ان لا يعلموا ذلك اصلا ، ولا يدخلوا مسجده لاجل ذلك ابدا .

واما العجب ؛ فهو يرونه في مسجد الله الذي يجب ان ينزه ويطهر ويعظم كالذي نظر الى نفسه من امر الغريزية والمدبرة ، فاعجبه جمالها بحسن اعمالها فصورت نفسها صورة قدمتها بينها وبين قبلتها فسترت عنها قليلا من ضوء السراج اذا كان بما لم تأثم به بعد ، واشتغلت بلذة النظر اليها ، وتركت لذة النظر الى جمال نور الايمان ، واثرت حبها لنفسها عن نور ربها ، وجعلت ان هذا اعجب منظرا مما عظمه الله ، وجعله اعجب امر في الوجود فهي الحقيقة ضالة عن رؤ ية الحقيقة ، فاذا علمت يقينا ان ذلك كذلك ، ورأته مثالا بين يديها استقبحته فبادرت إلى ازالته .

واما الكسل ؛ فأوامر عيونهم العقلية تراه انه لا يتولد الا من قلة النظر الى عبوديتهم لله ربهم بحقيقة النظر ومن قلة النظر الى ربوبية ربهم لنفوسهم ، ومن قلة الشكر والرغبة في الذي هو مالك لهم فهم عبيد له ، وهو معهم ويعرف احوالهم ، وينظر ما عندهم وهو محسن بهم ويعفو عنهم ، فيعلمون ان هذا لا يكون الا ممن لا حياء له فيدخلهم الحياء من الله - تعالى - ويخالفوا اتباع ما احبته نفوسهم ان يجعلوها اولى بالاراحة لها عن السعي فيما احبه الله منهم ان يسعوا اليه الى اتباع ما احب الله - تعالى - فبادروا الى قضاء كل ما احب قضاه على ايديهم محبة منهم له فاعطوه الصفاوة كلها ، اذ ليس لهم سيد ولا مولى غيره ولا احد يرجو نفعه الا هو فعرفوه بحق اليقين .

واما الكبر فانه يرونه من انواع الامتناع عن الركوع والسجود في صلاة

مراء العيون العقلية في مسجد الله ، القلب جماعة مع الداعي الى الله منهم رسوله ـ تعالى ـ اليهم وارادة العين المدبرة او الغريزية بعين التعظيم لنفسها ، ورغبتها ان تكون هي الامام فهي كارهة ان يتقدمها من قدمه الله عليها ، وامرها ان تذعن اليه وتتبعه في كل امر ، وان لم يعطها الصفاوة كلها ، فهو كمن لم يعط الله مولاه ، ومن تكبر عليها تكبر على من خلقه فسواه ، فاذا شعرت العيون كراهية الله ذلك منهم ، وان ارادتهم تلك ارادة تخالف ارادة الله ـ تعالى ـ وخلاف ما يحبه ، وانه لا يكون روم العناد له ، الا من قلة الشرك ، والخوف ، والخشية ، والخضوع ، والاذعان ، والخشوع ، استقبحت ذلك فازالته في الحال ، ولو لم يؤدها بعد الى ضلال مع انها غير آمنة من نفسها ان تجر بها الى الضلال ؛ لأن هذه اصلها صفات قبيحة في النظر في حقائقها ، وهي لم تستقبحها قبل التجريد وتدقيق النظر ، وتحديقه الى حقائقها ؛ لأنها الفتها من حين الطفولة الى شبابها وشيخوختها ، وليس كل من رام التصوف قدر عليه اذا لم يكن عالما بابواب النظر الى حقيقة كل صفة ذميمة ، فانه اذا لم ينظرها قبيحة لم يبادر في اخراجها ، وان لم يجد الجهة التي ينظر منها قبحها لم ير حقيقتها ولذلك اتينا في كل صفة ايضاح جهتها لتقيس بذلك على ما لم نذكره ، فاذا كلفت النفس الاذعان ، وخالفت كبرها ، وصار ذلك عادة الفتها ، وحدثت صفات الخضوع والخشية ، والتذلل والخشوع ، والسكينة والوقار فافهم .

واما الحسد فامراء العيون العقلية المقدسة بنور العلم ، ونور الايمان يرونه انه من حبهم خلاف ما احب الله ان يكون كذلك في تدبيره ، وانه لا يكون ذلك الا من النظر الى ان تدبيرهم هو اكمل واعدل ، وانهم صاروا بذلك اعلم منه واحكم في الامر ، وان ذلك العلم جاءهم لا عن الله ؛ لانهم انكروا عليه في تدبيره بتدبير هو معهم احسن ، ومنه ؛ لا يكون هذا الا من قلة حمد على افعاله ، ولا صفة اقبح من هذه الصفة ؛ لأن حسدهم على نعم اعطاه

الله اياها ولم يبتغ بها وارادتهم زوالها عنه ، فهو من ارادة غير ما اراد من غير ما احبه ان يكون كذلك في تدبيره - جل وعلا - ومن قلة حسن الظن بحكمته سبحانه المولى وكل ذلك نوع انكار واعتراض ، فاذا رأوه كذلك استقبحوه وازالوه وسلموا الامر لله ، واحسنوا بالله حسن الظن ، ورأوه بعين التحقيق انه حري بذلك ان كان عاصيا ليعاقب على قدر كفره بالنعم اذا كان كذلك مقدار معصيته في عالم الغيب ، ومقدار قلة شكره فان من كوشف بعلم القدر لم يجد ذرة في الوجود الا واعطيت حقها حتى في صورتها .

وقد قال الجيلاني : ان من صفات الاله الحق ان يكون عالما بكل ذي حق حقه ، ومن صفة الرحمن ان يكون هو الذي اعطى كل ذي حق حقه ، فان الذرة في عالم الحقوق ان تكون صورتها على هذه الصورة التي صورها الله فاظهرها من عالم الغيب الى عالم الشهادة ، بصورتها التي استحقتها في عالم الاستحقاق فاعطاها الله حقها كذلك ، والنحلة حقها كذلك في عالم الاستحقاق فاعطاها حقها فخلقها كما هي مستحقة ان تكون في الوجود وكذلك كل شيء كذلك في الوجود ، والمعنى حقها في حكمة تدبيره الذي اراد في مخلوقاته لاحقها عليه ، فانه لاحق على الله لمخلوق ، فليس لمخلوق استحقاق على الله ، لانه يكون كالواجب عليه في ذلك ، وان لم يكونه كذلك فقد ظلمه حقه ، وهذا باطل في صفة الله ، وهذا مما يدل على ان اسم الاله واسم الرحمن ، واسم الله ، لا يجوز ان يسمى بشيء من هذه الاسماء الا الله - تعالى - فافهم .

واما البخل بالنفس أو المال ؛ فامراء العيون العقلية ، والمراد في هذه الطريقة هم المقدسون المنورون بنور الايمان ، ولو لم نذكرهم كذلك عند كل صفة يرون صفة النفس بارادتها البخل بنفسها او بمالها عن بذلها ، فيما هو غير واجب عليها تركه او فعله ، وغير مندوبة اليه تركا او عملا الا فيما احبه لها ان

تبذله استحبابا منه لها لمحبة لها هو مثل قبح الكسل ، لانه في هذا المحل هو نوع منه في صفة ارادتها في امتناعها في بذل نفسها لذلك ، فهي مثل المقرب الذي قربه مولاه ويتثاقل عن قضاء ما اراد قضاءه ، فيحب الراحة لنفسه ، ولا ينظر الى نفسه انه عبد له وهو مولاه واحسن اليه ، وقربه لديه وخصه بارادة قضاء شيء له احبه ان يكون منه ، فاستثقل ذلك منه ، وهو يعلم انه عليم باحواله ، وهو يعفو ولم يزل لمحبته اياه يريد ان يعمل ذلك ، وهو كاره فاذا شعرت الامراء بقبح هذه الصفة ، وانه لا يكون الا من قلة شكر ، وارادة قضاء شهوتها بخلاف محبة ربها لها اخذهم الحياء من الله مولاهم فكلفوا انفسهم بالسعي الى ما أحبه الله لهم ، وترك الخلاف والكراهية منهم لذلك ، ولم يزالوا كذلك حتى هانت نفوسهم عليهم لله ـ تعالى ـ باعانته لهم .

واما الحمق ؛ فهو الطيش في هذا المحل ، والتنطع بالكلام للناس ، وقلة التأني في الامور فهم يرونه مثل المجنون الذي يتخبط قياما بيديه ورجليه صاعدا ونازلا باعضائه في حضرة الناس ، ويوبخهم بالكلام وذلك من اقبح صفة يرونها فلا يرضونها لانفسهم طرفة عين .

واما المباهاة والمراء ؛ فالمباهاة هي الاعجاب والمباهاة بالاعجاب ؛ فهم يرونه كالذي احب الله له الثقل والرزانة والوقوف في المسجد للعبادة ، والوقوف في الحضرة الالهية ، فيخالف ما قد احب الله له ، ويخرج من وقوف العبادة كالخفيف المجنون ، ويترك الحضرة الربانية ، فيذهب الى الناس معجبا لما اراه الله اياه ، او نظر الى نفسه او الى ما عنده بعين الكمال ، خيالا ومثالا فلم تدعه نفسه الا ان يباهي به غيره ، واي كمال مع هذا المجنون ، وبهذا الخروج ومن الاكتفاء بنظر نفسه والتلذذ بمدح الناس مع ترك حضرة الله ، وتركه الى اكمل شيء واعظم شيء ، وهو نور الايمان حتى يترك ذلك ، ويترك داعي الله الى تقريبه اليه ، وهو يزداد بعدا من حضرة القرب القريب ، فاذا

رأوه كذلك استقبحوه .

وكذلك المراء لغير الله ، فانه نوع من المباهاة وبه يخرج من حضرة الله التي هي حضرة قرب اهل التصوف ليس المراد الحضرة كلها ، فان الحضرة واسعة ولكن من قربه القريبة منه الى مجادلة الناس لقلة عقل ، وخفة في النفس فهم يرونه قبيحا فيما لا فائدة فيه ، ولم يكن عن محبة له في ذلك فاما اذا كان عن محبة لله له فهو في المثال كالذي ارسله من حضرته اليه ، فهو غير خارج من مجلسه منها ؛ لانه يرجع اليه وهو الاواب والمنيب .

واما الامن من سخط الله - تعالى - فهم يرون انفسهم وقبح صفاتها وارادتها ، وانهم متى غفلوا عن النظر اليها ؛ انبعث ذلك منها وجاء الشيطان ، وزين للمدبرة ورامت الاقبال ؛ لانه يحول بذلك بينها وبين نور الايمان ، فهم لا يأمنون من سخط الله ، اذ لا يأمنون من فساد انفسهم .

واما اليأس من روح الله - تعالى - فهم ينظرون اعانة الله لهم على جلاء صفاتهم هذه متى حدث منها شيء ، وارادوا اظهار حقيقة مثاله لينظروا قبحه وازالته آراءهم واعانهم في تلك اللحظة او بعد ساعات متى قابلوه بالبغض والقلى والكراهية ذهب عنهم وتجلى لهم نور الايمان متى طلبوا لقوله تعالى : ﴿وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ ، ولقوله - تعالى - : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ ، فبذلك ، ويطمعون في رحمة الله ، وقبول التوبة هو اعظم .

واما الطمع مع الخلاف فهو غرور من النفس والشيطان ، واما الوهم والظن والتشكيك ، والتخمين ، والتقليد ؛ فانهم بولايتهم للعين البصيرية تريهم ما عرفته من الحق ، وهي لا تنظر ذلك ، وانما تنظر الحسن حسنا والقبيح قبيحا ، والخيال غير شيء وما عرفته المدبرة والغريزية وامكنها

مناظرتها فيه ، فان ناظروها ولم تر ما قد رأوه حكمت به انه خيال ، وان رأته قبيحا ، وهما تمثل لهما حسنا عرفته واخبرتهما ، وان رأته حسنا عرفته انه حق وحكمت بحقه ، وان اعجز ان يرياها ذلك لبعده عنها الذي رأوه ولم يعرفاه خيالا ولا مثالا ، امرتهما بالوقوف ؛ وعن اعتقاده بما لا يسع في علم الشريعة ، وعن اعتقاد صحته او بطلانه فيما يسع في طريق التصوف حتى يقرب اليهما ذلك ، ويمكنهما ان يرياها اياه ، وتحكم به فهي لهم مستند لا تقبل الا الحق الصحيح كما وقع لابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ممن ارسله ، فظن اولا ان الحق مع الذي ارسله كان اوله تقليدا فصار خيالا لم تنظره البصيرة ، ولكنه لم يعتقده دينا ، ولم يخطيء الذين ارسل اليهم قبل ان يعرف ما معهم ، ويتضح الحق له ، فلما اوضحوا له الحق ونظرته البصيرية حكمت بحقه ؛ لأن الحق يتجلى لها وللعين الغريزية ، ولو مات قبل ان يتضح له لم يمت هالكا ؛ لانه لم يدن به ولا بتخطيئه المحقين ، ولو دان كذلك لم يسلم ، ولكن احترز منه امر العين العريزية والامر من العين المدبرة بصفاوتهما للعين البصيرية امتثالا لله تعالى .

واما العمى في العلم ، والجهل بالعلم ، فهم يرونه كأنهم في فلاة واسعة الاكناف بعيدة الاطراف لا ماء فيها ولا طعام ، قد اشرقت شمس الايمان ، ولكن لم ينظروا الطريق التي توصلهم الى دار يصح فيها المقام ، ويوجد فيها الماء والطعام ، واصل الطريق هي في جهة منها وكلها درج صاعدة مرصعة بنجوم العلم الديني حتى ينتهي الى الحضرة الربانية التي هي حضرة القرب ، وحضرة الرضوان ، وينتهي في الآخرة الى رياض الجنان ، وفيهن ما تشتهي الانفس ، وتلذ من الطعام والشراب ، ولم ينظروها لبعد جهتهم عن جهتها ، أوينظروا الى بعد درجاتها وما بعدها هوية منقطعة عن الغرض المطلوب ، وذلك الذي يظن منها هو مثال ما قد علمه منها ، وكل درجة هي

حضرة من حضرات الله تعالى ؛ وكل درجة اعلى هي اقرب الى الله ؛ اي احب الى الله ـ تعالى ـ ، ومن وصل درجة وقعد فيها ولم ير ما بعدها الا هوية ولم يهو فيها بباطل ولا بتقصير في اداء واجب ، ولم يرجع القهقرى نازلا مسرعا الى وراء مثال الهوية هو مثال ما جهله منها ، فكلما علم منها شيئا تجلى نجمه ، واصطف بعد تلك الدرجة وما لم يعرفه ، فعليه الوقوف في تلك الدرجة ولا يجاوزها فيهوي في هوية لا يدري قرارها ؛ فان كان مما يلزمه فيه اعتقاد السؤ ال اعتقده ، وان كان مما لا يلزمه ، فلا شك ان اهل التصوف لا يبتغون بالوقوف هناك ، وهم قاصدون وصول الحضرة العلية القريبة التي هي احبها الله لهم لا التي هي اعلى الحضرات والدرجات ، فان لله انبياء ورسلا واولياء ، هم اعلى منه ؛ وليس شيء اعلى من درجات النبي ﷺ .

واعلم أن (تمثيل) لا تظن ان الله يصح ان يوصف بانه في جهة وانه في الجهة العلياء وان كل درجة هي اعلا يكون اقرب اليه مسافة بل القرب وتفاوته هو قربه بالمحبة والتكريم والتعظيم اكثر من غيره وما اشبه ذلك ، واذا نظر امراء عيون المتصوفين درجات الطريق ، وكمال جمال حسن كل واحدة اعلى هي مما تبهر العقل ، وتنسيه ذكر ما رأته فقطعته ورأت المقطعة ورضاهم بوقوفهم هنالك ، كأنهم اكتفوا بذلك وتكاسلوا عن الترقي بالصعود ، وذلك مما يعرفونه انه من قلة الحياء والمحبة لله ؛ وان الله عليم بهم انه لا يكون ذلك الا من قلة ذلك فيهم ، اخذهم الحياء واستقبحوا تلك الصفة منهم ، فاجتهدوا في طلب علم الدرجات كذلك صاعدا الى ان يموتوا على ذلك ، لا يبتغون بذلك الا رضاه وقربه .

وأما العمى الضلالي والجهل الضلالي ، فهم يرون العمي مع تجلي نور الايمان ، كالمغمض عينيه عن رؤ ية ألذ شيء في الوجود منظر الذي يمشي في ظلمة في غير طريق ، في فلاة مهلكة ، ويخرج من فلاة بها شمس الايمان ،

وطريق الرضوان ، فهو أقبح صفة معهم فيبادرون الى فتح أعينهم ، والنظر الى ذلك .

وأما الجهل ؛ الضلالي ، فهو قلى الايمان وقلى العين البصيرية وأمرها ومصادقة الشيطان ، فهم يرونه أقبح صورة تصورت من النفس فيبادرون الى ازالة ذلك منهم حياء من الله ـ تعالى ـ ولو لم يلقهم في معصية بمتابعة الهوى مع انهم غير آمنين من أنفسهم ذلك .

وأما الغضب ؛ فأمراء العيون يرونه ما كان منه في غير الله ، وغير ما يحبه صاحبه كالمجنون الجالس عند من جلس مع الملك في حضرة الملك ، وهو غير مجنون ، ولكنه عدو لا ينظر الى الملك وأصحابه الا بوجه قبيح عبوس كزغير ملتفت الى الملك وكلامه ، وانما نظره الى من قلاه ، فغضب عليه ومدبر بوجهه وبعض جسده عن الملك هذا اذا كانت هذه الصفة لمن لا يحب الله له ذلك ولم يبدِ بغضه ، وأما اذا أبداه فقد مضى القول فيه ، وهو أقبح صورة التكبر ؛ لأن من أحب الله منه الاقبال اليه ، وترك ذلك منه وغضبه لأجل نفسه تعزز لها وتكبر ، ورؤ يته لها بعين الكبرياء ، وفي حضرة الله هي أقبح ذم يرونه .

وأما الغفلة ؛ فهي الحجاب المانع لهم عن رؤ ية المشاهدة لله ـ تعالى ـ ، وعن رؤ ية قبح صفاتهم ، ومن حجب عن النظر الى الله ـ تعالى ـ بصفاته ، وعن النظر الى قبح صفات النفس ، لم يصح لهم الوصول ، ولا التصوف ، ولو رأى هذه الأمثال من الكتب وصورها في عالم الشهادة ، فإن تصورها في عالم الشهادة لا تفيد التصوف ، وانما يفيد التوقف عن العقل بها ، فلا يرون هم مثالاتها في عالم الشهادة كما نحن ، وانما يرون حقائقها في عالم الحضرة الالهية ، ومن لم يجاوز نظره العالم الكثيف الى العالم اللطيف

حجب به ، ومن ظن ان هذه الصفات ليس منها فيه بعضها ولا تأتيه ، فهو محجوب عن رؤية نفسه ، حتى المتصوفون بالمحبة وان ذهبت عنهم هذه بفنائهم في حب الله لا يظنون ان هذه لا تأتيهم ، بل هم لا يذكرونها لفنائهم ، فكيف يظنون بما لم يخطر ببالهم لم يروا أنفسهم الا بالوصف الذميم لها .

واعلم ان صفات النفس المذمومة منها وفيها ما لا يحص ولا يدرك ، لها أقصى ، وطرق وجوه النفس وصفاتها عالم كبير ، وكل واحد يراها بما فتح الله له من عالم وجوه النظر ، فيمكن أن يراها المتصوف بوجه غير ما ذكرناه هو أقبح باب يقاس عليه فيما ذكرناه منها ، وفيما لم نذكره .

واعلم انه ليس مرتبة في العبادة لله ـ تعالى ـ أعلى من درجة التصوف للسالكين الى الله ـ جل وعلا ـ ، وان كان بعض الوسائل أعظم من التصوف اذا لم تكن معه كما ذكرناه في الامام والناصب للامام في موضع الوسيلة ، والجهاد في سبيل الله ، والاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واقامة الدين ، ولا قول يصح في هذا الا نعم ؛ ولكن ليس للامام والناصب ، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والمتعلمين العلم درجات بعد الترقي في درجات تفاوت في الدرجات الا بالتصوف بعد ذلك ، والمعنى المراد انه لو اتفق اثنان هما كذلك ، وأحدهما زاد على الآخر بالتصوف لم يصح الا أن يكون هو الأفضل مرتبة ، واذا تصوف الامام والعالم الكبير الناصب ، ومن بعدهما العالم الكبير الهادي للخلق ، فليس بعد مرتبة هؤلاء مرتبة أعلى الا مرتبة النبوة ومن بعدهم من ذكرته ، ولكن هذه درجات خصها الباري ـ جل وعلا ـ من سبق فيه علمه انه أهل لذلك ، فليس كل من رامها أعطيها وهو العليم بخلقه .

وأما التصوف مع غير هذه المراتب فممكن لمن قدر أن يجمع همه اليه ،

ويخرج من هم الدنيا ، ومن لم يقدر لم يقدر اذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، ومن رأى فكره يتردد في غير طرق التصوف من أمور الدنيا انه متصوف ، فهو مغرور بظنه ؛ ولكنه على غير الباطل الظلمي ، ويصح التصوف للأئمة والعلماء ، ولجميع أهل الحاجة للاكتساب والتزويج ، وأهل الشدة والقتال فيما هو واجب وجائز ومستحب الا أن يصير مكروها فلا ؛ لأن التصوف حقيقة لا يصح الا مع ترك كل مكروه وحرام ، وقد ظن قوم أن التصوف تطليق الدنيا بحلالها وحرامها الا قدر الحاجة منها ، وليس الأمر كذلك ، وانما الحقيقة العمل بما يحبه الله من العبد ان يعمله من تجريد وخرق حجب ، وحضور قلب اليه ، وفناء فكر في صفاته الى غير ذلك ، وانه لا يعمل في حركاته وسكناته الا على ما هو يحبه ، ولو اشتغل بعد ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجاهد أهل الفساد ، وقاتل من جاز قتاله ، وأحب الله قتاله من أهل الفساد ؛ لأن ذلك يكون من درجات صعوده في تصوفه الى حضرة قربه ؛ لأن التصوف طلب الزيادة في القرب اليه بكل ما يقدر عليه ، وما كان أقرب له مع ربه سعى اليه متقرب به ، وما كان أحب الى الله وهو يقدر عليه كان هو اليه أحب .

وفي الحكم ان المتصوف لا يعلمه الا الله ـ تعالى ـ فلا يصح على أحد بحكم الظاهر أن هذا في وقته صوفي بالقطع عليه ، كما يصح ان يكون هذا ولي في وقته هذا بالقطع في الحكم الظاهر ؛ لأن التصوف هو من صفات العيون العقلية مع ربها ، ولا يعلم بها وبوصفها الا الله ـ تعالى ـ أو ما شاء من عباده من الملائكة أو الأنبياء ، أو من أنزل فيه وحي أو من أخبر عنه نبي مثل قول النبي ﷺ في أبي بكر الصديق ما يدل على قلبه : «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صوم وانما فضلكم بما وقر في صدره» ، ومراده بما وقر في صدره من قوة نور محبته لله ـ تعالى ـ ، وقوة خطور عيون عقله مع ربه ، وشدة مشاهدته

لله بصفاته ، وبعظم ضياء نور الايمان الذي هو محبة له في حسن ايمانه لله ـ جل جلاله ـ وهو مع ذلك لا يراه كذلك الا النبي ﷺ ، وأما ان يظن بأحد أنه ولي صوفي وتولاه على لازم عليه ولايته ، أو على رأي منه ، وسماه صوفيا يضيق على غير القطع ، وعلى القطع فهو قطع على غيب ولا يهلك بمثله .

وكذلك لو قال أحد : انه غير صوفي لم يجز له أن يخطئه لأجل ولايته له اذ الكل على الغيب ، وان قال على القطع ، انه غير صوفي فهو خطأ ، ولكنه في موضع الكراهية ، ولا يبلغ بخطئه ذلك الى خطأ في الدين ما لم يخطئه بما يكفره به فيكون غير واسع له قذفه ، اذا كان لم يطلع على تلك المكفرة التي كفره بها مما لا يحتمل له فيه عذر ، وان كان قد اطلع عليه له لم يجز له يكفره بها مع وليه ، ومحل بيان هذا في غير هذا المحل ، ولا يصح التصوف بدرجات التجريد الا أن يكون قد شارك أهل التصوف بالمحبة ببعض الحضرات الالهية ، وبمشاهدة محبة الله في عالم من عوالم مظاهرها كما سنذكره في التصوف بالمحبة الى الطريقة الثانية ؛ انتهى ما أردنا نقله من ذلك الكتاب .

(**مسـألة**) : عن الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي ؛ اعلم ان أصول جميع صفات النفس هي المحبة والكراهية ، والخلال تعده مع جملة صفاتها ، ومن المحبة تولد رجاه والطمع وهما بمعنى واحد ، ومن المحبة والرجاء تولدت الارادة والتذلل ، ومن هذه الثلاثة تتولد الرغبة وهي الميل ، وقد قال بعضهم ان الرغبة هي الارادة ، وذلك صحيح ، ولكنه متولد منها ومن المحبة لقوله ـ تعالى ـ : **﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه﴾** ، فلا يصح أن يؤول معنى اللفظ انه ؛ ومن يرد عن ملة ابراهيم ؛ وانما يصح أن يقال معناه : ومن يمل بحبه وارادته عن ملة ابراهيم ،.فصح ما قلناه ومن الرغبة وقوة التلذذ بالمرغوب فيه تتولد الشهوة ، ومن الرغبة والارادة والرجاء تتولد العزيمة ، فهذه خمس هن قسم المحبة ، ومن الكراهية

يتولد القلي والبغض ، وهما بمعنى واحد .

ومن القلي والكراهية يتولد الغضب ، وهذه ثلاث من أقسام الكراهية ، ومن المحبة للشيء والكراهية لفواته أو لما يكرهه يتولد الخوف والرهبة والفزع وهي بمعني واحد ، ومن المحبة والرهبة تتولد الهيبة من المخوف ، وهاتان صفتان من الأبوين .

فإن قلت : ان المحبة هي الارادة ؛ قلنا : قد يمكن أن يسمع أحد برجل قد مات ولا يعرفه ممن هو انه من كرمه كذا وكذا ، ومن سخائه كذا وكذا ، ولا يعرفه انه عدو لله ، أو هو ولي ، فيميل قلبه اليه بالمحبة ، ولا يريد منه ولاية ، ولا فيه شيئا .

وان قلت : ان الكراهية هي القلي ؛ قلنا : قد يمكن أن يكره المرء في الحال أكل شيء كان يحب أكله ولا يقلاه ؛ لأنه يأتيه الى بيته ، ويبذل في شرائه أموالا ، ولا يصح أن يريد شيئا لا يحبه ، ولا يبغض شيئا لا يكرهه .

فإن قال : الحجامة قد يريدها المرء وهو يكرهها ولا يحبها ؛ قلنا : أصله لا يحبها ولا يريدها ، فلما كره الضرر في نفسه ، ورأى نفعها أحبها فأرادها ؛ لأنه أحب نفعها فأراده ، فهو يحب ويريد نفعها لا هي ذاتها ، وكذلك اذا اعتبرت هذه الصفات وجدتها تتولد من بعضها بعضا تارة باجتماعها ، وتارة بقوتها تتولد صفة أخرى لها منها ، فصح أن هذه العشرة الأصول هي أصول جميع الصفات ، وكلها من أصلين : هما لهن كالأبوين ، ومن هذه تتولد الأعمال أعمال الايمان ، وأعمال الضلال ، وقد ذكرنا أن للعقل ثلاث عيون : ان الأولى هي المدبرة التي هي بمنزلة الساحر ، وان الثانية هي الغريزية التي هي بمنزلة الملك ، وان كان قد يطلب صاحبها في بعض من الناس الأشياء الدنية كالحجامة والتفنن في اتقانها ، فإنها لما آيست من نيل المراتب التي هي

مراتب علية ، نظرت ان الكمال لها في تفننها ذلك على من هو مثلها ، والثالثة ؛ العين البصيرية التي هي محل النظر الى الايمان .

وقلنا : انها في التمثيل كالرسول والنبي اليها ، وجميع هذه الصفات العشرة الأصولية هي في كل واحدة منهن ، وان وليت الأمر البصيرية طلبت بها العلم بالله ، والقرب منه ، من الحق الحقيقي ، وتولدت من هذه العشرة صفات أخرى في التقرب الى الله بها كما سنذكره بعد حين .

وان ولي الأمر الملك استعمل هذه في طلب الكمالات الدنيوية بالكمالات الدنيوية والأخروية لا يبتغي بها الا الكمال الدنيوي ، وصرف المدبرة اليه ، وأقبل اليها بالطاعة ، وأدبر عن الطاعة البصيرية ، فهو الجهل والعمى واتباع الهوى ، وتتولد منها ؛ أعني العين الغريزية والمدبرة بهذا ، العمى والجهل ، وادبارهما عن رؤ ية أوامر ونواهي رسولهما صفات لا تتولد في البصيرية البتة ، فيتولد فيهما كراهيتهما وقلى بهما الحسد .

ومن القلي والكراهية والحسد والكبر ؛ لأنه يريد العلو على من قلاه وكره أن يساويه وحسده على علوه ، ويشاركه الحب في التولد ؛ لأنه أحب الترفع على غيره فهو زنيم من أبويه ، ومن غير أبويه ، وقد يتولد من المحبة للجاه والخيالى والكراهية ؛ لأن يساويه فيه أحد ، وقد يتولد من المحبة للجاه ولا يرى أحدا مساويا له فيها تكبر فيه ، فلا تشاركه الكراهية في توليده ، وان تشاركه بعد ذلك ، ويتولد من الكبر الشرك الخفي والجلي والنفاق الجلي والحمق والعجب والمباهاة ، ومن الشرك أو النفاق يتولد الاياس من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ، وكذلك البخل يتولد من المحبة والكراهية ، وهذه الصفات مضافة الى أولاد الكراهية المقدم ذكرها ، ويتولد من المحبة الشهوة ، ومن الشهوة للمحسوسات العشق ، ومن العشق الشغف ، وهو أقوى من

العشق ؛ لأنه يمكن أن يقال : فلان عشق كذا ؛ فيقال : نعم ؛ ولكنه لم يشغف به .

والشغف اسم صفة لفعل العشق في المعشوق في العاشق ، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿قد شغفها حبا﴾ ، فلو قيل : لقد عشقها حبا ، لدل على انه هو العاشق ، ويتولد من الشغف الاصطلام ، وهو آخر مراتب الحب في المحسوسات ، وأعلاها درجة ، وقد مر بيانه وبدرجاته يؤثر الهلاك للمرء بمفارقة الروح به أيضا ، ويتولد من المحبة مع ضعف الارادة والرغبة الكسل ؛ ومن المحبة والكسل التمني ؛ ومن الكسل يتولد الجهل بالعلم ؛ ومن الجهل بالعلم يتولد الوهم ، والتشكيك ، والظن ، والتقليد ، والمماراة ، والحمق ؛ وهذه خمسة مضافة الى أولاد المحبة المقدم ذكرها ، فصارت هذه الصفات التي تكون بالعين الغريزية ، والعين المدبرة مع العشر الأولى ثلاثا وعشرين صفة ، ومن ورائها صفات أخرى ، وبذكر هذه كفاية لها .

واعلم ان هذه الصفات في الغريزية والمدبرة على الجهل ، واتباع الهوى هي بمنزلة العلل التي تحمل في أبدان الناس بعضها في ظاهر الأبدان ، وهي المظالم الظاهرة المتعلق حكمها بأحكام الشرع الظاهر ، وبعضا كالعلل الحالة في باطن بدن الانسان فلا ينفعها دواء الا بابتلاعه شربا أو أكلا ، وهو مثال العلل الحالة في جوهر العين الغريزية ، والعين المدبرة ، فالصفات الأولى الأصولية بمنزلة الأسباب المولدة للعلل ، وهذه الأخرى المتولدة منها وسببها بمنزلة ظهور العلل ، وهي صعبة العلاج لشدة المزاج ، واستحكام الامتزاج ، ولكنها غير مستحيلة الاخراج ؛ لقول النبي ﷺ : «ان لكل داء دواء» ، ولكن يصح الدواء ويحصل به الشفاء لمن قبله ، وأما من أنفت نفسه من قبوله ، ومن الرغبة اليه ، فلا يحصل له الا دواء الظاهر غير التوبة كالحبس والقيد ؛ لأن ذلك مثاله مثل المداوي بالدواء ، ويزيله عن نفسه متى وضع عليه ويخدشه بيده

فتزيد عليه بخدشه وبإزالته الدواء .

ومثل الذي لا يقبل النصح ، مثل الذي لا يقبل شرب الدواء ولا أكله ، فلا يصح دواؤه وذلك مثال أهل الظلم الذين لا تصغي آذانهم الى قبول النصيحة من الله ، ولا من العين البصيرية ، ولا من ناصح هو غيرها ، فصح أن الأدوية انما وضعت وركبت لمن أرادها ، وهي في أصل خطابها على العموم لتداووا بها العلل جميعا ولكن لا ينتفع بالخطاب ولا يتهيأ الدواء وحضوره الا لمن رغب فيه واستعمله ، والأدوية الالهية ربانية لا يمكن الا أن تشفي من تداوى بها اذا عرف كل علة وكل دواء مخصوص لعلته ، وعرف كيفية التداوي بها ، والعارف هو الطبيب وهو العالم ، ومن كان غير طبيب وأراد التداوي والشفاء ؛ فلا بد وأن يولي نفسه طبيبا عارفا ناصحا لله ولدينه ولنفسه ولغيره من الناس ؛ لأنه من لم يكن كذلك فيخاف منه الدغيلة ، وذلك الصفي الناصح هو الذي قال الله ـ تعالى ـ فيه : ﴿**فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**﴾ .

ومعالجة الأصول التي هي بمنزلة الأسباب في حدوث العلل بمنزلة الاستفراغ ، ومعالجة الأخرى بمنزلة التداوي عنها ومقابلتها بأضدادها بمنزلة وضع الدواء عليها ، وبالاحتماء عنها بمنزلة الاحتماء عن المكروهات ، والأغذية بمنزلة أفعال المندوبات ، والوسائل ، والدواء بالمقابلة ، بمنزلة العمل بالواجبات ، وترك المحرمات ، وهو بمنزلة ترك الذي تزيد به العلل ، فطب الجنان مثل طب الأبدان ، ولكن طب الجنان أشرف ؛ لأنه لا ينال بطب الأبدان الا صحة البدن في الدنيا ، ثم يأتيه ما لا ينفع معه طب ، وأما طب الجنان فينال به الحياة الأبدية ، والصحة السرمدية ، والجوار مع خير البرية النبي الكريم ، والجوار لله الملك العظيم ، الذي هو ألذ وأعظم كل شيء عند كل ذي عقل سليم .

بيــان : ولأجل ذلك قلنا : ان علم الحقيقة والمعاملة لله بها منقسم الى واجب ومحرم عمله ، ومندوب عمله ، ومكروه عمله ، ووسائل ، ومباح ، فذلك ستة أقسام .

فإن قلت : قد أظهرت بيان هذه الصفات وأصولها وتوليدها ؛ وقلت : انك قاصد لتكشف عن حقائق معانيها ، وانك لتوضح حكم كل قسم من أقسامها ولم نرَ ذلك ، فأقول : اليك الآن بيان ما يلوح للناظرين نوره ، وتشرق للمتبصرين شموسه وبدوره .

بيــان : أقول : أما الواجب فعله ، والمندوب ، والوسائل ، فسنأتيه في بيان تنوير النفس بها ، وأما المحرم فعله والمكروه ؛ فهو الذي بتجريد النفس عنه ، وأما المباح فخارج عن هذا وهذا ، فالمقصود في هذا المحل تجريد النفس عن الصفات والأفعال المحرمة وجوبا ، وعن المكروه ندبا واستحبابا في حق عبادة الله ـ تعالى ـ وقد ذكرنا الأصول والفروع من الصفات ، وذكرنا الأبوين لها ، وانهما هما المحبة والكراهية ، وأما المحبة والكراهية والخلاء والأصول ، فهي أن تنظر النفس الغريزية أو النفس المدبرة مثالا أو خيالا وصل اليهما بخاطر يتلألأ أو بهاتف شيطاني ، أو بحاسة من الحواس ، أو تخييلا من المدبرة ، أو تمثيلا من الغريزية ، فإن نظرته حسنا ولذّ لها ذلك فتلك اللذة هي الداعية للمحبة ، وتلك النظرة هي السبب ، فإذا أقبلت اليه بالنظرة باللذة فهي المحبة ، فإن قويت اللذة وتلذذت بالنظر اليه تولدت الشهوة والرغبة لبقاء نظرها اليه ، والارادة لدوامه هولها ، فهذه حقيقة معنى المحبة ، وان رأته مثالا أو خيالا قبيحا ، وكرهت النظر اليه فهي الكراهية ، وان لم تجد في نفسها بالنظر اليه لذة ولا كراهية ، فهي الخلاء كالذي يسمع بإنسان لا يعرفه ، وان خيل صورته مثالا فيمكن انه لا يحبه ، ولا يكرهه ، وذلك انه لم يستحسن صورته بقدر ما تلتذ عين قلبه بالنظر اليها ، ولم يفتح فيها مثاله ، وذلك مثل

الذي ينظر شخص انسان من مكان بعيد ، ولا ينظره جميلا ولا بسيء الخلق ، وقد يخطر ببالهما أو أحدهما ذكر شيء ، ويصل اليهما بحاسة من الحواس ، ولا ينظران له مثالا ولا خيالا اذا لم تظهر لهما حقيقة ، ولا تقدر الغريزية أن تمثله ولا المدبرة أن تخيله ، ولم يأتها معلمها الشيطان في تخييله لها فإما أن تكرهه لعدم ظهور ذلك اليها ، أو تبقى متآلفة الى النظر اليه ، ولم يحصل لها أو بخلاء الحب له ، أو تخلى الكراهية منه ، وهذا هو الخلاء العدمي ، والأول الخلاء الخلق ؛ لأن الخلاء العدمي خلاء حبه وكراهيته لشيء آخر منه فيه لعدم علمه به أصلا ، والخلاء الخلوي عدم لخلوه من الحب والكراهية ، لا لعدم علمه فيها فهذا هو تحقيق معنى المحبة والكراهية والخلاء ، ولا يخلو العقل في كل شيء يصل اليه ذكره من أحد هذه الحالات .

وأما ما يتولد من المحبة والكراهية من الصفات الأصولية التي ذكرناها فكلها تتولد من بعضها بعضا تارة بالاجتماع ، وتارة بزيادة قوتها ، وقد بينا ذلك ، وضربنا فيه الأمثال ، كالكراهية والقلي وما أشبههما ، ولا يصح أن تتفق حالتان مختلفتان كالكراهية والمحبة في شيء واحد البتة ، وأما أن تتفق في شيء محبة لشيء منه أو فيه ؛ لأنه الخلاء العدمي خلاء حبه وكراهيته لعدم وكراهيته لشيء آخر منه فيه أصلا ، والخلاء خلاء الخلوي ، وبه فإنه يمكن ؛ لأنه في الحقيقة لم يتفقا في واحد ، وبهذا الكشف تنكشف لك حقائق معاني جميع الصفات فافهم .

وأما العمى والجهل ، فالعمى والجهل كل منهما له معنيان : أحدهما العمى عن رؤية الحق ، والجهل بالعلم ، والخلاء الخلوي عدم العلم بالشيء ، وليس هذا الجهل الذي يضل بهما الانسان ؛ لأنه يمكن وجود الايمان في أمرهما فيه موجودان ولا يسل الا عما يلزمه ويستحب له من المندوب عمله ، وليسا هما ، هما العمى والجهل الضلاليين ، وانما هما الجهل بالعلم والعمى

بجهالة العلم ، والمعنى الثاني ؛ فالعمى هو عمى العين المدبرة والعين الغريزية عن رؤ ية مثالات الكمالات الحقيقية المتلألئة ببهاء أنوار الايمان ، وقد يمكن أن يكون قد رأتها زمانا بإقبالها الى جهتها من العين البصيرية ، وأذعنت اليها ثم تكبرت عليها بعد ذلك فيظلم عليها أنوارها فيعمى عن رؤ يتها لشدة ظلمتها فترجع الى صفاتها ، فصح أن حقيقة العمى الضلالي عدم رؤ ية المدبرة والغريزية مثالات كمال الحق والجهل كراهية الحق ، وقلاة منهما ، والسبب في كراهيتها للحق ان النفس المدبرة لها حب عظيم في عملها السحري ، ولها حب في معلمها اياه شيطانها ، وهو عدو لها في الحقيقة ، ولكن عداوته لها قد أكمنها خدعا لها بما يعلمها من فنون السحر التخييلي ، والحق يبطل عملها ، ولها حب في نفسها ؛ لأن تكون مالكة أمرها ، ولها عداوة في البصيرية ؛ لأنها تروم ترك ذلك منها ، وتضييع عملها ومعاداة شيطانها ، فصح أن حقيقة معنى الجهل الضلالي هو قلي النفس للحق ، وان الأسباب هي هذه ، وان نظرت أياما مثالات كمال الايمان ، فإن القلي للحق وللعين البصيرية يغلب عليها فيردها الى صفاتها ، والهوى حبها لسحرها ، أو حبها لمحق الحق الذي قلته ، وحبها لمعلمها شيطانها ، فإن اتبعت هواها وسعت في عمل سحرها الباطل ، واتبعت معلمها ، فقد اتبعت جهلها بهواها ، فإن كان في ترك ما لا يسعها تركه ، وجب عليها الرجوع والعمل بما يلزمها ، وان كان بعمل ما لا يسعها عمله كان عليها الترك والرجوع الى الحق ، والا هلكت ؛ وان كان مما يكره كره لها وان كان في المباح فهو مباح ، ولا يسمى باتباع المباح ولا بما لا يهلك به صاحبها جاهلا في ذلك ، وان خالفت هواها ولم تتبع جهلها وأذعنت الى العين البصيرية والى ما تأمرها من الحق وما تنهاها من الباطل ، فلا تسمى جاهلة ولو بقيت هذه الصفات تنازعها بالرجوع اليها لم تتبعها فصح ان الجهل في علم الشريعة هو حالة في المرء لا يبالي بها الدخول في المحرمات ، والجاهل هو الذي يرتكب

المحجورات ، وفي الحقيقة هو قلي الايمان ، وصح انه يتولد من حب الباطل ، وكراهية الحق المحرم عليها ، ولا تسمى جاهلة بوجود صفة الجهل فيها ، وانه لا يهلك به المرء الا اذا تابعت النفس هواها بالظلم اذا خالفته .

فحقيقة الجهل قلي الحق ، والسعي في خلافة ، فلا يسمى الجهل الضلالي الا بوجود الاثنين معا ؛ قلي الحق وخلافه ، بما لا يسع ولا يجوز اطلاق اسم الجاهل للمتقي ، الا اذا أريد به الجهل بالعلم على التقليد ،

فيقال : هو جاهل بعلم كذا ، حتى يتميز معنى الوجهين ، ولا تجوز الغيبة للمتقي بمعنى الذم انه متقٍ ، ولكنه جاهل بالعلم ؛ لأنه من الغيب المعفو عنه ، واما على غير معنى الذم مثلا يريد أحد يسأله عن شيء فيقول له : هو جاهل بهذا العلم وواسع ، ووصفه بأحسن من هذا الاسم أفضل في أهل الفضل لقبحه ، فافهم ذلك ، وأما الوهم والظن والتشكيك والتقليد والتخمين .

فالوهم قد شرحناه آنفا انه نظر العين المدبرة والغريزية الى الخيالات .

والظن ان يميل حكمه في أحد العينين انه مثال حق ، ولكن لا على القطع ؛ لأنه لم يحقق تماما يمكن أن يتمثل له الحق ، ويتخيل له مثال آخر فيه مثله ، أو خيالان فيشتبه عليه الأمر أيها أصح ، ويميل الى حكم أحدهما انه هو الأصح .

وأما التشكيك ؛ فيمكن في واحد أو في خيالين أو مثال أو حيال فيشتبه عليه أيها أصح ، ولا يميل الى صحة أحدهما ، بل كلما رأى أحدهما رآه أصوب فإذا رأى الآخر رآه كذلك ، وقد يمكن أن يتخيل له شيء ، فإذا فكر فيه لم يره ، فإذا ضعفت الفكرة رآه ثانية ، فيشكك انه يرى شيئا أم لا .

والتخمين جميع العلوم التي لا يمكن الى الاطلاع على تمييز الحق منه ، وغير الحق على التحقيق مثل ما قالوه في السحاب ، وليلة القدر ، والصلاة الوسطى ، انها كذا وكذا من الصلوات .

وأما التقليد ففي غير الدين جائز ، وأما في الدين فيما لا يسع فلا ، وقد ظن قوم أن معنى التقليد أن يعمل المرء بقول أحد من العلماء ان كان حقا فلهما أجره ، وان كان باطلا فللعامل به العذر ، وللعالم القائل به العذر أو الوزر ، وهذا اذا خالف فيه الحق بما لا يسعه ، وهو وجه من التقليد المحرم ، ولكنه ربما لا يعتقد هذا أحد في أيام مذهبه في ذلك القول ؛ لأن الغالب في كل مقلد لامام له في دينه لا يعتقده فيما يقلده فيه الا محقا اتكالا على علم العالم ، وانما معهم ان التقليد هو التصديق للعالم ، والعمل به من غير تحقيق من السائل بإيضاح الحق له ، والتقليد هو مثل تقليد الامام أمور المسلمين ، والحاكم أمور الحكم ، ومن التقليد علامات الهدى ، ولبس القلادة ، وتقليد الأنبياء ، وهو تصديقهم بما جاءوا به عن الله ـ تعالى ـ ، وتقليد التفويض ان الله ـ تعالى ـ أجاز لهذا أن يحكم ما يريد أصاب الحق أو أخطأه ، كتقليد بعض قومنا في بعض الصحابة بقولهم : ان كل مجتهد مصيب ، ولا يريدون به الرأي ، كلا ؛ وهذا الوجه لم يجزه الله ـ تعالى ـ حتى لأفضل أنبيائه محمد ﷺ لقوله ـ تعالى ـ : **﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين﴾** ، وقال ـ تعالى ـ : **﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾** (الآيات) ، وفي الفدية اذ رضي ﷺ في أخذها من الأسارى هو أبو بكر الصديق ، ولم يرض عمر ، وقال له : اذا كان هذا عن رأي لا عن حكم من الله ـ تعالى ـ فأعطوني قسمي منهم فأعطوه وقبلوها ، ولم يقبلها ،ـ فكل من أسلم رهبة من حر السيف عفي عنه ، وكل من أبى قتله ، فأنزل الله ـ تعالى ـ : **﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾** ، وقوله : **﴿وإن يأتوكم**

أسارى تفادوهم﴾ ، الى تمام (الآية) ، وانما جاز لعمر الخلاف اذا جازه له ولو لم يجز له حتى ينزل أمر من الله بخلافه لقوله ـ تعالى ـ : **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة﴾** ، أي اذا حكم بوجوبه .

والتقليد أصله تصديق المرء لغير الصحيح ، واعتقاد صحته لغيره بغير حجة يراها من عقله تدله على صحة ذلك ، والمحرم في الشرع هو تصديق المرء لغيره فيما خالف الحق مما خلافه لا يسعه على وجه لا يسعه ، فالأول مبتدع ، والتابع مقلد فيما تقوم به الحجة من عقله ، أو تقوم به الحجة من كل معبر له ، مما لا تقوم به الحجة من عقله اذا عبر له الحق ، وأما فيما يسع جهله من دين الله ـ تعالى ـ مما هو واجب عمله دينا لم يجب عليه ، أو مما هو محرم عليه دينا ، ولم يرتكبه فالتقليد فيهما واسع ، ولو كان على خلاف الحق اذا كان مما لا تقوم به لحجة من عقله فيه ، وانما تقوم به الحجة من السماع ما لم يدن به لله دينا ، أو يكفر من خالفه فيه من المحقين أهل التقى ، ومتى لزمه العمل به فلم يعمل به ، أو لزمه تركه فارتكبه حراما عليه بغير عذر كان هالكا بذلك التقليد ، اذا قامت عليه الحجة في حقه ، ولو لم يكن اعتقده دينا ، وما لم تقم عليه الحجة في حقه بالسماع ، وهو مما لا تقوم به الحجة الا بالسماع ، ولم يتخذه دينا يكفر فيه المحق التقي فواسع له ، فصار التقليد بهذا البيان هو على وجهين :

أحدهما التقليد لخلاف الحق فيما تقوم به الحجة عليه من عقله فيما لا يسع الشك في خلاف الباطل اذا خطر بباله الوجه الحق ، واما اذا لم يخطر بباله الا الباطل ، فإذا لم يصف به الله ـ تعالى ـ فواسع له أيضا لأن عليه اثبات ما وجب لله اثباته ، وقامت به الحجة ، فإن كان خلاف الواجب لم يلزمه الا أن يعتقده في الله والشك فيه يسع ما لم يصفه بالباطل ، فإذا وصفه بالباطل لم يسعه ، وان عرف الحق وخالفه هذا الذي قلده لم يسعه أن يشك في المجمل

من صفات الله ، والتقليد بما لا يسعه الشك هو المحرم .

والوجه الآخر ؛ التقليد فيما لا تقوم به الحجة الا بالسماع ، ولم يكن قد عرفه من قبل ، فقد مضى بيان احكامه وما سوى هذه الوجوه فواسع .

وأما اتباع الحق قد عرفه انه حق ، أو جهل علمه ، فليس هو في الحكم تقليد ، والعمل بما جاء عن الله أوضح انه عن أحد من أنبيائه صحة لا يجوز معها انكار ، وكان كذلك في الحقيقة انه عنه فليس هو بتقليد ، وان جاز القول بأن تقليد الأنبياء جائز ، فانما هو توسع باللغة والتمييز في الحكم بين الأنبياء وغيرهم ، وليتضح التشديد انه لا يجوز في غيرهم ، ولا من غيرهم .

وليس تقليد الامام أمور المسلمين في الحقيقة بتقليد من المسلمين لديهم ؛ لأنه على شرط اتباع الحق فإن خالف ولم يقدر عليه أن يتوب يبطل ما قلد اياه ، وانما التقليد أن يقلد الأمور على التفويض أن يعمل ما يشاء من باطل أو حق شرطوا له ذلك وهو شرطه ، فهو التقليد المحرم ، وكذلك اعتقاد جواز ذلك له كما اعتقده بعض قومنا لقوله ـ تعالى ـ : **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** ، فأوجبوا طاعة أولي الأمر في الحق وفي خلاف الحق ، فهذا من التقليد التفويضي المحرم ، وبالجملة فالتقليد الشرعي المحرم هو على قسمين :

اتباع المرء غيره فيما لا يسع ، وعند أهل الحقيقة هو ما ذكرناه أولا أن للعين المدبرة والعين الغريزية في كل شخص من الانس والجن لا تخلو من رؤ ية الخيالات الباطلة ، والمثالات الخفية ، وأما البصيرية ، فلا ؛ الا الرسل والأنبياء فانهم لا تتراءى لهم الخيالات الضلالية لأنهم يرونها عن شيء ، فكل ما يتجلى لهم هو نور من الله ـ تعالى ـ لشدة اشراق نور الايمان ، وكثرة مصافات الغريزية منهم ، والمدبرة البصيرية .

فإن قلت : من أين يعرفون الضلال اذا كان لا يرون له خيالا ؟
فأقول : ان الحق يرونه مثالا نورانيا ، والضلال يرونه مثالا ضلاليا ، لا يشبه المثال ، ولا على شبه الخيال لقوة نظرهم كالذي يرى من بعد الحر الأبيض أبيض جميلا ، والعبد الأسود أسود غير جميل ، والخيال كالذي يرى أبيضين أو عبدين أسودين وهو لا يرى شيئا أصلا ، أو أحدهما يراه شخصا حقا ، والآخر خيالا ، ولا يدري يفرق بينهما ، واذا سمع قوله أحد غيره ، ورأى مثلها تخيل له صدقه ، وفي الحقيقة هو مصدق خيالي نفسه ، وان لم ير شيئا فإن لم يصدقه أو شكك في قوله فهو غير مقلد له ، وان صدقه وظن قوله صحيحا ، أو كان أعمى وصدقه فهذان في الحقيقة هما المقلدان غيرهما ، وهما بمعنى واحد ، الا أن غير الأعمى هو مثل العالم الذي يقلد غيره فيما لم يره حقا ولا ضلالا ، أو رأى الحق انه هناك غير شيء ، ثم رجع عن علمه الى الشك ، واتبع التقليد لصفة دعته نفسه اليه من صفات نفسها ، مثلا خوفا من عار ، أو نقصان حظ مع أمثاله من الناس ، أو اتكالا على قائله انه أعلم منه ، أو لعله أحاط بما يعلم به هذا الى غير ذلك ، فهذا هو حقيقة التقليد في علم الحقيقة ، فالمقلد خياله ، مقلد خياله ، والمقلد خيال غيره اذا تخيل له مثله مقلد خياله ، والمقلد غيره من غير تخيل هو المقلد لغيره على الحقيقة ، والكل في الحكم سواء ، وفيما هو مباح مباح ، وفيما هو مكروه مكروه ، وفيما لا يسع لا يسع وهو المحرم لا غير .

وأما الاتباع في مثالات الحق ، فليس هو في الحقيقة تقليد عرفها انها حق ، أو لم ير مثالاتها ، وانما اتبع غيره فيه ؛ لأن الحق كله في الحقيقة هو علم من علوم الله التي جعلها حقا ، ولما كان لا يخلو أحد الا الأنبياء من نظر الخيالات لم يجز تقليد أحد غيرهم ؛ لأن اتباعهم اتباع حق حقيقي ، وعلمهم علم تحقيقي ؛ لأن التحقيق في العلم هو ما صح عن الله ، أو عن نبي الله ، أو المتمسك بما جاء به أنبياء الله ، أو البرهان الالهي بالعقلي النوراني ، فوجده

التحقيق في العلم الديني يعرف من أربعة وجوه ، وهي هذه التي ذكرناها .

فإن قلت : انك قلت : ان النبي ﷺ رأى رأيا فأنزل الوحي بخلافه ، فنقول : ان قبل نزول الوحي بخلاف عمله هو الأصح ، ولولا انه هو الأصح لحكمة يريدها منه وبه وفيه ، ولولا ذلك لنزل عليه الوحي قبل العمل .

فإن قلت : قال الله ـ تعالى ـ : **﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾** ، قلنا : ان ذنوب الأنبياء ليست كذنوب بقية الناس ومن فعل منهم فعلا غير ما ينبغي ، فإنما هو عن علم به انه هو باطل لا عن خيال حسبوه حقا ، وهو باطل والأنبياء لا تعمل الباطل .

فإن قال : ان اخوة يوسف رموه في غيابة الجب ، قلنا : لعلمهم به انه لا يموت فيه لقولهم : **﴿يلتقطه بعض السيارة﴾** ، وأمور الأنبياء لا يعرفها الا الله ـ تعالى ـ ، وانما الحق فيهم مجملا ان كل ما جاءوا به عن الله هو الحق من الله ، وقوله ـ تعالى ـ : **﴿وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى﴾** ، وقد عاتبه الله فيما قال زيد ، فلذلك قلنا : انه لا يعلم بحقيقة أمورهم الا الله ـ تعالى ـ ، وما يريده من الحكمة فيهم ، وهم والله هو العليم الحكيم ، فافهم ذلك .

وأما الكبر ، والعجب ، والشركان ، والنفاق ، والحمق ، والمراء ، والجدال ، والمباهاة ، والبخل ، والحسد ، والاياس من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ، فهذه أربعة عشر خصلة واليك تفصيل أحكامها :

أما الكبر ؛ فهو أن يرى المرء نفسه بعين التعظيم لها ، وذلك في الحقيقة أن ترى نفسها بعين الكمال .

والعجب من أنواع الكبر ، ولكن الفرق بينهما ان الكبر يرى نفسه أعظم

ممن تكبر عليه ، والعجب أن يرى كمال نفسه في شيء ، ولو رأى أن غيره أعظم منه فهما متفقان في رؤ يتهما كمال نفوسهما ، ويفترقان بعد ذلك برؤ ية التعظيم لنفسه على غيره ، كما فعله ابليس في آدم ـ عليه السلام ـ ، وقاس في ذلك بقياسه الخيالي ان المكون من النار أفضل ؛ لأنها نور ، والأرض والماء ظلمة ، ولم يدر أن النار تهلك ما تأتي عليه ، ولا قوام لها لاظهار نورها الا بما نبت من الماء والطين ، ومن الماء والطين فينمو كل نامٍ فأعجب بخلق نفسه من النار ، فتكبر فكان العجب سببا لداعي الكبر ، والكبر المحرم في الدين هو التكبر على الله ـ تعالى ـ بترك ما لزمه فعله ، وبعمل بما لا يسعه عمله ، والتكبر على دين الله العمل بغير دين الله ، وترك دين الله ، وهو التكبر على الله ، وكذلك على الأنبياء والرسل عن الايمان بهم والعمل بما جاءوا به ، وكذلك التكبر على الناس ؛ بترك ما لزمه مما دعوه اليه ، والعمل بخلاف ما دعوه الى العمل به مما لا يسعه خلافهم فيهما ، أو التكبر عن أداء ما لزمه لهم ، وبالجملة فالتكبر لا يهلك المرء به ، وان كان هو صفة غير حسنة في المرء الا أن يمتنع به عن أداء حق لزمه أداؤه ، أو يرتكب به محرما لا يسعه ارتكابه ،

أو يعتقد في نفسه انها أعظم من أحد من الأنبياء ، وان عمل به المكروهات ، فهو مكروه ، ومن أدى الواجب وترك المحرم ، ولو كان فيه هذه الصفة ، فانه يكون كالمخالف لصفته ، ولا يسمى متكبرا في حكم الشرع ، والمعجب بأمره ما لم يكن ذلك الا من الذي أعجب بنفسه ، ورأى كمالها به باطلا لا يسعه أو كان حقا وتولى نفسه به ولاية حقيقية بدينونة في ذلك فواسع له .

وأما الشركان ؛ أحدهما الشرك بالله بأن ينكر شيئا من صفات الله يكون بها مشركا أو يعبد غير الله ـ تعالى ـ كالشمس والبحر والأصنام ، وان نوى به لله ـ تعالى ـ أو أنكر رسولا قامت عليه الحجة فيه انه رسول الله أو ينكر كتابا من كتب الله قامت عليه الحجة به ، وما أشبه ذلك وليس هنا محل بيان هذا ، وانما

محله في قسم الشريعة .

وأما الشرك الخفي فهو الرياء للناس بعبادة الله التي جعلها الله ـ تعالى ـ من عبادته فرضا كان ، أو نفلا ، وفي الفرض أشد وفي كل منها غير جائز لعموم الآية من قوله ـ تعالى ـ : **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾** ، هذا خطاب لأهل الاقرار ؛ لأن أهل الانكار لا يعبدون الله حتى يشركوا في عبادته غيره ، وقال ـ تعالى ـ : **﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾** ، فدل على أن الويل متوجه على المرائين ، وان معنى قوله : **﴿عن صلاتهم ساهون﴾** ، ليس المراد بالتاركين الصلاة غفلة نسيان ؛ لأنه سماهم المصلين .

فإن قال : أراد بالمصلين أهل الصلاة أي أهل الاقرار ، وانما المعنى الساهون التاركون الصلاة ، قلنا : هذا وجه ولكن له وجه آخر ؛ اذا تركوا الصلاة بأي شيء يراءون ، وقد ذكر الصلاة والخطاب في المصلين ، واللفظ عمومي في جميع معناه ، فأنى يصح التخصيص لمعنى دون معنى ، والخطاب متوجه بالمعاني كلها ، اذا كنت غير نبي يعلمك الله باقرار تخصيص المعاني ، وما من دليل على ذلك في الآية فدل بهذه الآيات ان الرياء بكل شيء هو من عبادة الله شرك بالله ، يهلك به ، ولكنه شرك أهل الاقرار لا شرك أهل الانكار ، ولو أظهر به الانسان وأخبر انه كذلك حاله فلا يحكم عليه بأحكام أهل الانكار .

والرياء على أقسام ، وحاصله ان يبتغي به الثناء عليه من الخلق ، وقد يعارضه بعد دخوله بالعمل لله أو بعد الخروج يريد الاطلاع عليه ليعظم جاهه

عند الناس ، وفي نقض الصلاة به اختلاف اذا كان في أصل الأداء انها لله ، وانما عارضته غفلة منه عن دفاعه ؛ لأنه قد تعارض المرء غفلة وهو لا يريده ولو انتبه لنفاه عن نفسه ، فهذا مما يرجى له فيه السلامة ، ولكن اذا ذكره لزمه نفيه وان أعجبه ورضيه فهو بمنزلة المرتكب للمعصية عن غفلة ، ثم انتبه وقد خرج منها ، فإن رضيها وكان له العذر فيخرج انه لا يهلك برضاه ؛ لأن الذي رضيه كان فيه معذورا ، ولكنه سوء أدب جدا ، وأما ان تعمده حين دخوله في الصلاة لا عن كراهية ، فيخرج صحة القول بنقضها ، ويخرج انه لا نقض عليه فيها ، وانما عليه التوبة بسوء النية ، وأما ان كان اعتقاده لغير الله أصلا ، فلا صلاة له ، وعليه بدلها لله ؛ لأنه كمن لم يصل تلك الصلاة ، وهو من النفاق والشرك ؛ لأنه تركها لأجل غيره ، فهو نفاق وعبد غيره بعبادته فهو شرك ؛ لأن الصلاة أصلها من عبادته ، ومتى عارضه الرياء بشيء من الأعمال التي هي عبادة لله - تعالى - ، ولم يستطع أن يزيل ذلك من نفسه ، فليس عليه غير مدافعته بالكراهية الى أن يغفل عنه ، ولا حد لذلك الا الى ذلك .

واما الرياء بما هو خارج من عبادة الله كزيادة مبالغة الطهارة للارجل ممن اراد الدخول الى من بالغ في ذلك ، ومع غير ارادة الدخول الى ذلك المبالغ لا يبالغ فذلك جائز ، لئلا يشق على الداخل ، لان زيادة الطهارة عن اللازم والمستحب ليسها من العبادة ، وانما هي وسوسة من الشيطان ، فاما ازالة النجاسة ليدخل الموضع الطاهر ، فانما هو لله ، ولا يصح ان يكو لاحد في موضع غير لزومها ، فانه عليه لله ان لا يؤذي مسلما ، والدخول عليه بغير طهارة ، وقد نزه موضعه هو من اعظم الاذى ، فصارت الطهارة في هذا الموضع بمنزلة زوال الاذى عن الدخول به مع من لا يجوز له ان يؤذيه ، وللمبالغة وجهة في هذا ، وهذا مثال ابديناه لكل ما هو شبيه بهذا .

واما ما كان من غير العبادة كاللباس والمشي لغير العبادة ؛ وان يحسن

ذلك في وجوه الناس طلبا للجاه ، فلا يأثم الالبسه لاداء الصلاة ، فانه عبادة ، ومن طلب الجاه في الدنيا بما هو واسع له ، واسع له وعليه ان يحفظ جاهه الديني والدنيوي الا بما لا يسع او بما يكره له فهو مكروه .

واما النفاق الجلي ، فهو العمل بأي معصية في الله ـ تعالى ـ يكفر بها صاحبها ، ما خلا الشرك بالله ـ تعالى ـ ، او يترك عملا لم يسعه تركه ظاهرا بظلمه ، ومعنى النفاق وهو الدخول في الاسلام من باب حكم الظاهر ، والخروج منه من باب آخر غير باب الشرك ، فان خرج عن الاسلام من باب الشرك كان مشركا لا منافقا ، وان خرج من باب الاسلام عن الاسلام من غير باب الشرك ، كان منافقا ، مأخوذ من نفق اليربوع يتخذ بيتا نفقا له في الارض ، له بابان يدخل من باب ، ويخرج من الآخر فافهم .

واما النفاق الخفي ، فهو ان يترك المرء واجبا عليه لله او لاحد واجب عليه له في دين الله مرضاة لاحد من الناس ، على غير الواسع له ، ولطلب ثناء او جاه او رزق وفي المكروه مكروه ، وفي المباح مباح ، وفي الحقيقة ان جميع الاعمال التي لا تسع غير الشرك بالله هو من اعمال النفاق ؛ لانها من صفات النفس لشيطانها ، وكذلك ترك كل لازم عليها فانما تطلب به مرضاة شيطانها ، واما العبادة لله لغير الله فهي لمن طلبته بها وهو شرك رياء فافهم .

واما الحمق ؛ فهو على معنيين :

احدهما ؛ البلادة لضعف العقل والفهم ، ويظن انه من اهل الفطنة ، وهذا لا يذم به التقي ما لم يتعد به ما لا يسعه فيكون غير تقي .

والوجه الآخر هو الطيش ؛ وهو ان يطيش المرء متى نصح عن امر يطلبه او على غير ذلك بسرعة فيضل عقله ، ويتنطع في الجواب ، ويأخذ في المراء

على ضلاله والمحرم منه ان كان طيشه وانفته عن قول النصح فيما هو واجب عليه عمله فتركه بغير عذر ، اوكان مرتكبا محرما لا يسعه فلم يتركه ، وان كان حمقه على ما يسعه جهله ، ولم يدن بباطله ، ولم يخطىء المحق على انفته عن قبول ما جاءه من الحق فواسع له وعلى هذا حكم الغضب لغير الله .

واما في المكروه فهو مكروه وفي المباح مكروه ايضا ؛ لأن سرعة الطيش مكروه حتى في طلب الحق والعمل به ، فانه يطلب بالسكينة والوقار ، وان كان الغضب على من خالف الحق محمود فرده الى الحق بالغضب مع حضور القلب هو المحمود ، واما الطيش ؛ فهو ان يكون مع ضلال المكفر ، وهو الحمق وقد يكون الحمق عن خفة ، وقد يكون تهورا وقد ذكرنا معنى التهور ، واما المراء فمعناه قريب من معنى الجدال ، وهو خارج من معاني المناظرة .

واما الجدال ؛ فقد يكو بمعنى المناظرة ويفارقها في وجوه اخرى سنذكرها في محلها ، والمماراة على ما لا يسع فيه المماراة لا تسع وما يسعه جهله فمكروه جدا ، وما لم يدن بخلاف الحق على ما لا يسعه ولم يخطىء المحق على ما لا يسعه فواسع له ولكنه مكروه جدا ، وفي المكروه مكروه ، وفي المباح مكروه للمماري وللمجادل للحق ، لأن المماري واسع له الخلاف ، فلا فائدة في المجادلة له ، ولا في المماراة فيه ، ولذلك قال النبي ﷺ : «اترك المراء ولو كنت محقا» ، ونهى النبي ﷺ للمرء عن المراء ولو كان محقا ؛ انما هو اذا كان في المباح لا فيما لا يجوز ولا يسع من الدين لقوله : «اذا ظهرت البدع فعلى العالم اظهار علمه» ، فصح ما قلناه : لانه يورث الحقد والمقاطعة والمدابرة ، وربما ادى ذلك الى ما لا يجوز ، والحقد والمدابرة والمقاطعة ما لم يمتنع باحدهما عن اداء حق واجب اداؤ ه عليه لله او لمن قاطعه او يعمل باحدهن ما لا يسعه من نية او فعل او ترك فواسع له .

واما المباهاة ؛ فاذا ادت الى الرياء او الى المراء الى ما لا يسع ، فلا يسع وان ادت الى مكروه فمكروه ، واما في المباحات كحسن الخط ، وقوة نظم الشعر ، وما اشبه ذلك ، فهو واسع ، وانما المحرمة المباهاة بالباطل الذي لا يسع على الحق ، وهو متولد من اعجاب المرء بعمله والقول فيما سواه .

واما البخل وهو الشح فقد ظنهما قوم هو كثرة القبض والحرص في المال عن بذله فيما لا يلزم ، والحق فيه ان ظاهر حكم البخل في الاموال وفي الحقيقة في الاموال ، والانفس وهو البخل والشح بهما عن بذل احدهما فيما وجب عليه لله بذله ، او وجب عليه في حكم الله بذل احدهما لاحد ، فامتنع كالزكاة في الاموال ، والحقوق لا يجب عليه لله او لاحد من خلقه كالقصاص في الابدان ، وبذلها في اداء جميع ما يجب لله ـ تعالى ـ كالصلاة والصوم والحج ، وبالجملة فالبخل المحرم باداء كل ما وجب عليه اداؤه وارتكاب كل محرم ؛ لانه لم يبذل نفسه للصبر لله عنه ، وانما آثرها على الله ـ تعالى ـ والمكروه مكروه ، ومن ادى الواجبات ، وترك المحرمات فلا يجوز ان يسمى بخيلا ولا شحيحا ، واما لغير التقي او لحيوان او نبات فالاستعارة لهما في المناسبة بهذين الاسمين فجائز .

واما الحسد ؛ فهو كراهية شيء من النعم لاحد من خلق الله ـ تعالى ـ من المرء ، ويتمنى زوالها عنه ، ولا يجوز في اهل التقى ، وعليه كراهيته فيهم ، واذا لم يسع فيهم لزوال ذلك عنهم بباطل لا يسعه ، ولم يقصر واجبا عليه لله ـ تعالى ـ اولهم لاجل ذلك ، او لاجل شيء غير ذلك ، فواسع له والسعي بالمكروه في مكروه مكروه ، ولا شيء فيه مباح اذا كان السعي لمعنى زوال النعمة عنهم على حال .

واما تمنى زوال النعم عن اهل المعاصي كالاموال فجائز ، واما السعي

في ذهابها عنهم ، فلا يجوز الا اذا صار حكمهم باغين ، وجاز حربهم ، ولم يقدر عليهم الا بذهابها ، فحينئذ يكون واسعا ، واما الجبابرة الطاغون على المسلمين الذين هم يعمدون من لم يؤد لهم الطاعة الى مطامرهم ، والمتعدين على اموال الناس بغير الحق ، وكذلك قطاع الطريق ، فهؤلاء حكمهم في انفسهم حكم الباغين ، ويجوز فيهم الغيلة ، والدعوة من الله بذهابهم ، وذهاب اموالهم ، وذهاب شيء من حواسهم ، وبالاسرار بغير الدعوات جائز .

واما من لم يكن في الحكم باغيا من المسلمين وانما هو متعد فالدعوة فيهم جائزة في الجملة لا على هلاك احد مخصوص ، ولذلك لم يجز ان يقتل احد منهم بشيء مهلك له ما لم يستحق القتل ، وهذا من احكام علم الشريعة وهو طويل جدا ، وسنذكر منه طرفا في محله ، وانما ذكرناه هنا ما يتعلق بالحسد ، فافهم وعلى هذا المثال يكون القياس في ابدانهم كالبصر وقوته ، والسمع وقوته ، وغير ذلك من اولاد وزوجات ، وجميع النعم ، فلا يجوز السعي في زوال شيء مما كان على مثال هذا ، وانما التمني فجائز لا مثل ذهاب اولاده بغير منهم ، الا خطيئة ابيهم ، واما ان يتمنى انه يحب هذا الولد غير ولده ، وهذه الزوجة غير زوجته ، فجائز وان تمنى فراق زوجته منه لدينها ، وقبحه لا انه يريدها لنفسه ، فهو مكروه ولا يهلك بذلك ، وفي انه لو تمنى في نفسه موت احد ، ومنع نفسه عن السعي فيه لضرورة ، ولم يمتنع عن اداء واجب عليه ، وليس هو ممن ظهرت منه المعاصي لم يحكم بهلاكه بذلك ، ولكنه مكروه جدا .

واما الاياس من رحمة الله ، فهو يكون من وجوه :

احدها ؛ من كثرة الذنوب فيستعظمها المرء فيرى انه لا شيء يغفرها ، وقد يكون لما عليه من القصاص ، فلا يسخو بنفسه ان يبذلها ، وقد يكون من

رؤ ية النفس ان الجنة بعيدة ، ويحتاج الى عمل طويل ، ولا يقدر عليها ، ولا على اتقانها الى غير ذلك من الوجوه فترك عبادة الله ـ تعالى ـ لاجل ذلك ، فهو الاياس المحرم ، واما اذا رأى ذلك في نفسه ، وتاب الى الله ـ تعالى ـ توبة صادقة وادى جميع ما الزمه الله اداءه ، وترك جميع ما لزمه تركه فلا يسمى يائسا بتلك الرؤ ية منه في نفسه ، وانما يسمى مخالفا نفسه في اياسها ، فلم يتبعها ما لم يظن بالله ظنا لا يجوز مثلا ان يظن ان الاخلاص لله ، والعبادة له من عباده لا تنفع ، وانما في الآخرة يعذب من يشاء من اهل الاخلاص ، ويدخل جنته من يشاء من اهل المعاصي ، وهذه العبادة كلها عبث لا فائدة فيها ، ولا ندخل بها الجنة وان اطعناه ومتنا على الطاعة ، فانه يهلك بهذا الظن والاعتقاد في ربه ، ولو عبده ليلا ونهارا ، لانه وصف الله ـ تعالى ـ بغير العدل وكفر بالتأويل .

واما الاياس من نيل شيء من نعم الدنيا لغير العبادة فواسع ، واما الأمن من مكر الله هو ان يظن انه لا حشر ، ولا نشر بعد الموت ، او ان الله غني عن العبادة ، ويعفو بغير عبادة ، وغير ذلك من المعاني كقول بعض قومنا : ان وعد وفى وان توعد لفا ، فيترك العبادة لله لاجل ذلك ، واما اذا ادى جميع ما يلزمه اداؤ ه ، وترك جميع ما يلزمه تركه فلا يسمى آمنا من مكر الله الا اذا ظن في ذلك بالله ظنا لا يسعه كما ذكرناه في الاياس ، او ظن انه لا حساب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ، وغير ذلك ، وكلها داخلة في قولنا ، وادى جميع ما يلزمه اداءه ، لانه اعتقاد صحة هذا وتقى سوء الظن بالله فيما لا يسع هو من الواجب عليه اداؤ ه فافهم ذلك .

واما الكسل والتسويف ، والتمني ، فما لم يقصر بهن او بأحدهن واجبا يلزمه اداءه ولا يجوز له تأخيره اولم يتماد بهن عن الخروج من باطل ، قد ارتكبه فواسع له وان حضر وقت ما جاز له تأخيره بهن مما قد لزمه وقتا لا يسعه التأخير عنه بهن ، لم يجز له على حال ، فافهم ذلك .

واما الشهوة ، والعشق ، والشغف ، والاصطلام ، فقد مضى بيانهن ما يدل على حقيقة معانيهن ، واما احكامهن فمن بلي بهن من الانام في احد من الانام ، فليستعذ بالله ـ تعالى ـ من ذلك ولا يضره بلاؤهن ما لم يتعد بهن الى محرم لا يسعه مثل نظر ، او لمس عن تعمد فيما لا يحل له ذلك ، او ما زاد على ذلك ، واما فيما يجوز له على غير الشهوة فلا يحرم .

واما النظر للشهوة وهو ان يكون معه انبعاث الشهوة التي بها يروم الاستمناء فيستمنى بها ، او يبقى متلذذا بوجود حضور الشهوة في موضع اخراجها منه ، من غير اخراج لها ، ولأجل هذا نظره وتلذذه بالنظر ، فهذا هو الذي يشدد العلماء فيه من كل احد من الانام من المباح نظرهم اليه ، وقد مضى بيان احكام نظرة الشهوة آنفا في الكتاب ، واللمسة مثلها وباليد اقبح في مثل هذا ، وكل ذلك احكامه مثل احكامها ، واسم الشهوة ومعناها هو مطلق في كل ما تشتهيه النفس ، وهي اللذة التي تحصل بها في العين المدبرة ، او الغريزية او البصيرة ، او الحواس الخمس ، فاذا استلذذ احد العيون من نفسها بالحواس لذة قوية ، وهي من الاصول يسمى تلذذها به ، وطلبها اياه شهوة لقوله ـ تعالى ـ : **﴿وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين﴾** .

واعلم ان الاحكام في هذه الصفات لا تختلف انه ما لم يتعدها او بشيء منها الا ما لا يسعه فواسع له ، وانما فائدة ذكرها مفصلة لافتراق الافعال بها التي لا تسع ، ولضرب الامثال في كل صفة منها ليكون تبيانا على المراد بالذي لا يسع فيه ، وبه يكون مثالا ليقاس عليه كما اشبهه ، ومن وراء هذه الصفات صفات كثيرة من الصفات الذميمة ، والحكم فيها هو على ما ذكرناه لا غير ، واعلم انا قد ذكرنا لك من احكام افعال صفات النفس من افعالها الباطنة التي يجب تركها ، والتخلص منها ممن ارتكبها بغير ما يسعه ، وما هو المكروه من ذلك ، واوضحنا الفرق بينهما ، ولا يتم الامر للمرء المتعبد لعبادة الله ـ تعالى ـ

بترك المحارم واجتناب المكروه ، الا باداء الواجب ، والعمل بالمندوب ؛ لانه كما هو واجب عليه ترك المحارم كذلك واجب عليه العمل باللوازم ، وكما انه محرم عليه العمل بالمحرمات ، كذلك محرم عليه ترك الواجبات والمكروه مكروه عمله ، وهو مندوب تركه ، كذلك المندوب عمله ، مكروه تركه مع القدرة على عمله فافهم .

بيان : في تنوير النفس المجردة بنور العلم والايمان ، اما ما هو واجب في علم الحقيقة على الحقيقة بعبادة الله الملك العلام من المعاملة لله بالباطن من كمال الظواهر فهو الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، والطاعة ، والعلم ، واليقين ، والورع ، والتقوى ، والتوكل ، والصبر ، والشكر ، والاخلاص ، والموافقة للحق ، واخلاص النية ، والتوبة والاستغفار ، والزهد والرضى ، والمحبة والخوف ، والرجاء والتعظيم لله تعالى ، والخشوع والخشية ، والتفويض والرغبة ، والعزيمة والنصيحة ، والذكر والتضرع ، والابتهال والثقة بالله الكبير المتعال ، والوفاء بعهده لله على كل حال ، وما اشبه هذه الاعمال ، والاعتقادات وكل لفظة من هذه الالفاظ يؤ ول معناها الى معنى واحد في الحقيقة هو اداء الطاعة لله - تعالى - من عبده كما ارادها واحبها منه ، والمثال في ذلك ان الاخلاص هو الايمان ، والايمان هو الاسلام ، وكل واحد من ذلك هو التفويض ، وهو الورع ، وهو الحلم وهي الحكمة ، ولكن قد تختلف معاني الفاظها في الظاهر ، فتحتاج الى ايضاح ما هو معناه الظاهر ، مختلف عن الآخر وما حد كل معنى منها في اللازم ، والمستحب ، واما الاسلام والايمان ، والاحسان والطاعة ، ففي حكم الظاهر ان الاسلام هو الدخول في الاسلام بشهادة الجملة التي يخرج بها المشرك من شركه ، وبها يدخل الى الاسلام في حكم الظاهر ، فيحكم عليه بحكمه ، ويجري عليه ، وله احكامه من طهارة ، واكل طعام ، ونكاح ، الى غير ذلك ، فاذا ادى جميع ما وجب

عليه في الظاهر كان مؤمنا ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولو اسلمنا﴾ ، اي لم تؤمن قلوبهم بالايمان النافع ، وانما دخلوا في الاسلام باقرارهم بالجملة خوفا من حد السيف فلم يخرجهم الباري بذلك عن حكم المسلمين فيما لهم وعليهم في الاحكام ، واخرجهم في الحقيقة من الكل ، واهل الانكار لا يحكم عليهم بالدخول في الاسلام الا بالاقرار بالجملة .

واما اهل الاسلام فهم في حكم الاسلام بالفطرة فلا تلزم فيهم دعوة وحكمهم مقرون بها ما لم يظهر من احد رجوع الى الانكار ، فيكون مرتدا وقيل يلزم المرء ان يقربها قولا باللسان بالفاظها بمعناها ، فان اللفظ بعينه لا يلزم بعد البلوغ مرة واحدة .

وقيل : هو مخلوق على فطرة الاقرار ، ولم يغير عليه احكامها شيء كما يغير اليهودي على ولده دينه ، فيحكم عليه بعد البلوغ بحكمه ، اذا لم يظهر منه اقرار بالجملة ، وكذلك يحكم عليه باحكامه في غير الهلاك مادام غير بالغ ، واما ولد اهل الاسلام فحكمه حكم المقرين بها ، ولا يلزمه اعادتها بالقول ما لم ينكرها بالقول ، ولو انكرها بالقلب لما لزمه الا بالقلب ، واما اذا كفر بها بجارحة اللسان وجب الاقرار بها باللسان ، وكان هذا هو الاصح فاذا ضيع لازما لا يسعه مما لا يسعه مما لا يشرك به ، او ارتكب محرما لا يسعه مما لا يشرك به لم تنفعه تلك الجملة للسلامة من الهلكة ، الا وانما ينفعه من ان يحكم عليه بحكم المشركين ، فيكون من جملة المنافقين ، وان كان مما تركه او ارتكبه يكون به مشركا لم ينفعه الاقرار بالجملة وصار حكمه حكم المشركين ، فهذا معنى الايمان والاسلام ، فالايمان العمل بالاركان الواجبات ، والاحسان تمام الايمان ، فاذا اتم الايمان فهو الاحسان الواجب ، وما بعده من مندوب فيه ، فهو مندوب ، واذا تم الاحسان فهو الايمان .

فان قيل : ما الفرق ؟ فنقول : لا فرق بينهما ، ولكن لفظة (الاحسان) صفة الايمان انه هو الاحسان ، وان الاحسان تمام الطاعة المرادة من العبد لله تعالى تركا وعملا ، وحقيقة معناه حقيقة الحياء من الله ـ تعالى ـ وحقيقة الحياء اداء الطاعة ، ويروى ان جبرائيل عليه السلام جاء يوما الى النبي ﷺ على صورة انسان ، وقعد بين يديه بعد ما سلم عليه ، ووضع يديه على ركبتيه متأدبا ، وقال : يا رسول الله ـ صلى الله عليك وسلم ـ اخبرني ما الاسلام ؟ فقال ـ عليه السلام ـ : «الأسلام هو ان تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا رسول الله وان ما جاء به عن الله هو الحق من الله ، قال : صدقت يا رسول الله ـ صلى الله عليك وسلم ـ أخبرني ما الايمان ؟ فقال ﷺ : هو ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وان تطيع الله ـ تعالى ـ في السر والعلانية ، قال : فقد صدقت يا محمد ؛ اخبرني ما الاحسان ؟ فقال ـ صلوات الله عليه ـ : هو ان تعبد الله ـ تعالى ـ كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» ، فصح ان حقيقة الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، هي الطاعة لله ـ تعالى ـ ؛ لأن الاسلام في الحقيقة هو الاستسلام لامر الله ولا يكون مستسلما الا ان يكون مذعنا اليه بالطاعة ، ولا يكون مذعنا في امر خالفه فيه هذا ما لا يصح قبوله ، واما عند قومنا ؛ ان الاسلام هو الاقرار بالجملة ، وما لم ينكرها فهو عند الله مسلم ، وله الثواب ، ولو ترك بعد ذلك الفرائض ، وارتكب المحارم ، وان الايمان قول ، وعمل ، وترك ، واعتقاد ، وكل واحد منها يقوم مقام الآخر .

فان قلت : ان الايمان قول ، وفعل ، وترك ، واعتقاد ، وانت قلت ان لا يصح ان لا يلزم البالغ المسلم الاقرار بالجملة باللسان ما لم ينكرها باللسان ، فاقول : ان الايمان منه قول ، ومنه عمل ، ومنه ترك ، ومنه اعتقاد ، ومنه ما يجتمع من بعضها مع بعض ، ومنها ما يتم بالانفراد وفيها اتيناه

وسنأتيه في الكتاب ما يدل على ذلك ، وعلى الفرق ما بين ذلك ، فافهم .

واما العلم الواجب منه ما نزل على العبد التعبد بعلمه ، وقامت عليه الحجة من عقله او بسماع فهو معناه ، مما لا يسعه الشك فيه من علم التوحيد ، وعلم المال ، وعلم الدلالة ، وما لزمه تركا او عملا باطنا او ظاهرا ، مما قامت به الحجة بالسماع ، او بالنظر فعرفه او علمه من عقله علما لا شك فيه معه ، وكان مما لا يسعه جهله بعد ذلك ، فعليه الطاعة لله في ذلك ، فان عرف وجه اداء الطاعة لله فيه ، وإلا لزمه علمه ، والسؤال عنه ، الا فيما تقوم به الحجة من عقله ، او فيما علمه علما لا يسعه الشك فيه ، فلا ينفعه اعتقاد السؤال فيه ، ولكن ان ضيع الى ان يسأل ، ورجع الى الحق وادى الطاعة لله في تضييع ما لزمه ، فقد صح له ذلك ، فهذا هو حد الواجب فيه ، الا ما قيل فيه انه هو فرض على الكفاية ، اذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وان لم يقم به احد كان فرضا على كل احد ، فالفرض منه على كل احد اذا لم يقم به احد فيما هو لزمت بلية التعبد به من الله على المسلمين ، ولا يسعهم جهله ، فيكونون متعبدين بالسؤال فيما يلزمهم فيه السؤال ، فاحكام الجملة كأحكام الواحد ومن عوفي من المسلمين من بلية ذلك التعبد ، فلا يلزمه ما لزمهم .

واما اليقين فهو صحة الاعتقاد بقوة النظر الى حقيقة الحق التي لا يصح معها ذرة من الشك كالناظر الى الشمس في ارتفاعها في كبد السماء في يوم لا غيم فيه ، وهو صحيح النظر ، فهو اليقين ، ويطلق في علم الشريعة ، وعلم الحقيقة النظر الى الله ـ تعالى ـ بنور الايمان ، والنظر بنور الايمان ، الى ما اريد من المرء المتعبد به ، ومنه وحاصل معناه تحقيق الايمان ، ومقاماته ثلاثة : علم اليقين ، وابلغ منه عين اليقين ، وهو مشاهدة الشيء بصحة العين ، واقواهما حق اليقين ومعناه تحقيق اليقين ، وقولنا : انه ابلغ من رؤية العين ؛ لأنه يمكن

ان يتشبه للعين شيء وهو على غير ما تشبه لها ، ولا يعرف الناظر في ذلك الحال انه نظره بصحة النظر ام لا ، بل ، يظن انه بصحة النظر ومن تم ايمانه تم يقينه ومن لم يتم ايمانه ، لأنه من لم يعرف الشيء لم يتمه ، ومن نظر الى نور الايمان بعلم اليقين ، او بعين اليقين او بحق اليقين آمن ، وعمل باركان الايمان لا محالة ؛ لأن حقيقة ضياع الايمان من عدم النظر الى انواره وحقيقة الايمان اكمال الطاعة لله ـ تعالى ـ ، وحقيقة نور الايمان هو نور يجليه الباري ـ سبحانه وتعالى ـ على العين البصيرية ، من انوار محبته للعبد متى شاهد من عينه الغريزية وعينه المدبرة صدق الصفاوة لله ـ تعالى ـ لقوله ـ تعالى ـ ﴿يحبهم ويحبونه﴾ ، وصدق الرغبة والقصد بها ، وهي النية وصدق الرغبة لاداء الطاعة لله في كل ما لزمه بموافقة الحق ، وهو صدق النية وصدق الرغبة والقصد وهو النية ، والعزيمة على العمل باداء الطاعة بكمالها فيتجلى ذلك النور في مثالات تلك الاعمال ، وفي مثالات حقها ، ولا يتجلى في الخيالات ، لانها في الحقيقة كالذي هو لا شيء مثل السراب ، وان رأى منهما غير صدق الصفاوة ، وغير صدق المحبة رفع الله ذلك النور فلم تكن محبة الا دعوى ، ولا يكون يقينا ، لانه يشاهد شيئا ، وهذا معنى المحبة ، ومعنى اليقين ومعنى الاسلام ، والاسلام والاحسان ، والنية والاخلاص في النية .

واما الاخلاص فهو اداء الطاعة لله بجيمع ما تعبده به ان يطيعه لاداء حق عبوديته لله ـ تعالى ـ وحق ربوبية الله له ، ولجميع الاشياء لا يشرك في العبادة لربه برياء ولا غيره احد ، ولا يطلب به حظا عاجلا ولا آجلا الا اداء فرض الطاعة لله ـ جل جلاله ـ بموافقة الحق في الباطن والظاهر ، ومن لم يكن عارفا ولا فاهما لمثل هذه الارادات ، وادى الطاعة لله كلها بموافقة الحق لا يريد بها شيئا الا اداء ما لزمه لله من عبادته وطاعته من غير تضييع لشيء لزمه لا يسعه ذلك من لازم عمله فلم يعمله ام محرم عليه فارتكبه فقد اخلص لله تعالى .

واما الورع والتقوى ؛ فالورع هو التنزه والتقوى هي اتقاء الشيء اي تجنبه ، والمراد بهما التنزه عن كل شيء يفسد الطاعة ، ويكون به غير مؤد في حكم الطاعة بكمالها ، واذا لم يتمها لم يدخل في حكمها ، وفي الحقيقة التنزه لعيون العقل عن كل مظلم حاجب لنور الايمان او موسخ لآفاقها كالغبار في الهواء المكدر لنور الشمس ليتجلى نور الايمان فيها فافهم .

واما التوكل ، والثقة ، والتفويض ، فالتوكل ؛ هو الاتكال كما يتكل المرء على صاحبه في شيء من الامور ، ولا يكون الا مع قوة حسن الظن به في كل ما اتكل عليه ، وقوة الثقة به فيه ، والتفويض له ، لانه اذا لم يفوضه اعتقاده في ذلك لم يكن متوكلا عليه .

والتفويض ؛ تولية المفوض للمفوض اليه ان يفعل في ذلك ما يشاء وهو على هذا فيدخل في معنى التوكل جميع ما يلزم المرء من توحيده ، والقيام بجميع اركان الطاعة ؛ لانه قد يكون الاتكال على علمه به ، وعلى قوته وقدرته وتدبيره وتقديره ، وانه لا يكون الا ما اراد وما لم يشاكوه فلا يكون ، وعلى كرمه وعدله الى غير ذلك حتى يأتي على جميع اركان العبادة ، ولكن قد يقع في التوكل غرور يدر به المرء الضعيف العلم ، ولا يعلم ان ذلك منه غير توكل ، والمثال فيه اذا رأى المرء احسان رجل له اموال عظيمة ، وعضه زمان فسار اليه متوكلا بعادة احسانه اليه ومحبته له ، ورغبته لبذل احسانه له ، وذلك هو معنى الثقة به ، فعلى هذا فالتوكل يكون في كثير من الصفات اما متوكلا على علم به او على نصرته الى غير ذلك ، ولكن اذا كان المتوكل عليه قد شرط له في نيل ما رامه منه ان يعمل شيئا ، ويترك شيئا فلم يمتثل الامر وسار باظهار معصيته له خلال صفته الاولى من كمال طاعته له فهو غرور ، وليس هو حقيقة التوكل ، فحقيقة التوكل على الله بطاعته للرضى عليه ، وللعفو عنه ، ولاكرامه ولتنجيته من عذابه .

والتفويض توليته الامر علما بانه لا يريد الا صلاحه وكرامته ، وعلما به انه عليم بما هو مستحسن وبصير بالامور كلها ، كالذي يوكل في حق له ينازع له خصما ، ويعلم انه احكم في المنازعة ، وانه لا يغلبه غالب فيها ، وانه محب له لا يريد له الا الصلاح فيوليه المنازعة والمخاصمة من غير شرط ، ولكن اذا كان قد شرط عليه اني اخاصم لك ان كان لك مكتوب في هذا الحق ، وفيه شهود يقبلهم الحاكم ، فقال له نعم ؛ واراه المكتوب ، وعرف الشهود ان الحاكم يقبلهم فقال له : أتني غدا مع الحاكم بهذا المكتوب وبهؤلاء الشهود ، انا اخاصم لك فضيع المفوض الموكل امر الواثق به المتوكل عليه ، المفوض اليه امره ، وما امره به اتكالا على فطنته ، فلم يحضر ما امره فلم تكن لهذا الموكل حجة مع الحاكم ، وكان الضياع من الموكل ، فكذلك الباري ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الاعمال على العبد لاداء الطاعة لله وعدله هو الحاكم بين العباد ، ومخالفة المتوكل عليه من عباده له مثل مخالفة هذا الموكل للذي وكله مخالفة في بعض اوامره ، لم ينتفع بما معه من الصحة فالمطمس لها ، والذي لم يطمسها في عدم الانتفاع بها سواء ، فهو في الحكم قد طمسها ، اذ لا سبيل له الى اتيانها اذا كان لا موقف للحكم الا موقفا واحدا ، ومحاكما الا واحدا ، ولا حاكما الا واحدا ، ولا تمكن فيه الرجعة فصح ان في معنى التفويض والتوكل والثقة بالله ـ تعالى ـ معنى امر كمال الطاعة لله ـ تعالى ـ كلها .

واما الصبر والشكر ، فروي عن النبي ﷺ انه قال : «الصبر نصف الايمان والشكر كل الايمان» ، والمعنى في ذلك ان الله ـ تعالى ـ الزم عباده في اداء الطاعة لله معنيين :

احدهما ؛ العلم به فقط ، وذلك مثل العلم بالله وبالمال وبالدلاله ، فهذا نصف الايمان لا يودي بالصبر ، وإن كانت معرفته تنال بالاجتهاد في التعليم وبالصبر عليه بالمعنى اداء واجبه لا تعليمه .

والنصف الثاني ؛ المعاملة لله بترك ما نهى ، والعمل بما امر روما لاداء الطاعة بالاخلاص اليه ، والاعمال لا تودي الا بالصبر والمحارم بترك الصبر عنها ، فان ترك لازما ، او ارتكب محرما وجب عليه الرجوع الى الحق عن الباطل ، وتأدية ما وجب بذلك الخلاف كله بالصبر والشكر ، هو اداء الطاعة كلها بالعلم فيما وجب اداؤ ها علما ، وبالعمل وبالترك على ما وجب من ادى الطاعة ، كذلك كان صابرا او شاكرا ؛ وان كفر بالله في شيء ، ولو كان في بقية اموره طائعا لم يكن صابرا ولا شاكرا ، حتى اذا ضيع ما وجب عليه علمه لم يكن صابرا ؛ لانه لم يصبر على ملازمة الطاعة ، والدليل على ان المضيع لشيء واحد وجب عليه فيه الطاعة لله لا يسمى شاكرا ، ولو لم يضيع غيرذلك ان المرء اذا احسن اليه ملك او غيره احسانا تاما ، وهو يستعمله في امور يسيرة كالتي بها يظهر قوة الوداد له عن غيره من الحاضرين المقربين معه حتى عرف بتلك الامارة انه اقرب منهم في النفس اليه ودا ، والمحسنون فيه يثني الجميل على الملك ، ويقول : اني لا اخالفه ابدا فدعي به يوما ليعمل له عملا خفيفا مثل المعتاد في وجوه اهل الحضرة ؛ فقال : لا افعل ما امرتني به ابدا ، فقال له : إن خالفتني في هذا فانصرف عن حضرتي ، وليس لك قربة عندي ، فقال : لا افعل ما امرتني ابدا وهو متوكل من قبل على وده له ، ولكن مع طاعته له فعصاه في ذلك ، وطرده فامر بالرجوع الى طاعته ، فقال : اما في هذا فلا بد ان قتلتني وان طردتني ، واما في غيره فليأمرني بما شاء سأفعل ، هل يكون طائعا ؟ وهل يسمى شاكرا لذلك الاحسان فهو الذي خالفنا فيه قومنا ، قالوا : نعم ، وقلنا : لا .

والصحيح ما قلنا : ولا يقبل العقل السليم سواه ، ودل ان من ادى الطاعة لله بكمالها فقد شكر الله ، وكان من الصابرين والشاكرين ، وكان خاضعا خاشعا لله ، متواضعا ، لان حقيقة الخضوع التذلل بالطاعة ، وكذلك التواضع ، واما الخشية فهي الخشوع والتذلل مع قوة الرهبة ،

والحقيقة في كل ذلك في الله ولله وهو اداء الطاعة بكمالها .

واما التضرع والابتهال ؛ فمعناهما الى الله في الدعاء والسؤال ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ ، والتبتل هو مبالغة التذلل الى الله باداء الطاعة ، واما الذكر والمراقبة ، فالمراقبة معناها مقارب لمعنى المراصدة للنفس متى نظر منها عيبا ازاله او غفله عن ذكر الله بما يجب عليه من ذكره ، والعمل به ، وعما يلزمه اداؤه فيؤديه ، وما يلزمه تركه فيتركه ، ويكون قوي الحضور القلبي في كل امر يريد ان يدخل فيه ؛ هل هو جائز فيدخل ؟ أو محجور فيتركه لا يغفل عن ذلك ابدا ؟ فهذه هي حقيقة معنى المراقبة ، وهي نقيض الغفلة ؛ فان كثيرا من الناس من لا يدخل في الشبهات اذا علم بها ، ولكنه يدخل فيها بغفلة ، او يظن انه جائز ، ولا ينتبه الا اذا ذكر به ، واما الذكر فهو على وجوه :

منها ؛ ذكر الله باللسان .

ومنها ؛ بالقلب ، ومنها ؛ بالحضور والمشاهدة ، ويكون تارة باسمائه الحسنى ، وتارة بالقرآن العظيم ، وتارة بالصلوات ، وتارة بتعليم دينه ، وتارة بترك المحجورات والعمل بالواجبات متى نذكرهما ، وتارة بالمراقبة في ذلك وغير ذلك ، وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿قل ادعو الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى﴾ ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿واذكروه كما هداكم﴾ ، وقال ـ جل وعلا ـ ﴿فاذكروني اذكركم﴾ ، فقيل : اذكروني بالدعاء والسؤال اذكركم بالاجابة ، وقيل : اذكروني عند الشدائد اذكركم بتفريجها ، وقيل : اذكروني باداء الطاعة اذكركم بالتوفيق اليها ، وبالانابة عليها الى غير ذلك .

ومن قام باداء الطاعة كلها فقد ذكر الله بجميع هذه المعاني حتى بالدعاء اليه باسمائه في واجبات الصلاة والمندوب منها .

واما الخوف والرجاء ، اما الخوف فهو على وجوه منها ؛ الخوف من النفس من تضييع الطاعة لله ـ تعالى ـ ، فلا يأمنها .

ومنها ؛ الخوف من سخط الله بتضييع النفس شيئا من امور الطاعة المستوجب بها السخط والبعد .

ومنها ؛ الخوف من عذاب الله ؛ لأن الامن من مخافة الله ، ومخافة عذابه لا يكون الا اما ان يكون عن استهزاء ، أو قلة تصديق بالعقاب ، او باعتقاد هزله دون جده ، وانه ليخلفه كما ظنه قومنا فقالوا : انه ان وعد وفى وان توعد لفا ، واذا صح في الله انه يخبر بما هو غير كائن صح عليه القول بانه يخبر بغير الصدق ، وان كلامه هزل ، وكان ادنى من كلام اهل الحلم ، واهل الجد في كلامهم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

واما الرجاء فهو حسن الظن في الله بقبول الطاعة بموافقة الحق ان اتمها ، ولكن مقرونة بخوف من النفس ، ان تعصي ، وبعدم الامان منها على نفسها بذلك ، واما الرجاء على افساد الطاعة بما لا يسعه فهو الغرور ، وكذلك الخوف بغير اتمام الطاعة هو من الغرور ؛ لأن حقيقة الخائف من الشيء بشيء هو المتحذر عن التخوف منه بما لا يصله الخوف من المخوف منه بذلك الشيء ، والمثال في ذلك لو قرب اليك طعام من ألذ ما تعرفه ، وقد اكلت منه قليلا ، وذهبت الى حاجة بدت لك ، وعند ذلك الطعام رجل مشرك او منافق فاسق ، ومر طفل وبيده شيء ابيض ونظرته قد مر على ذلك الطعام فلما وصلت اليه قال ذلك الواقف عنده : قد مر طفل على طعامك وبيده سم شديد مهلك ، وسقط منه في هذا الطعام ، وهو منه كذب فان صدقته وخفت منه لن تقدر ان تأكل من ذلك الطعام ، وان اكلت منه فهو مما يدل على انك غير مصدق له فلم تخف منه ، فانظر نفسك مع الله ـ تعالى ـ لتنظر سوء ادبك انك

تترك هذا الطعام بقول هذا الكافر الذي يحتمل صدقه وكذبه ، ولا تعمل بقول الله ربك وهو يقول لك : ان هذا فيه هلاكك الأبدي ، فأي شيء اقبح من احواله هي كذا ؟ .

وينبغي ان يكون في الصحة المراقبة الى الله - تعالى - بالخوف ابلغ قليلا من الرجاء ، وعند قوة المرض المخوف منه الموت ينبغي ان تكون مشاهدة ذكر الرجاء اكثر خوفا من داعي الشيطان ، وفكر النفس بذكر النار والعذاب فيدهش العقل في ذكر السابقة ان كل هذا الخوف فيك من الجحيم لا ينفع اذا كان في سابق علم الله انك من اهل النار فيدخله في باب القدر ، وفي علم السابقة فيسخط على الله بذلك ، ويحكم عليه بغير العدل في حكمه على خلقه ، وقد فعل بأناس بهذا الفكر لشدة النظر في شدة العذاب في ذلك الحال ، فادخله الشيطان في علم السابقة لشدة الاشفاق على النفس فحكم في الله انه هو الذي يجبرهم على معصيته لئلا تختلف السابقة ، والا انا فلا شك اني اريد الطاعة ، وقاصدها : فلولا فضل الله عليه بصحته من اله ، ويسأل المسلمين عن ذلك لاهلكه الشيطان بكفره بالله - تعالى - ، ولا يقول المرء اما انا فلا يأتيني مثل هذا ، ولا يأمن نفسه من فسادها ، والله تعالى اكرم من ان يفسدها عليه اذا لم تتعمده نفسه ، وان فتحت له ذلك نفسه ، ولم يقدر على ردها ، فليس عليه الا كراهية ذلك منها ، ويرجو من غير ترك الخوف منه .

واعلم ان الخوف قد يكون على النفس ، وقد يكون من فوات قرب المحبوب ، وقلة رضاه عليه ، ومن ادى الطاعة لله بكمالها فقد رجاه وخافه ، ولكن الخوف والرجاء من كمالها فافهم . واما الزهد ، فهو على اقسام :

واجب وهو ترك ما هو لازم عليه تركه مع القيام عملا بما هو لازم عليه عمله .

ومكروه ؛ وهو ترك المكروهات مع العمل بالمندوبات بعد اداء الطاعة باللازم .

والثالث ؛ الزهد في المحللات من غير افراط ، وهو بما يدرك به فضلا مع العمل بالوسائل .

والمثال في الافراط وهو تجاوز الحد بالمبالغة التي لا اجر فيها كما ان التفريط في المبالغة في التساهل التي لا تليق بالمرء ، كالغسل من النجاسة اذا زالت بالماء ، والعرك ، ثم بالغ بعد ذلك في العرك ، وقام من الماء وذكر انه لم ينو غسل النجاسة بل نسي انه كان به نجاسة في ذلك الموضع الذي بالغ في عركه باليد والماء ، فاراد الغسل له ثانية على النية ، ليحظى شرف النية ، فهذا مما لا يحرم اجره ، وان عاود ثالثة وقال : هو نور على نور فليس هو نور ، وانما هو وسوسة من الشيطان بغير المحرمات ولا اجر له .

وكذلك اذا انتهى حد المبالغة في غسل النجاسة ثم قال : ازيدها كثيرا بعد ذلك ، فلا اجر له اذا صار في حكم الوسوسة ؛ لانه مأمور بتركها ، وضربنا مثلا بالنجاسة ؟ لأن ازالتها بالماء والعرك فيما يحتاج الى نية ، وكذلك فيما قيل : انه تنزه كثير من العباد من قبول عطايا الملوك الجبابرة ، واجازها بعضهم ، فاذا اتى اليه برطب رجل ليسه من اعوان السلطان ، قريب بالنسب اليه ممن يستحب له ادخال السرور بالقبول منه،بشدة رغبته في استعطافه اليه رآه انه اخذه من ماله ، ولكنه في اناء من اواني السلطان ، فقال : لا اكل شيئا حمل في أوانيهم ، واذا اتاه برطب رآه انه من ماله ومحمولا في آنية من اوانيه ، فقال عسى ان يكون هذا المال اصله كان حراما ، وهذه الاواني اصلها من حرام ، وانا لا ادري فليس له في هذا اجر الا ان يكون عن الآتي به لا يعرفه انه عن طيبة نفس منه او غير ذلك .

ومن ادى الطاعة لله ولو لم يزهد في الحلال كان زاهدا في الحكم .

واما التوبة ، والاستغفار ، والانابة ، والاوبة ؛ فمعنى التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة ، وكذلك الانابة والأوبة ، ولكن التوبة لا تطلق الا على الرجوع من المعصية الى طاعة الله ـ تعالى ـ ، واما الأوبة والانابة فيطلق كل اسم منهما معناهما على الرجوع الى ذكر الله باي وجه من وجوه ذكره التي ذكرناها من الغفلة حتى من الغفلة القلبية ، فالمنيب هو الراجع الى الله عن الغفلة في كل لحظة ، والتائب هو التائب من الذنب ، وقال النبي ﷺ :

«رأس التوبة الندم» ، والمعنى ان اصل التوبة يكون من علم وحال وعمل ، فاذا علم بضرر الذنب ، واشرق نور الايمان في ايمان وعلم هذا الذي قد علم بضرر ذنبه ترك ذلك العلم خوفا من سخط الله ، او من عقاب الله عليه حين اشرق نور الايمان في علمه لهذا ، وذلك الخوف الحال فيورث الحلل الندم على ترك ذلك ، وادى الواجب فيه فورث العزيمة اعتقاد التوبة ، وهو العمل القلبي فيتوب الى الله ـ تعالى ـ بجميع موجبات التوبة ، وهي الرجوع عنه ، والندم والاستغفار والنية ان لا يعود ؛ وان يعمل بالحق بعد ذلك ، وان يؤدي ما قد لزمه في ارتكابه الذنب ، وهذه الستة الاصول قد تكون بكلها ، وقد يجتزىء في بعض الذنوب ببعضها لقول النبي ﷺ : «احدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية» ، فاذا عصى الله بالقلب وحده لم تجب عليه التوبة الا بالقلب ، وعلى هذا فالندم والرجوع الى الله عنه به كفاية ، ومتى رجع الى الحق ، واعتقد ان لا يعود ، وعمل صالحا فقد تاب ، وصار في الحكم نادما ، ولو لم ير الندم في نفسه . واما ذنب العلانية فهو ؛ مما عمله بجارحة لا يسعه عمله او ترك لازما عمله بجارحة وجب في التوبة ان تكون عوض المعصية بذلك ، مشاركة فيها بجارحة ، وليس هي غير اللسان بالاستغفار لله ـ تعالى ـ

والاستغفار ؛ هو طلب المغفرة وهي الستر ، مأخوذ من غفرت رأسي اذا سترته ، وقال تعالى : ﴿واني لغفار لمن تاب﴾ ، اي ستار لذنبه لا اظهره عليه في الآخرة ، ولا افضحه به ، ويشارك معنى المغفرة العفو ، لأن من فضح عيب احد لا يسمى عافيا عنه الا فيما عليه ، فيمكن انه عفى عنه .

واما حقيقة العفو وكماله ، براءته من حقه ، والستر على ما فعله ، ووصف الله نفسه انه غفار لمن تاب ، فدل عباده على عظم كرامة الله ، وكثرة لطفه ورحمته للتائبين ، والزام الله عباده المذنبين التوبة اليه ، والاستغفار في ذنب العلانية كفارة بجارحة عن جارحة ، وسؤال له ان يستر عليهم وفي الحقيقة سؤال له ان يسدل عليهم عظيم لطفه ومحبته وكرمه لهم ، وفي ذلك اعتراف له بانه كذلك هو لهم وبهم ، فافهم ذلك .

واما التعظيم ، والحمد ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، فالتعظيم والتكبير يتقاربان في المعنى ، ولكن معنى التكبير اعم فهو ؛ كالملك يدخل فيه جميع معاني العظمة في كل شيء ، والعظيم كالملك قد يكون في شيء عظيم ، وهو في بلد ، وليس هو كبيرها ، اي ليس هو كبيرها ، ولا يمكن ان يكون كبيرها الا وهو المعظم فيها ، والمالك لامرها ، ولذلك لا يأتي في الذكر الحكيم في الله ـ تعالى ـ : وعظمه تعظيما ، كما جاء ﴿وكبره تكبيرا﴾ ، ولذلك جاءت تكبيرة الاحرام الله اكبر ، ولا يجوز لمن قدر ان ينطق بها كذلك بغير هذا اللفظ بهذه الحروف .

ومعنى المعظم العظيم شأنه .

وكذلك معنى الكبير ؛ الكبير شأنه ، وانه لا شيء اعظم ولا اكبر من شأنه .

ومعنى التسبيح هو التنزيه له عن كل ما لا يليق به من الصفات .

والتهليل ؛ الشهادة له بانه لا اله الا هو .

ومعنى الحمد ؛ هو الثناء عليه بكل شيء صنعه ؛ وقيل : هو الشكر وحمد الله على نفسه ، وهو الثناء عليها ، وحمد الله في الكائنات هو الثناء عليه في كل ما صنعه ، وحمد الكائنات له هو تسبيحها وتهليلها وتكبيرها وشكرها وثناؤ ها له في جميع صفات ذاته ، وصفات صفاته ، وصفات افعاله ، وحمد المتعبد لله علمه بصفاته ، وعلمه ان كل ما صنعه هو حمد وثناء ، وشكر وتسبيح ، وتهليل وتكبير ، وتوحيد ، وعلمه بوجود الطاعة له وعبادته ، واداء ذلك اليه جل جلاله .

واما النصيحة ؛ فقد ظنها قوم انها هي نصح المرء لمرء غيره في عمل واجب عليه تركه فعمله ليتركه ، او في ترك عمل لزمه ان يعمله فتركه ليعمله فقط ، وهذا صحيح ؛ ولكنه هو وجه واحد من جملة وجوه لها وقال النبي ﷺ : «انما الدين النصيحة انما الدين النصيحة انما الدين نالنصيحة» (كررها ثلاثا) ؛ وقد ينصح المرء في ظاهر الامر بشيء وهو يريد به الشماتة واشاعة العيب فيما له وجه من العذر ، ولكن النصيحة هي كما قال ﷺ انها كل الدين ، لأن النصيحة على وجوه :

احدها ؛ نصيحة المرء نفسه فيما بينه وبين الله ـ تعالى ـ بان يخلص اليه في الطاعة بنور العلم ، والمراد بنور العلم اي بموافقة الحق ، فان غير الموافقة للحق ليسه بعلم ولا نور له . والثاني ؛ المراد بنور العلم اي العلم الحق الديني المنور بنور الايمان ؛ لأن حقيقة العلم اذا لم ينور بنور الايمان فذلك ، وان كان في نفسه نور فانه لا نور له في قلب الانسان لبعد انواره عنه كما مثلناه فافهم .

الوجه الثاني ؛ النصيحة لدين الله بالغيرة عليه ، والحمية لله ، وان لا يغشه بتحليل حرام ، ولا تحريم حلال .

والثالث ؛ النصيحة لغيره من الواجب عليه النصيحة له من الملائكة والجنة والناس اجمعين ، من انبياء ورسل واولياء ، وجميع الناس باداء الواجب عليه فهم كل منهم باداء الواجب عليه من رفع اساءة او ولاية ، او قرار بمعرفة ، او ان يحب له ما يحب لنفسه ، وان يكره له ما يكره لنفسه الى غير ذلك من اداء الحقوق الاعتقادية ، والقولية ، والبدنية ، والمالية .

واما الحكمة ؛ فهي احكام اي اتقان كمال الطاعة بنور العلم في كل شيء باكمال صفاته ، ولا يكون الا عن علم صحيح ، وقوله تعالى : ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ ، فهي العلم الديني الحق ، والعلم باتقان اكمل الصفات فيه ، والعمل بنور العلم ، والايمان بتلك الكمالات ، ومن اعطي ذلك فقد اعطي خيرا كثيرا ، وما يتذكر الا اولو الالباب ، اي وما يعلم ذلك انه كذلك ، وما يعلم بما هية الحكمة ، وما يعمل بها الا اهل العلم والحكمة ، وهم اولو الالباب على الحقيقة ، فاسم العليم والحكيم معناهما متقاربان ، ويدخل معنى احدهما في معنى الآخر الا ان اسم العليم يعم كل من علم بالشيء ، ولو لم يحكم عمله .

واما اسم الحكيم فهو يخص من علم بالشيء ، واحكم صنعه باكمل صناعة فيه ، والمثال في ذلك ؛ ان العالم بقواعد حسن الخط وهو كاتب ، ليسه بامي ، فيصح ان يقال : هذا عالم بما هية ، حسن الحروف ، وما ينبغي انها تكون صفتها كذا وكذا ، ولا يقدر ان يصوره بيده ، وانما نظره في كتاب فتصور في عقله مثالاته ، ولا يصح انه حكيم بتجويد كتابة الحروف ، ومن اتقنها علما وعملا ، كان فيها حكيما ، فكل حكيم في شيء فهو عليم به ، وليس كل عليم بالشيء هو حكيم فيه .

فان قلت : قد يمكن ان يكون عالما بتجويد الحروف ، ولكن لا يكتب ، بل تارك لها ؛ هلا يكون حكيما ؟ فنقول : اذا كان في تركه ضرر عليه ، او هو محتاج له ، وفيه ارتفاع حظه ، وتركه ، فليس هو بحكيم في تركه ذلك ؛ لأن الحكيم حقيقة معناه المتقن الاشياء باحكم ، واكمل صفاتها ، فصح ان معنى الحكمة هو ما قلناه ، وهي مثل شخص كامل الحسن ، وعليه من اللباس قدر الحاجة ، وما زاد على ذلك من الزينة هو مثل قدرة العالم الحكيم على ابراز العلم من الشريعة والحقيقة باوضح من اشراق نور الشمس على الآفاق في قلوب العارفين ، حتى تشاهد صحته كالشمس اذا طلعت ، وكانت المعرفة بذلك منهم سابقة في عقولهم انه كذلك ، وانما هو سبقهم بالتذكير لهم ، وفي الاصل لو قروا ذلك العلم من تصنيف غيره لما عرفوه كذلك ، وانما كان كذلك لاتضاع صحة الاصل ، وصحة القياس عليه ، مثل كلام الشيخ ابي سعيد رحمه الله ؛ كلما قرأت منه وجدت معرفته في عقلك ، كأنك تعرفه قبل ان يقول هو كذلك ، ولو قرأت ذلك العلم عن غيره لما سبق اليه فهمك كذلك ، ومن بعد هذا ؛ فتزيين الناس بعد ذلك باكمل صفة واحسن لذة في المرء ، واعدل لائق به ، وابهى منظرا ، واشرف نسجا ، يراه الأنام هو الغاية في جودته هو مثل الفصاحة للحكيم القادر على اخراج العلم الديني باشرق ايضاح في قلوب المؤمنين ، مع العمل باكمل حالاته ، فيخرج حكم العلم بحكم من الكلام الموجز المعجز ببلاغة فصاحته فهي الرتبة المحبوبة المجبولة قلوب فصحاء العرب الى حبه لشرف القرآن العظيم ، وجلالة عظمته عند الله العظيم ، فيكون جميع الناس ناظرين اليه بالمحبة والتعظيم والتعجب منه ، كأنه الشمس عليهم ، وذلك مثل الشيخ والدي العالم الرباني ، ومن كان على هذه الصفة ، فهو الحكيم المطلق عند العرب .

واما الحكيم في حكم الشرع ، فهو الحكيم بعلمه في كل شيء اكمله واحكمه في جميع الاعمال والافعال حتى في حركاته وسكناته ، ان قام

بحكمة ، وان قعد بحكمة ولحكمة ، وان نظر او سمع فلحكمة وبحكمة ، وكلامه حكمة ، وهيأته حكمة ، ورزانته حكمة ، ومزاحه حكمة ، وبحكمة ولحكمة ، ولباسه حكمة وبحكمة ولحكمة ، وان قارب بحكمة ، وان جفا بحكمة ولحكمة ، وان نصح بحكمة ، وكذلك في جميع اموره في الباطن والظواهر من جميع امور الدنيا والدين .

واعلم ان الله ـ تعالى ـ رفع الخلق بعضهم على بعض اليه بالتفاوت في الدرجات ، كل منهم على قدر ما اعطاه من الحكمة ، وكل احد اعطاه من الحكمة على قدر نور ايمانه وهو نور محبته ، وكل اعطاه من نور محبته على قدر قوة ايمانه ، وكل احد قوة ايمانه على قدر قوة نور عين بصيرته وقوة نور عين غريزته ، وقوة صفاوتها للعين البصيرية ، وشدة مطاوعته النفس المدبرة للعين البصيرية ، وقوة ضياء العلم لقربه من العيون وقوة نظر العيون اليه لشدة هذه الانوار ، وكثرة الصقل والجلاء لمرائي هذه العيون ، وكثرة المراقبة بالنظر اليها ان حدث بها دين من صفاتها صقله بالحال ، وهي طريقة التصوف ، واعظم الخلائق عطاء من الحكمة النبي ﷺ ، ولكن لا يدعى (الحكيم) ، ولا يسمى بالصوفي ؛ لأن النبوة اعظم درجة في الفضل من كل درجة فاضلة ، واسم النبي اعلى درجة من اسم الصوفي ، واسم الحكيم ، ولذلك لا يسمى الانبياء بالصوفيين ، وان كان معنى التصوف ، متصوفين به ، ولا يطلق على النبي بالحكيم من غير تسمية باسم النبي فلا يقال : قال الحكيم : ولا يروى عن الحكيم ، من غير ان يسميه باسم النبي ، الا ان يكون بمعنى الوصف له بذلك ، فيقول في الاحتجاج مثلا قال موسى ـ عليه السلام ـ ؛ وهو الحكيم في الامور ، فيذكره وهو الحكيم صفة له يحتج بها ان هذا قوله وهذا عمله ؛ ولا شك انه هو ، وليس المراد انه لا يجوز ان يسمى النبي الحكيم ، والصوفي ، وانه يهلك بذلك ، فلا ؛ فانه واسع ما لم ينكر النبوة له ، ويجعله حكيما او صوفيا غير نبي ، وانما اخبرنا بالعلة التي بها تستعمل العرب هذه الاسماء

للانبياء ، والا فالحق هو على ما ذكرناه انه واسع وجائز على الشرط الذي وصفناه ، ويصح بالتوسع في اللغة على المجاز ان يسمى كل صانع قد تناهى في احكام صنعته التي هي حكمة اصلها مستطرفة باسم الحكيم فافهم ذلك .

واما الوفاء بالعهد ؛ اما عهد الله لعباده الذين تعبدهم بعبادته هو فرض عبادته عليهم في اداء الطاعة به منهم له جل جلاله ، واما عهد المتعبدين مما اوجبه عليهم بعبادته ، فاعتقاد اداء الطاعة له ، وكل مولود فانما هو مولود على الفطرة اي على فطرة ايمان ابيه آدم ، وابيه نوح ـ عليهما السلام ـ ولقوله ـ تعالى ـ في اطفال اوليائه الذين لهم فطرة آبائهم : ﴿الحقنا بهم ذريتهم﴾ ، فقال ﷺ : كل مولود فهو على الفطرة وانما يهود ه ويمجسه وينصره أبواه» ، اي بالاحكام في الدنيا ، فان كان ابواه مشركين ، وبلغ الحلم فعليه الدخول في الاسلام ، اذا كان صحيح العقل بكل شيء لزمه اداء الطاعة لله فيه ، فان لم يؤ ده واشرك ، فقد نقض ما كان معافى عنه في فطرته ، وان كان من اطفال المسلمين ، وبلغ الحلم وهو صحيح العقل وجب عليه عهد الله على عباده المتعبدين بعبادته الوفاء بما هو ثابت له بفطرة ايمان ابويه ، فهو في الحكم من كرم الله له ناوٍ اعتقاد اداء الطاعة لله ، معاهد له جل جلاله ، ولو لم يخطر بباله ذكر ذلك في الجملة ، فينوي غير الطاعة ، او يحضر فرض عليه اداؤ ه فلم يؤ ده بغير عذر ، او يرتكب محرما بغير عذر ، فيكون قد نقض ما ثبت له ما لزمه انه في الحكم معاهد ربه بطاعته بالفطرة ، واذا رجع وتاب وادى الطاعة في ذلك كان كذلك الاعتقاد في ذلك هو مثل الحملة في كل شيء ما لم يضيع شيئا بلا عذر ، فلا ينفعه الاعتقاد في ذلك للجملة ، ولا اعتقاد الجملة مع التضييع لشيء لا عذر له ، ولا يسعه ذلك ، ومتى خطرت بباله نية اعتقاد الجملة انه ليؤ دي الطاعة لله في كل شيء من عبادته ، الزمه ان يعبده ويطيعه ، وفهم معنى هذا لزمه الاعتقاد ، فان كان لم يضيع شيئا ، وفي علم الله به فيما قصده ونواه ، وعزم عليه انه ليؤ دي الطاعة له في كل شيء اثبت له حكم المعاهدين

لله ، وان كان قد غير نيته الى المعصية محي عنه ما اثبت له فيه ، فان اضمر ليطيعه في امر ، وقد عصاه في امر آخر لم يوف بالعهد كان ذلك نقضا لجملة العهد ، فافهم ؛ فان العهد على ثلاثة اقسام :

عهد الله على عبده الذي يتعبد بعبادته بلزوم عبادته باداء الطاعة كلها .

وعهد العبد بحكم الفطرة الاولى والثانية آدم ونوح ـ عليهما السلام ـ انه معاهد ربه بعبادته بعدهما .

وعهد ابويه ان كانا مسلمين بثبوت الايمان له ، وثبوت العهد منه انه في الحكم معاهد ، حتى ينقضه بمعصية .

وعهده بنفسه ؛ لأنه لازم عليه اعتقاد اداء عملها متى لزمه اداء الطاعة فتكون نيته في ذلك كالنية في الجملة بالجملة ما لم ينقضها أو كان قد نقضها بشيء فافهم ذلك .

وقد ظن كثير ممن لا علم له ان صفة العهد ، هو ان الله اخرج من صلب آدم ذريته في حياة آدم مثل الذر ، واشهدهم على انفسهم : **﴿الست بربكم قالوا بلى﴾** ، اي انت ربنا ، و(بلى) بمعنى (نعم) ، ولكن (نعم) لا تكون في سؤال الاستفهام للاثبات ، لانهم لو قالوا : (نعم) لكان المعنى (نعم ؛ لست انت ربنا) ، وكفروا بذلك ، ومعنى (بلى) اي انت ربنا ثم عاهدوه بعبادته ، وردهم في صلب آدم فهو يؤاخذهم بوفاء ذلك العهد ، ونحن نقول : ان الله على كل شيء قدير وقادر على هذا وعلى ما شاء ، ولا نهاية لقدرته ، ولكن هذا تأويل من عقل انسان او من عقول اناس ، وغير الانبياء غير معصومين من الخطأ في مثل هذا ، ولم تقم الحجة بصحة هذا عن احد منهم ، وليس له دليل في التنزيل واضح يدل على صحته ، ووجدنا الامر كذلك على ما حكاه الله ـ تعالى ـ على غير هذا التأويل فصح ان المعنى هو على

ما صح .

اما الاخراج فقال : ﴿واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ ، فقال : «من ظهورهم» ولم يقل : (من ظهره) ، ثم قال : «ذريتهم» ، ولم يقل (ذريته) فنسب كل احد في الاخراج من ظهر ابيه ، وهو معنى قوله ـ تعالى ـ : ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ ، فالمني يخرج من صلب الرجل ، وترائب المرأة ، كذلك الولد اذ هو من مائهما المني ، فكان المعنى اخذ الله كل واحد في اخراجه من ظهر ابيه ، وترائب امه وخلقه على الفطرة القابلة لتجلي نور الايمان فيه ، والقابلة للعمل باركان الايمان بوجود العقل النوراني بجميع عيونه ، وجعل فيه قوة يعرف الله بها ، ولا يقدر ان ينكر بها معرفته بعد ما يعرفه بها ابدا ، فاشهده على نفسه (الست بربك ؟) والعقل يرى حقيقة الحق ، فهو يشهد ان الله ـ تعالى ـ ربه فيقول : (بلى انت الرب) ، اما معرفته بالعقل والقول به ، واما بالعقل واللسان ، وان انكرت بعض العيون من العقل فان فيه البصيرية تشهد لله بان الله ـ تعالى ـ رب كل شيء ، والزمهم هذه الشهادة كل احد منهم بعد البلوغ مع صحة العقل ، وقيام الحجة عليه في معرفة الله ـ تعالى ـ اما من عقله ، واما من السماع ، وهو يعرف ان عليه عبادة الله واجبة وعليه اعتقاد ادائها فهذا هو العهد ، وعهد الله الزامه ذلك فافهم هذا ، ولا تضل كما ضل فيه من ضل والحمد لله .

واما الرضى والمحبة ؛ فالرضى هو اعتقاد العدل في كل ما يعقله في الله ـ تعالى ـ واعتقاده في الله ـ تعالى ـ في كل ما يصنعه فيه ، لا يريد به الا الخير ، فمن عرف ان جميع افعال الله فيه وبه ، وفي جميع الاشياء ، وبجميع الاشياء فقد ادى فريضة الرضى ، ولو اخبر بما اصابه ، وتألم كثيرا ، وحزن حزنا شديدا ، وبكى ، قال الله ـ تعالى ـ في وصف نبيه يعقوب ـ عليه السلام ـ : ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ ، وقال ـ تعالى ـ حاكيا عن قول

اولاده لابيهم : ﴿تالله تفتوء تذكر يوسف حتى تكون حرضا﴾ ، اي لا تأنيب عليكم تكون من الهالكين ، قال : ﴿انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون﴾ ، والله عالم بحزنه .

والمثال في ذلك من امر ، حجام يحجمه ؛ فهو يؤلمه ولكنه راض عليه فيما يفعله ، ولو شكا الم ذلك واطال المذمة ، لألمها فلا يسمى ساخطا على الحجام ، ويعطيه على ذلك نفعا كثيرا ، واما اذا ذم الحجام بقلة معرفته للحجامة ، وان كثرة الالم انما هي لقلة معرفته للحجامة ، فيكون بهذا الوجه هو غير شاكر له ، وغير راض عليه في صفات افعاله ، وراض عنه في فعله به لعلمه بصلاحه في ذلك ، فيكون كالراضي بنعمة ، والزام له في توحيده ـ جل وعلا ـ وان جعله ان ذلك من قلة معرفته ، وقلة مبالاته ، فهو فيما بينه وبينه كمن وصف ذاته بصفات الذم والجهل ، ووصفه في الافعال بصفات الجور وان جعله عارفا ، ولكنه مغش له فيما بينه وبين الله كمن وصف افعاله بصفات اهل الجهل ، وان فوض الامر للحجام اعتقاد في نفسه ان كل ذلك منه نصح ، ولا يريد به في ذلك الا الخير ، وانه مصيب في كل ذلك ، وصبر واتكل عليه بمعرفته انه عارف حكيم بصير فقد حمده ، وتوكل عليه ، وفوض امره اليه ، ووثق به ، ورضي عليه وشكره .

والشكر هو الرضى والرضى هو الشكر ، وأما المحبة فإذا أطاع العبد مولاه في كل أمر ونهي ، وأدى الطاعة لله بكمالها بموافقة الحق في كل شيء ، وفي الأصل لا يسمى طائعا لله الا أن يعبده بجميع ما تعبده بموافقة الحق ، فإن اسم أداء الطاعة لله ، واسم الاخلاص ، واسم كل اسم من هذه الأسماء التي شرحناها ، فمعناه مقتضٍ ذلك ، ولو لم يشرط بموافقة الحق ، ولهذه المعاني درجات أخرى ، وللرضى معانٍ غير هذه ، وللمحبة معانٍ وأقوال كثيرة ، وكل ذلك سنأتيه ان شاء الله ـ تعالى ـ في فصل التصوف .

بيـــان : فإن قلت : انك قلت : ان علم الحقيقة لعيون القلب ، وعلم الشريعة للظواهر ، وهو مثل الطب في الأبدان ، وان الاحتماء عن المحرمات هو مثل الاحتماء من أكل السموم ، وما أشبهها من المهلكات ، والمكروهات ، مثل الاحتماء عن الأغذية التي تزيد بها العلة ، والمندوبات مثل تجويد الغذاء المناسب لبرء العلة ، وترك ما ارتكبه من المكروهات مثل الاستفراغ بالمحللات ، وترك ما ارتكبه من المحرمات ، مثل التقيء لما يشربه من السموم المهلكة أو أكله منها ، والتوبة مثل الدواء الشافي ، والعمل بالواجبات مثل الغذاء الذي لولاه لم يبق حيا ، والتصوف مثل التriاقات الكبار التي من استعملها لم تصبه علة ، وهو مثل الأكاسير الكبار ، ونور الايمان مثل الاكسير الأعظم .

فطب الأبدان وطب الانسان بالدين ، وطب الأجساد المتطرقة الناقصة لشفاء عللها وتتميمها وتوليد المولدات ، وتكوين الكائنات كله على مثال واحد ، وقلت : ان الطب انما هو بالمقابلة فأين موضع المقابلة لما ذكرته من تخليص النفس من ظلمها بنور العلم والايمان ؛ فأقول : ان العلم في مقابلة العمى بالعلم والجهل بالعلم ، والاسلام في مقابلة الشرك ، والايمان في مقابلة النفاق ، وحب الايمان في مقابلة الجهل الضلالي الذي هو معناه قلي الايمان ، واتباعه النفس بالهوى والتقوى ، والورع والزهد في مقابلة اتباع الهوى ، والصبر في مقابلة الضجر والملل بترك الطاعة ، والرضى في مقابلة السخط ، والحكم في الله بغير صفة العدل والعلم والكرم الى غير ذلك ، والتوكل والثقة والتفويض في مقابلة سوء الظن بالله ـ تعالى ـ ، والمحبة في مقابلة قلي الطاعة ، وهو الجهل الضلالي ، والوفاء بالعهد في مقابلة الخلف له ، والخوف في مقابلة الأمن من مكر الله ومن فساد النفس ، والرجاء والطمع في مقابلة الاياس من روح الله ، والاحسان في مقابلة سوء الأدب ، واليقين في مقابلة الشك والوهم والظن والتخمين ، والاخلاص في مقابلة الرياء ، وهو الشرك الخفي ،

والنفاق الخفي ، والخشوع والخضوع في مقابلة صعوبة الانقياد ، والنصيحة في مقابلة المغشة والتعظيم في مقابلة الاستهزاء ، والتهاون والتكبر في مقابلة التصغير والتحقير ، والتوبة في مقابلة الاصرار على الذنوب ، والذكر والمراقبة في مقابلة الغفلة ، والتضرع والابتهال والالجاج في السؤال في مقابلة الاستغناء عن الله ، والتعزز عن الله بالافتقار والتذلل اليه ، والطاعة في مقابلة المعصية ، والشكر في مقابلة الكفر ، وعلى هذا في كل طاعة ومعصية .

فإن قلت : الصلاة المكتوبة ما يقابلها ؟ فنقول : ليس المعنى هذا ، وانما المعنى أن الصلاة أداؤ ها فرض ، فإذا أداها فقد أدى الطاعة ، وان تركها على ما لا يسعه في تركها كان عاصيا ، فكانت الطاعة بها في مقابلة ترك المعصية بها ، وكانت المعصية بها في مقابلة الطاعة على الضدية ، وكان الدواء لدائها التوبة منها ، وأداء ما لزمه فيها ، فافهم ذلك ، فقد أبدينا لك في هذا الفصل ما هو لازم فعله ، وما هو مندوب ، وما هو محرم ، وما هو مكروه ، في علم الحقيقة والمعاملة بها لله ـ تعالى ـ ، وقل من يأتيها مفصلة موضحة كذلك ، بل أتوا علم الحقيقة والمعاملة بها لله ـ تعالى ـ مجملة مختلطة ، واجبها بوسائلها ، ومندوبها بواجبها ووسائلها ، فإذا وقف عليها الواقف ، ونظر الى ما أثروه فيها أوهمه تأثيرهم فيها ان لا سلامة للمرء الا بالعمل بجميع ذلك فيضل من حيث لا يدري اذا اعتقده وخطأ من لم يكن كذلك ، ولا سيما حيث ورد عن الشيخ أبي نبهان وهو قدوة لأصحابنا ممن جاء من بعده في هذا العلم نظما ونثرا ، وسلك ـ رحمه الله ـ مسلك قومنا المتصوفين من غير تمييز للأقسام ولأحكام الأقسام ، فخفت ان يطلع عليه أحد فيأخذه على ظاهره ، ويجريه على العموم كذلك في كل قسم ، وليس الشيخ مراده كذلك ؛ انتهى ما أردنا نقله من مثل هذا ؛ والله أعلم .

فصـل : وجدت بخط الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ؛

قيل : سميت الصوفية صوفية ؛ لصفاء أسرارهم ونقاء آثارهم ، قال أبو زيد : سميت بهذا الاسم لاشتغالها عن الخلق بظاهر العابـدين ، وانقطاعها عن الخلق بمراتب الواحدين ، وقال : فللعبد على حسب مكانه علم ، ولعلمه حال ، ولحاله ذكر ، ولذكره سر ، ولسره خاطر ، ولخاطره اشارة ، ولاشارته سمو ، ولسموه دنو ، ولدنوه وصول ، ولوصوله قبول .

فصـل : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿**الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ ، فكل من تأمل في هذه الآيات وقع على معاني القوم ، ووجد معاني القوم مشتملة عليها ، وسئل الجنيد عن التصوف فقال : أن يكون مع الله بلا علاقة ، وقال رويم : التصوف التهاون بالنفس والتغرير لأمر الله .

وسئل أبو يعقوب المزايلي عن التصوف ، فقال : هو حال تضمحل فيها معالم الانسانية ، وسئل أبو يعقوب عن التصوف فقال : هو حال يستحوذ على القلب فيصير غدوه ورواحه الى الله ـ عز وجل ـ ؛ وسئل أبو يزيد عن التصوف ، فقال : وفاء بلا عهد ، ووجد بلا تكلف ، واسرار بلا عبارة ، وسئل الجنيد عن التصوف ، فقال : الذكر ثم الوجد ، لا ذاك ولا ذاك ، حتى يبقى كان لم يكن .

وسئل ذو النون عن الصوفي فقال : من اذا نطق بان نطقه عن الحقائق ، واذا سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق ، قال أبو بكر السعداني : الصوفي هو الخارج عن النعوت والرسوم ؛ قال الناسخ : التصوف تصفية القلوب من الأدناس ، والانقطاع الى الله في جميع الأنفاس ، ولا يستحقه من لم يغب عن رؤ ية الخلق بمشاهدة الملك الحق ؛ والله أعلم ؛ وقال في موضع آخر : اقامة الظواهر ، وتصفية السرائر ، ولا يستحقه الا من انقطع الى الله بالكلية ، ورقى بالشريعة الى مقامات الحقيقة فنسى ما سواه ، وترك ما عداه .

رجـــع

فصـل : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿لا اله الا أنا﴾ ، قال سهل بن عبدالله : كلمة (لا اله الا الله) لازمة للخلق الاعتقاد بها قلبا ، والاعتراف بها نطقا ، والوفاء بها فعلا ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ، قيل : ما عرفوا الله حق معرفته ، ولو عرفوا ذلك لذابت أرواحهم عند كل وارد يرد عليهم من صنعه ، وقال الشبلي : المعارف تبدو فتطمع ثم تخفى فتيأس ، ولا سبيل الى تحصيلها ، ولا طريق الى الهرب منها فتطمع الآيس وتيأس الطامع ، وأنشد يقول :

أظلت علينـا منك يـوما غمـامة   أضاءت لنا برقا وايطار شاشهـا
فـلا غيمها يجـلي فييأس طـامـع   ولا غيثها يأتي فيـروي عطاشهـا

وقال أبو سليمان الداراني : يفتح للعارف وهو نائم في فراشه ، ما لا يفتح للعابد وهو قائم في صلاته ، وقال سهل : من عرف الله فقد غرق في بحر الحزن والسرور ؛ قال الناسخ : من شم رائحة المعرفة ، خرجت الدنيا من عينيه ، وتجردت الآخرة من قلبه بأسرها فغاب عن الأغيار ، ولم يبق في سره غير الجبار لوجود قدسه وفنائه عن دائرة حسه ، ولا يكون على الحقيقة من العارفين من شهد في الوجود غير رب العالمين .

رجـــع : وقال الجنيد : قلب العارف طاهر من كل دنس ؛ لأنه يلاحظ ربه في كل نفس ، وقال ذو النون : أريد عارفا خائفا لا عارفا واصفا ، قال الناسخ : من لم يكن من الله خائفا فليس بعارف ، وان كان للمعرفة واصفا اذ ليس حقيقة المعرفة نعت الذات والصفة ، انما المعرفة معارف أنوار الالهية ، مورثة لحب من له صفات الأزلية ، تستغرق القلب بالمعية ، عن الآثار الغيرية .

رجـــع

فصــل : قال يونس بن عبيد : الورع هو الخروج من كل شبهة ، ومحاسبة النفس مع كل طرفة ، وقال يحيى : ورع الظاهر أن لا يتحرك الا بالله ، وورع الباطن أن لا يدخل قلبك سواه ؛ قال الناسخ : الورع مجانبة الأرجاس ، ومراعاة الأنفاس ، وترك ما لا به باس ، والاكتفاء بالله عن الناس ، ومراغمة النفس ، ومخالفة الوسواس ، والناس في الورع على أجناس .

رجـــع : وقال ذو النون : ذنوب المقربين حسنات الأبرار ، قال الناسخ : التوبة حياة الألباب ، وبها النجاة من العذاب .

رجـــع : وقال يحيى : يتولد سوء الخلق من حب الدنيا ؛ قال الناسخ : الدنيا دار كل شر وبلية ، وباب كل ضر ورزية ، وجماع كل محنة وخطية ، ظاهرها عامرة ، وباطنها عبرة ، وغايتها حسرة ، فمن بها عبر ملك ، ومن اغتر بها هلك ، وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، ومن غيره ؛ ولا يتم حسن الخلق في الانسان ولا من الانسان حتى يتم في جميع ما أمره الله ـ تعالى ـ به ونهاه عنه ، ولو يتم في شيء دون شيء ، فليس بحسن الخلق في الحقيقة .

رجـــع : وقال الجنيد : لا تكون عبدا بالكلية حتى لا يبقى عليك من غيره بقية ؛ قال الناسخ : لا تكون لـه العبد المصـاص ، الا بكمال الاخلاص ، ولا يستكمل العبد الحرية حتى لا تبقى عليه شيء من صفات البشرية .

رجـــع : وقال محمد بن الفضيل : من ملك نفسه عز ، ومن ملكته نفسه ذل ، قال الناسخ : النفس جوهر مذموم مشاب بكل مآل مشوم ، فمن

أجراها في مقامات الطاعات نجا ، ومن أطلق عنانها في ميادين الشهوات تردى .

رجـــع : وقال لعله الجنيد : الجلوس مع الله بلا واسطة شديد ، قال الناسخ : من لزم الوحدة بلا فكرة ، وصحب العزلة بغير عبرة ، كانت خلوته عليه حسرة .

رجـــع : وقال ذو النون : من لم يدلك ظاهر لونه على باطن قلبه فلا تجالسه ، قال الناسخ : لا خير في مجالسة من لا تذكرك بالأخرى رؤيته ، ولا تدلك على ترك ما سوى المولى كلمته .

رجـــع : ذكر عن علي بن أبي طالب انه قال : الذكر بين الذكرين ، والاسلام بين السيفين ، والذنب بين فرضين ، قال من فسره ولعله أبو نبهان : وانما أراد بقوله : (الذكر بين الذكرين) يعني : ان العبد لا يقدر على ذكر الله ـ تعالى ـ ما لم يذكره الله بالتوفيق ، فإذا ذكر الله ـ تعالى ـ ذكره الله بالمغفرة ، ومعنى قوله : (الاسلام بين السيفين) ؛ يعني يقاتل حتى يسلم ثم اذا رجع عن الاسلام قتل ، ومعنى قوله : (الذنب بين فرضين) يعني ؛ فرض عليه أن لا يذنب ، فإذا أذنب فرض عليه أن يتوب .

(مســألة) : عن الشيخ راشد بن سعيد الجهضمي ، ان على الانسان أن يعبد الله على انه مستحق للعبادة ، ولا يعبده لشيء لولا ذلك لما عبده ، وعلى الانسان أن يعرف نفسه انه عبد تجب عليه العبادة لمحدثه وخالقه الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؛ والله أعلم .

فصـل : وقال الشيخ سعيد بن أحمد الكندي في رده في [كتاب الاحياء] : لما ان قسم الغزالي أحوال الممدوحين ، منهم ؛ من يكره بالذم ، ومنهم ؛ من يتساوى عنده ذلك ، ومنهم ؛ يفرح به المعنى ، قال الشيخ

الكندي : الواجب على الانسان أن يحب الصدق ، ومن جاء به قيل : به فيه ، أو في غيره ، ويبغض الكذب ومن جاء به ، قيل به فيه ، أو في غيره ، ويشهد بنفسه كما يشهد لغيره ، ويشهد على نفسه كما يشهد على غيره .

وأما الشهوات المخلوقة المركبة في الطباع ، فلا يؤخذ بها العبد ما لم يتابعها ويثبتها ويرض بها ، من فرح وحزن ، وحب وبغض ، وغضب وشهوة ، وجميع ما حدثته به نفسه ، هكذا ثبت في السنة عن النبي ﷺ .

(مسـألة) : ومن كتاب [احياء علوم الدين] ؛ وأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ، ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة ، وكيفية علاجها ، وهي علوم لا تراد الا للعمل ، وكل عليم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل ، فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من أخلاط كثيرة ، لا يعرفها الا حذاق الأطباء ، فسعى في طلب الطبيب ، فعلمه الدواء ، وعلمه كيفية الخلط والعجن ، وكتب له نسخة ، ورجع الى بيته ، فهو يكررها ويقرأها ، ويعلمها المرضى ، ولم يشتغل بشربها واستعمالها .

قال غيره ؛ وهو الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي : قراءة القرآن والسنة والآثار مثل قراءة النسخة التي ذكرها ، اذا لم يرد بقراءتها العمل .

رجـع : أفَتَرى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا ؟ فهيهات ! لو كتب منها ألف نسخة ، وعلمه ألف مريض ، حتى شفي جميعهم ، الا أن يشربه ويصبر على مرارته ، فهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعة ، ولم يعملها ، وأحكم علم المعاصي ، ولم يجتنبها ، وأحكم علم الأخلاق المذمومة ، وما زكى نفسه عنها ، فهو غير معذور ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿قد أفلح من زكاها﴾ ، ولم يقل : (قد أفلح) من تعلم كيفية تزكيتها وعلمها الناس ، قال غيره : وهذا اذا تعلم دواء علته فلم يستعمله ، فكيف اذا تعلم دواء علة غيره ولم يتعلم دواءه ولم يستعمله ؟

رجـــع

(مســألة) : ومنه ؛ فيمن تطوع بصلاة فحضر ملك من الملوك ، وهو يشتهي أن ينظر إليه ، ولولا الناس لقطع صلاته فأتمها خوفا من مذمة الناس ، فقد حبط عمله ، وعليه الاعادة ان كان في فريضة ، وقد قال ﷺ : «العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب أوله» ، أي النظر الى خاتمته ، قال غيره ؛ ولعله الشيخ سعيد بن أحمد الكندي : ينبغي أن يقال : جميع أعمال المرء كلها اذا طاب آخرها طاب أولها ، والأعمال بخواتيمها ، هكذا الحق والعدل .

رجـــع : وروي : «من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي قبله» ، وهو منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ، ولا على القراءة ، فإن كل جزء منه مفرد منفرد ، فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي ، والصوم من قبيل الصلاة .

قال غيره ؛ ولعله سعيد بن أحمد : لا يخلو أن يفسد الباقي دون الماضي من العمل ، بل اذا راءى بالشيء وعمله يبطل عمله ذلك ، وما عمل من غيره فيما مضى من عمره نزل من حال الرضى الى حال الغضب الا أن يتوب .

رجـــع : ومنه أعني ؛ كتاب [الاحياء] ؛ ثم قال : ان طرأ عليه في أثناء صلاته تحسين الصلاة ، تركت بقية المسألة ، ولقد ذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط في أمر أهون منه ، وقال : اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس ؛ يعني ؛ سرورا هو حب المنزلة والجاه ، قال : قد اختلف الناس في هذا فقالت فرقة : انها تحبط؟ ؛ لأنه قد نقض العزم الأول ، وركن الى حمد المخلوقين ، ولم يختم عليه عمله بالاخلاص ، وانما يتم العمل بخاتمته ، ثم قال : ولا أقطع عليه بالحبط ، وان لم يتزايد في العمل ، ولا آمن عليه بل أقف فيه لاختلاف الناس ، والا غلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ، ثم

قال : فإن قيل : قد قال الحسن : انما هما سورتان ، فإذا كانت الأولى لله لم تضره الثانية .

قال غيره وهو سعيد بن أحمد : اذا عمل العبد شيئا من فرائض الله ـ تعالى ـ مع مقارفته لشيء من معاصي الله ـ تعالى ـ ، فقد اختلف في ذلك ؛ فقيل : انها لا تنفع وعلى هذا القول عليه بدل ذلك اذا تاب .

وقيل : انها تقع ولا يثاب عليها ، فعلى معنى هذا القول اذا تاب الى الله ، فليس عليه بدل ذلك ؛ والله أعلم .

(مســألة) : والواجب على المؤمن أن يعمل جميع أعماله الدينية والدنيوية لله ـ تبارك وتعالى ـ في قضاء حاجته من الغائط والبول ، والجماع وأكله وشربه ، ونومه وسعيه في طلب المـال ، وحفظه وقبضه وبسطه ؛ ليكون داخلا في البيعة حيث قال الله ـ تعالى ـ : **﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾** الى تمام (الآية) ، **﴿وبشر المؤمنين﴾** ، ومن خرج عن هذه البيعة دخل في حيز الذين خسروا أنفسهم وأموالهم ، وأهليهم ودنياهم وآخرتهم ، ولا تكون منزلة ثالثة قط ؛ والله أعلم .

وأصل البيعة معنا هو الاقرار بالجملة ، بايع بلسانه أو لم يبايع ، ونكثه عن البيعة هو الخروج من الجملة بارتكاب كبيرة ، أو اصرار على صغيرة .

فصــل : قال الغزالي : ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر ، فلا يخفى كونه ووسوسته ، والى ما يعلم انه داع الى الخير ، فلا يشك في كونه الهاما ، والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك أو من لمة الشيطان ، فإن من مكائد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير ، والتمييز في ذلك غامض ، وأكثر العباد به يهلكون ، فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح ، فيصور الشر بصورة الخير .

قال الشيخ سعيد بن أحمد الكندي : يجب أن توزن الخواطر بميزان الشرع ، فما وافق منها الحق ؛ فهو لا شك انه من الله ـ تعالى ـ ، وما خالف ذلك ؛ فهو لا شك انه من دعوة الشيطان ـ لعنه الله ـ ، وما التبس ؛ فالوقوف عنه أولى الى أن يتضح له أحد الأمرين ؛ لأن الحق بيّن مع أهله ، والباطل بيّن ، وبَيْنَ ذلك شبهات ، فوجب أن يدع ما يريبه الى ما لا يريبه ؛ والله أعلم .

فصــل : السخرية والاستهزاء ؛ محرمان مهما كان ذلك مؤذيا ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿**لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم**﴾ ، ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة ، والتنبيه على العيوب على وجه يضحك منه ، وقد يكون بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد يكون بالاشارة والايماء ، واذا كان بحضرة المستهزأ به ، لم يسم ذلك غيبة ، وفيه معنى الغيبة .

قال غيره : ومعنا اذا كان بحضرة المستهزأ به فهو أشد من اذا كان غائبا ، وأشد من ذلك اذا كان بحضرته غيره من الناس ؛ لأنه يتأذى بذلك أكثر ، ويستحي من الحاضر ، واذا قال فيه وهو غائب ، ربما لم يبلغه ، واذا لم يبلغه لم يتأذَّ به ؛ انقضى الذي نقلته من تهذيب الشيخ سعيد بن أحمد الكندي لكتاب [الاحياء] .

فصــل : واعلم ان كسب الحلال فضيلة عظيمة ، وذكر عن لقمان انه قال لابنه : يا بني استعن بالمال على الفقر فإنه ما افتقر أحد الا أصابه ثلاث خصال : رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاث ، استخفاف الناس به ، وحفظك لما في يدك أولى من طلب ما في أيدي غيرك ، وخيار الناس الذين لم يدعوا الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ، وما زال الأنبياء والصالحون يطلبون الحلال ، فقد كان آدم ـ عليه السلام ـ حرّاثا ، ونوح نجارا ، وادريس خياطا ، وداود زرادا ، وابراهيم زراعا ،

وصالح تاجرا ، ولقمان خياطا ، وموسى وشعيب ومحمد ـ صلى الله وسلم عليهم أجمعين ـ رعاة ، وقال ـ عليه السلام ـ : «أفضل الكسب عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور» ، وعنه ـ عليه السلام ـ انه قال : «لا تحل المسألة الا من فقر مدقع ، أو عزم مقطع ، أو دم موجع» ، وقال بعض العلماء : من وجد كفاية من الأسباب ، فالله أغناه ، والا فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الاكتساب اتكالا على الناس ، وهو قادر على الاكتساب .

فصل : وقيل : سمي المزاح مزاحا لأنه يزيح عن الحق ، وقيل : لكل شيء بذر ؛ وبذر العداوة المزاح ، وقيل : المزاح أوله فرح وآخره ترح ، وقيل : لو كان المزاح فحلا لم ينتج الا شرا ، واياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب ، فإن اللبيب يحقد عليك ، والسفيه يجترىء عليك ، وقد قال النبي ـ عليه السلام ـ : «لا أمزح ولا أقول الا حقا» ، وذلك مثل قوله للعجوز التي قالت : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : «ان الجنة لا تدخلها العجوز» ، كأنه ـ عليه السلام ـ أراد قول الله : **﴿إنّا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا﴾** ، فإذا صارت الى الجنة فليست بعجوز ، وأتته امرأة في حاجة لزوجها ، فقال : «ومن زوجك» ؟ قالت : فلان .

قال : «الذي في عينيه بياض» فقالت : لا ؛ قال : «بلى» ، فانصرفت عجلى لزوجها ، وجعلت تتأمل عينيه ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخبرني رسول الله ﷺ أن في عينيك بياضا ؛ فقال لها : صدق رسول الله ﷺ ؛ أما ترين بياض عينيّ أكثر من سوادهما .

وقال علي بن أبي طالب : من أكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمرا لم ير في جسده شيئا يكرهه ، والبقر لحمها داء ، ولبنها شفاء ، وسمنها دواء ، واللحم ينبت اللحم ، والشحم يخرج من الداء مثليه ، وسأل ملك رجلا طبيبا حكيما ، فقال : لا تأكل طعاما أبدا الا وأنت تشتهيه ، ولا تأكل لحما

حتى ينعم ، أي يتم نضاجه ، ولا تبتلع اللقمة حتى تمضغها مضغا شديدا على أن لا يكون على المعدة منها مؤونة .

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : ثلاث يجلين البصر : الكحل عند النوم ، والنظر الى الخضرة ، والنظر الى الوجه الحسن ، وقال بعض : من ترك العشاء لم ترجع قوته أربعين يوما .

وفي الحديث : «تعشوا ولو بكف من حشف من تمر فإن ترك العشاء مهرمة» ، معقل بن يسار عن النبي ﷺ انه قال : «الحجامة يوم الثلاثاء دواء لسنة» ، أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ انه قال : «لا تكرهوا أربعا فإنها لأربع ، لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى ، ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام ، ولا تكرهوا السعال ، فإنه يقطع عروق الفالج ، ولا تكرهوا الدمامل فإنها تقطع عروق البرص» ، وفي الحكمة : اياك واللجاجة ، والمشي في غير حاجة ، ولا تمض الا لاحدى ثلاث : فائدة أو عائدة أو مائدة ، قيل : ان فقيها دُعِيَ الى طعام فقال : أجبتك بثلاثة شروط ، أن لا تكلف ما ليس عندك ، أو تضن بما عندك ، أو تحرم عيالك ، وتقري ضيفك .

ويكره الأطباء والحكماء الأكل بين يدي السباع يخافون نفوسها وأعينها ، وكانوا يقولون في السنور والكلب : إما تطرده قبل أن يراك تأكل ، وإما أن تشغله بشيء يأكله ولو بعظم .

وعن علي عن النبي ﷺ قال : «لو كان الأرز رجلا لكان رجلا حكيما» ، وقيل : لو كان رجلا لكان مؤمنا ، ولو كان مؤمنا لكان عالما ، ولو كان عالما لكان زاهدا ، عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : «الشعر في الأنف أمنة من الجذام» .

فصل : وروي عن الشيخ أبي عبدالله محمد بن ابراهيم الكندي ـ رحمه الله ـ ؛ انه كان يقول : ما أرجو الجنة لأحد من أهل هذا الزمان الا للصبيان ، فذكر له في ذلك ؛ فقال : لأن الغيبة محرمة بالكتاب والسنة والاجماع ، ولا أرى أحدا يتورع عنها .

فصل : وذكر ان الله أوحى الى داود ـ عليه السلام ـ : «معشر الآدميين اذا نزلت بكم الأمراض دعوتموني ، فإذا انكشفت عنكم نسيتموني ، كأنكم من رزق غيري تأكلون ، وما لابن آدم اذا نزلت به النكبة دعاني راغبا اليّ ، فإذا كشفتها عنه كأن النكبة لم تحلّ به قط ، ولم يتفكر ان الذي أزاح النكبة هو قادر على ردها ، ولكن سوف ينكشف الغطاء ، وتظهر الأمور ، غرتكم الدنيا ، ووضعت كلكلها عليكم ، كأنكم لا تصيرون الى الحي القيوم فيبطش بكم بطشة جبار لا ترام بطشته ، فداووا أنفسكم بالاستغفار والاقلاع ، وابكوا على ذنوبكم حق البكاء ، واعلموا أن خير بضاعتكم الصلاة ، فاعملوا فيها ، ولا تنظروا الى أصحاب الكبائر ، وما أدراك ما هم ؛ الذين لا يأمرون بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر ، فليس المخلص من كثر أسماء الناس عليه ، ولكن المخلص من نظرت الى قلبه فرأيته مستويا ، هيهات تكسون عوراتكم وتشبعون بطونكم وتتركون فرضي ، ليس من سبق الى الصلاة بالأسحار السابق ، انما السابق من أحللته برضاي ، وصمت عن الرفث ، واذا تكلم بكلام كان عليه مني هيبة ، ترحب به الملائكة وتفرح به قطرات الأرض ، اذا نزل بأهل الأرض بلاء كان حصينا لهم ، من ألزم نفسه التقوى ذهبت عنه عداوة المخلوقين ، ومن ترك أداء فرائضي غيرت وجهه ، ومن أكثر الزنا ، محق رزقه وعمره ، فلا تنظروا الى من استوت لهم الدنيا ، واستقامت لهم ، ولكن انظروا الى عاقبة أمرهم ، ولا تنظروا الى صلاة العبد وصيامه ، ولكن انظروا الى السرائر التي بيني وبينه .

يا داود ؛ أسبلت عليك ستر الدنيا والستر الذي بيني وبينك مهتوك ، اذا فرغتم من المعاصي رجعتم اليّ أحسبتم اني خلقتكم عبثا ؛ انما خلقت الدنيا رديف الآخرة ، فسددوا وقاربوا ، واذكروا أصوات الزبانية ، وضيق القلق في النار ، وغم أبواب جهنم ، وبرد الزمهرير ، فازجروا أنفسكم حق الزجر ، وارضوا باليسير من الدنيا أرضى لكم باليسير من العمل ، تضحكون ولا تدرون ان الموت في طلبكم ، لو تنظرون الى أعوان الموت يجذبون المفاصل ، ويفكون الأعضاء حتى يسمع للميت صرير أسنانه ، وأجنحة الأعوان تجول في جسمه ، فهذه عبرة لكم لو تعتبرون وتعقلون ، لو شاك أحدكم شوكة لتأذى بها ووجد المهالك ، هذا لتعتبروا وتتفكروا في الموت ، يا أيها الناس دار البقاء أوفق لكم ، فعليكم بطلبها ، واسألوني العفو اعطكم أعمالا زاكية ، وطلب الثواب بالمخادعة يؤرث الحرمان ، وحسن العمل والنية تقرب مني .

يا داود ؛ انف النوم عن عينك ، واذا حدثتك نفسك بنوم فاذكر مصارع أهل النار في النار ، فإنك ان فعلت ذلك نفى النوم عن عينيك ثوب الستر عليك واضح ، وانت عندي عريان ؛ معشر الآدميين تعاهدوني أن لا تعصوني ثم تعصوني كأنكم في غرور وبعقوبتي فرحين متلاعبين ، انما أحب من عبادي من كان مجتهدا في طاعتي ، متيقظا لأمور الدنيا ، محبا لكل ما يقربه مني ؛ أيها الناس ؛ نهيتكم عن الغيبات والمكر ، والخديعات ، ولكن نقوا قلوبكم وطهروها ، فإذا صلحت الأعمال ، ومن أكثر الاستغفار كثر له الرزق والأموال والأولاد ، ونشرت عليه الرحمة ، ومن أعجب فهو من عيني ساقط ، ومن تكبر فهو يضدني في ملكي ، وأنّى له بذلك .

فيا أيها الانسان ؛ ما غرك بي كنت محلولا في الأصلاب ألقى أبوك ترعة ، وأمك نزعة ، قد برئت من أجزاء أبيك الأعضاء والعصب والعروق ،

وبرئت من أجزاء أمك اللحم والجلد والدم ، وجمعت بين النطفتين فأجمدتهما بعد الانحلال ، وجعلتهما دما بعد أن كانت محلولة ، فصارت نطفة أربعين يوما ، وعلقة أربعين يوما ، ومضغة أربعين يوما ، ثم أرسلت اليها ملكا ، فشق السمع ، والبصر ، وكتب الرزق والأجل ، والشقاوة والسعادة ، ونفخت فيه الروح وغذيتها بالألطاف ، وحفظتها من الآفات ، فلما استطلعتم واستوثقتم في الكبر ، جعلتم مكافأة ذلك الاقتحام على المعاصي ، ونسيتم تلك الألطاف كلها ، أكان ذلك جزاء من صوّر فأتقن وخلق ورزق ؟! واذا وقعتم في مصرع لجأتم اليّ فكفينه عنكم ، واذا عدتم الى صحتكم سعيتم في الأرض فسادا ، فما أجرأك عليّ أيها الانسان ! رزقتك سمعا تسمع به ، وبصرا تبصر به ، وقدما تسعى بها ، ويدا تبطش بها ، ثم لم تشكر ذلك .

يا داود ؛ لا تجالس السفهاء ، فمن جالس سفيها نسب اليه ، وعليك بصحبة العقلاء ، واتباع أمرهم ، يا داوود ؛ طوبى لمن عمر قلبه بذكري ، وأخربه من ذكر الدنيا ، يا ابن آدم ما أجرأك عليّ وأشد تمردك ! اذا وقعت في البلوى دعوتني ، واذا كشفت عنك نسيتني .

يا داوود ؛ قل للذين يتوكلون على أعمالهم : أبأعمالكم تنالون مراتب رحمتي أم برحمتي تنالون ذلك كله ؟ وان استندتم اليّ بأموركم وفوضتموها اليّ كنت عند ظنكم ، يا داود ؛ كن ظنك بي تجدني مليا بما تظن بي من الخير ، وصفني لحقي بالكرم وأنا القوي العزيز ، يا داود ؛ مُر بني اسرائيل أن يتحالفوا باسمي صادقين لا كاذبين وليقوموا اليّ مقام الخائف المستجير من سخطي .

يا داوود ؛ من حلف باسمي كاذبا فرقت بين جلده وعظمه في النار ، يا بني آدم انكم تعصونني بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم ، ولو ان أولكم وآخركم وجنكم وانسكم اجتمعوا في

صعيد واحد ، وسألني كل واحد منهم مسألة ، ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، فمن تاجر بي فهو أربح الرابحين ، ومن صرعته الدنيا فهو أخسر الخاسرين .

يا داوود ؛ اتل عليهم نبأ قوم غرتهم بهجة الدنيا ونضارتها فوثبوا على المعاصي ، ولم يتفكروا في عواقب الآخرة حتى غشيهم الموت ، ما لكم لا تعقلون وأنتم غافلون ، والأقلام جارية لا تغفل عن أعمالكم ، ألستم بعيني وبين يدي وأنا أعلم منقلبكم ومثواكم ؟ أين المؤملون غيري والقاصدون سواي ؟ أين الواقفون بأبواب ملوك يزول ملكهم ويذهب نعيمهم وأنا الملك الذي لا يزول ملكي ، ولا ينقص سلطاني ، ولا يتغير شأني ، ولا ينفد احساني ، وأنا الملك الذي أولي ، أوتي الملك لمن أشاء وأنزعه ممن أشاء ، وأعز من أشاء ، وأذل من أشاء ، بيدي الخير وأنا على كل شيء قدير ، وأنا الملك الذي اذا أردت شيئا أن أقول له كن فيكون ، فوعزتي وجلالي لأقطعن أمل من أمل غيري ، ولأخيبن رجاء من يرجو سواي ، ولأكسونه في يوم القيامة رؤوس الأشهاد ثوب مذلتي ولأطردنّه من جواري ، ولأحرمنّه رضاي ، ولأمنعه عفوي يوم أعفو عن المذنبين والخاطئين .

يا أيها الناس لا تغفلوا عن الآخرة ولا تغرنكم بهجة الدنيا ونضارتها ، لو فكرتم في منقلبكم ومعادكم ، وذكرتم يوم القيامة وما أعددت فيه للعاصين ، لقل ضحككم ، وكثر بكاؤكم ، ولكنكم غفلتم عن الموت ، ونسيتم عهدي ، واستخففتم بحقي ، كأنكم لستم بميتين ، ولا بمحاسبين ، كم تقولون ولا تفعلون ، وكم توعدون فتخلفون ، وكم تعاهدون فتنقضون ، لو تفكرتم في خشونة الثرى ، ووحشة القبر وظلمته ، لقل كلامكم ، وكثر ذكركم ، واشتغلتم بي .

ماذا عليكم يا بني آدم لو جعلتم مكان كل نعمة شكرا وأكثرتم الثناء

عليّ ، ولم تجاوزوا نعمتي بالبدع والكفر ، كثرتم ذكري ، فإن الذكر يزيد بالقلب حياة ، والوقيعة في الناس يزيد عمى وظلمة ، واعجباً لمن أيقن بالموت ، كيف يضحك ويلهو ويلتذ بعيش وتطيب له الحياة ، وهو يعلم أن له في القيامة روعات ووقفات وفزعات وسؤالات لا ينجيه منها الا رحمتي في يوم تظهر فيه الفضائح ، وتشهد الجوارح ، وليس هنالك حجة تنفع ، ولا عذر يسمع ولا حق يبطل ، ولا مظلوم يحجب .

عبدي ؛ من أكرم عندي منك اذا خفتني ، فإن كنت تقول اني غفور فلا تتقيني !

يا داوود ؛ من لقيني من عبادي وهو يخاف عذابي لم أعذبه بعذابي .

عبدي ؛ لعلك تضحك بالغداة ، وتموت بالعشي ، أو تضحك بالعشي ، وتموت بالغداة ، ما أشد جهلك وأشد غرتك ! طوبى لمن أعطى القصاص من نفسه ، ورد التبعات الى أهلها ، ابكوا الماء ثم الدماء ، ثم القيح على ذنوبكم .

عبدي ؛ كيف ترى لكشف الشدائد غيري ومفاتيح الأمور كلها بيدي ؟ أم كيف تقرع باب سواي وهذا بابي مفتوح لمن دعاني ؟ فمن كان يرجو لكشف شدائده وضره غيري فقد جعل معي الها آخر ، أنا الذي لا أقطع رجاء من رجاني ، ولا أخيب من دعاني مخلصا ، فيا بؤس القانطين من رحمتي ! ويا شقوة من عصاني ! ويا ذل من ركب محارمي ! أين يفر مني ؟ أم كيف يخرج من تحت سمائي ؟

عبدي ؛ عصيتني ولم تستحِ مني ، وخالفت عهدي وكذبت وعدي ، وخلوت بمعصيتي ، واشتريت بها عن عبادي ، لم أكشف عنك ثوب ستري ،

ولم أسلب عنك نعمتي ، ألم ترني أجود على المذنبين ، وأستر على العاصين ، وأتوب على المذنبين ، وأغفر للخاطئين وأنا أرحم الراحمين» .

فصل : وقال علي : حسن الخلق في ثلاث : اجتناب المحارم ، وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال ؛ قال الناسخ : حسن الخلق في أربع خصال : قضاء اللوازم ، وترك المآثم ، وطلب الحلال في طاعة ذي الجلال ، والتوسعة على العيال ؛ وقال الحسن البصري : حسن الخلق بسط الوجه ، وكف الأذى ، وبذل الندى ، وقال ﷺ : «لا يوثر أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله» ، قال الناسخ : وقد عرفت أن حسن الظن بالله حسن العمل .

وقال أحد الحكماء : الغضب يصدىء العقل حتى لا يرى صاحبه حسنا فيفعله ولا قبيحا فيجتنبه ، قال الناسخ : الغضب كله مذموم الا في ذات الله ، وقال بعض الحكماء : الحسد جرح لا يندمل الا بهلاك الحاسد والمحسود ، قال الناسخ : اذا كان كذلك ؛ فعالج أيها الانسان زواله من نفسك تسترح ، وقال بعض الأنبياء ـ عليهم السلام ـ : (يا بني اسرائيل ؛ ان الدابة تزداد على كثرة الرياضة لينا ، وقلوبكم لا تزيد على كثرة الموعظة الا قسوة ، ان الحسد اذا صلح كفاه القليل من الطعام ، وان القلب اذا صلح كفاه القليل من الحكمة) ، وقال الغزالي : حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه سواء ذكرت نقصانا في بدنه أو في نسبه ، أو في خلقه ، أو في فعله ، أو في قوله ، أو في دينه ، أو في دنياه ، وحتى ثوبه وفي داره وفي دابته .

وقيل : الحاسد اذا رأى نعمة بهت ، واذا رأى عثرة شمت ، وقيل : الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، وقيل : القناعة رضى النفس بما قسم الله من الرزق ، ويقال : القناعة الاكتفاء بالموجود ، وزوال الطمع فيما ليس بحاصل ، وقال ﷺ : «ثمانية أشياء لا تشبع من ثمانية ؛ العين من النظر ، والأرض من المطر ، والأنثى من الذكر ، والعالم من العلم ،

والسائل من المسألة ، والحريص من الجمع ، والبحر من الماء ، والنار من الحطب» ، وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : ان الله كتم ستة في ستة : كتم الرضى في الطاعة ، وكتم الغضب في المعصية ، وكتم الاسم الأعظم في القرآن ، وكتم ليلة القدر في شهر رمضان ، وكتم الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، وكتم أولياءه فيما بين الخلق ، وكتم الموت في العمر .

وقال الفضيل : التواضع هو أن تخضع للحق وتنقاد له ، ولو سمعته من صبي قبلته ، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته ، قال الناسخ : المتواضع عندي هو الذي يأتمر بأوامر الله ، وينتهي عن نواهيه ، ولا يرفع نفسه عن أدنى منازل الدين ، واذا قيل له : اتق الله لم تأخذه العزة بالاثم ، ولا يقيم على كبائر المعاصي ولا صغارها طرفة عين ؛ والله أعلم .

وروي عن جابر بن زيد ـ رضي الله عنه ـ انه قال لما حضرته الوفاة : أشتهي ملاقاة الحسن ، فدخل عليه فقال : يا أبا الشعثاء ؛ قل : لا اله الا الله ، فسكت جابر ، فقال له ذلك ثانية ، فسكت ، فقال الحسن مرارا فقال له جابر : يا أبا سعيد ؛ أنا من أهلها في الدنيا ، وقد طالما قلتها ان تقبلت ، ولكن أعوذ بالله من غدو ورواح الى النار ؛ يا أبا سعيد ؛ أخبرني عن آية خروج نفس المؤمن ، فقال له الحسن برد يجده على قلبه ونفسه طامعة ، فقال جابر : اللهم ؛ اني أجد بردا على قلبي ونفسي طامعة في ثوابك بكرمك ، اللهم ؛ فحقق رجاءها وأمن محذورها ، وما أفاض بعدها بكلام ، وفي الخبر ؛ «ان آخر الأنبياء دخول الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه ، وآخر أصحابي دخولا عبدالرحمن بن عوف لأجل غناه» .

وقيل : كفى بالفقراء فخرا ان مقدمهم عيسى ـ عليه السلام ـ وكفى للأغنياء مهانة ان رئيسهم قارون خسف به الأرض ، وقال النبي ﷺ : «ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال» ، وقال ﷺ : «خير هذه الأمة فقراؤها

وأسرعها نجعا الى الجنة ضعفاؤها» ، واعلم ان ثواب العمل عمل الفقير أكثر من ثواب عمل الغني في الصلاة والصوم والصدقة ، وغير ذلك ، واذا اشتهى الفقير شيئا فلم يجد لما يشتريه ، ولا قدر عليه ، يكتب له الأجر في ذلك ، وان الفقراء يسبقون الأغنياء الى الجنة ، وان حساب الفقير في الآخرة أقل من حساب الغني ، وان ندامة الفقير يوم القيامة أقل ؛ لأن الأغنياء يتمنون يوم القيامة أن لو كانوا فقراء ، ولا يتمنى الفقراء أن لو كانوا أغنياء .

وقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : انا لندع سبعين بابا من الحلال خشية أن نقع في باب من الحرام ؛ وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام .

فصل : قد مثل الشيخ العالم أحمد بن مهدي الحلي مثلا في العقل واتباعه ، فقال : اني فكرت في المؤمن واحتراسه من عدوه في سلوك منهج التقوى ، ومخالفة أوامر الهوى ، واقتدائه بمحمد المصطفى ان الله اذا اختص المؤمن بولايته ، أكرمه بمحبته ، وأيده بنور هدايته ، فارتدع عن معصيته ، وسارع لقيام خدمته ، وقهر النفس بمعرفته ، وطلب معرفة ربه وعصمته ، ورجاء عفوه ورحمته ، فيعجز الشيطان عن التطرق اليه بدقائق حيله ومكره وخديعته ، فدلتني الفكرة فيما اعتمدته مني صفته ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل مدينة ، وحولها سور أحاط بها ، وقلبه في تلك المدينة كالقصر للملك ، والايمان في قلبه كمثل الملك في ذلك القصر ، وللملك سرير وهو التوحيد ، وله تاج وهو المحبة ، وله وزير وهو العقل ، وله حاجب وهو التقوى ، وله صاحب سر وهو العلم ، وله نديم وهو الزهد ، وله صاحب سر وهو الذكر ، وله علم وهو الأنس ، وله سراج وهو الحكمة ، وله سيف وهو الحق ، وله درع وهو التوكل ، وله رسول وهو الصدق ، وله مناد وهو الاقرار ، وله سجن وهو الخوف ، وله دليل وهو الفراسة ، وله بواب وهو المراقبة ، وغلق الباب

على المدينة وهو البصر ، وتحته حصان وهو الشكر ، وله جنود ينصحونه ، وأصحاب لا يخالفونه .

فبينما هو في قصره ، معتكف على أمره ونهيه ، اذا أقبل بعض جماعته المشفقين على مملكته ، وقال : يا أيها الملك الكريم ، ان الشيطان الرجيم قد أقبل بوجهه اليك في جيش عظيم فاحترس في قصرك ، واستعد في مدينتك ، فأنا أظنه غداة غد واصل ، والى مدينتك نازل ، وعن حرمتك غير ناكل ، فنادى الملك في جماعته وأهل نصيحته من خاصته ، وأعاد عليهم الخطاب ، وطالبهم بالرأي والجواب ، ثم التفت الى الوزير وهو العقل ؛ وقال بماذا تشير ؟ فقال : نحفر حول مدينتنا خندقا من الزهد ، فإنه لبأس عدونا يصد ، ولكيده يرد ، فسارعوا حفره بمعاول القلق ، وأطلقوا في محاربته دموع الأرق ، فلما أحاط الخندق بالمدينة أنشأ في الحال يقول شعرا :

ولما أحاطت بي جنود وساوسي حفرت لزهدي حول قلبي خندقا
حفرناه في أرض التودد والرضى وأجريت فيه دمع عيني مدفقا
وصابرت وجدي واعتصمت بخالقي فأصبحت من كيد المكاره مطلقا

قال : فبينما هو كذلك ، أذعنت غيرة الباطل ، وأقبل العدو بين فارس وراجل ، وكانت جنوده عشرة ، وهي الحسد ، والكبر ، والعجب ، والتجبر ، والغل ، والمكر ، والمحالة ، والحقد ، والغدر ، والوسوسة في الصدر .

ونزلت النفس عن شمال المدينة ، وكانت جنودها عشرة ، وهي ؛ الحرص ، والشهوة ، والرغبة ، والقسوة ، والزيغ والشح ، والبخل ، والطمع ، والأمل ، والكسل .

ونزل حب المال امام المدينة وجنوده عشرة : وهي الرياء ، والتفاخر ، والتكاثر ، والبطر ، واللهو ، واللعب ، والزور ، والكذب ، والغش ، والخديعة ، والتفريط .

ونزل ابليس اللعين وراء المدينة وكان جنوده عشرة ، وهو ؛ الظلم ، والخيانة ، وترك الامانة ، والكفر ، والنفاق ، والافك ، والشقاق ، والعداوة بين الاهل والجيران ، وحب الزينة والمال ، ومعصية ذي الجلال ، فهال الملك ما ابصر وارتاع وتحير وانشأ في الحال يقول شعرا :

إني بليت بأربع لم يخلقوا الا لعظم بليتي وعنائي
ابليس والدنيا والهوى كيف الخلاص وكلهم اعدائي

فأجابه وزيره وهو العقل فعند ذلك انشأ في الحال وجعل يقول شعرا :

لا تجزعن لما ابصرت حل بنا فحول بلدتنا القرآن يحرسنا
ونحن في سترة من كل ناحية فنسأل الله اذ للخير وفقنا
فمذ عرفناه صافانا مودته لكن ينكرنا من ليس يعرفنا

قال : ثم ان الملك نادى يا غياث المستغيثين ، ويا امان الخائفين ؛ ويا صريخ المكروبين ، ويا رجاء المنقطعين ، ويا دليل المتحيرين ، ويا منقذ الهالكين ، ويا اله العالمين ، فثبت الله جنوده واعوانه ، وشد ازره واركانه ، وقال للوزير ، وهو العقل ؛ كن كذا انت في مقابلة الهوى ، واطلب النصر من المولى ، وقد سلمت يمين مدينتي اليك ، واعتمدت في حفظها بعد الله عليك ، فقال : احب ان تندب الي اخوانا ليكونوا على العدو اعوانا فضم اليه من الجنود عشرة : وهي محبة الخلق ، والتواضع ، وحسن الخلق والتيقظ ، والايثار ، والنصيحة ، والوفاء ، والثبات ، والتحبب الى الخلق ، والذكر ، فقال : وسلم الجناب الثاني الى حاجبه ، وهو التقوى ؛ وقال له : كن انت في مقابلة النفس ، وسلم اليه من جنوده عشرة : وهي التوكل ، والعفاف ،

والصفاء ، والحياء ، والبذل ، وغض الطرف عن المأثم ، وذكر الموت ، والسكينة ، والقناعة ، والمبادرة الى الطاعة ، وقال : وسلم الجانب الثالث الى نديمه وهو الزهد ، وقال له : كن انت في مقابلة الدنيا ، وضم اليه من جنوده عشرة : وهو الاخلاص ، وطلب الحلال ، والاقتصاد ، والشكر ، والخوف من عذاب الله ـ تعالى ـ ، والتوبة ، والصدق ، ونصيحة الخلق ، والادب ، والوفاء ، ورفض هذه الدار .

قال : وسلم الجانب الرابع الى صاحب سره وهو الذكر ، وقال له : كن انت في مقابلة الشيطان الرجيم ، وضم اليه من جنوده عشرة : وهي ؛ العدل ، والامانة ، والديانة ، والايمان ، والاحسان ، والحلم ، والتواضع ، والاستغفار ، وترك الاصرار ، واللهجة بالاسحار .

وحفظ الملك باب المدينة ، واستعان بحول الله وقوته ، فلما استتم بالملك قراره نادى ابليس اصحابه ورجاله فنصب على المدينة منجنيقات البهتان ، ورايات الجحود والطغيان ، وقابلوها بمنجنيقات التوحيد ، ورايات التحميد ، وزحف العدو الى الخيام ، ورشق جنود الملك بالسهام ، وخرج اليهم القوم من جهة الظلام ، واشعلوا مشاعل الحكمة بالاحكام ، واقاموا على ابراج المدينة حراس الزهد ، وقدموا اليها بآية التوبة ، فلما بدأ ضوء الصباح وارتفع سناه ولاح ، فعند ذلك قد علا بينهم الصياح ، فانتضوا الصفاح ، وهزوا الرماح ، وتدانوا للكفاح ، فعند ذلك رفع الملك يده الى السماء ، وابتهل الى الله في الدعاء ، وقال شعرا :

قد بلغ الامر منتهاه   وحل بي مثل ما تراه
من لم يكن لي سواه   فكيف اسلو الى سواه
يا لائمي في هوة هواه   لذ بالمقام الذي تراه
ما بال سقمي ازال جسمي   شوقي وجسمي كما تراه

وقال : من عجز عن شيء فقد عدم معنى وجوده ، طلب ما لا يدرك عجز ، روم ما لا ينال ذل ، من كثر اعتباره قل عثاره ، قال : ثم قال لجنوده ابرزوا اليهم ، فان الله ناصركم عليهم ، فما انتم اقل منهم عددا ، ولا اضعف منهم مددا ، وفتحت ابواب المدينة ، وبارز كل قرين قرينه ، فايدهم الله بالنصر والسكينة ، والقى في قلوب الاعداء الرعب والتهلع ، والخوف والجزع ، فولوا مدبرين ومما املوا خائبين ، وسرت جنود الملك في اثرهم مجدين ولهلاكهم طالبين ، فمنهم من قتلوه ، ومنهم من اسروه ، فالتجأت النفس الى حصن بالمدينة فاحاطوا بها وانشدوا في هذا المعنى شعرا :

اتى العقل في جيش عظيم عرمرم   يوافق من اهل الهوى كل مجرم
ونادى حياض العسكرين كلاهما   الا اسلمي يا أيها النفس تسلم
فما سلمت خوفا عليها ولا لها   فقال اتقي يا نفس توبي وسلمي

قال : فعند ذلك ، دخلت في الطاعة والتسليم ، ونزلت على الرغم في حكم العزيز الحكيم .



الباب السادس والعشرون

في اخبار بعض المسلمين

من كتاب (بيان الشرع ، وقيل : فبينما المشركون بفناء الكعبة وهم يتذاكرون امر النبي ﷺ ، ومعهم يومئذ لبيد بن ربيعة العامري ، وهو ينشد من شعره القصيدة التي يقول فيها :

الا كل شيء ما خلا الله باطل   وكـل نعيم لا محـالـة زائـل

قال : فسمعه عثمان بن مظعون الجمحي ، وكان عثمان من اخيار اصحاب رسول الله ﷺ فالتفت على لبيد بن ربيعة ، وقال : كذبت ان نعيم الجنة لا يزول ، فقال لبيد : يا معاشر قريش ؛ ما هذا الذي قد حدث فيكم ما ظننت جليسا لكم يؤذيني ؟ فقال له رجل من المشركين : لا عليك : فانه سفيه من سفهاء بني جمح ، فقال عثمان بن مظعون انت اولى بالسفه مني ، فقال له ذلك المشرك : والله يا ابن مظعون لولا انك في جوار الوليد بن المغيرة لعلمت ما ينزل بك في يومك هذا ، فقال عثمان بن مظعون : والله اني لفي جوار الله ، وجوار محمد ﷺ وجوارهما خير من جوار الوليد بن المغيرة .

قالّ : فغضب الوليد بن المغيرة وكان حاضرا فقال : يا معاشر قريش ؛ ان هذا قد رد علي جواري ، فشأنكم به ، قال : فوثب اليه ذلك المشرك فلطمه على عينه لطمة فذهبت بها يوما عينه ، فقال له الوليد بن المغيرة ، كيف ترى يا ابن اخي ؟ اما والله و كنت في ذمتنا ولقد كانت عينك عما اصابها غنية ،

فقال عثمان بن مظعون : والله ان عيني الاخرى لفقيرة الى ما اصاب اختها ، واني لفي جوار من هو اعز على الله منك .

قال : ثم جاء الى النبي ﷺ فاخبره بقصته ، فقال له النبي ﷺ : «ان شئت دعوت الله فرد عليك عينك صحيحة كما كانت ، وان شئت عوضك الله بها الجنة» فقال عثمان بن مظعون : بل الجنة يا رسول الله ، احب الى من عيني .

خبر حبيب بن الحارث الانصاري بلغنا ان رسول الله ﷺ قال ذات يوم وهو في جماعة من المهاجرين والانصار : «يا معاشر المهاجرين والانصار ؛ ايكم يأتي مكة فيؤذن فيها فيكون سيد الشهداء يوم القيامة» ، فقال له حبيب بن الحارث الانصاري : انا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، فقال له : «انت لها» فخرج حبيب حتى اتى مكة ، فلما دخل المسجد أذن فيه فلما قال : اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمد رسول الله خرج اليه ابو سفيان بن حرب في نفر من قريش ، فقال : اقتلوا هذا الصابىء ، فلما اتوه بخشبة ليصلبوه فقال لهم حبيب : دعوني اسجد سجدتين ، قالوا له : أفعل ما شئت فانا لا بد صالبوك وقاتلوك ، فركع ركعتين فقال : اللهم ؛ انك تعلم ان رسولك ارسلني ، واني لا اجد من رسول الى رسولك ، فاقرىء محمدا واصحابه مني السلام ، فلم يلبث النبي ﷺ ان هبط عليه جبرائيل ـ عليه السلام ـ وهو متكيء في جماعة من المهاجرين والانصار ، فقال : يا محمد ان العلي الاعلى يقرئك السلام ، ويقول لك : ان حبيب بن الحارس يقرئك السلام واصحابك ، فرد السلام ﷺ ثلاث مرات ، فقال المهاجرون والانصار : يا رسول الله ؛ ما يبكيك وعلى من تردد السلام ؛ فقال : يا معشر المهاجرين والانصار ؛ اخوكم حبيب يقرئكم السلام ، فلما رفع حبيب على الخشبة فقال له ابو سفيان بن حرب : فهل لك ان تقول كلمة ندعك بها ، فانا لا نصنع

بقتلك شيئا ، قال : وما هي ؟ قال : اكفر بالله ؛ قال حبيب هيهات لا اكفر بالله وفي من الروح شيء ؛ قال : فقل كلمة اخرى ، فقال : وما هي ؟ قال : اكفر بمحمد ، قال : سواء علي ذلك اكفرت بالله او كفرت بمحمد ، لاني سمعت في كتاب الله ـ عز وجل ـ : ﴿ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا﴾ ، قال : فقل كلمة اخرى ، قال : وما هي ؟ فقال : قل ليت محمدا مكاني ، قال : والله ما يسرني ان تقع شوكة في رجل محمد ﷺ ، فلما ابى عليهم اجتمع رجالهم ونساؤ هم ، وقالوا : هذا ممن كان اشرك في دماء آبائكم فرموه حتى كسروا فاه ، فلما نظر اليهم قال : اللهم احصدهم حصدا ، واحصهم عددا ، وبددهم بددا ، فلا تبقي منهم احدا ، فلما اخذوا يقذفونه بالحجارة ، قال : اللهم ان كنت تعلم ان ما عندك خيرا فاستقبل بي القبلة فاستدارت به الخشبة حتى وجهته الى القبلة فمات ـ رحمه الله ـ .

(مسألة) : وجدت اخبرني ابو عبدالله محمد بن عمر بن ابي الاشهب المنجي انه كان بقرية منح رجل عفيف له نخلة واحدة ، وكان يغدو الى خارج البلد فيصلي ما شاء الله ، فاذا اراد العود الى البلد حل قفيرا من السماد فطرحه تحتها ، فكان ذلك دأبه ، فاذا حملت وادركت عد حمل ثمرتها وقسمه على السنة ، وجعل لكل يوم منها شيئا من الاجزاء ، فكان يأكل ذلك لا غيره بلا ادام ولا خبز ، ولا يطعم احدا غيره ، وكان صائما حتى مات ، وبلغني ان النخلة بقيت الى ايام الخليل بن شاذان ، وانه من كرمها به بلغت الجزرة الاولى اثنى عشر جذعا انقضى ما وجدته من ذلك ، والله يضاعف لمن يشاء وهو على كل شيء قدير .



الباب السابع والعشرون

في ابتداء الدخول في الزهد

من كتاب [بيان الشرع] ؛ كتبت تسألني الارب وهو مبتدأ الدخول في الزهادات ، والصفة التي يفوز بها من أخد بها ، وداوم عليها فنعم وكرامة ، وأنا أصف لك من ذلك ـ ان شاء الله رحمنا الله واياك ـ ان مبتدأ الدخول في الزهادات ان النفس تقطع فضول الشهوات عنها ، من الطعام والشراب ، واجبلها على القوت ، لكان في المعلق منها من الشبع بالليل والنهار ، حتى يصير الجوع لها شعارا ، والعطش لها دثارا ، لمن أراد الدخول في ذلك ، ولا قوة الا بالله ، ويجعل لنفسه طعاما معلوما ، ويطرح عنه مؤونة الادام ، وليجعل طعامه معلوما ، ويكون أكلتين ان شاء غداء وعشاء ، وان شاء عشاء وسحورا ، ان أراد الصوم ، والصوم أقوى وأسرع به الى السير ، ولا يجعلن طعامه أكلة واحدة اذا جمع قوت يوم وليلة في مقعد طال نومه ، وعليه ليلة ، وليس به جوع فيتطلع النفس في تلك الحالة الى فضول الشهوات ، ويتمناها ويثقل جسده باجتماع الطعام في بطنه ، وامتلاء جوفه ، فيشتغل بجسده عن العبادة والصلاة ، ولكن ليجوع نفسه حتى يشتغل بالجوع عن التطلع الى فضول الشهوات ، والتمني لها ، فانه ان كان أكل في النهار في ثلث بطنه ، ونصف بطنه ، لم تزل نفسه تشتهي الطعام ، وتشتغل به عن غيره الى الليل .

واذا أكل بالليل كما هو اكل بالنهار ، فاشتغلت به شهوة الطعام الى الصباح ، فلا يتمنى الفضول من الشهوات ، ولا يتطلع اليها ، وينبغي له أن لا يأكل من الطعام الا ثلث بطنه ، وليجعل الثلث الثاني للشراب ، والثلث الثالث للنفس ، والتسبيح والقراءة ، وأكلتان أقوى من أكلة واحدة وأعصم للجسد ، فإن شهوة الفضول ظلمة حب الدنيا ، واذا مضى به يوم وقد علم الله منه صدق النية ، وصدق اليقين أخرج من قلبه طائفة من ظلمة حب الدنيا ، وأدخل مكانها نور الزهد ، واذا مضى به يوم آخر وهو على ذلك يروض نفسه ويؤدبها لتنقطع عنها شهوة الفضول ، أخرج من قلبه أيضا طائفة من ظلمة حب الدنيا ، وأدخل مكانها نور الزهد ، وينسى ذكر الفضول وشهوتها ، فلا يزال كل يوم يمر عليه وليلة يخرج من قلبه ظلمة ، ويدخل مكانها نورا ، حتى يأتي عليه أربعون يوما ، فإذا تم عليه أربعون يوما ، لم يبق في قلبه ظلمة الا أخرجها الله ، وجعل مكانها نورا ، فيصير قلبه نورا يزهر ، قد تمكن فيه نور الزهد ، فهو حينئذ الزاهد في الدنيا ، فلا يطلبها مع الطالبين ، ولا ينافس فيها مع المنافسين ، ليس له في نعيمها ارب ، ولا له اليها طرب ، وهانت عليه ، فهي مطروحة لديه ، وقد استراح من تعب الطلب ، وأراح نفسه من أنواع التعب ، فلست تراه الا فرحا نشطا مع قليل الهم ، عظيم الحلم على وجهه بهاء ، وفي قلبه نور الزاهدين ، فليس له في الدنيا شيء يهتم به ولا حاجة ، وهو خير من غيره ، فهذه منزلة نبيلة جميلة فإذا صار هكذا ، فإن صار فليدم خيره ، وان شاء فلينزل منزلة الخوف مع الزهد ، فإن كثيرا من الناس من يجمع منزلة الخوف مع الزهد ، ثم يجوز بهما ، مع ان الزهد والخوف أخوان ، لا يتم أحدهما الا بصاحبه ، وهما كالروح والجسد مقرونا ؛ لأن الزاهد لا يكون زاهدا الا بالخوف من الله فلا يلزم العبد الزهد الذي يدخل فيه حتى يلزمه الخوف ، فإذا لزمه الخوف لزمه الزهد ، فصار هذا حقا عليه نور الخوف في قلبه ، ونور الزهد ومبتدأ الدخول في الخوف

أن يلهم قلبه ذكر الموت ، ويذكر له حتى يرق قلبه ، ويلزم نفسه الخشية لله ، والحذر والغرق حتى يخافه خوفا كأنه يراه ، فإنه اذا مضى يوم واحد ، وقد أخذ في رياضة نفسه ، كأنه أدبها لطلب منزلة الخوف بقربة الله اليه ، واذا علم منه النصيحة والنية فألزمه شيئا من المهابة ، وسكن قلبه نور الخوف فإذا مر يوم واحد وهو على ذلك زاده مهابة وزيادة في قلبه حتى يتم له أربعون يوما ، فإذا مضى له أربعون يوما كمل نور الخوف في قلبه مع نور الزهد ، وصار نورا واحدا كملت المهابة على وجهه فإذا بلغ الغاية فهابه الأهل والخادم والولد والأخ والصغير والكبير والقريب والبعيد ، ومن عرفه ومن لا يعرفه فهو حينئذ الخائف الحزين ، الذليل المسكين ، لا يلهو مع اللاهين ، ولا يسهو مع الساهين ، الدائم البكاء الكثير الدعاء ، قليل النوم ، كثير الهم قد أنحله الخوف ، وقرح الخوف جلده ، آمن من مكر غيره خائف شره ، فلست تلقاه الا مهموما حزينا ، مكروبا لا ينفعه العيش من شدة الخوف وكثرته ، خائفا كئيبا مغموما الحزن وهو مجتهد ذائب ليس يفتر عن الشكر ، ولا يقصر عن الذكر ، قد طرد خوفه الكسل ، وذهب عنه الفشل لا ينام ولا يفتر ، ولا يمل ولا يضجر ، فإذا صار هكذا فقد نزل منزلة جسيمة عظيمة عند العامة والخاصة ؛ لأنهم لا يعرفون غيرها ولا يبصرون ما وراءها وهي عند المبصرين أكبر المنازل ، فإن شاء فليدم عليها حتى الممات ، وان شاء فلينزل منزلة الشوق الى الجنة ، ثم يجوزها من غير أن يكون مفارقة منزلة الخوف ونوره ومنتهى الخوف في الشوق الى الجنة أن يفكر في نعيم الجنة ولذتها ، وما أعده الله فيها لساكنيها من أنواع الكرامة والألطاف ، والخدم ويشوق نفسه الى الحور العين ، والنعيم الدائم المقيم .

فإذا مضى به يوم واحد وهو يكابر نفسه على الشوق ، ويردها الى الجنة وما فيها نظر الله اليه اذا علم منه النية الصحيحة في الاجتهاد ، فأسكن قلبه

شيئا من نور الشوق الى الجنة حتى اذا تم له أربعون يوما كمل نور الشوق الى الجنة في قلبه ، وصار الغالب عليه ، وأنساه الحزن الذي كان فيه من الخوف من غير أن يكون نقص من نور الخوف ، ولا فارقه فهو حينئذ المشتاق الصب الشديد الحب المكلف الهائم ، العاشق العائم الغريب المعروف ، الدائم الاحسان ، لا تشغله الأشغال ، ولا تحزنه المصائب ، ولا تمرضه النوائب ، الصادق المشتاق ، فلست تلقاه الا ضاحكا مستبشرا مسرورا بما في قلبه غير بخيل ، ولا منان ولا هماز ، ولا لماز ولا لئيم ولا نمام هو الصوّام القوام الذي لا يميل به السرور ولا يغيره الغرور ، فإذا صار هكذا بهذا نزل منزلة هي أعظم وأشرف من منزلة الخوف ، فإن شاء فليدم عليها حتى الممات ، وان شاء فلينزل منزلة المحبة ، فإن كثيرا من الناس جاوز منزلة الزهد والخوف ومنزلة الشوق الى المحبة ، وصاروا في منزلة محبة الله ، وليس كل واحد وصل الى هذا الحب ولا يصير في هذه المنزلة الا الصادق ، والفعال الفائق المطهر من الذنوب ، المبرأ من العيوب ، فإذا رفعه الى هذه المنزلة صار في قلبه نور المحبة لله ـ عز وجل ـ فغلبت عليه من غير أن يكون فارقه نور الزهد والخوف ، والشوق الى الجنة ، ولا ينتقص منها شيء فيصير قلبه قد امتلأ حبا لله وشوقا اليه ونسي ما كان فيه من الخوف والشوق الى الجنة ، كرامة من الله ورحمة ، وثوابا وانعاما ، فيصير فلا شيء أحب اليه من رضى الله ، واتباع محبته ، والعمل بين يديه وأجهد نفسه في ذلك فإذا مضى يوم واحد وهو يروض نفسه ويؤدبها في محبة الله نظر الله اليه ورحمه ، وألقى عليه المحبة ، فإذا مضى يوم آخر وهو على ذلك زاده الله محبة حتى يصير حبه في قلوب الملائكة ، وفي قلوب العباد ، ذلك في تمام الأربعين يوما ، فإذا خلصت نيته فهو حينئذ القريب المكرم ، المهيب المهذب ، الحليم السهل ، الكريم الكثير الخير ، القليل الشر ، البهي الجميل ، كثير الصلاة ، الباذل الزكاة ، المتجافي عن الفراش ، الزاهد في الرياش ، فلست تلقاه الا مبتسما حليما متكرما ، مهذب الأخلاق ،

طيب المذاق ، ولا يضن بما لديه بمال ، ولا ينسى ربه من حال ، ليس باليائس المغضوب ، متجهم الغضوب ، حسن البشر طيب الخير ، مجانب للذنوب ، مبغض للكذوب ، ولا يسعى الا فيما يحبه الله ويرضاه وقد أحبه من سمع به ، وزاده ذلك بحب الله اياه ، فمثل نور الزهد والخوف في قلب العبد مثل كوكب طلع ينظر اليه ، وهو مضيء يتلألأ فبينما أنت تنظر اذ طلع القمر ، فأطفأ نور الكوكب من غير أن ينقص من نور الكوكب شيء ، ولا الكوكب برح مكانه ، وكذلك الشوق الى الجنة يغلب نور الزهد وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم .

(مسـألة) : قال أبو سعيد ـ رحمه الله ـ يروى انه قيل : عليكم بالزهاد فإنهم يلقنون الحكمة .

(مسـألة) : وعنه يروى عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من علامة المؤمن كلما جاء كان أخير ، وعلامة المنافق كلما جاء كان أشر .

(مسـألة) : وعنه قد قيل : ان من علامة النفاق قد يكون عند الناس أحسن أحواله وأنشطه .

(مسـألة) : وعنه قد قيل : والله أعلم ان الله اذا أحب عبدا أزوى عنه الدنيا كما يزوي الأب الشفيق عن ولده المساوىء ، واذا أحب عبدا تعاهده بالبلاء والفقر كما يتعاهد الأب الشفيق ولده بالتحف وهذا على معنى الكلام ليس على معنى الرواية كلها بحروفها ، ويروى عن النبي ﷺ انه قال : «اذا أراد الله بعبد خيرا جعل رزقه كفافا وقنعه به» .

فصل : قيل : المؤمن هو الطلق الباذل البذول ، الرفيق الوصول ، يُقطع فيصل ، ويُؤذى فيحلم ، ويُشتم فيكرم ، كما قيل في المثل : عاد المؤمن

ونم على بابه ، وقيل : المؤمن كالجمل الألوف ان قيد انقاد ، وان استنيخ ولو على صخرة استناخ ، ويقال : المؤمن ألوف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس ، المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدرا وأذل شيء نفسا ، لا حسود ولا حقود ، ولا غيّاب ولا مغتاب ، طويل الغم بعيد الهم ، ضحكه تبسم ، واستفهامه تعلم ، ومراجعته تفهم ، وفي الحديث : «ان الصديق الألوف لا يباع بالألوف» ، وقال :

واذا صاحبت فاصحب صاحبا ذا حياء وعفاف وكرم
قوله في الشيء لا ان قلت لا واذا قلت نعم قال نعم

فصل : وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال : أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، قليل الفساد ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الذلل ، قليل الفضول ، برا وصولا ، وقورا صبورا ، شكورا حليما ، رفيقا عفيفا ، شفيقا ، لا لعّانا ولا سبّابا ، ولا نمّاما ولا مغتابا ، ولا عجولا ولا حقودا ، ولا نجيلا ولا حسودا ، هشّاشا بشّاشا ، يحب بالله ، ويبغض بالله ، ويرضى في الله ، ويغضب في الله ، فهذا هو حسن الخلق .

وسئل رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن والمنافق ، فقال : «ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة ، والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة» .

وقال حاتم الأصم : المؤمن مشغول بالفكر والعبر ، والمنافق مشغول بالحرص والأمل ، والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله ، والمنافق خائف من كل أحد الا من الله ، والمؤمن يقدم ما له دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون

ماله ، والمؤمن يحسن ويبكي ، والمنافق يسيء ويضحك ، والمؤمن يحب الوحدة والخلاء ، والمنافق يحب الخلطة والملأ ، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ ، ﴿والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة﴾ ، ﴿أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ الى آخر السورة .

تم الجزء العاشر من كتاب (قاموس الشريعة) وهو في التوبة والزهد وصغائر الذنوب ، وكبائرها ، وفيما يجوز من الدعاء ، وما لا يجوز ، وفي الحسد ، والكبر والرياء والعجب ، ويتلوه ـ ان شاء الله ـ الجزء الحادي عشر في السنن والآداب .

تأليف

الشيخ العالم العلامة

ابي محمد جميل بن خميس بن لافي السعدي

قد اوقف سيدنا ومولانا الأجل الأكرم المحترم المعظم الهمام برغش بن سعيد بن سلطان بن الامام جميع الكتب المطبوعة من اجزاء قاموس الشريعة ، أولها وآخرها على طلبة العلم المتعلمين والراغبين فيه ، المجتهدين ابتغاء ما عند الله تعالى من الثواب ، وهربا من أليم العقاب ، وانه قد اخذ عهد الله وميثاقه على من صار في يده شيء من هذه الكتب ان لا يبيعها ، ولا يهبها ، ولا يرهنها ، ولا يتملكها ، وان لا يمنعها من كان مستحقا للقراءة منها ، وان لا يعطيها من هو غير مأمون عليها خوفا من ضياعها ، وان احتاجت الى اصلاح فليصلحها من صارت في يده وأجره على الله - تعالى - ، وقفا مؤبدا صحيحا شرعيا لا يحال ، ولا يزال ولا تباع هذه الكتب ، ولا تورث ولا توهب ولا ترهن ، ولا تملك حتى يرث الارض وارثها . اشهد الله - تعالى - على ذلك وكافة المسلمين فمن بدله بعد ما سمعه ، فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم .

وكتب هذا عن امره خادمه الفقير لله يحيى بن خلفان بن ابي نبهان الخروصي ، بيده في ١٠ رمضان سنة ١٢٩٩ .

تم بحمد الله

الفهـرسـت

طبع بمطابع
دار جريدة عمان للصحافة والنشر
روي - ص . ب (٦٠٠٢)
سلطنة عُمان
١٩٨٣





